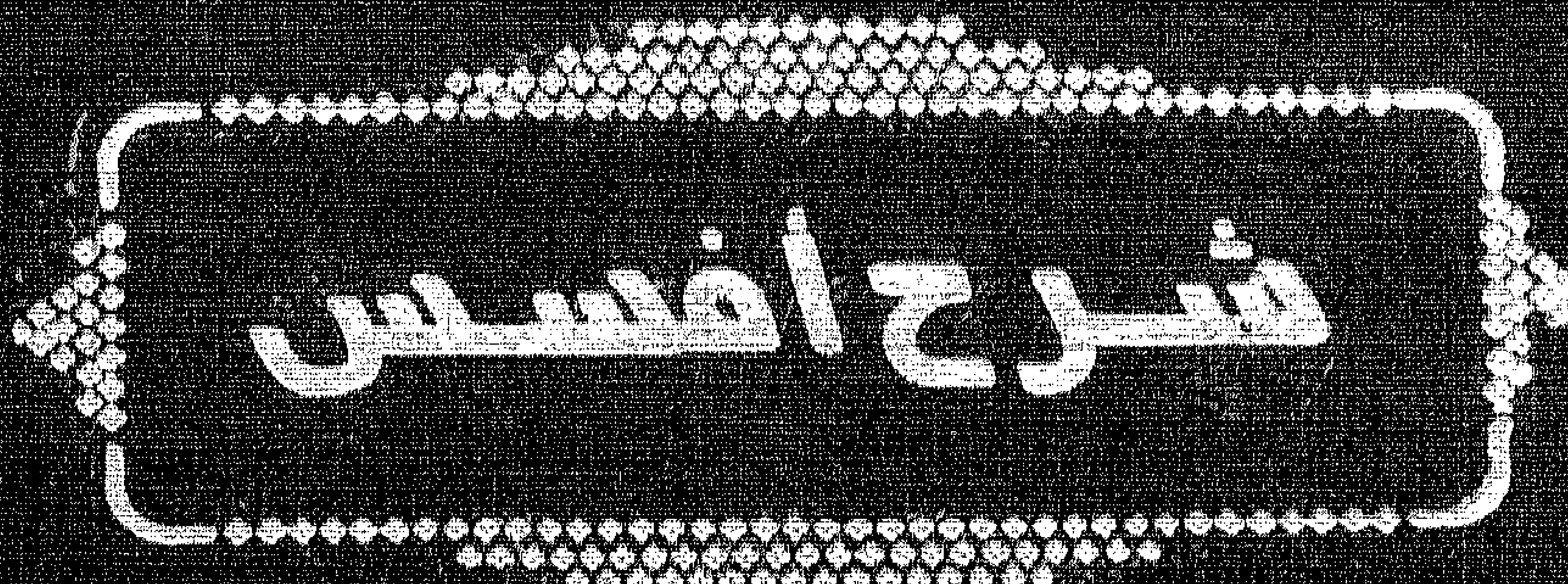
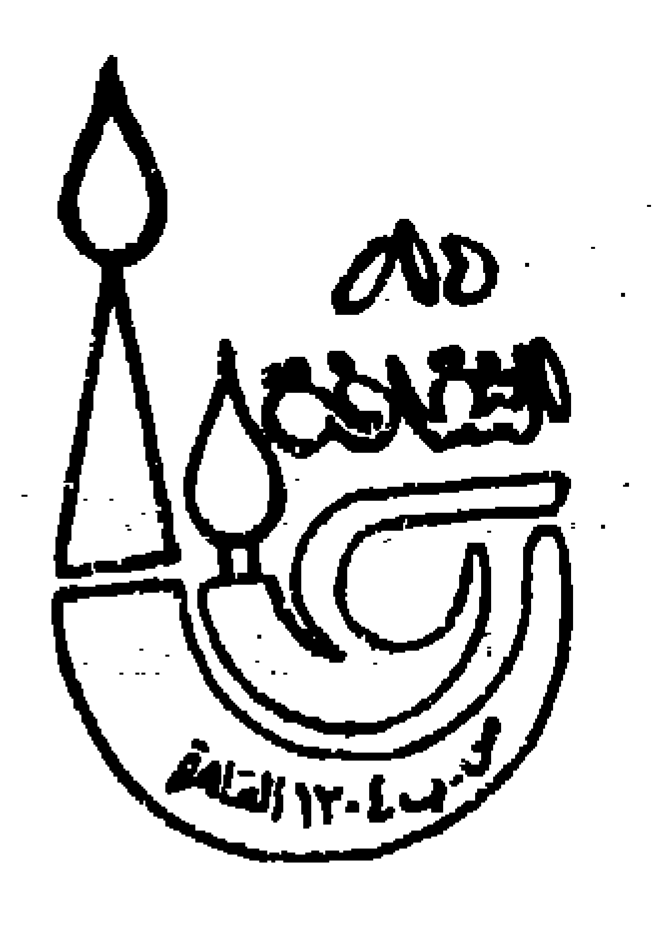

شرح أفسس

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

شرح رسالة أفسس

للدكتور القس ابراهيم سعيد



طبعةأولى سنة ١٩٣٧

طبعة ثانية سنة ١٩٦٩

طبعة ثالثة سنة ١٩٨٣

صدر عن دار الثقافة ص.ب ١٣٠٤ — القاهرة

١٠/١٨٥ ط ٣ (١)/٨٣ — ٥ ٧

رقم الايداع بدار الكتب ٣١٨٩ \ ٨٣

طبع بمطبعة

دار العالم العربي للطباعة

٢٣ شارع الظاهر — القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦

رسالة

بولس الرسول

الى أهل أفسس

المقدمة العامة

« رسالة » ، « بولس » ، « أفسس » — ثلاث كلمات جامعة، كثلاث نجوم لامعة، تسطع في سماء هذه الرسالة . ولكل من هذه الثلاث الكلمات جاذبية قوية تستميلنا إليها ، إذا ما حاولنا كشف كنوز هذه الرسالة

« رسالة » ، «بولس » ، « أفسس »— أو الرسالة ، ومرسلها ، والمدينة المرسلة إليها :

— ا — الرسالة : تتبوأ هذه الرسالة عرشاً رفيعاً في قلب كتابات بولس ، حساً ومعنى . فهي قلبها الخافق ، وهي الدرة اليتيمة المنتظمة في منتصف عقد رسائله الدرية ، هي الرسالة الوحيدة التي يفخر بها الرسول، ويعتبرها حجة «رسوليته» إلى الأمم، ومقياس درجة «درايته بسر المسيح» (٢:٣ و ٣).

حسناً قال فيها كولردج «هي أسمى كتاب في سجل الوحي. لأنها تجمع

بين دفتيها خلاصة العقائد المسيحية ، وهى ملتقى مطاليب الدين المسيحى بمطاليب الدين الطبيعى » .

هي إحدى الرسائل الأربع التى كتبها بولس الرسول وهو سجين فى روما لأول مرة ، فهي اللؤلؤة الرابعة فى هذا العقد الرباعى النظيم، المؤلف من رسائله : إلى فيلبى، وكولوسى، وفليمون ، وأفسس. ومع أن كل واحدة من هذه الرسائل الأربع ، تختلف عن الأخرى معنى ومبنى ، إلا أن نغمة واحدة مشتركة تتخللها جميعاً ، ونعمة إلهية واحدة أوحت لبولس بها جميعها. فالقلم واحد، والعقل واحد، والقلب واحد ، والروح واحد ، لكن الظروف متباينة ، والنعمة ايضاً متنوعة (١ بطرس ٤: ١) . ولقد أجاد مونتانوس، إذ شبه نفس بولس بقيثارة ذات أوتار حساسة ، فلما هبت عليها نسمات نعمة الله المتنوعة ، أفاضت منها نغمات عدة . فتارة نسمع دوى رعد قاصف كما فى رسالتيه إلى غلاطية ، وطوراً نصغى إلى ترجيع أناشيد عذبة رخيمة، كما فى رسالتيه إلى فيلبى وفليمون ، وحيناً نستمع إلى تسبيح ملائكى يرتفع إلى السماويات فى الأعالى كما في الرسالة التى نحن بصددها . وفى كل هذه النغمات المتعددة، توجد أصداء مشتركة تتخللها جميعاً ، فتوحد ما بينها من تجانس. ففى رسالة أفسس نجد أصداء متجاوبة مع رسالة كولوسى، وفى رسالة كولوسى نسمع نغمات مشتركة مع ألحان رسالة فيلبى ، وفى رسالة فيلبى نصغى إلى نبرات متفقة مع أناشيد رسالة فليمون .

* * *

فى أحد أيام سنة ٦٠ ميلادية ، خرج شخصان من روما ، وسارا فى

الطريق السلطاني المعروف وقتئذ بـ «طريق ابيوس» : إسم أحدهما «تيخيكوس» وهو من آسيا مولداً ، واسم الثاني «أنسيموس» وهو عبد هارب من مولاه أما أو لهما فهو حامل هذه الرسالة . وقلما أتاحت العناية لإنسان واحد أن يحمل من الكنوز في يوم واحد ، مثلما حمل تيخيكوس في ذلك اليوم — إذ حمل ثلاث رسائل من خير ما كتب بولس الرسول . رسائل : إلى كولوسي ، وإلى فليمون ، وإلى أفسس — وآخرها أفخرها — أو كما قال فيها آرك جراهام : «هي تاج كتابات بولس الرسول».

هذه رسالة ذات مادة وروح . أما مادتها فهي وليدة سجن روما الضيق المظلم ، وهي مكتوبة بقلم بولس أو بإملاء منه . فلقد كتبها في منفاه وسلاسل السجن تقيد جسمه الضعيف الهزيل . وأما روح هذه الرسالة ، فهي منبعثة من «السماويات» في الأعالي — موطن الحرية ، والنور ، لأنها صادرة عن روح إله بولس ، وحيث روح الرب فهناك الحرية . فبينما جسد بولس يرسف في السلاسل والقيود ، إذا بروحه تتسامى في الأعالي متمتعة بالشركة الروحية مع «الرفيق الأعلى» . إن مادة هذه الرسالة مقيدة بأثقال بولس وقيوده ، لكن روحها محملة «ثقلَ مجد أبدي» ومشبعة «بغنى المسيح الذي لا يستقصى».

هذه رسالة خالية من الجدل — فهي تختلف عن رسالة غلاطية التي يتغلغل فيها روح الجدل العنيف . فاذا كان بولس قد كتب رسالة غلاطية بمداد من محلول أشعة نور عقله النير ، فقد كتب هذه الرسالة بمداد من ذوب قلبه الملتهب .

هذه رسالة خالية من الإشارات الشخصية — فهي رسالة الكنيسة

الجامعة فى كل عصر وعصر . فيها رفع الرسول نظره فوق الحدود الضيقة التى تفصل أجزاء الكنيسة عن بعضها ، فقدم رسالته هذه للكنيسة كلها، وقدم فيها أفضل ما عنده . ومن فرط ما غمرته به العناية من أفضال ونعم ، خشع بقلبه شاكراً، وفى شكره سكب خلاصة قلبه، وفى سكيبه المقدس كان ساجداً وفى سجوده كان متعبداً ، وفى تعبده تركنا نحن الواقفين على رمال الوادى مبهوتين ، مندهشين ، مرتعدين ، نسمع الصوت ولا نميز منه سوى نبرات قليلة تزيدنا شوقا وحنينا إلى تلك «السماويات» العليا، ولا تروى فينا غليلا ، ثم انطلق هو إلى الأعالى ليرتوى من تلك الينابيع العليا التى لا ينضب لها معين !؟.

إن الفكرة الرئيسية فى هذه الرسالة هى : «المسيح والكنيسة». فهى البلاغ النهائى فى تفسير ذلك الإعلان الجليل الذى فاه به المسيح على طريق قيصرية فيلبس : «على هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» . فلا غرو إذ كان الخطاب فيها موجهاً إلى «القديسين والمؤمنين فى المسيح يسوع» ، أو بعبارة أخرى ، إن موضوع هذه الرسالة هو «قصد الله الأزلى المعلن فى المسيح ، والمحقق فى الكنيسة وبها ».

ليس هذا القصد مقصوراً على دعوة الله للكنيسة ، ولا على اتحاد عناصر الكنيسة المتنوعة ، لكنه يمتد فيطوى كل الجنس البشرى الذى قصد الله أن يجمعه فى المسيح الذى هو «الرأس الأعلى». ولكى يفصح الرسول عن هذا القصد ، بدأ بالكلام عن حاجة الفرد إلى الخلاص الذى قدمه المسيح ، والفداء الذى أكمله بصليبه، والغفران الذى أتمه بدمه الكريم ومن هذا تدرج

إلى الكلام عن الصلة الكائنة بين المؤمن وسائر المؤمنين ، فهي على مثال الصلة التي تجمع عضواً في الجسد بسائر الأعضاء . وعلى هذه النسبة المكينة تبنى الصلة بين اليهود والأمم ، فلئن اختلفوا جنساً ، إلا أنهم واحد في المسيح.

وجدير بنا أن نذكر ما قرره الرسول : وهو أن الكنيسة مع سمو مكانتها في قصد الله ، ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لإظهار حكمة الله المتنوعة للعالمين : « حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا».

ب - صلة هذه الرسالة ببعض أسفار العهد الجديد

كتبت هذه الرسالة في نفس الوقت الذي كتبت فيه رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ، فلا عجب إذا وجد بينهما شيء غير قليل من التشابه في اللفظ والمعنى . وإليك بعض هذا التشابه :

(١) « المسيح رأس الكنيسة » : أفسس ١ :٢٢ = كولوسي ١ :١٨ و٢ : ١
(٢) « سمو المسيح على الملائكة» أفسس ١ ٢٢ = كولوسي ٢ :١٠
(٣) « الكنيسة جسد المسيح » أفسس ١ : ٢٣ ، ٤ :١٢ ، ٥ ٣ = ١ : ١٨ و٢٤
(٤) « نمو الجسد » أفسس ٤ : ١٦ = كولوسي ٢ : ١٩
(٥) « وحدانية الجسد » : أفسس ٢ :١٦ ، ٤ :٤ = كوسي ٣ : ١٥
(٦) « الحالة الطبيعية التي كان عليها المؤمنون » أفسس ٢ : ٢ = كولوسي ١ : ٢١
(٧) « قيامة المؤمنين في المسيح » أفسس ٢ :٦ = كوسي ٢ : ١٢ ، ٣ : ١
(٨) « المؤمنون محيون في المسيح » أفسس ٢ :٥ = كولوسي ٢ : ١٣
(٩) « المؤمنون مصالحون بموت المسيح » افسس ٢ :١٣ = كولوسي ١ : ٢٠
(١٠) « المؤمنون مفتدون بموت المسيح » أفسس ١ ٧ = كولوسي ١ : ١٢
(١١) « المؤمنون سالكون في النور » أفسس ٥ :٨ و٩ = كولوسي ١ : ١٢

(١٢) «المومنون متأصلون في المسيح» أفسس ٣ : ١٧ = كولوسي ٢ : ٧
(١٣) «المؤمنون مبنيون على أساس» أفسس ٣ : ١٧ = كولوسي ١ : ٢٣
(١٤) «المؤمنون مملؤون في المسيح» أفسس : ١ : ٢٣ = كولوسي ١ : ١٩
(١٥) «الملء» أفسس ١ : ٢٣ ، ٣ : ١٩ = كولوسي ١ : ١٩ ، ٢ : ٩
(١٦) «الإنسان العتيق والانسان الجديد» : أفسس ٤ : ٢٢ = كولوسي ٣ : ٩
(١٧) «سلسلة خطايا ممتدة» أفسس ٤ : ٢ و٣ = كولوسي ٣ : ١٢ — ١٤
(١٨) «غضب الله على العصاة» أفسس ٥ : ٦ = كولوسي ٣ : ٥ و٨
(١٩) «واجبات بيتية مطلوبة» أفسس ٥ : ٢٢ — ٦ : ٩ = كولوسي ٣ : ٨ ١ — ٤ : ١
(٢٠) «السلوك في الخطية» أفسس ٢ : ٢ ، ٤ : ١٧ = كولوسي ٣ : ٧
(٢١) «السلوك في القداسة» أفسس ٢ : ١٠ = كولوسي ١ : ١٠
(٢٢) «افتداء الوقت» أفسس ٥ : ١٦ = كولوسي ٤ : ٥
(٢٣) «ترنيمات روحية» : أفسس ٥ : ١٩ = كولوسي ٣ : ١٦
(٢٤) «الصلاة والتضرعات» : أفسس ٦ . ١٨ = كولوسي ٤ : ٢
(٢٥) «السر المعلن» أفسس ١ : ٩ ، ٣ : ٣ = كولوسي ١ : ٢٦ و٢٧
(٢٦) «الغنى» : أفسس ١ : ٧ و١٨ ، ٢ : ٧ = كولوسي ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢
(٢٧) «الأجيال والدهور» : أفسس ٣ : ٢١ = كولوسي ١ : ٢
(٢٨) «كلمة الحق» أفسس ١ ، ١٣ = كولوسي ١ : ٥
(٢٩) «صفات تيخيكوس ومهمته» : أفسس ٦ : ٢١ = كولوسي ٤ : ٧
(٣٠) «المسيحيون مبنيون هيكلا» : أفسس ٢ : ٢٠ = كولوسي ٢ : ٧

التشابه بين بعض عبارات في هذه الرسالة وفي أعمال ٢٠

(١) «بكل تواضع» : أفسس ٤ : ٢ = اعمال ٢٠ : ١٩
(٢) «مشورة الله» : افسس ١ : ١١ = أعمال ٢٠ : ٢٧
(٣) «القدرة الإلهية» : افسس ٣ : ٢٠ = أعمال ٢٠ : ٣٢
(٤) «بناء المؤمنين» : أفسس ٢ : ٢٠ = أعمال ٢٠ : ٣٢
(٥) «ميراث القديسين» : أفسس ١ : ١٤ و١٧ = أعمال ٢٠ : ٣٢

— ج — كاتب الرسالة وظروف كتابتها

تحمل هذه الرسالة اسم بولس الرسول، مقروناً بالتحية في غرتها، كعادته في سائر الرسائل التي تحمل طابع قلمه الملهم.

وقد قُبلت هذه الرسالة على مر الأجيال حاملة اسم الرسول المبارك. وقرئت وفسّرت من جمهرة المفسرين مقرونة باسم بولس. هذه حقيقة تؤيدها سحابة من الشهود الأقوياء — فمن بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير، إلى تلميذه أيريناوس (*) الذي نشأ في آسيا الصغرى في القرن الثاني للميلاد. إلى إغناطيوس الذي عاش في أواخر القرن الثاني، إلى سائر اللاهوتيين والمفسرين في جميع العصور. فمع أن الآراء قد تباينت وتشعبت في حقيقة من كُتبت إليهم هذه الرسالة، إلا أنها أجمعت كلها واتفقت على أن كاتبها هو بولس الرسول.

كتب بولس هذه الرسالة أثناء إقامته في روما — لا كما تمنى مرة أن يزور روما حراً طليقاً، معزياً ومتعزياً بالإيمان المشترك بينه وبين مؤمني روما — ولكنه حل فيها أسيراً سجيناً. غير أن ظلال السجن أتاحت له نوراً باهراً لم يهيئه له بهاء النور الطبيعي. وضيق غرفته قدم له سعة ورحابة، عز عليه أن يجد مثلهما في باحة العالم الفسيح. وأوقات خلوته ووحدته، هيأت له فرصة

(*) من الأوصاف التي خلعها أيريناوس على هذه الرسالة، قوله عنها:

"The words of the beautiful Paul in hisEpistle to the Ephisians."

« كلام بولس الأنيق في رسالته إلى أهل أفسس »

نادرة للتفكير العميق، والإلهام الحر الطليق، والاتصال الوثيق بالرفيق الأعلى، وفى الوقت نفسه أتاحت له فرصة نادرة للاتصال بزائريه من مختلف الأقطار والأمصار (أعمال ٢٨ : ٣٠).

لقد أجمعت كلمة آباء الكنيسة الأولين، على أن بولس هو كاتب هذه الرسالة . وجلهم أضاء صفحات كتاباته بمقتبسات من هذه الرسالة على اعتبار أن بولس كاتبها.

غير أن هذا الإجماع لم يخل من اعتراضات قامت فى سبيله : بعضها سلبى، والبعض الآخر إيجابى :

فى مقدمة الاعتراضات السلبية : أن الرسالة خالية من كل طابع شخصى للرسول . فلا مكان فيها لتحيته الشخصية التى ألفناها منه فى سائر رسائله. ولا مجال فيها الظروف الكنيسة المحلية الخاصة، كما فى كورنثوس ورومة وغلاطية.

ومن الاعتراضات الإيجابيه: أن أسلوب الرسول فى هذه الرسالة، يختلف بعض الاختلاف عنه فى سائر رسائله . فبين دفتى هذه الرسالة نلتقى بكلمات «فذة» لا نعثر على مثلها فى سائر كتابات الرسول . وسياق الفكر فى هذه الرسالة يمتد بالكاتب الى مدى بعيد، فيخرجه طوراً عن الموضوع الأصلى، وتارة يفتح أمامه أبوابا جديدة . فضلاً عن ذلك، فإن العقائد المتضمنة فى هذه الرسالة، قد عولجت بطريقة لاعهد لنا بها فى كتاباته الأخرى .

لكن هذه الاعتراضات — أو جلها — تتضاءل، ولعلها تضمحل، أمام نور الحقائق الآتية :

فالتاريخ المسيحى فى جانب الرأى القائل إن بولس هو كاتب هذه الرسالة

ولا شك فى أن العلماء الناقدين الذين عاشوا فى القرون المسيحية الأولى، هم خير حكم فى هذا الموضوع، لأنهم كانوا قريبين من ذلك العهد، فتعتبر شهادتهم كأنها شهادة عيان، فيتم فيهم ذلك القول المأثور: «وشهد شاهد من أهلها».

أما السبب فى خلو هذه الرسالة من الإشارات الشخصية، فقد يظهر لنا متى جئنا إلى بحث هذا السؤال: «إلى من كتبت هذه الرسالة؟».

ومن جهة اختلاف أسلوب الرسول فى هذه الرسالة، عنه فى سائر رسائله، فالسر فيه يرجع إلى أن أسلوب الكاتب الواحد قد يتخذ أشكالاً مختلفة، باختلاف الموضوعات التى يعالجها، وفوق ذلك فإن رجلاً خصيب العقل كبولس، قوى الإلهام كرسول الأمم، لا يمكن أن يتقيد بأسلوب خاص، فى كل رسائله. ويقيننا أن هذا الاعتراض حجة فى جانب الرسول، لا عليه.

أما عن كون الرسول قد عالج فى هذه الرسالة عقائد لم يعالجها فى غيرها أو بطريقة غير طريقته المعهودة، فإن هذا يعزى إلى أن معلماً عظيماً كبولس، لا بد أن يخرج من كنزه جدداً وعتقاء، سيما وأن أحوال كل كنيسة تختلف عنها فى الأخرى. ومن المفروض أن المؤمنين يتقدمون «من نعمة إلى نعمة» ومن «درجة فى التمييز إلى درجة أرقى» فمن الطبيعى أن يزاد لهم النور بقدر ازديادهم فى المعرفة، والفهم، والقابلية. وفى اعتقادنا أنه لو كانت العقائد فى هذه الرسالة، مقصورة على العقائد التى تناولها الرسول فى رسائله الأخرى لاعتبرت هذه حجة ضد كتابته هذه الرسالة، ولقيل لنا إن هذه الرسالة ليست من كتابات بولس؟ بل بقلم شخص أراد أن يحاكيه فى الكتابة فنقل نحن ولم يحسن النقل، لأن هذه الرسالة لم تأتنا بعقيدة جديدة !!!

فالمعترض لايكف عن الاعتراض ، ولو كان الحق واضحاً كالنهار !!.

وما أجمل ما قال العلامة هوسون فى هذا الصدد: «ليس لنا من جواب على كل معترض سوى أن نقول واثقين : لايمكن أن يكون لهذه الرسالة من كاتب سوى بولس الرسول . فقد شهد ايريناوس فى بدء القرن الثانى أن بولس هو الكاتب. فمن إذاً بين بولس وايريناوس، يكون كاتباً لهذه الرسالة ؟ إن وجد شخص مثل هذا ، فلابد أن تكون له مؤهلات لاتقل عن مؤهلات بولس — في سلاسة الأسلوب ، وسلامة الذوق ، ودقة التعبير ، وإلهام متصل بباب السماء ، ووداعة تمس أهداب الأرض ، وصلابة فى الحق ، وقوة فى الشعور ، ونور فى العقل ، ونار فى القلب . فإن لم يكن بولس هو الكاتب ، فلابد أن يكون أفضل من بولس !! فمن هو إذاً؟ أليس الأفضل أن نسلم بأنه هو بولس ؟!»

— د — إلى من كتبت هذه الرسالة ؟

من المسلَّم به ، أن العبارة «فى أفسس» المتضمنة في العدد الأول ، ليست موجودة فى بعض النسخ الخطية القديمة . وإلى هذه الحقيقة يُعزَى السبب فى خلو هذه الرسالة من الإشارات الخاصة إلى الظروف المحلية المحيطة بكنيسة أفسس، مما حدا بجل الباحثين أن يستنتجوا أن هذه رسالة «دورية» أُرسلت إلى كنائس تضمها معاً مقاطعة واحدة — من ضمنها أفسس، وأن الرسول ترك «فراغاً» في العنوان ليملأ باسم الكنيسة التى يأتى دورها. وأن النسخ الخطية المحتفظة بهذه العبارة : «فى أفسس» ، هى صورة طبق الأصل للنسخة الأولى

التى أرسلت إلى أفسس بالذات ، باعتبار كونها إحدى تلك الكنائس أو « مفتاحها » .

ومتى ذكرنا أن تيخيكوس حمل هذه الرسالة مع رسالة كولوسى، وأن اسمه مذكور فى كل من الرسالتين بكل حب وإجلال وإكرام (كو ٤: ٧و٨، أفسس ٦: ٢١و٢٢) . وأن هاتين الرسالتين تتشابهان فى مواضع غير قليلة، تبين لنا أن هذه الرسالة ، هي فى الغالب تلك التى ذكرت فى رسالة كولوسى باسم « الرسالة إلى لاودكية » (كو ٤: ٦) .

وبما أن أفسس كانت على رأس مدائن تلك المقاطعة ، ومتقلدة زعامتها سياسياً ، وعلمياً ، واجتماعياً ، ودينياً ، وأنها كانت «مفتاح» مقاطعة آسيا الصغرى ، فكان من الطبيعي أن ترسل هذه الرسالة إلى كل تلك الكنائس «عن طريق» كنيسة أفسس . وإلى هذا يعزى السبب في وجود العبارة : « فى أفسس» فى كثير من النسخ الخطية القديمة جداً .

هذه هى أفسس عاصمة الدولة الرومانية فى آسيا الصغرى . لقد امتازت بغناها الجزيل ، وفنها المبدع، ومعبدها الذى فاق كل طارف وتليد، إذ سلخ من الدهر ٢٢٠ سنة في إقامته ، فشيد على ١٢٧ عاموداً ، وبلغ طوله ٤٢٥ قدماً ، وعرضه ٢٢٠ قدماً ، وارتفاعه ٧٠ قدماً — هذا هو هيكل ديانا.

هذه هى أفسس التى كانت قبل بزوغ شمس الإنجيـــل ، متحلية بجمالها القبيح، متعظمة بغناها المفتقر، متفاخرة برفعتها الحقيرة! ولكن عندما غمرها نور الإنجيل ، خرت «ديانا» ساجدة عند قدمي الناصرى المصلوب.

ولكن أين هى أفسس الآن؟ لقد أضحت أثراً بعد عين . لأنها كتفت

بالمظهر دون الجوهر ، وانصرفت : «الاسم» عن «الحقيقة» ، «فتركت محبتها الأولى» (رؤيا ٢ : ٥).

ولئن ذهبت أفسس ، فإن رسالتها خالدة . ولئن مضى الرسول فالرسالة باقية . فالسموات والأرض تزول ، ولكن كلمة الله لا تزول . فلنتقدم إلى دراسة هذه الرسالة بروح التخشع والتعبد ، طالبين من روح الله ، أن يعلن لنا ما خفى منها وما استتر ، وأن يحقق لنا فى حياتنا العملية ، ما وضح منها وما ظهر ، لأنها فى الواقع كتبت لنا نحن الذين امتدت بنا الأيام إلى هذا العصر

التفسير

الأصحاح الأول

ديباجة الرسالة ١ : ١ و ٢

تستهل رسائل بولس عادة بتحية ، وشكر ، وطلبة . وفى بعض الأوقات تغفل التحية ، أو الطلبة ، وفى البعض الآخر تجتمع هذه الثلاثة العناصر معاً ، كما فى ديباجة هـذه الرسالة ، التى تتضمن ثلاثة عناصر هامة — كل عنصر منها قائم بذاته :

أولا : كاتب الرسالة : « بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله »

ثانيا : المكتوب إليهم: « إلى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع »

ثالثاً : التحية : « نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح »

وكل عنصر من هذه الثلاثة العناصر قائم على ثلاثة أركان :

أولا : كاتب الرسالة يصف نفسه وصفاً مثلثاً :

(١)	(٢)	(٣)
اسمه :	وظيفته :	السلطان الذى تقلد به وظيفته
« بولس »	« رسول يسوع المسيح »	« بمشيئة الله »

بولس

ثانياً : الكاتب يصف المكتوب إليهم وصفاً مثلثاً :

(١)	(٢)	(٣)
دعوتهم :	مكانهم :	مقامهم :
« القديسين »	« الذين فى أفسس »	« المؤمنين فى المسيح يسوع »

ثالثاً : التحية فى وصفها المثلث :

(١)	(٢)	(٣)
مشتملاتها :	ماكها :	مصدرها :
« نعمة وسلام »	« لكم »	« من الله أبينا الرب يسوع المسيح »

أولا : الكاتب يصف نفسه وصفاً مثلثاً :

عدد١ (١) اسمه «بولس» — وهى كلمة يونانية الأصل ، معناها «صغير». لأول مرة حدثنا لوقا فى أعمال ١٣ : ٩ أن رسول الأمم عُرف بهذا الإسم بعد تجديده ورجوعه إلى المسيح . وقد كان قبلاً معروفاً باسم : «شاول» — ومعناه «المطلوب» أو «المرغوب فيه» . وشتان بين الإسمين. فالإسم القديم يحيطه الزهو ، وتحف به الخيلاء . والإسم الجديد مشتق من معدن البساطة والوداعة.

وإذا ذكرنا أن شاول الطرسوسى عُرف باسم «بولس» ، بُعَيد اهتداء الوالى سرجيوس بولس ، الذى قبل الإيمان على يديه (أعمال ١٣ : ٥—٧)،

رسول

جاز لنا ان نستنتج أن بولس الرسول ، تقلد اسم أول رجل تجدد على يديه ، على مثال ما يتم للفاتحين الظافرين الذين تخلع عليهم أسماء المواقع الحربية الحصينة التي يظفرون فيها. يضاف إلى هذا ، أن بولس الرسول ، بعد أن تجدد ورجع الى المسيح ، تعين عليه أن يحمل اسم المسيح أمام أمم وملوك ، فصار من المحتم عليه ، والحالة هذه ، أن يجتاز مقاطعات وبلاداً يونانية . وبما أن اسمه الأول «شاول» عبري الأصل ، فقد أضحى لزاماً عليه ، أن يحمل اسماً يونانياً ، يتفق والمزايا اليونانية والرومانية التي حصل عليها ، فلم تر أنسب من اسم «بولس» الذي يذكره باسم أول رجل اهتدى على يديه .

ويغلب على اعتقاد الأسقف مولية ، أن الرسول بولس كان يحمل اسمين منذ الطفولة — أحدهما : «شاول» العبري لغة ، لأن الرسول يهودي الأصل والمولد . وثانيهما : «بولس» اليوناني لغة ، لأن الرسول يوناني الثقافة. فلما تجدد وأضحى رسولاً للأمم ، ابتلع اسمه اليهودي في اسمه اليوناني ، فأصبح معروفاً بثانيهما وحده ، فاختفى الطرسوسي شاول في بولس الرسول .

وجدير بالملاحظة أن بولس ، في هذه الرسالة وفي رسالته إلى رومية لم يقرن اسماً آخر باسمه — على غير عادته في رسائله الموجهة الى سائر الكنائس . وغالباً جداً ، يرجع السبب في هذا ، إلى أن هذه الرسالة عامة في موضوعها ، موجهة الى كنائس أخرى علاوة على أفسس . (إرجع إلى المقدمة العامة).

(٢) وظيفته : «رسول يسوع المسيح» . كلمة «رسول» تعني اطلاقاً :

يسوع المسيح

الشخص المكلف بمهمة ورسالة . ويفترض فيها أن المرسل أجلّ قدراً من الرسول . وفي هذا يقول المسيح « ليس رسول أعظم من مرسله » (يو ١٣ : ١٦). لكنها استعملت هنا على وجه التخصيص ، لتعني واحداً من طبقة ممتازة ، منتقاة ، مؤلفة من اثني عشر رجلاً ، اختارهم المسيح ، ودعاهم ، وأرسلهم ليكونوا شهود عيان لقيامته ، وليحملوا اسمه ورسالة انجيله إلى البشر . وكلهم عاين المسيح بعد قيامته بالجسد . إلا يهوذا الاسخريوطي الذي سقطت راية الشرف من يده .

إن قوله : « رسول يسوع المسيح » يفيد أن بولس مرسل من المسيح ، وهو تابع له ، ومملوك منه ، بل أن المسيح هو علة رسوليته وغايتها ، وموضوعها . ولاشك في أن انتساب بولس إلى المسيح يسبغ على رسالته سلطة ، ورفعة ، ووداعة . فهو رسول ملك الملوك ورب الأرباب ، وفي الوقت نفسه هو رسول ذاك الذي قال عن نفسه « لأني وديع ومتواضع القلب »

ويجمل بنا أن نقارن بين الصفة التي تقدم بها بولس إلى قارئيه في هذه الرسالة ، والصفات التي تقدم بها إلى قارئيه في بعض رسائله الأخرى :

في رسالتيه الأولى والثانية إلى تسالونيكي قال : « بولس »

وفي رسالته إلى رومية قال : « بولس عبد يسوع المسيح »

وفي رسالته الأولى إلى كورنثوس قال : « بولس المدعو رسولاً ليسوع المسيح »

وفي مطلع رسالته الثانية إلى كورنثوس قال : « بولس رسول يسوع المسيح »

وفي بدء رسالته إلى غلاطية قال : « بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان »

بمشيئة

وفى مقدمة رسالته إلى فيلبي قال : « بولس عبد يسوع المسيح »
وفى غرة رسالته إلى تيطس قال : « بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح »
وافتتح رسالته الى فليمون بقوله : « بولس أسير يسوع المسيح »
من هذه المقابلات يتضح لنا ، أن بولس عندما كان يبعث برسالة الى أناس لا يشكون فى سلطان رسوليته ، كان يكتفى فى الديباجة بذكر اسمه مجرداً عن كل لقب ، أو يكتفى بأن يتسربل بثوب « العبد ليسوع المسيح » — كما فى رسائله إلى تسالونيكى ، وفيلبى ، وفليمون . ولكنه فى مخاطبة الكنائس التى كانت فيها رسوليته موضوع شك أو جدل أو منازعة كان يحرص على تعزيز سلطان رسوليته ، ضناً منه بكرامة خدمته لا بكرامة شخصه — كما فى رسالتيه إلى غلاطية ورومية . ولكن فى الرسالة التى نحن بصددها الآن ، وفى رسائله إلى كورنثوس وكولوسى ، اتخذ موقفاً وسطاً وليس بخافٍ أن لاختبارات بولس الشخصية شأناً يذكر فى هذا الباب.
هذا هو بولس الذى قال عن نفسه « إنه كان مضطهد الكنيسة » ، و « أول الخطاة » و « ليس مستحقاً أن يدعى رسول المسيح » ، لكنه « رُحم لأنه فعل بجهل فى عدم إيمان » .
على أنه من الجائز أن يعتبر كل مؤمن رسولا بمعنى عام فلكل مؤمن رسالة يؤديها فى حياته ، ما دامت حياته مرتّبة بحكمة سامية ، لقصد سام.
(٣) السلطان الذى تقلد به وظيفته : « بمشيئة الله » . لم يتقلد مهام رسالته من الرسل الذين قبله ، ولا من الكنيسة ، ولا من بشر ، ولا

الله

بحكم أي نظام بشرى، ولا عن تطفل منه ، أو حماس شخصى ،ولا عن مجرد رغبة منه فى خلاص البشر ، لـكنه تسلم مقاليدهامن المسيح نفسه و بمحض مشيئته العلوية . ولئن كانت كنيسة انطاكية قد أفرزته للتبشير،إلاأنه كان قد دعى قبلاً إلى هذا العمل ، فقال الروح القدس : «افرزوا لى برنابا وشاول (بولس) للعمل الذى دعوتهما اليه» (أعمال ١٣:٢) .هذا واضح غاية الوضوح فى رسالة أخرى كتبت مع هذه الرسالة — هى رسالة غلاطية إذ يقول «لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته،أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لحماً ودماً ، ولا صعدت إلى الرسل الذين قبلى . . . فان الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضاً للأمم» . (غلاطية ١٥:١ — ٢٠ و٢:٦ — ٨).

هذا هو بولس الذى اختاره المسيح ، ودعاه لوظيفة الرسولية وشرفه بأن وضعه في رأس قائمة الرسل ، مع أنه قد رضى تنازلا منه ، أن يضع نفسه فى رأس قائمة الخطاة (١ تى ١٥:١) ، وفى ذيل قائمة القديسين (افسس ٨:٣) ، وفى مؤخرة صفوف الرسل (١ كو ٩:١٥) .

لامشاحة فى أن بولس كان واثقاً من المشيئة السماوية التى قلدته أعباء هذه الخدمة ، وكان على اتصال وثيق بهذه المشيئة،يصغى لصوتها ويستمع لدقات ساعتها ، وهو شاعر على استمرار بأنه ليس شيئاً فى ذاته ،لأنه ليس عائشاً لذاته،وأنه متمتع بسلطان المسيح الذى افتداه،وهداه،وأرسله.فهو بذلك

فى حرز حريز من كل الهجمات البشرية ، عزيز إذا أريد له الذل، كريم إذا أريد له الضيم ، آمن مطمئن إذا أريد به الشر، لأنه متمم مشيئة الله. لا تلويه عن قصده تجربة وإن دقت ، ولا تقف فى سبيله عقبة وإن جلّت، لأنه متمم مشيئة الله . وكذلك شأن كل مؤمن يجدّ فى إتمام مشيئة الله فى حياته

ثامناً : الكاتب يصف المكتوب إليهم وصفاً مثلثاً :

(١) دعوتهم : «القديسين». (٢) مكانهم : «أفسس». (٣) مقامهم: «المؤمنين فى المسيح يسوع».

إن كلمة : «القديسين» والعبارة التى بعدها : «المؤمنين فى المسيح يسوع» لا تصفان صنفين من الناس ، بل تعنيان فريقاً واحداً، فهما وصفان متكاملان لجماعة واحدة . فقوله : «قديسين» ، يصف المرسل اليهم فى سمو دعوتهم . وقوله: «مؤمنين فى المسيح يسوع»، يصفهم فى متانة مركزهم ورفعة مقامهم . الكلمة الأولى تصفهم فى موقفهم بالنسبة للعالم الذى أفرزوا منه، ووقفوا أنفسهم لله ولخدمته . والكلمة الثانية تصفهم فى موقفهم بالنسبة للمسيح الذى به يثقون ، وفيه يقومون ، وله يخلصون ويوالون. فالمسيح موضوع ايمانهم ، وغاية ولائهم ، ومستودع أمانتهم .

«قديسين» — أستعملت هذه الكلمة فى العهد القديم لتصف حالة خارجية ، ولطالما أطلقت على الناس والجماد . ومعناها : «المفرز لقصد أو لشخص معين». وفيها معنى من معانى «التحريم». فالشىء متى خصص

الذين فى أفسس

لغرض ما ، حُرم استعماله لغير ما أُفرز له. فأوانى الهيكل كانت مقدسة منذ الوقت الذى أُفرزت فيه لخدمة الهيكل، فصار من المحرم استعمالها لغير الهيكل والسبت «مقدس» لأنه يوم الرب ، وجبل صهيون «مقدس» ، لأنه جبل قدس الرب . والأنبياء «مقدسون» لأنهم رجال الله . لكن كلمة : «قديسين» أُستعملت فى العهد الجديد بمعنى إيجابى . فاذا كانت فى العهد القديم تعنى اعتزال الإنسان العالم ، فهى فى العهد الجديد تعنى وقف الإنسان نفسه لله . فى العهد القديم تعنى الانفصال عن، وفى العهد الجديد تعنى الامتلاء من . فى العهد القديم تفيد التطهير الخارجى الطقسى، وفى العهد الجديد تعنى القداسة الداخلية الروحية ، القائمة بحلول المسيح فى قلب المؤمن بروحه الأقدس ، وتقديس القلب من كل أدران الخطية بنار الروح المطهر. وقد أجمل بولس هذه الحقائق فى قوله : «كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى» (١تس ١ : ٩).

إن كلمة «قديسين» كما وردت فى العهد الجديد ، ليست منحصرة فى طغمة خاصة من المؤمنين، لكنها تعنى جميع المؤمنين على وجه التعميم. فهى مرادفة لكلمة مسيحيين . وفى هذا يقول يوحنا فم الذهب : باطلاعنا على ما جاء فى ٥ : ٢٢، ٦ : ١ و٢ من هذه الرسالة ، يتضح لنا أن القديسين المعنيين هنا ، هم مسيحيون يشاطرون سائر البشر حياتهم العملية — فنهم الأزواج والزوجات والسادة والعبيد .

والمؤمنين فى المسيح يسوع

(٢) مقامهم: « المؤمنين فى المسيح يسوع » . الكلمة المترجمة «مؤمنين» معناها فى اللغة اليونانية القديمة (الكلاسيك) : «الأمناء» أو « الذين يركن إليهم »، وقد استعملت فى لغة العهد الجديد بمعنى «الواثقين»، «والممتلئين إيماناً» ، كما فى يوحنا ٢٠: ٢٧ «ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً»، وغلاطية ٣: ٩ «ابرهيم المؤمن »؛ وكولوسى ١ : ٢ « الإخوة المؤمنين » ، و١ بطرس ١: ٢١ « أنتم الذين به تؤمنون بالله ». و(١ تى ٤: ٣) « المؤمنين وعارفى الحق » .

ويستفاد من إيراد العبارة : «فى المسيح يسوع» بعد كلمة « المؤمنين» أن المسيح هو موضوع إيمانهم . وقد ذكرت كلمة «فى» للدلالة على ما بين المؤمنين والمسيح من اتحاد حيوى وثيق ، فى روح واحد . فهو ليس فقط موضوع إيمانهم ، بل هو أيضاً حياة إيمانهم ، وقوامه. فهو لهم بمثابة الكرمة للأغصان. وليسوا هم مجرد مؤمنين بالمسيح أو عن المسيح لكنهم مؤمنون فيه

(٣) مكانهم : « فى أفسس ».

إن قوله : « فى المسيح يسوع » يصف المؤمنين فى مقامهم ، وقوله «فى أفسس » ، يصفهم في مكانهم . ومتى ذكرنا ما كانت عليه أفسس من شر وفساد، تحققنا أن وجود مؤمنين فى تلك البيئة الموبوءة، ليس سوى معجزة من معجزات النعمة المجانية. لأن وجود مؤمنين فى أفسس يعد بمثابة وجود وردة بيضاء فى محيط أغبر ، أو جذوة من النار فى قلب البحر، أو بنفسجة نابتة فى قلب صخر .

نعمة لكم

إن الوصفين : « قديسين » ، « ومؤمنين فى المسيح يسوع » لا يصفان حالة كمال معينة فى المؤمنين ، بل يصفان كل مسيحى مخلص فى إيمانه بالمسيح ، فإن لم يكن المسيحى ذلك ، وجب أن يكون كذلك .

| عدد ٢ | ثالثاً — التحية :

(١) مشتملاتها : « نعمة وسلام »

فى هذه التحية الرسولية الجامعة ، التقت تحية الأمم بتحية اليهود . « فالنعمة » هى التحية اليونانية . و « السلام » هو التحية اليهودية.

كلمة « نعمة » تعنى الجمال . وقد كان من الطبيعى أن يتخذ اليونانيون هذه الكلمة تحية لهم ، لأنهم كانوا عائشين فى أرض الجمال ، ويتكلمون بلغة الجمال ، ويعبدون آلهة الجمال . فالفضيلة عندهم هى الجمال .

لكن النعمة المسيحية هى الجمال الروحى ، الذى خلعه الله على البشر ، إذ أحبهم وأسبغ عليهم أجمل نعمة وأجلّها فى شخص المسيح الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، وهو « يجمّل الودعاء بالخلاص ».

اهتم اليونان بجمال الجسد ، فاستحال جمالهم قبحاً . لكن المسيحية اهتمت أولاً بجمال النفس الذى يشعّ منها على الجسد ، فيكسبه بهاءً وجلالاً .

والنعمة تختلف عن المحبة ، فى أن المحبة قد تتخذ اتجاهاً واحداً من ثلاثة — من الأعلى إلى الأدنى ، أو من الند إلى الند ، أو من الأدنى إلى الأعلى . لكن النعمة لا تعرف إلا اتجاهاً واحداً — من الأعلى إلى الأدنى.

وسلام

والمحبة قد تكون مجرد عاطفة تذهب هباء، لكن النعمة عاطفة محمّلة خيرات فهي دائماً عامرة القلب مليئة اليدين . وهي تختلف عن الأجرة ، في أن الأجرة تعطى لمستحقيها . لكن النعمة توهب لغير المستحقين.

«والسلام» هو تحية اليهود . وهم يريدون به عادة الأمن الخارجي ، والتحرير من القيود السياسية . لأن أرضهم كانت — ولم تزل — مطمع الأمم القوية ، ومطمعاً للقلاقل والثورات . لكن المسيحية تريد سلاماً عميقاً ، روحياً ، قلبياً ، اشتراه المسيح بدمه الثمين — سلاماً لا تقدر الدنيا أن تنيلنا إياه ، ولا تستطيع عواصفها أن تنتزعه من عواطفنا — سلاماً هو نعم الاطمئنان القلبي الذي يملك على المؤمن مشاعره ، نتيجة مصالحته مع الله ، وغفران خطاياه ، ونصرته على تجاربه ، ويقينه برجاء الخلود ، على رغم ما يحيط به من صعاب وآلام ، فيظل آمناً ناعم البال ولو هبت الرياح . ويتهلل مترنماً ولو كان في أعمق السجون . ويكون حرّ القلب طليقه ولو كانت يداه ورجلاه ترسف في القيود.

«نعمة وسلام» — اقتبست المسيحية هاتين التحيتين وقرنتهما معاً ثم مسحتهما بمسحتها المقدسة ، وطهّرتهما من كل شائبة مادية أو زمنية .

«نعمة وسلام» : النعمة هي رضى الله الذي يحيطنا ويغمرنا. والسلام هو بركة داخلية تكون في أعماق قلوبنا كالنبع الفيّاض .

«نعمة وسلام» : بمثل هذه التحية استهل بولس رسائله إلى كورنثوس ،

من الله أبينا والرب

وغلاطية ، وفيلبى ، وكولوسى ، وتسالونيكى ، وفليمون : لكنه فى رسائله الرعوية قد أضاف كلمة «رحمة».

(٢) مصدر التحية : «من الله أبينا والرب يسوع المسيح». مع أن الله هو أب الجنس البشرى بوجه عام ، إلا أنه أب للمؤمنين بنوع خاص، باعتبار كونهم متحدين بابنه يسوع المسيح ، لذلك قال الرسول. «الله أبينا». فالضمير «نا» يعود على المؤمنين — وبولس الرسول واحد منهم.

إن في وضع اسم الرب يسوع المسيح جنباً إلى جنب مع اسم الله أبينا، واعتبارهما معاً مصدر نعمتنا وسلامنا ، أكبر دليل على لاهوت المسيح. من أجل ذلك قال الرسول: «ربنا يسوع المسيح». ومتى ذكرنا أن كاتب هذه العبارة لم يولد فى المسيحية ، بل نشأ بفطرته وتربيته عدواً المسيح والمسيحية، وكان يجد لذة خاصة فى تحقير المسيح ، واضطهاده، تبين لنا أن شهادته من أقوى الشهادات للاهوت المسيح ، لأنها من قلم عدو ، والفضل ما شهدت به الأعداء. وجدير بالاعتبار أن هذه العبارة: «ربنا يسوع المسيح» لم يمهد لها الرسول بكلمة إيضاح ، بل صدرت عنه عفواً ، بلا جدل ولا منازعة، مثلما تنبعث الأشعة من الشمس بغير كلفة ولا مجهود. ولنا فى هذا أكبر دليل على أن الاعتقاد بلاهوت المسيح ، كان من المعتقدات الأساسية المسلّم بها لدى الرسل والكنيسة الأولى . ولا شك فى أن الاعتقاد بلاهوت المسيح ، ليس درساً يتلقنه إنسان عن إنسان، ولا هو علم يتوارثه الأحفاد عن الأجداد

يسوع المسيح

وإنما هو إعلان إلهي سماوي يتلقاه المؤمنون من الله رأساً . في هذا الصدد قال المسيح لبطرس « طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات » (مت ١٦ :١٧) ، ويقول بولس الرسول : « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس » (١ كو ١٢ :٣).

(٣) مآل التحية : « لكم » — من هم المكتوب اليهم ؟ إرجع إلى المقدمة العامة . فقد تجد فيها الجواب على هذا السؤال .

القسم الأول — القسم التعليمي في الرسالة
(١:٣–٣:٢١)

أولا : شكر على بركات الله التي أغدقها على الكنيسة
(١:٣–١٤)

لدى دخولنا رحبات هذه الرسالة ، يواجهنا مدخل فخم غاية في الجلال والرواء، وإذ نلج بابه نسمع أنشودة الرسول التي هي أحد مزامير العهد الجديد

هذا فصل جليل ، إرتقى فيه الرسول محلقاً في سماء المعلنات الإلهية ، حتى أحاطته أشعة أنوار محبة الله ونعمته . ولما شرع يحدثنا عن جلال تلك المعلنات وجمالها لمح أنواراً فوق أنوار ، تبهر الأبصار ، ورأى قمماً من المجد يرتقي بعضها فوق بعض ، ونظر بركات تتلوها بركات ، ولحظ نعماً تعقبها نعم ، فاسترسل في الكلام بغير توقف ولا تمهل ، حتى بلغ نهاية هذا الشوط . وكأني به — بعد هذا الفصل الجليل — ألقى قلمه ليستريح هنيهة بعد هذه المرحلة الطويلة العلوية التي قطعها سابحاً في الأفلاك السماوية .

ومن فرط ما أُخذ به من معلنات ، أغفل كل إشارة شخصية ، على خلاف عادته في معظم رسائله ، كما يتبين جلياً من مراجعة كلامه في غرة الرسائل الآتية :

رسالته الأولى إلى تسالونيكي : « نشكر الله كل حين من جهة جميعكم »
رسالته الثانية إلى تسالونيكي : « ينبغي أن نشكر الله كل حين من جهتكم »
رسالته إلى غلاطية : « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً »

رسالته إلى فيلبي: «أشكر إلهي عند كل ذكرى إياكم»
رسالته إلى كولوسي: «نشكر الله ... كل حين مصلين لأجلكم».
فبعد أن تملى نظره برؤية الشمس، لم يرغب في التحدث عن ساكني الأرض إلا بعد أن استكمل الحديث عن مملنات السماء (١: ١٥).

إن أسلوب الرسول في مطلع هذه الرسالة، لا يماثله سوى أسلوبه في رسالته الثانية إلى كورنثوس، التي كتبت في ظرف دقيق حرج، إذ كان الرسول آنئذ على أحر من الجمر في انتظار كلمة عن نتيجة رسالته الأولى التي بعث بها إلى تلك الكنيسة. وحالما بلغته أخبار طيبة، اهتز قلبه طرباً، فطفق يقول شاكراً: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية». فلم يوجه الخطاب إلى سكان الأرض إلا بعد أن استكمل ملهيات السماء فقال في ١: ١١ من تلك الرسالة «وأنتم ايضاً ساعدون بالصلاة لأجلنا».

على أن موضوع الشكر الذي شغل ذهن بولس في رسالته الثانية إلى كورنثوس هو أضعف أثراً في ذهنه من الموضوع الذي ملأ قلبه في هذه الرسالة. إن شكره هناك، مقصور على فرحه بنجاته، وسروره بالاطمئنان الذي ملأ قلبه من جهتهم. لكن شكره هنا، يشمل كل البركات الروحية، الفدائية، العلوية، التي أسبغها المسيح على الكنيسة. فلست أدرى، أكان بولس متخذاً في هذا الفصل موقف الشاكر، أم موقف المستكشف أمام أسرار الفداء؟ يلوح لي أنه كان في شكره مكتشفاً وفي اكتشافه شاكراً.

هذا فصل أقرب إلى أنشودة سماوية منه إلى مقالة لاهوتية. هذه قطعة خالدة كتبها الرسول بمحلول من ذوب قلبه، لا بمداد قلمه. هذه بردة مجيدة

نسج بولس سداهامن شغاف فؤاده وحبـك لحمتهامن أشعةأنوارالمجدالنوراني.

فلا عجب إذا فشل المفسرون في تحليل هذه القطعة، وإخضاعها لقواعد التقسيم المألوفة . لأن هذا يُعتبر بمثابة محاولة حبس أشعة الشمس داخل غلاف رسالة ترسل بالبريد .

إن هذا الفصل المؤلف من اثنى عشر عدداً ، شبيه بسلسلة كاملة الحلقات — والعدد ١٢ رمز الـكمال — كل حلقة منها مسبوكة بعناية ودقة، على صورة يتعذر معها فصل كل حلقة عن الأخرى — فالحلقة الأولى تتصل بقصد الله منذ الأزل ، والحلقة الأخيرة تماشي المؤمنين في اختباراتهم على ممر الأجيال . الحلقة الأولى تلامس هامات السماء ، والحلقة الأخيرة تمس أهداب الأرض.

إذا ألقينا نظرة سطحية على هذا الفصل ، أخذنا لأول وهلة بغنى اللغة التي عبر بها الرسول عما في فـكره ، ولـكننا متى أمعنـّا النظر، ظهر لنا فقر اللغة ، أمام غنى المعنى . وهذا يتضح جلياً من التجاء بولس إلى تكرار بعض العبارات ، بين آونة وأخرى، لأن لغة الأرض ضاقت ذرعاً بمكنونات السماء. مثال ذلك : تكراره كلمة: «الذي» وحدها سبع مرات (٣و٧و١١و١٣ و١٤)، وكلمة «فيه» وحدها خمس مرات (٤و٧و١١و١٣) ، وتكرار الـكلمتين معاً أربع مرات (٧و١١و١٣) وكلمة : «في المسيح » وما يرادفها احدى عشرة مرة (٣و٤و٥و٦و٧و١٠و١١و١٢و١٣) . ومتى دققنـا البحث ، تبين لنا أن هذا الفصل يرتـكز على بعض العبارات الرئيسية ، نظير قوله : « مشيئة الله » ، (عدد ٥ و ٩ و ١١) ، « مدح مجده »(عدد ٦و١٢

و١٤) ، «في المسيح» (عدد ٣ و ٤ و ٦ و٧ و ٩ و ١٠ و ١١ و١٢ و١٣).

من هذا يتضح لنا أن الفكرة الرئيسية فى هذا الفصل هى أن مشيئة الله قصدت بالمؤمنين تدبيراً مجيداً فى المسيح . ولكى يوضح الرسول هذه الفكرة رجع بقارئيه الى تدبير الفداء ، منذ كان قصداً كامناً في فكر الله ، حتى أصبح عملية متدرجة ، محكمة الحلقات، تتم كل حلقة منها فى وقتها المعين، وقد وجه الرسول نظرنا الى ثلاث مراحل فى هذا البرنامج الفدائى — تنتهى كل منها بعبارة شبيهة بقرار يتردد حيناً بين الثلاثة الأدوار التى تتألف منها هذه الأنشودة — هذا القرار هو قوله : «لمدح مجده» (عدد ٦ و ١٢ و١٤) . فى الدور الأول (١: ٣—٦) تغنى الرسول بمجد المحبة الفدائية فى تدبيرها الأزلى — فى قلب الماضى . وفى الدور الثانى (١: ٧—١٢)سبّح بمجد هذه المحبة الفدائية فى هباتها الحاضرة وفى الدور الثالث(١: ١٣ و١٤) عظّم الرسول جلال هذه المحبة الفدائية كرجاء وطيد يتم تحقيقه فى حياة الأبد . « من الأزل — إلى الأبد» هذا هو الخيط الذهبى الذى يربط بدء هذا الفصل بختامه.

فى هذا الفصل ذكر الرسول عمل كل من أقانيم الثالوث الأقدس ، فى برنامج الفداء . فغرّة هذا الفصل خاصة بعمل الله الآب فى هذا البرنامج . (عدد٣) . وقلبه مكرس لنصيب الله الابن . بدليل تكرار كلمة «فيه» مراراً (عدد ٤ و٧ و١٠ و١١) ، وخاتمته متوّجة بختم الروح القدس (عدد ١٣) . فالأقنوم الأول دبّر الفداء ووهبنا بركاته ، والأقنوم الثانى نفّذ تدبير الفداء وهو أُسّ بركاته ، والأقنوم الثالث هو مخصص لنا فوائد الفداء وضامن بركاته

(٣) مبارك الله

مع أن هذا الفصل مكتوب بلغة يونانية ، إلا أن عبرية الرسول قد نمّت عنه فى أسلوبه . ما أشبه هذه التسبحة الرسولية ببعض المزامير التى كان يرتلها بولس الرسول فى يهوديته قبل اعتناقه المسيحية (مزمور ٤٢ — ٤٣ و ٩٩). فكلمة «خلاص وجهى» تقسم المزمورين الأولين إلى ثلاثة أدوار (مزمور ٤٢: ٥ و ١١ ومز ٤٣: ٥) كما أن العبارة «قدوس هو» تقسم ثالث هذه المزامير الى ثلاثة أدوار أيضاً (مز ٩٩: ٣ و ٥ و ٩) وعلى نفس هذا القياس تفصل عبارة «لمدح مجده» بين الثلاثة الأدوار الرئيسية فى هذه التسبحة الرسولية.

إن مطلع هذه التسبحة الرسولية جميل فى مبناه ، جامع فى معناه ، فيه تلتقى جميع المعانى المنبثة فى ثنايا هذه التسبحة ، ومنه تتفرع فهو للتسبحة بمثابة الرأس للجسد :

عدد ٣ «مبارك الله» ! هذه هى الأنشودة التى تلتقى فيها رغبات الأرض بمقاصد السماء . عندما أُبدعت الخليقة الأولى ، «ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله» . ومذ سقط الجنس البشرى ، وأُفسدت الخليقة الأولى ، ضجت الأرض ، وأنّت الخليقة كلها . ولكن حالما أعلن الله قصده الفدائى الذى دبره لخلاص البشرية الساقطة ، استرد المؤمنون من بنى آدم تلك الأنشودة التى أضاعتها عليهم الخطية ، وعادوا يهتفون لفاديهم الذى خلقهم خليقة جديدة ، ويسبحون له تسبحة جديدة ، تمتاز عن التسبحة

أبو ربنا

الأولى ، بمقدار ما تمتاز الخليقة الجديدة عن الخليقة العتيقة . ولقد أجاد بولس الرسول إذ نظم للبشرية المفدية أنشودتها الجديدة التي مطلعها وخاتمتها :
« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ! ».

يتألف هذا العدد الذي يتكون منه مطلع هذه الرسالة من مقطعين متقابلين ، متوازيين — كلاهما يبدأ بالبركة ويختم بشخص المسيح

المقطع الأول — « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح »

المقطع الثاني — « الذي باركنا بكل بركة . . في المسيح »

في المقطع الأول ، المؤمنون يباركون الله بالحمد والشكر . وفي المقطع الثاني الله يبارك المؤمنين باغداقه عليهم بركات السماء . نحن نباركه بتقديمنا له ثمرات الفكر ، والقلب ، واللسان ، وهو باركنا بتقديمه لنا ابن محبته الذي هو أس كل البركات .

« مبارك الله » ! — هذه هي النغمة التي وقعها رجال العهد القديم — من ملكي صادق إلى دانيال — سواء منهم من كان في ظفره وسعادته كداود وسليمان ، أو من كان في حسرته وشقاوته ، أمثال أيوب وإرميا . ولكن لم يستطع أحد أن يقول « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » إلا بعد أن بزغ نور « المشرق من العلاء » ، وتجسد « الكلمة » في شخص المسيح الذي كشف عن أبوة الله — بالنسبة له أولاً بدرجة خاصة ، ونوع ممتاز . لا يدانيه فيهما سواه — ثم لجميع المؤمنين ، على درجة أدنى في النوع . وفي الدرجة .

يسوع المسيح

فى العهد القديم كان الله معروفاً لشعبه بهذه الألقاب : «الإله العلى» ، «الإله القدير» ، «إله السماء» ، «إله إسرائيل» ، «الراعى» ، «الصخر» ، «الإله الحقيقى» ، «الإله الحى» ، «الملك الأبدى» — وكلها ألقاب مجيدة تبعث فى النفس روعة وخشوعاً . أما ذلك اللقب الجليل : «الآب» الذى يضيف إلى روعته فى النفس حباً وثقة ، فقد ظل مخفىّ عن عيون رجال العهد القديم ، ولكنه أُعلن لرجال العهد الجديد ورسله الأطهار — وفى طليعتهم بولس ، الذى جعل من هذا اللقب الجليل أبهى غرة لجلّ رسائله .

إن قوله : «أبو ربنا يسوع المسيح» يعتبر على مثال قول المسيح «أبى وأبيكم» (يوحنا ٢٠ : ١٧) . (أنظر شرح بشارة يوحنا للمؤلف صفحة ٨٠٦) .

« مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » — وردت أيضاً هذه العبارة بنصها فى ٢ كو ١ : ٣ و ١ بط ١ : ٣ . والكلمة الأصلية المترجمة «مبارك» وردت ثمانى مرات فى العهد الجديد ، وفى كل مرة منها ، لها صلة بذات الله . (أنظر بنوع خاص مرقس ١٤ : ٦١ حيث قال رئيس الكهنة للمسيح «أأنت المسيح ابن المبارك»؟) . وقد استعمل الرسول كلمة «باركنا» بصيغة الماضى ، للتوكيد ، لتبيان أن هذه البركات وُهبت للمؤمنين فى قصد الله قبل كون العالم .

فى هذا العدد يصف الرسول بركات الله الموهوبة لنا ، فى ثلاثة أوصاف : — أ — فى طبيعتها : « كل بركة روحية »

الذى باركنا

— ب — فى دائرتها : «فى السماويات»

— ج — فى أساسها ووسيطها : «فى المسيح».

(١) طبيعة البركات الموهوبة لنا من الله الآب : «الذى باركنا بكل بركة روحية» ، تختلف البركات التى جعلها الرسول موضوع شكره لله ، عن البركات الموعودة فى العهـــد القديم ، فى أن بركات العهد الجديد روحية خالدة ، وتلك بركات مادية زمنية . فمن بركات العهد القديم قوله : «مباركاً تكون فى المدينة . ومباركاً تكون فى الحقل . ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك نتاج بقرك وإناث غنمك» (تث ٢٨: ٣—٦) . «أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء . . ويرث نسلك باب أعدائه» (تك ٢٢ :١٨) . «إن سمعتم وأطعتم تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم» (إشعياء ١ :١٩و٢٠) : لكن بركات العهد الجديد على طراز أعلى وأرقى : «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون . طوبى للمطرودين من أجل البر . لأن لهم ملكوت السموات» (مت ٥ :٣—١٠)

كان بولس الرسول نفسه من أبعد الناس تمتعاً بالبركات الزمنيـة . فقد قضى حياته ولم يكن له زوج ، ولا ولد ، ولا مال ، ولا عقار ، ولا مأوى . فما كان أسعده وأمجده ، على رغم كونه يهودى الأصل متعوداً على بركات

بكل بركة

الأرض : لأنه بعد أن صار مسيحياً أضحى وهو فى حرمانه أسعد حالا منه فى تمتعه . لأن حرمانه من كل شىء أتاح له فرصة التمتع باللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن : فكان وهو فقير ، مغنياً كثيرين . وكان وهو لا يملك شيئاً ، مالكاً كل شىء . ومن ظلمات سجنه أراق نوراً على حياة الكثيرين . فكان فى خيمته ناعماً بغنى لايزول ، وكان فى سجنه المظلم متمتعاً بحرية السماء . وكان هو يتقلب على الطوى ، راتعاً فى أمجاد العلى ، فهو على هذه الحال خير مثال للمستمتعين بكل بركة روحية .

فالبركات « الروحية » هى تلك التى أغدقها الله على روح الإنسان ، لا على جسده ، لأن لها علاقة متينة بميلاده الجديد (يو ٣ : ١٦) ، وهى تنعش حياته الروحية وتغنيها (رومية ٨ : ٩ و ١٠) كما أنها تتوج مصيره الروحى الخالد (رومية ٧ : ١١ ، ١ كو ١٥ : ٤٤).

يعتقد بعضهم أن كلمة «روحية» تعنى أنها بركات «الروح القدس» . وحجتهم فى ذلك : أن الرسول أشار فى هذا العدد إلى الأقنوم الأول فى اللاهوت ، وإلى الأقنوم الثانى ، فلابد من أن يكون قد أشار هنا إلى الروح القدس ، الذى هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت . ولكننا نميل إلى الرأى القائل إنها بركات خاصة بروح الإنسان . فمن البركات مايشترك فيها الإنسان والحيوان — مثل الحياة والصحة — هذه بركات جسدية . ومنها مايتمتع به الإنسان الطبيعى — نظير المعرفة والتمييز والذوق ، والعقل والمنطق — هذه بركات

روحية في

عقلية . ومنها مالايتمتع به سوى المؤمنين شركاء الطبيعة الإلهية — هذه هى البركات الروحية المقصودة هنا . وفى الوقت نفسه نقرر أنه من المحال فصل البركات الروحية عن «الروح القدس» لأنه هو روح هذه البركات

(ب) دائرة هذه البركات : « في السماويات » . بما أن هذه البركات آتية من السماويات ، فهى تسمو بالمؤمنين إلى « السماويات » ، على رغم كونهم يعيشون على الأرض . وهى أيضاً بركات محفوظة فى «السماويات» . لايمكن أن ترتفع إليها يد الزمان ولا تطرقات الحدثان . « لأن حياتهم مستترة مع المسيح فى الله » (كولوسى ٣:٣) ، « فإن سيرتنا نحن هى فى السموات »(فيلبى ٣ : ٢٠).

لم ترد هذه العبارة : « فى السماويات » فى كل الكتاب المقدس سوى خمس مرات — كلها فى هذه الرسالة (١: ٣ و٢: ٦و٣ : ١٠و٦: ١٢) : ويجوز أن تترجم إلى «فى الدائرة السماوية» . ولدى تصفح هذه المواضع يتبين لنا ، أن «السماويات» بيئة روحية غير منظورة ، فيها يكثر نشاط القوات الروحية بما فيها قوات الشر التى تحاول أن تقاوم مقاصد الله فى المؤمنين، وقوات الخير المؤيدة لقصده تعالى . وفوقها جميعاً يتسلط المسيح ويسود بنفوذه العجيب الذى كسبه بقيامته من الأموات : ليجمع كل شىء فى المسيح — ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك » (١ : ١٠) «ويصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما فى السموات»

السماويات

(كولوسي ١ : ٢٠) فهي لا تعني حالة مقبلة ، بل حالة راهنة . وخير ضمان لنا إزاءها ، أن المسيح متسلط عليها بمجده . فإن كانت هي ساحة مصارعتنا، فإن المسيح هو ضامن ظفرنا . وإن كانت هي مستودع بركاتنا الروحية ، فإن المسيح هو ضامن تمتعنا بها . لأن به وفيه كل شيء لنا « ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية » (٢ كو ٤ :١٨) .

وإذا كانت هذه العبارة تعين دائرة البركات التي نتمتع بها ، فهي تعين مقامنا في المسيح: « الذي أقامه الآب وأجلسه عن يمينه في السماويات، وأقامنا نحن أيضاً معه وأجلسنا معه في السماويات » (١ :٢٠ و٢ :٦) . فالمسيح هو هروننا الذي انسكب دهن المسحة على رأسه أولا، ثم نزل إلى طرف ثيابه.

(ج) أساس هذه البركات ووسيطها : « في المسيح » . هذه العبارة من مميزات أسلوب بولس الرسول . ومع أنها وردت في كل رسائله أو جلها، إلا أنها تكاد تكون وقفاً على هذه الرسالة ، وعلى رسالته إلى كولوسي . وقد وردت كلمة « المسيح » — في الأصل — تارة معرّفة بأداة التعريف وطوراً مجردة عنها . في الحالة الأولى، تشير إلى وظيفة المسيح . وفي الثانية تعني شخصه بالذات . وقد وردت هنا خالية من أداة التعريف ، لتعني شخص المسيح الذي « فيه باركنا الآب بكل بركة روحية في السماويات ».

منذ القديم ، والأمة اليهودية تضع كل رجائها في « مسيا » الموعود ،

في

فكانت كل انتظارات اليهود موجّهة إلى شخصه. وفي ملء الزمان ولد يسوع الناصري في بيت لحم اليهودية. لكن الأمة اليهودية كمجموع جهلت حقيقته — أو تجاهلتها — اذ اصطدمت بصخرة صليبه. ولما أعلن الله «سره» لبولس رسول الأمم، طفق يعلم اليهود والأمم، أن يسوع الناصري هو هو مسيا — المسيح المنتظر — الذي تمت فيه كل نبوات العهد القديم، فينبغي أن يكون هو محط آمال اليهود والأمم سواء بسواء. فهو رأس المؤمنين وهو رئيسهم ونائبهم الأعظم، وقاطع العهد معهم، وضامن عهدهم، وأس حياتهم، ورأسهم الروحي. فهو الكرمة وهم الأغصان — لذلك هم «فيه» مباركون، وفيه يقومون، وفيه هم مقامون، وممجدون (٢تي ١ : ٩). لأنهم متصلون به صلة حيوية، فعلية، فضلاً عن كونها شرعية.

ومن مميزات كتابات بولس الرسول أنه يقرن فيها اسم «يسوع» بوظيفته: «المسيح»، إلا في المرات التي أراد أن يحدثنا فيها عن ناحية من نواحي اتضاعه (٢ كو ٤ : ١٠).

ومن العجيب حقاً، أن بولس اليهودي الأصل يجعل جل تفكيره وتعليمه مركزاً، لا في يسوع حسب الجسد، بل في المسيح السماوي، الإلهي الذي هو الله ظاهراً في الجسد. فرسالته «من السماويات إلى السماويات». فلا غرابة إذ سمعناه يقول: «إذاً نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد» (٢ كو ٥ : ١٦).

المسيح

فالمدة التي قضاها المسيح على الأرض ليست كل حياته ولا هي جلها ، وإنما هي فترة قصيرة المدى ظهر فيها المسيح متضعاً. فهو أزلي في وجوده. أبدي في كيانه . لكنه «افتقر لأجلنا وهو غني» ، «وإذ كان في صورة الله . . . أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس». وإذ انتهت مدة اتضاعه «رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم» . (٢كو ٨ : ٩ وفيلبي ٢ : ٦—٩).

إن معرفة بولس بالمسيح سارت على درجات متتابعة . فقد عرفه أولاً باعتبار كونه : «يسوع» المتضع، المضطهَد: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أعمال ٩ : ٥)، وفيما بعد وجد فيه «مسيا» المنتظر . وبعد أن تلقن هذا الدرس لقنه للآخرين : «وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين في دمشق محققاً أن (يسوع) هذا هو المسيح» (أعمال ٩ : ٢٢).

هذا هو المسيح المصلوب ، المقام ، الممجد ، الجالس عن يمين العظمة في الأعالي المتسلط على كل القوات والسلاطين ، الذي « فيه باركنا الآب بكل بركة روحية في السماويات ».

هذه هي البركات الموهوبة لنا فيه — من حيث طبيعتها ودائرتها، وأساسها، ووسيطها . وفيما بعد فصّل الرسول ما سبق فأجمله في العدد الثالث، سيما قوله: «في المسيح». فأبان لنا أن هذه البركات ليست مستحدثة كما لو كانت فكرة طارئة على قصد الله وتدبيره ، بل هي بركات مقضي بها منذ الأزل ، ولذلك فهي أكيدة محققة .

٤ كما اختارنا

عدد ٤ (١) الحلقة الأولى فى سلسلة البركات الروحية — الاختيار .

يحدثنا الرسول فى هذا العدد عن أساس البركات الروحية الموهوبة لنا : اختيارنا فى المسيح . ويرينا هذا الاختيار فى أربعة أوجه: —١ - حقيقة اختيارنا: «كما اختارنا» —ب— علة اختيارنا: «فيه» —ج— وقت اختيارنا «قبل تأسيس العالم» — د — غاية اختيارنا : «لنكون ...»

فى هذا العدد شرع الرسول فى تفصيل ما أجمله فى عدد ٣ ، فاستهل كلامه بكلمة « كما » . إن هذه البركات الروحيـــة موهوبة لنا « في المسيح » ، لأن الله سبق فاختارنا فيه منذ الأزل . فقبل أن يمد الله هباته، اختار الموهوبين إياها . وقد باركنا في المسيح، لأنه سبق فاختارنا فيه قبل كون العالم.

—ا— حقيقة اختيارنا : « كما اختارنا » ، إن هذه العبارة ترجع بنا إلى ذلك القول الإلهى الوارد فى سفر التثنية: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (تث ١٤: ٢) ، وقول المرنم «رنموا لاسمه لأن ذاك حلو». لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته» (مزمور ١٣٥ : ٤) ، وقول الله على لسان إشعياء : «وأما أنت ياإسرائيل عبدى يايعقوب الذى اخترته . . وقلت لك أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك» .. «هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى» . (إشعياء ٤١: ٨ و٩، ٤٢: ١)

فيه

غير أن الاختيار كما علمنا إياه العهد القديم ، يختلف عما عرفنا إياه العهد الجديد . فالأول يتناول الأمة اليهودية كمجموع ، والثاني يتناول المؤمنين أفراداً . وكان من الطبيعي أن يتحدث بولس الرسول عن الاختيار ، لأنه كان أحد أفراد تلك الأمة اليهودية ، التي اختارها الله من كل قبائل الأرض . وجدير بعناية كل دارس لكلمة الله ألا يغفل أن جل المقائد التي ينادي بها العهد الجديد ، إنما هي عقائد سبق فأوحى بها العهد القديم ، ثم صاغها العهد الجديد في قالب جديد . هذا يؤيد قول رب العهدين : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥: ١٧). وإنما الفرق بين شعب الله المختار في العهد القديم ، وشعبه المختار في العهد الجديد ، هو أن شعبه في العهد القديم كان منحصراً في أمة خاصة ، تتكلم لساناً خاصاً ، وتقطن أرضاً خاصة ، لكن شعب الله في العهد الجديد منبث في كل أمة ، وفي كل شعب ، وينطق بكل لسان ، لا تحده حدود جغرافية ولا تقيده قيود الزمن .

إن الاختيار ، كما علمنا إياه بولس الرسول ، هو رسالة خاصة ، بعث بها الله إلى أبنائه ، ليثبتهم في الإيمان ، ويحفظهم من كل ارتداد . ولم يقصد به قط أن يكون حجر صدمة يتعثر به الذين لم يؤمنوا بعد . وهو اختيار للخلاص والحياة ، لا للهلاك والموت ، فالمخلصون يتمتعون بنعمة الحياة نتيجة عمل إيجابي فعال ، يجريه الله في قلوبهم ولكن الغير المؤمنين ينحدرون إلى الهلاك نتيجة

قبل

حكم أصدروه هم على أنفسهم بعدم استحقاقهم الحياة الأبدية: «فجاهر بولس وبرنابا وقالا . كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هوذا نتوجه إلى الأمم» (أعمال ١٣: ٤٦) . وما يسرى على الأفراد يسرى على الأمم.

أضف إلى هذا ، أنه ليس اختياراً جهلياً كخبط عشواء، لكنه اختيار رشيد مبنى على حكمة أزلية ، كامنة في قصد الله الأزلى ، فلا نستطيع أن نفهم أسرار الاختيار إلا متى أتيح لنا أن نعرف أسرار قلب الله: «فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» .

ولا يفوتنا أن نشير إلى هذه الحقيقة الأساسية، وهى: «أن الاختيار ليس «جواز سفر» يتسلمه المؤمن ليدخل به السماء اعتباطاً ، وبغير قيد ولا شرط ، فيدوس به شريعة الله الأدبية، وينتهك حرمة الأخلاق ، وإنما هو رادع داخلى قوى يرفع المؤمن عن الدنايا ، ودافع قوى يدفعه إلى سلوك طريق الله «اختارنا فيه لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» . فالسماء مكان معد لأناس معدين .

فمع أن الاختيار عمل إلهى مبنى على مسرة مشيئة الله إلا أنه لا يلغى الإرادة البشرية ، فليس البشر آلات ميكانيكية صماء يدفعون إلى أفعالهم دفعاً ، وإنما هم خلائق مدركة عاقلة تسير بناموس التأثير والتأثر. ومن فرط حكمة الله وقدرته ، أنه يجعل الناس أحراراً يعملون ما يشاؤون ، وفى الوقت

نفسه يكونون متممين مشيئته تعالى . وليس فى الإمكان معرفة ما يحيط بالاختيار من أسرار إلا متى استطعنا أن نكشف ذلك الخيط السرى الدقيق الذى يفصل بين إرادة الله، وإرادة البشر فى حياة البشر .

— ب — علة اختيارنا : « فيه » : « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم» — هذا هو الفصل الأول من سفر التكوين الجديد ، الذى كتبه بولس الرسول . إذ سفر التكوين الأول، يتكلم عن الخليقة الطبيعية الأولى ، ولكن سفر التكوين الثانى يتكلم عن الخليقة الروحية الجديدة — خليقة النعمة . يُستهل سفر التكوين الأول بالقول : «فى البدء خلق الله السموات والأرض» . ويُستهل سفر التكوين الثانى بالقول : « قبل تأسيس العالم اختارنا الله فى المسيح» . فالمسيح هو كلمة الله «الذى به عمل العالمين » — فهو علة الخليقة الاولى . وهو أيضاً علة الخليقة الثانية وأساس اختيارها .

— ج — وقت اختيارنا : «قبل تأسيس العالم» — هذا دليل على أن أعمال الله فى دائرة النعمة — نظير أعماله فى دائرة الخلق والعناية — ليست بنت ساعتها، ولا هى مرتجلة كأنها فكرة طارئة، لكنها مدبرة تدبيراً محكماً، لأن كل أعمال الله حلقات متماسكة فى سلسلة واحدة . ولا شيء يوازى غنى حكمة الله وعلمه ، نظير غزارة نعمته (رومية ١١ : ٣٣) . فى رسالة أخرى تكلم الرسول عن اختياره هو للرسولية فقال : « ... سُرّ الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته ، أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به» (غلاطية ١ : ١٥ و ١٦) ،

العالم

وهنا فى غرة هذه الرسالة ، يرجع بنا خطوتين إلى الماضى البعيد البعيد — الخطوة الأولى تسير بنا من بدء تكوين الفرد إلى بدء تكوين الجنس البشرى ، والخطوة الثانية ترجع بنا من بدء تكوين الجنس البشرى إلى ما « قبل تأسيس العالم » بأسره . وفى ذلك الزمن الذى يعتبر نقطة الزوال أمام الفكر البشرى . « قد اختارنا الله في المسيح » .

إن هذا العالم الكائن قد خُلق ورُتب على نظام خاص ، وإن هذا النظام المتين مبنى على أساس معين ، وإن وراء هذا الأساس ، فكر الإله الحكيم المدبر . فالعقل البشرى يستطيع أن يكتشف فى العالم المنظور تلك الآثار التى طبعها عليه الفكر الإلهى الغير المنظور . فقبل تأسيس العالم وتكوينه ، كان الإنسان ماثلاً أمام فكر الله ، فى شخص المسيح الكائن قبل كل الدهور ، ففيه عَرفنا الله وفيه تفكر فينا ، وفيه نظر إلينا ، وفيه اختارنا .

فى عرف الحقيقة والواقع ، لا تفاوت فى تدبيرات الله من حيث الزمن ، فليس فى تدبيراته ما يحسب سابقاً ولا لاحقاً . ولكن فى عرف المنطق ، واللغة التى يفهمها العقل البشرى ، نستطيع أن نقرر أن الله اختارنا للفداء قبل أن يخلقنا ، أى أنه دبر أن يخلقنا الخليقة الثانية قبل أن يخلقنا الخليقة الأولى . فنحن إذاً مخلوقون للحياة التى أتاحتها لنا النعمة ، لا للموت الذى قدّمته الخطية أجرةً للذين باعوا أنفسهم لها ، والملكوت الذى يرثه مباركو الآب « قد أُعد لهم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) ، وذبيح فدائنا قد دُبر قبل

لنكون قديسين

كون العالم : «عالمين أنكم افتديتم .. بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (بط ١ ١:١٨ - ٢٠) . وأبناء الملكوت، قد سجلت أسماؤهم في سفر الفداء منذ تأسيس العالم» (رؤيا ١٣ :٨).

فالخليقة والفداء، والطبيعة والكنيسة ، إن هي إلا حلقات متماسكة فى سلسلة تدبير الله ، قد رتبت سابقاً ، ثم نفذت . ومع أن اختيار المؤمنين للحياة الأبدية يرى لنا تاريخياً كأنه أحدث من اختيار الأمة اليهودية لأنه جاء بعد رفضها ، إلا أنه في الحقيقة والواقع مدبر فى فكر الله «قبل تأسيس العالم» .

—د— غاية اختيارنا : «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» فى تربة الاختيار تنمو نبتتان جميلتان فى جو حسن جميل ، أما النبتتان فهما : القداسة ، وعدم اللوم . وأما الجو: فهو: «المحبة». فى هذا أكبر دليل على أن الاختيار لا يدفع الناس إلى التوغل فى مجاهل الشر والفساد ، بل هو أكبر مشجع يرفعهم إلى مستوى القداسة وعدم اللوم «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» .

رغب بعض المفسرين فى اعتبار هذه العبارة وصفاً لموقفنا النظرى كما يرانا الله فى المسيح، ونعتقد نحن — مع الترجمة العربية — أن هذه الجملة تصف تصرفنا العملى نتيجة تمتعنا ببركات الفداء ، فمع أننا فى المسيح

وبلا لوم قدامه

«قديسون وبلا لوم» حكماً وشرعاً ، إلا أنه من الواجب أن نكون أيضاً «قديسين وبلا لوم» فعلا واختباراً .

والفرق بين القداسة وعدم اللوم ، هو أن القداسة اختبار داخلي ، لكن عدم اللوم حالة خارجية . فالأولى أساس الثانية ، والثانية ثمرة الأولى وحجتها . الأولى تصف حالة إيجابية ، والثانية تصف حالة سلبية . الأولى حالة كمالية ، والثانية حالة ممكنة . فقد يكون الإنسان «بلا لوم» من حيث المنتظر منه ، ومع ذلك يكون بعيداً عن مستوى القداسة الراقي . إن كل قديس بلا لوم ، لكن ليس كل من هو بلا لوم قديساً .

«قدامه» .. ماأرهب الحياة المسيحية وماأرحبها ! لأن المؤمن يقضي كل حياته «قدام الله» . هذا دليل على أن القداسة التي يتصف بها المسيحي الحقيقي ، ليست قداسة سطحية وإنما هي قداسة داخلية عميقة ، لأن عيني الله مخترقتان كل حجاب .

قبل أن تُقدم الذبيحة في العهد القديم ، كان يفحصها الكاهن ليعرف ما إذا كان فيها عيب ، ومتى تبين له أنها « بلا عيب » ، كان يقدمها على المذبح . وبما أن كاهننا الأعلى وذبيحتنا الأعظم ، قدم نفسه عنا « بلا عيب ولا دنس » وجب أن يكون المختارون فيه ، مثله — «قديسين وبلا لوم» .

« في المحبة » : هذه العبارة — كما وردت في الأصل — قد تصف ما قبلها أو ما بعدها ، ونحن نميل إلى اعتبارها وصفاً لما قبلها . فهي الجو المقدس

فى المحبة . ٥ إذ سبق

الذى تنمو فيه القداسة وتترعرع . وحجتنا فى هذا : — ا — أن نفس هذه العبارة وردت خمس مرات أُخر فى هذه الرسالة على اعتبار أنها من الفضائل المسيحية (٣: ١٧، ٤: ٢ و١٥ و١٦، ٥: ٢) . — ب — إن مقامها فى هذه القرينة، بمثابة الصدى لصوت اختيار الله لنا ، فهى خير حجة على أن نعم الله لم تُسبَغ علينا عبثاً . فالله، من جانبه، اختارنا «حسب مسرة مشيئته» لنكون نحن من جانبنا قديسين وبلا لوم قدامه « فى المحبة » التى هى أُس الفضائل ورباط الكمال . وليس بخاف أن ما فى قلوبنا نحن البشر من محبة، ليس سوى صدى محبة الله لنا، وما محبتنا الله إلا فتح قلوبنا لتنتشر فيها أشعة أنوار محبة الله — « نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً » . إن قوله « قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» ليس أساس اختيار الله لنا ، بل هو غاية هذا الاختيار ، فلم يخترنا الله لكوننا «قديسين» ، بل لنكون «قديسين» لأنه اختارنا ونحن خطاة ليقدسنا .

عدد ٥ و٦ (٣) الحلقة الثانية فى سلسلة بركاتنا الروحية — التبنى .

نرى فى هذين العددين — ا — حقيقة التبنى . « عيننا للتبنى » .

— ب — الوقت الذى فيه تبنانا الله : «سبق فعيننا» — ج — وسيط التبنى : « بيسوع المسيح » — د — علة التبنى : « حسب مسرة مشيئته » .

— هـ — غاية التبنى : «لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب »

— ا — حقيقة التبنى : «إذ سبق فعيننا للتبنى لنفسه» .

فعيـننا

التبنى فى إصطلاح علماء اللاهوت «هو فعل نعمة الله المجانية ، الذى به نقبل فى عداد بنى الله فيصير لنا حق فى جميع أنعامهم». وكلمة «تبنٍ» يُراد بها اتخاذ شخص ابناً، ومعاملته كذلك. فالمتبنون ليسوا أبناء بالطبيعة، لكنهم محسوبون كذلك ، لا لشيء صالح فيهم ، ولا لفضل يُنتظر منهم ، بل لمجرد نعمة الله المجانية . فقد يتفق لأحد الموسرين أن يزور أحد ملاجيء اليتامى أو اللقطاء ، فيعجب بذكاء أحد الأولاد ، ويكون الزائر بلا ولد، فيتخذ ذلك اليتيم ابناً له . ولكن الله قد تفضل كرماً منه، فتبنانا لنفسه، ونحن نجسون لاشيء فينا يدعو إلى الإعجاب أو الحب ، فضلاً عن ذلك ، فإن الله لم يعوزه أبناء، إذ كان يكفيه أن يتمتع بالمسيح ابن محبته الأوحد، «وكنا نحن بالطبيعة أبناء الغضب — لا أبناء المحبة — كالباقين أيضاً» ، لكن الله حسبنا أبناء له تعالى . هذا هو تبنى النعمة . وهو يختلف عن التبنى العام ، فى أن الثانى يُراد به حسبان جميع البشر أبناء الله ، باعتبار كونه خالقهم وحافظهم. لكن «تبنى النعمة» يُراد به اختيار الله بعضاً من الناس ليكونوا أبناءه، بنوع خاص يمتاز عن بنوة البشر العامة . وفى الوقت نفسه لا نبلغ مرتبة بنوة المسيح لله ، لأن بنوتنا اكتسابية بالحسبان، لكن بنوة المسيح حق جوهرى وصلة ازلية

هذا هو التبنى ، الذى ظل فكرة غامضة مبهمة فى العهد القديم ، فأراق عليه تجسد المسيح نوراً سماوياً ساطعاً ، أرانا فيه امتيازاً مجيداً يتمتع به انفرد نتيجة إيمانه بالمسيح (غلاطية ٣: ٢٦، ٤: ٤و٥ ، يوحنا ١: ١٢و١٣) ، بعد أن كان حقاً مشاعاً على الأمة اليهودية (مزمور ١٠٣: ١٣، هوشع ١١: ١).

للتبنى

«لنفسه» — هنا يلتقى طرفا درج التبنى — فباعثه ونشأته من قلب الله، ومآله اليه تعالى.

—ب— الوقت الذى فيه تبنانا الله: «إذ سبق فعيننا للتبنى». معروفة لدى الله منذ الأزل، كل أعماله. فالمستقبل مائل أمامه كالماضى، والحاضر. فمن هذا القبيل ليس فى أعمال الله سابق ولا لاحق، ولكن فى لغة المنطق، أو بالحرى فى عرف اللغة التى يحاول العقل أن يفهم بها شيئاً عن أعمال الله، قد عرّفنا الرسول أن التبنى سابق للاختيار. لأن قوله «إذ سبق» عائد على قوله «اختارنا فيه» فالله سبحانه وتعالى، أحبنا أولاً، ثم عيننا للتبنى، ومن ثمّ اختارنا ليحقق فينا هذا القصد المجيد كل هذا قد دبره الله قبل تأسيس العالم (رومية ٨: ٢٩).

فى العدد السابق استعمل الرسول كلمة: «اختارنا»، وفى هذا العدد استعمل كلمة: «عيّننا» — وهما تعبيران إلهيّان لحق واحد. والفرق بينهما — على الغالب — هو أن أولاهما: «اختارنا» تشير ضمناً إلى معدن الخطأ الذى إنتقانا الله منه، وثانيتهما: «عيّننا» تشير إلى الامتياز الذى رفعنا الله اليه فالأولى ترجع بنا ضمناً إلى «المنجم» الذى أخذنا الله منه. والثانية تشير إلى المقام الذى وضعنا الله فيه. الأولى تشير إلى الأشخاص، والثانية تشير إلى الغاية التى اختيروا لها. ومادمنا أولاداً لله، فكل ما لله لنا. وجميع الأشياء تعمل معاً لخيرنا. والثقة المتبادلة بيننا وبينه من نصيبنا. والهداية والإرشاد من حقنا. ومجد الخلود، وخلود المجد، لنا.

يسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته

— ج — وسيط التبني : « بيسوع المسيح » . فى المسيح اختارنا الله، وبه عيّننا للتبني . فهو وسيط الاختيار ووسيط التبني . فيه رآنا الله قبل أن نُخلق، فأحبنا . وبه تبنانا لنفسه . وقد تم لنا هذا الامتياز بواسطة تجسد المسيح وموته على الصليب ، وكما أن المسيح هو الوسيط الذى به تبنانا الله . فهو أيضاً الوسيط الذى به نتمتع بهذا الامتياز ، بإيماننا باسمه (يوحنا ١ :١٢ وغلاطية ٣ :٢٦).

— د — باعث التبني : « حسب مسرة مشيئته » . إن هذه العبارة عائدة إلى ماقبلها إلى بدء العدد الرابع : « كما اختارنا فيه » . فهى تصف الباعث الإلهى للاختيار والتبني معا . وقد وردت فى الكتاب المقدس بمعنيين : أولهما : سلطان الله المطلق الذى به يدبر كل مايحسن في عينيه ، بعيداً عن كل مؤثر أودافع ، أو باعث خارجى، ومن غير أن يكون فى حاجة إلى تقديم حساب عن أعماله، بدليل ماجاء في متى ١١ :٢٦ ولوقا ١٠ :٢١ . والمعنى الثانى يشير إلى رضى الله ونعمته ، وتعطفه المتفاضل على أبنائه ، وإرادته الصالحة المرضية الكاملة نحوهم . هذا ، فى الغالب، هو المعنى الذى أراده الرسول هنا ، وفى سائر كتاباته (رومية ١٢ :٢) . فالاختيار ينطوى على محض مسرة الله التى أظهرها نحو شعبه ، فلا يداخله شيء من غضب الله على غير المؤمنين لأن الاختيار هو علة خلاص المؤمنين ، لكنه ليس علة رفض الغير المؤمنين . فإذا حق للمختارين أن يفرحوا به وأن يشكروا الله عليه ، فلا حق لغير المخلصين أن يتذمروا أو يشكوا منه لأنه ليس علة هلاكهم . وإنما العلة هى عدم إيمانهم .

٦ لمدح مجد نعمته

| عدد ٦ | ــ هـ ــ غاية التبني : «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»

هنا تتجاوب الغاية النهائية مع العلة الأساسية. فالعلة الأساسية هي «مسرة مشيئته»، والغاية النهائية هي: «مدح مجد نعمته». العلة الأساسية هي: «نعمة الله المجانية»، والغاية النهائية هي : «مدح مجد هذه النعمة».

إن نعمة الله ، مجانية في أساسها . فليس لها من دافع سوى نفسها ، فلا تستدرّها الدموع ، ولا تستعطفها الأنات ، إلا إذا كانت حرارة القتيلة المدخنة تضيف شيئاً إلى حرارة الشمس ، وهي مجانية في طريق الحصول عليها ، فلا الذهب يشتريها . ولا الحسنات تحييها ، ولا الصلوات تغذيها ، فهي منبت الحسنات . ومبعث الصلوات ، وهي مجانية في غايتها ، لأنها لا تنتظر من المنعم عليهم أجراً ولا شكوراً .

يحدثنا هذا العدد عن ثلاث حقائق متعلقة بالنعمة (١) مجد النعمة. (٢) مدح مجد النعمة . (٣) وسيط النعمة:

(١) «مجد نعمته » . بما أن هذه النعمـــة منحدرة على البشر من علوّ شاهق ، وصادرة عن الله ذي الجلال والإكرام والمجد ، فهي إذاً نعمة ذات مجد ، لأنها مشتقة من غنى الله في المجد ، ولأنها ترفع المتمتعين بها إلى ذُرى المجد — فهي كالمياه ، ترتقي إلى المستوى الذي منه نبعت ، وهي ذات مجد لأنها مظهر كمال الله الممجد ، ومجلى صلاحه المطلق ، ومجتمع صفاته القدسية

المجيدة ، فمجد النعمة هو كمالها، وفيضها، ومجانيتها، وتنازلها، وسموها. فكما أن مجد الله هو التناسق المتكون من مجتمع صفاته، كذلك مجد النعمة هو التناسق المتكون من مجتمع كل مزاياها .

(٢) « مدح مجد نعمته » إن الهوة السحيقة التي هوى اليها البشر ، قدمت مجالاً متسعاً لإعلان مجد نعمة الله، وإعلائه. فمع أن مجد نعمة الله عال، وسام في ذاته ، سواء أخلق البشر وافتدوا أم لم يخلقوا ويفتدوا، إلا أن لوحة خطايا البشر السوداء ، كانت أداة لإظهار مجد نعمة الله ، وإعلانه وإعلائه للرؤساء والسلاطين في السماويات والأرضين . فلو كان البشر أطهاراً في أنفسهم ، أو كان لهم أقل يد في تخليص ذواتهم ، لنقص جمال مجد نعمة الله . فمجد نعمة الله ، ظاهر في مجانيتها وفي المسافة الشاسعة التي قطعتها النعمة في تنازلها من السماء إلى أركان الأرض السفلى ، وفي رفع الخطاة من مهاوى الفساد إلى أوج المجد ومدح مجد هذه النعمة ، هو إظهار هذا المجد، وشكر الله عليه ، والتغنى به ، ليعرفه كل دان وقاص « إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح » (رومية ٣ : ٢٣ و ٢٤) ، « .... لكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد ... التي أيضا دعانا نحن إليها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا (رومية ٩ : ٢٣ و ٢٤) .

بهذا تتجلى نعمة الله بمجد وجلال ، فتمتدح و تشكر دائما أبداً .

(٣) وسيط النعمة : « التي أنعم بها علينا في المحبوب » . إن وسيط

فى المحبوب . ٧ الذى فيه

النعمة هو هو وسيط اختيارنا وتبنينا. فيه اختارنا الآب، وفيه تبنّانا، وفيه أنعم علينا نعمة فائقة، وفيه باركنا بكل بركة روحية فى السماويات. هذا هو المسيح «ابن محبته» (كولوسى ١ :١٣) . هذا هو المحبوب من الآب منذ الأزل حبا أبدياً فائقاً، لا يشاطره إياه أحد سواه. هذا هو الابن الوحيد الذى «هو فى حضن الآب» (يوحنا ١ :١٨).

كما أننا «فى المسيح» ابن الله الوحيد، صرنا أبناء، كذلك «فى المسيح» المحبوب من الآب حبا ممتازاً، صرنا محبوبين، فأنعم علينا الآب الغنى فى المجد، بنعمة غنية متفاضلة.

| عدد ٧ | (٣) الحلقة الثالثة فى سلسلة البركات الإلهية — الفداء .

إلى هنا حدثنا الرسول عن البركات الروحية السماوية التى أغدقها الله علينا فى المسيح — من اختيار سابق، وتبنٍّ وفق تدبير معين، بدافع من نفسه، لرفع لواء مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى ابن محبته .

وجدير بالاعتبار، أن الرسول لم يذكر إلى الآن شيئاً عن الخطية، ولا عن التربة التى منها اختارنا الله، فيكاد القارىء يعتقد، أن هؤلاء الذين اختارهم الله وعينهم للتبنى، إنما هم أطهار بالفطرة، وقديسون بالطبيعة، لم يقترفوا إثماً ولم يرتكبوا جريرة . لكن العدد السابع ينم عن طبيعة أصلهم، وحقيقة حالهم : «الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا» . فالمختارون كانوا أصلاً غارقين فى لجّ الآثام والخطايا . والمتبنون كانوا «بالطبيعة أبناء

لنا الفداء

الغضب كالباقين أيضاً» . فالفضل فى اختيارهم ليس لأصلهم ولا لحالهم ، بل لله وحده.

إن كلمة « فداء » تعنى الفكاك من الأسر بواسطة دفع فدية أو دية . والثمن الذى دفعه المسيح فدية عنا هو دمه الثمين. هذا ما سبق فأنبأ به تلاميذه (مت ٢٠ :٢٨)

والدم كما ذكر فى الكتاب المقدس، له قوة التكفير عن ذنب، والفكاك من أسر ، وتثبيت عهد ، وإزالة معصية .

فما أثمن هذا الدم الكريم ! فهو أساس فدائنا (افسس ١ :٧) . وأداة تبريرنا (رو ٥ :٨و٩) . ومطهر ضمائرنا (عب ٩ :١٤) . ورأس شركتنا مع الله (١ يو ١ :٧) . وثمن السلام والمصالحة معه (١ كو ١ :٢٠—٢٢).

ولقد أشار الرسول فى هذا العدد ، إلى الفداء ، باعتبار كونه امتيازاً يملكه المؤمنون المطعمون فى المسيح ، رأسهم الأعلى ، ورئيسهم، وهو بركة يتمتعون بها في الحال . هذا واضح من قوله: «الذى فيه لنا الفداء» . فالفداء بركة حالية وإن كان فى كماله رجاء عتيداً (رو ٨ :٢٣).

ومن الحقائق التى عرفنا بها الرسول فى هذا الفداء : —١— وسيطه «فيه» . ما أغنى هذه الكلمة الصغيرة ، المركبة من حرف جر : « فى » ، ومن ضمير الغائب «ه» ! لكنها فى عرف لغة النعمة ، كلمة مركبة من حرف رفع وبناء ، ومن ضمير المفرد العلم الحاضر في كل زمان ومكان — «فى المسيح» . «فيه» تم اختيارنا . وتعييننا للتبنى ، وفيه حق لنا الفداء.

بدمه

ـــب - وسيلته : « بدمه » - دم المسيح حمل الله الكريم ، الذي رفع خطية العالم . إن هذه الوسيلة التي تمّ بها فداؤنا ، تعين طبيعة هذا الفداء - فهو فداء كفاري ، لم يتم بمجرد رغبة من الله ، ولا بكلمة صدرت عنه ، ولا بقدرة كامنة فيه ، بل بدم بن محبته الذي مات عنا طوعاً واختياراً . فهو فداء كريم ، كلف الآب تضحية ابن محبته ، وكلف ابن محبته تضحية نفسه وحياته - والجد بالنفس أقصى غاية الجود . وقد ذكر الرسول هذا الفداء معرّفاً إياه بأداة التعريف ، فقال «الفداء» ، مميزاً إياه عن كل أشباه الفداء وظلاله ، التي تمت في العهد القديم وفي نظم أخرى - بدم كباش وحملان . وبديهي أن الله المقتصد في كل تدبيراته ، ما كان ليجري فداءنا بدم المسيح لو كان في الإمكان تفادي هذا الثمن العظيم : « كريمة هي فدية النفوس فغلقت إلى الدهر » . يضاف إلى هذا ، أن كرامة الشريعة الإلهية فوق كل كرامة ، لأن كرامة الشريعة مشتقة من كرامة صاحب الشريعة . فالإله الذي أراد أن يغفر خطايا البشر ، هو بذاته الذي قال « إن النفس التي تخطىء هي تموت » . فبر الله يتطلب احترام شريعته بإدانة كل نفس تخطىء . ورحمة الله تنادي بمغفرة خطايا الفجار الأثمة . فليس في السماء ولا في الأرض ملتقى لبر الله برحمته سوى الصليب ، لذلك قدّم الله ابن محبته فداء وكفارة عن خطايا البشر . ولو كان في الإمكان أن يكتفي في أمر الفداء بمعجزات المسيح ، أو بأمثاله وتعاليمه ، أو بحياته وسيرته . لما وُجد داع

غفران الخطايا

لإراقة قطرة واحدة من دمه الثمين على الصليب، فالصليب إذاً ضرورة ملحة، قضت بها رحمة الله فى التقائها بعدالته.

ج — ثمرة الفداء : «غفران الخطايا» — هذه هى الثمرة الناضجة التى ينالها مفديو يسوع المسيح — «غفران الخطايا» . فما هو هذا الغفران؟ إذا اعتبرناه عاطفة قلبية ، قلنا إنه ارتداد تيار غضب الله عن الخطاة، وتدفق تيار رضوانه تعالى عليهم. وإذا حسبناه قوة أدبية، قلنا إنه كسر شوكة الآلام المبرحة التى ينشئها الضمير اللوام المحتج فى قلب الإنسان . وإذا نظرنا اليه باعتبار كونه حقيقة شرعية ، قلنا إنه رفع العقاب الذى يستحقه البشر بسبب خطاياهم . فالغفران إذاً هو عاطفة قلبية شريفة ، أظهرها الله نحو البشر ، وهو قوة أدبية تتسرب فى قوى الإنسان النفسية ، وهو حقيقة شرعية ، يتمتع بها الخاطئ المتبرر مجاناً بنعمة المسيح. فهو نعمة متدفقة من قلب الله، وهو أثر أدبى متصل بالضمير وهو حكم شرعى يحظى به الخاطىء تجاه الناموس.

إن الكلمة المترجمة «خطية» : تعنى حرفياً «الخروج عن الخط» أو «الانحراف عن السبيل» أو «عدم إصابة المرمى» (رومية ٤: ٢٥، ٢ كو ٥: ١٩، كولوسى ٢: ١٣) وقد استعملت أيضا للتعبير عن الارتداد (عب ٦: ٦).

غير أن الغفران ، لا يزيل الآثار الطبيعية التى تتركها الخطية فى حياة المرء . فقد يصفح الإنسان عن خطية صديق ائتمنه فخانه وجرده من كل ما يملك ، لكن هذا الصفح لن يرد لذلك الصديق الخائن تلك الثقة التى

حسب غنى نعمته

أضاعها ، وقد تصفح زوجة طيبة ، وهى على فراش الموت ، عن خطايا زوج خائن ، لكن هذا الغفران لن يسترجع لذلك الزوج تاج وفائه الذى حطمه تحت قدميه القاسيتين ، والشاب الذى يعبث بزهرة طهارته ، لن يستعيدها ولو ذرفت منه دموع التوبة مدراراً ، أو تساقطت سحب ندامته أمطاراً.

— ج — قياس الفداء وغفران الخطايا : «حسب غنى نعمته». هذا هو قياس الغفران الذى أثمره لنا الفداء ، وهو قياس الفداء الذى أثمر الغفران. فمثل الفداء والغفران مثل شجرة وثمرها، ومتى ذكرنا أن غنى نعمة الله لا يحد ، تحققنا أن هذا قياس بغير قياس ، وحد غير محدود.

إذا كانت غاية بركات الله علينا ، مدح مجد نعمته ، فإن باعث هذه البركات وقياسها — غنى نعمته. ومن الملاحظ ، إن كلمة «غنى» — وقد وردت فى الأصل بصيغة الجمع — هى إحدى مميزات كتابات بولس الرسول ، لأنه وجد لذة خاصة فى التعبير بها عن بركات الله وآلائه ، ونعمه (أفسس ١ : ١٨ ، ٢ : ٤ و٧ ، ٣ : ٨ و١٦ ، رو ٢ : ٤ ، ٩ : ٢٣ ، ١٠ : ١٢ ، ١١ : ١٢ و٣٣ ، ١ كو ١ : ٥ ، ٢ كو ٨ : ٩ ، ٩ : ١١ ، فيلبى ٤ : ١٩ ، كولوسى ١ : ٢٧ ، ٢ : ٢).

فى جمال الطبيعة نستطيع أن نرى شيئاً من غنى جمال الله ، وفى دقة النواميس المحيطة بالكون ، نشهد شيئاً من غنى حكمة الله ، وفى قوة المادة وقدرتها ، نستطيع أن نلمس شيئاً من غنى قدرة الله ، لكننا فى الصليب وحده نستطيع أن نرى غنى نعمة الله .

على أنه وإن تكن بركات الله موهوبة لنا « حسب غنى نعمته » ، إلا

٨ التى أجزلها لنا

أننا لا نتمتع بها، إلا على قدر ما نوسع فى قلوبنا مكاناً لها : « افغر فاك فأملأه» . فقياس البركات من حيث مصدرها هو غنى نعمة المعطى . وقياس هذه البركات من حيث الاستمتاع بها، هو درجة إيمان المعطى . فما أعظم غنى الله، وما أكبر مسئولية الإنسان .

| عدد ٨ و ٩ و ١٠ | (٤) الحلقة الرابعة فى سلسلة البركات الإلهية — الحكمة والفطنة : فى هذه الأعداد ذكر الرسول الحلقة الرابعة فى سلسلة البركات الإلهية الموهوبة للمؤمنين — الحكمة والفطنة . فأشار إلى هاتين البركتين ، إشارة مجملة فى عدد ٧ ، ثم فصلها فى الأعداد ٨ — ١٠ ، فذكر المعلنات الإلهية التى كفلتها لنا الحكمة والفطنة الموهوبتان لنا من إله النعم والعطايا!

ومن فرط غنى الله ، وحكمته ، ونعمته ، أنه لم يكتف بأن أنعم علينا بالفداء حسب غنى نعمته ، بل أفاض علينا نعمته ، وأردفها بفضيلتين ناجمتين عنها : الحكمة والفطنة . وقد حرص الرسول على أن يرينا غنى هاتين الهبتين فقال : « كل حكمة وفطنة» — فالله قد وهبنا هاتين النعمتين بأعلى قياس . هذا دليل آخر على غنى نعمته ، وفيض سخائه ، إذ أفاض علينا كل حكمة وفطنة . بل هذا برهان حكمته المتعالية، لأنه لم يقتصر على أن يهبنا نعمة الفداء ، بل وهبنا مع الفداء كل حكمة وفطنة ، لنميز بركات الفداء ، ونقدرها حق قدرها ، فنستمتع بها ونشكر الله عليها، وإلا فما قيمة اللآلىء والجواهر فى نظر غر جهول لا يعرف قدرها ؟ وفى إمكاننا أن

بكل حكمة وفطنة

تتحقق شدة لزوم هاتين الهبتين — «الحكمة والفطنة» ، متى ذكرنا أن بين الذين يكتب إليهم بولس، قوماً هم عبيد وخدم (٦: ٥ — ٩) . ومع أنه من الجائز أن نفسر هاتين الكلمتين على اعتبار أنهما صفتان للاله المعطى ، كما ارتأى بعض المفسرين، إلا أنهما نعمتان مو هوبتان للانسان المعطى، فالحكمة (فرونيزيس) هي القدرة التي بها ندرك حقيقة مقاصد الله المعلنة في إنجيله الطاهر ، ونميز بركات الفداء . والفطنة (صوفيا) هي الشعور الباطني الذي به نتمتع بما تدركه الحكمة.

الحكمة لغةً ، هي العلم بحقائق الأشياء — وهي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل الوسائل — وضدها الجهالة.

والفطنة هي الحذق والفهم . وقد تُفسر بجودة تهيؤ النفس لتصوُّر ما يرد عليها من الغير – وتقابلها الغباوة.

فاذا كانت الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء، فالفطنة هي تذوّق ثمرة العلم وإذا كانت الحكمة هي الوصول إلى أفضل الغايات بأفضل الوسائل.

فالفطنة هي الحيطة والاتزان والتدبر في استعمال هذه الوسائل.

الحكمة هي إحدى ملكات العقل والإدراك بها نحاط علماً بالأشياء.

والفطنة تتعلق بالفهم والتمييز ، بها نقارن بين الغث والسمين فنتخير السمين ونوجهه أحسن اتجاه في حياتنا.

إن الحكمة التي يعنيها الرسول في هذا الباب ، تختلف عن الحكمة

٩ إذ عرفنا بسر

الكلامية التي وبخ الكورنثيين عليها. هذه حكمة «أسرار» عملية، مشبعة، ومروية، وتلك حكمة مماحكات سفسطية لا تشبع إلا لتجيع ولا تروي إلا لتعطش. هذه حكمة الجهلاء الحكماء (مت ١١: ٢٥)؛ وتلك حكمة الحكماء الجهلاء (كولوسي ٢: ٤و٨). إن خير سلاح نصرع به كبرياء المعرفة العقلية، ليس الجهالة الفكرية، بل الحكمة القلبية.

فنعمة الله تعزي القلب، وتغذي العقل، وتنير الضمير، وتشحذ العزيمة، وتقوي الإرادة.

ب — مشتملات الحكمة والفطنة: «اذ عرفنا ...»

في هذه الأعداد (٨و٩و١٠)، فصَّل الرسول ما سبق فأجمله في العدد السابع، فذكر «سر» الفداء الذي كان مكتوماً منذ الدهور، إلى أن جاء الوقت المعين لإذاعته، ومن ثمَّ أُعلن لنا تجسد المسيح الذي سرّ الآب أن «يجمع فيه كل شيء — ما في السموات وما على الأرض».

إن كلمة «سر» كما وردت في العهد الجديد تحمل معنى غير الذي تحمله الآن. فهي بحسب الاستعمال الحاضر، تعني الأشياء التي نعجز عن فهمها حتى بعدما نحاط علماً بها — مثال ذلك: «ميلاد المسيح من عذراء»، و «اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح»، «وكون الله ثلاثة أقانيم في إله واحد، وإلهاً واحداً في ثلاثة أقانيم»، لكن كلمة «سر» في هذا العدد، تعني الخبر المكتوم في الصدر إلى أن يجيء وقت الإفصاح عنه، ومن ثم يصبح العلم به في حيز الإمكان. فهي تعني «المجهول» الذي يصير معلوماً بإذاعته، وإنه علاء،

مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه

وكشفه (رؤ ١: ٢٠، ١٧: ٧، متى ١٣: ١١) . وفى الغالب استقى بولس الرسول كلمة «سر» من مصادر يهودية كسفر دانيال ومن الملاحظ أن البقية الباقية من السفر التاريخى القديم، المعروف بسفر أخنوخ — وهو أحد الأسفار غير القانونية — يكثر فيه ورود كلمة «السر» الإلهى الذى أحيط به البشر علماً .

ومن المحتمل، أن بعض الهيئات اليونانية التى كان لبعض أعضاء كنيسة أفسس علاقة بها، قبل إيمانهم، كانت تحتفظ «بأسرار» لها، فلا تفضى بها إلا لأخصاء من تابعيها، يكونون حائزين على اختبارات معينة، ومن المحتمل أن بولس كان يخاطب أمثال هؤلاء القوم بلغتهم، مظهراً لهم أن المسيحية ليست خالية من «الأسرار»، لكنها عامرة بالأسرار الشريفة الراقية، الإلهية، التى أعلنت للبشر بتجسد «الكلمة» الحى .

أما هذا «السر» الإلهى، الذى أعلن لنا بتجسد المسيح فهو سر مشيئة الله فى الفداء وفى العناية، إذ «قصد أن يجمع كل شيء في المسيح فى ملء الأزمنة» . فموضوع الحكمة والفطنة إذاً هو معرفة مشيئة الله . ومن أوصاف هذه المشيئة — ا — أنها صالحة ومرضية، مفعمة رحمة وسعادة وهناء للبشرية، لذلك قال فيها الرسول : «حسب مسرة مشيئته». وهى أيضاً مشيئة مستقلة منبعثة من قلب الله مباشرة، غير خاضعة لمشورات ولا لمؤثرات خارجة عنه، لأنه قصدها «فى نفسه»، أى «فى فكره، وفى أعماق قلبه».

ويفضل بعض ثقات المفسرين أن يفسر كلمة « فيه » على اعتبار أن

١٠ لتدبير ملء الأزمنة

قصد الله تم في المسيح المتجسد والمصلوب ، والمقام ، والممجد ، الذي فيه يجتمع كل شيء (افسس ١ : ١١ ورومية ٨ : ٢٨ ، ٩ : ١١ ، ٢ تي ١ : ٩) .

عدد ١٠ (٢) إن قصد هذه المشيئة — أو بالحرى ، مشيئة هذه المشيئة — هو إن « يجمع الله كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض » . وقد عبر الرسول عن هذا القصد بكلمات أخرى إذ قال : « تدبير ملء الأزمنة » . إن أفضل تفسير لهذه العبارة الأخيرة ، هو ما جاء في ص ٣ : ٨ — ١١ من هذه الرسالة عينها : « لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى . وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور ، في الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة . حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا »

« تدبير ملء الأزمنة » — هذه أول مرة نلتقي فيها بكلمة : « تدبير » في هذه الرسالة . وهي من مميزات كتابات بولس الرسول . وقد وردت خمس مرات في العهد الجديد : « لهذه الأمة مصالح بتدبيرك » (أعمال ٢٤ : ٣) ، « لا تصنعوا تدبيراً للجسد » (رومية ١٣ : ١٤) ، « لتدبير ملء الأزمنة » (أفسس ١ : ١٠) ، « سمعتم بتدبير نعمة الله » (أفسس ٣ : ٢) ، « حسب تدبير الله المعطى لي » (كولوسي ١ : ٢٥) . والكلمة في معناها النهائي تنطوي على الحكمة ، والاقتصاد ، والعناية ، وبعد النظر . وقد استعملت ابتدائياً — في اليونانية

والعربية — للتدبير المنزلى . ثم عممت لتشير الى تدبير الكنيسة . لذلك وصفت بها طغمة خاصة من خدام الكنيسة — «الشيوخ المدبرون حسناً» (١ تى ٥: ١٧، ١ كو ١٢: ٢٨).

ويعتقد الدكتور مواليه ، أنها تعنى «وكالة» أو « توكيل» . أى أن يسوع المسيح هو الوكيل الأعلى لبيت الله الذى هو كنيسته تعالى ، وقد وضعت في يديه مقاليد جميع شئون الكنيسة والكون . وفى ملء الأزمنة يكون كل شيء وكل شخص مركزاً فيه ، ويكون هو رأساً ورئيساً لكل ما فى السموات وما على الأرض . والمستفاد من كلمة « ملء الأزمنة » . أن سياسة الله للكون ـ فى دائرة الفداء وفى دائرة العناية ـ تسير على نظام تدريجى متناسق ، فلا تكتمل إلا فى عصور متعاقبة ، وأدوار متوالية : فالتجسد تم فى ملء زمن معين (غلاطية ٤: ٤)، وكذلك استقرار الروح القدس فى الكنيسة فى ملء زمن آخر معين ، وستتم الكرازة بالانجيل فى ملء زمن آخر معين . ومن ثم ننتقل من ملء «أزمنة النعمة» تدريجياً الى ملء «ازمنة المجد». وفى هذا إشارة ضمنية إلى ما جاء فى سفر دانيال : « زمان وزمانين ونصف زمان (دانيال ١٢: ٧) . أو بعبارة أخرى : أن الآب دبر أن يكون الابن سيداً ، ورأساً ، ومدبراً ، ومديراً لكل شيء فى عصور النعمة المتعاقبة ، التى ستتوج وتختم بعصر المجد . فالمجد هو النعمة فى نضوجها وإثمارها ، والنعمة هى المجد فى بدايته وازهاره . أما ماهية هذا التدبير فقد أوضحها الرسول فيما

في المسيح ما في السموات

يلى . والأزمنة المقصودة في هذه القرينة هى تلك المدة الممتدة بين مجيء المسيح الأول ومجيئه الثانى .

« ليجمع كل شىء فى المسيح.. » هذه العبارة بدل لما قبلها، ومفسرة لها: «تدبير ملء الأزمنة». «ليجمع» - هذه كلمة حسابية. فالجمع هو «ضم» أشياء متفرقة ، وربطها بعضها ببعض لتكون على نسق واحد، تحت رأس واحد — هذا هو القصد النهائى فى الفداء : « أن يجمع الله كل شىء فى المسيح». فمع أن الفداء فى فعله الابتدائى يقصد به خلاص المؤمنين، إلا أنه فى معناه الكالى. وفى بلوغه ، يتناول جميع الأشياء— «ما فى السماء وما على الأرض»، فتتوحد كلها تحت سلطان ابن الإنسان المطلق . هذه هى النصرة النهائية التى أوضحها الرسول فى رسالة أخرى معاصرة لهذه الرسالة. «لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبى ٢:١١).

إن قوله : « كل شىء .. ما فى السموات وما على الأرض» يعنى طبقات مختلفة من الخلائق — من الملائكة المختارين (١ تى ٥ : ٢١) إلى أبناء الله المؤمنين المتفرقين مذاهب وجماعات فى أنحاء المعمورة، فى كل عصر ومصر (يوحنا ١١: ٥٢) ، إلى جميع الخلائق الحية الناطقة، إلى الخلائق الغير الناطقة التى شاطرت الإنسان آلام السقوط ، لتشاطره شيئاً من حرية المجد (رومية ٨ : ٢١) . فتخضع كلها تحت سلطان المسيح : «الذى قد مضى إلى السماء وملائكة

وما علي الأرض فى ذاك ١١ الذى

وسلاطين وقوات مخضعة له» (١ بط٣: ٢٢) ، « الذى هو رأس كل رياسة وسلطان » (كولوسى ٢ : ١٠) .

ويميل بعض المفسرين أمثال يوحنا الذهبي الفم ، ومووليه ، إلى حصر هذه العبارة في المؤمنين من البشر ، وفى الملائكة المختارين. ولكن الترجمة العربية تؤيد ماذهب إليه فريق كبير من المفسرين كما أسلفنا — بدليل قول الرسول : « كل شيء » لا « كل شخص » . « وما فى السموات وما على الأرض » ، لا « من فى السموات ومن على الأرض » .

كما أن الشمس هى المركز الرئيسى للنظام الشمسى بأسره ، كذلك « يسوع المسيح » شمس البر هو الرأس الذى « فيه » يجتمع كل مافى السموات وما على الأرض (كو ١ : ١٦) . « فيه خلق الكل مافى السموات وماعلى الأرض ، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم رياسات أم سيادات أم سلاطين . الكل به وله قد خُلق » .

ومن الملاحظه ، أن كلمة « المسيح » كما وردت فى الأصل ، متصلة بأداة التعريف . فيراد بها إذاً — المسيح فى وظيفته الفدائية .

عدد ١١ و١٢ | (٥) الحلقة الخامسة فى سلسلة البركات الإلهية — الميراث الإلهى . إلى هنا بلغ بولس قمة المعلنات السماوية التى شرع يفضى بها إلى من كتب لهم هذه الرسالة . وقد كان من المتوقع أن يختم مقدمة هذه الرسالة بالعدد السابق . لكن بولس رجل عملى ، لذلك هبط بقارئيه من

فيه أيضاً نلنا نصيباً

جبال المعلنات السماوية ، إلى وادي الحياة العملية على الأرض. فصار لزاماً عليه ، أن يمس الصلة التاريخية — كدت أقول العقدة التاريخية — بين اليهود والأمم. فرسم الرسول في الأربعة الأعداد التالية صورة بديعة للرجاء اليهودي الصحيح الذي تحقق في أيامه مبدئياً في المسيح . وفي هذا الرجاء المحقق ، التقى اليهودي بالأممي، فأضحى كلاهما أمة واحدة مقدسة لله ، « وشعب اقتناء ليخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب » هذه هي البركة التي يحدثنا عنها الرسول في خمسة أوجه :

١ — ماهيتها : « الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً » . هـــذه هي الحلقة الخامسة في سلسلة البركات الإلهية التي جعلها بولس الرسول موضوع شكر لله تعالى — بركة الميراث الإلهي .

تختلف ماهية هذا الميراث ، باختلاف فهمنا العبارة التي استهل بها هذا العدد . فاذا أخذنا بالترجمة الحالية القائلة: « الذي فيه أيضاً — في المسيح نلنا نصيباً » ، استطعنا أن نفهم أن جميع المؤمنين ممثلين في الكاتب والمكتوب إليهم ، صاروا ورثة في الملكوت الروحي . هذا يؤيده قول الرسول نفسه في رسالته إلى كولوسي : « شاكرين الآب الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور » (كولوسي ١ : ١٢). ولكن ربما كان أقرب إلى الأصل أن نترجمها إلى : « الذي فيه صرنا نحن ميراثه ونصيبه » هذا يوافق الفكر الأساسي في اختيار الله الأمة اليهودية قديماً لتكون له: « شعب ميراث » (تث ٤ : ٢٠ ، ٩ : ٢٩). فقد قال موسى في الخطبة الخالدة التي فاه بها قبيل وفاته : « إن

معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شىء

قسم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه » (تث٣٢ :٩) وفى موضع آخر قال الله لإسرائيل: «تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب »(خروج١٩ : ٥) بل هذا هو المعنى الذى تغنى به زكريا: «والرب يرث يهوذا نصيبه فى الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد . اسكتوا يا كل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه» (زكريا ٢: ١٢و١٣) . هذا هو الرجاء الذى رآه بولس محققاً فى المسيح فتغنى به أيضاً فى العدد الثامن عشر من هذا الأصحاح.

لسنا ندرى أى البركتين أعظم : أن نكون ورثة الله فى ملكوته (رومية ٨ : ٢٧) أم أن نكون نحن ميراثاً لله فى تدبير الفداء ؟.

يلوح لنا أن ثانيتهما أعظم . لأنها تحمل دلالة عظمى على أن لنا قيمة فى نظر الله جل شأنه ، حتى يعتبرنا نصيباً له وميراثاً !!!

فاسمعى أيتها السموات وتعجبى أيتها الأرض !!!

—ب — الزمن الذى صرنا فيه أهلاً لهذه البركة: « معينين سابقاً » — إذاً ليست هذه البركة بنت ساعتها ، ولا هى فكرة طارئة . كما أنها ليست أجرة صرنا لها أهلاً بسبب صلاح أتيناه ، ولا هى مكافأة على خير كان مرجواً منا . وإنما هى هبة رتبت لنا« بتعيين سابق» . (لمعرفة القصد من هاتين الكلمتين راجع تفسير غرة العدد الخامس) .

—جـ— الباعث الإلهى: « حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته » . هذه بركة جاءتنا نتيجة تدبير إلهى محكم— «حسب قصد» غير أن هذا التدبير المحكم ليس جهلياً ، ولا هو تعسفى ، وإنما هو نتيجة

حسب رأى مشيئته . ١٢ لنكون لمدح مجده

«رأى» ، وحكمة ، ومشورة : «حسب رأى مشيئة الله» الصالحة المرضية الكاملة . فالله جل شأنه ، لم يتأثر فى هذا التدبير المحكم بمؤثر خارجى، ولم يكن هو فيه مخالفاً طبيعته القدسية المتعالية ، ولا مغتصباً حرية إرادة البشر.

إن لمشيئته السماوية ، رأياً عالياً وحكمة رشيدة . فلئن غابت عنا هذه الحكمة ، إلا أننا نثق بها و نطمئن إلى أحكامها .

— د — غاية هذه البركة : « لنكون لمدح مجده » . فى العددين الخامس والسادس، تكلم الرسول عن « مدح مجد نعمة الله » ، وهنا يحدثنا عن «مدح مجده». فيليق بنا أن نوازن بين كلامه هنا وهنالك لنتبين أوجه الشبه وأوجه التباين فى كلامه فى هذين الموضعين :

	عدد ٥ و٦	عدد ١١ و١٢
(ا) الموضوع :	« التبنى »	« الميراث »
(ب) الزمن :	« سبق فعيننا »	« معينين سابقاً »
(ج) الوسيط :	« بيسوع المسيح »	« به »
(د) الباعث :	«حسب مسرة مشيئته» ..	حسب قصد.. «رأى مشيئته»
(هـ) الغاية :	« لمدح مجد نعمته »	« لمدح مجده »

فالتشابه متوفر من حيث : الزمن، والوسيط ، والباعث، والغاية . ولا يوجد سوى وجه واحد للتباين : وهو أن الرسول تكلم فى العددين الخامس والسادس عن التبنى لكنه فى العددين الحادى عشر والثانى عشر تكلم عن

نحن الذين قد سبق رجاؤنا

إحدى ثمرات التبني — الميراث . وهنالك فارق طفيف فى الغاية : هناك تحدث الرسول عن «مدح مجد نعمة» الله، لكنه يحدثنا هنا عن «مدح مجده» تعالى : وعلة هذا الفارق ترجع إلى وجهة نظر الرسول إلى طبيعة «الإنجيل» فتارة يدعوه «بشارة (انجيل) نعمة الله» (أعمال ٢٠ : ٢٤) وطوراً يسميه : «إنجيل مجد الله » (١تى ١ : ١١ ، ٢ كو ٤:٥) والمراد بمدح مجده، حمد جلاله تعالى .

(هـ) المتمتعون بهذه البركة : « نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح » هؤلاء هم المؤمنون من اليهود ، الذين كانوا سابقين للمؤمنين فى رجائهم بالمسيح — ذلك الرجاء الذى ولدته في نفوسهم مواعيد الله الثمينة فى العهد القديم ، وأذكت ناره فى صدورهم تلك النبوات التاريخية التى فاه بها إشعياء وزكريا وملاخى وسائر أنبيائهم .

والظاهر أن نزعة بولس اليهودية، قد انتعشت فى نفسه فى هذه الآونة فأراد أن يبين للأمم ، أن يهوديته لم تكن عبثاً ، لأن رجاؤه فى المسيح كان سابقاً لرجاء الأمم فيه. ولكن على رغم كون المؤمنين من اليهود، هم أصحاب الحق الأول فى المسيح ، إلا أن الأمم أيضاً «شركاء في الجسد والميراث ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل » (٦:٣) . هذه هى الوكالة التى شعر بولس بأنه مؤتمن عليها بنوع خاص: «أن يبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى » (٨:٢). فالإنجيل قدم لليهود أولاً ثم للأمم. لكن الأولين صاروا آخرين، والآخرين أولين. هذا من جهة اليهود كأمة. أما الأفراد المؤمنين منهم ،

في المسيح ١٣ الذى فيه أيضا أنتم

أمثال بولس الرسول ، فقد ظلوا إلى النهاية أولين . وغير خاف أن الكنيسة الأولى ، كانت إلى أجل معين فى القرن الأول ، يهودية الصبغة والمسحة . لأن الرسل يهود أصلاً ، ولأن الأغلبية الساحقة من المؤمنين الأولين كانت من اليهود.

ولا يغرب عن البال ، أنه على قدر الامتيازات تكون المسئوليات . فاذا كانت المزايا قد قدمت لليهودى أولاً ثم لليونانى، فإن العقاب أيضا منصب على رأس «اليهودى» أولاً ثم اليونانى «لأن ليس عند الله محاباة».

«لليهود أولا» — أولا فقط ، لا أولا وآخراً — فأسبقية اليهود منحصرة فى الزمن ليس إلا . «ومن يودعونه كثيراً يطالبونه بأكثر».

عدد ١٣ | (٦) الحلقة السادسة فى سلسلة البركات الإلهية — بركة الخلاص :

مع أن الرسول فخور بيهوديته ، التى خولته حق الأسبقية على الأمم، فى الرجاء بالمسيح ، إلا أنه حرص شديد الحرص ، على أن لا يغمط الأمم حقهم فى المسيح . فما كاد يفرغ من كلامه عن المؤمنين من اليهود ، الذين «سبق رجاؤهم فى المسيح» ، حتى انتقل حالاً إلى الأممين الذين لهم أيضاً فى المسيح رجاء حى ، فسرعان ما تكلم عن «نحن» حتى انتقل إلى « أنتم أيضاً» إن فى هذا استدراكاً بليغاً لما كان يمكن أن يتبادر إلى أذهان بعض اليهود ، فيحسبوا أنفسهم أصحاب الحق الأوحد فى المسيح ، فيحتكروه

اذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم

لأنفسهم . وفى هذا أيضاً خير تشجيع للأمم : مخافة أن يتوهموا أن لاحق لهم فى المسيح ، فيحتقروا أنفسهم ويظلموها . فقال الرسول، موجهاً الخطاب إلى المؤمنين من الأمم : «الذى فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم»

إن الفرصة التى أتيحت للأمم ليسمعوا فيها كلمة الإنجيل ، أضحت لكثيرين منهم مصدر خير وبركة ، لأنها آلت إلى خلاصهم لذلك استحالت لهم «كلمة الحق» إلى «إنجيل خلاصهم» . فهم بشروا أولاً ، ثم سمعوا ، فصدّقوا ، فقبلوا ، ثم خلصوا ، فختموا

عبر الرسول عن البشارة التى سمعها الأمم ، بكلمتين — **أولاهما:** «كلمة الحق» ، وثانيتهما: «إنجيل خلاصكم» . فالأولى تعبر عن البشارة فى جوهرها ، ومضمونها ، ومصدرها «كلمة الحق» . فهى تتضمن «الحق ، وكل الحق ، ولاشىء إلا الحق» وهى صادرة عن الإله الحق ، كما أنها تحدثنا عن المسيح الذى هو «الطريق ، والحق ، والحياة» . وفى الغالب لقبها الرسول بـ «كلمة الحق» مقابل طقوس العهد القديم ، ورموزه ، وخرافات اليونان وأساطيرهم . فالعهد القديم الذى أؤتمن اليهود عليه ، يتضمن رمز الحق ، وظلال الحق ، لكن العهد الجديد يتضمن جوهر الحق وقلب الحق . والكلمة الثانية «إنجيل خلاصكم» — تشير إلى البشارة فى غايتها ، وثمرها ، ونتيجتها الفعالة — لأنها تعلن الخلاص وتقدمه للناس ، وهى أيضاً تؤدى بهم إلى الخلاص إذا هم صدّقوا وآمنوا: «لست أستحى

الذى فيه ايضاً

بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن» (رومية ١ : ١٦)
والحقيقة المشتركة فى هذين الإسمين، هى — أن هذا الحق الذى تتضمنه كلمة البشارة هو «الحق الخلاصى» ، الذى ينبئنا بأن الله موجود، وأنه محب، وأنه تجسد فى المسيح لكى يصالحنا لنفسه (١ كورنثوس ٥ : ١٩). وقد وصف الرسول هذا الإنجيل بقوله «كلمة»، لأن الإنجيل يحمل رسالة مقولة ومسموعة وموحدة القصد والمرمى . وقال فيه أيضا : «إنجيل»، لأنه يحوى بشارة مفرحة . ولاشك فى أن بشرى الخلاص ، هى أبهج خبر يزَف إلى الإنسان الغارق فى لج الخطايا ، سواء أسمع الإنسان رسالة الإنجيل بأذنه ، أم قرأها بنظره، وتدبرها بفكره، فمن المحقق أن هذه الرسالة ليست من إيحا آت الإنسان ولا هى وليدة تصوراته الداخلية ، وإنما هى صادرة عن مصدر خارجى.

(٧) الحلقة السابعة فى سلسلة البركات الإلهية — ختم الروح القدس : «الذى فيه أيضا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده».

جميل أن خاتمة البركات الإلهية الموهوبة للمؤمنين ، هى بركة ختم الروح القدس . فيليق بنا أن نتَّئد فى سيرنا ، لنتأمل جمال هذه الماسة البديعة ، مقلبين إياها على أوجهها الأربعة ، لأن لكل وجه فيها جمالاً خاصا :

— ا — القصد من الختم — ب — وقت الختم — ج — طبيعة الختم — د — دلالة الختم.

إذ آمنتم

١ — القصد من الختم . يُستعمل الختم عادة لأحد الأغراض الآتية ، أو لبعضها ، أو لجميعها معاً : — للملكية كما تعودت السلطات أن تدمغ الأشياء التابعة لها ، دليلاً على امتلاكها إياها. أو لتقرير صحة الشيء المختوم ، مثلما تختم الوثائق الرسمية دلالة على صحتها . أو لإذاعة الإسم أو الرسم الذي يحمله الختم مثلما تحمل قطع النقود صورة الملك . فصورة الملك تشهد بصحة قطعة النقود ، كما أن قطعة النقود تحمل صورة الملك وتذيعها بين الملأ . أو لضمان حفظ الشيء وصيانته من الأيدي التي قد تعبث به ، مثلما تختم أهراء الغلال بختم صاحبها ، أو مثلما تختم أبواب خزانة بها ودائع أو مضبوطات للإبقاء عليها وحفظها من العبث بها . وفي الغالب خُتم المؤمنون لهذه الغايات الأربع . لأنهم ملك لله (رؤيا ٧:٣)، ولأنهم أولاد الله بالحقيقة (رومية ٨:١٦و٥:٥) ، ولأن الله افتداهم « ليخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب ، وأن يحدثوا بمجد الله الذي أنقذهم من سلطان الظلمة ونقلهم إلى ملكوت ابن محبته » (كولوسي ١:١٢و١٣) ولأن الفادي وعد بحفظهم من كل خطر وصيانتهم من كل ضرر (يوحنا ١٠:٢٨و٢٩).

إن هذا الختم هو معمودية الروح القدس التي ينالها المؤمن ، وبها يحصل على يقين الخلاص والبهجة ، والنصرة والحرية في الخدمة ، والصلاة . فقوله : «ختم الروح» مرادف للقول : «معمودية الروح» و«حلول الروح» .

وهنا نقرر بكل وضوح وجلاء أن « ختم الروح » لا يشير إلى تلك

خُتمتم بروح

المواهب الروحية الخارقة التى منحها الله لبعض الناس ، فى بعض الكنائس ، لبعض مناسبات — كموهبة التكلم بالألسن وما إليها . لكن الإشارة هنا منصرفة إلى النعم الروحية الداخلية العميقة التى جعلها الله حقاً لكل مؤمن متجدد فى كل عصر وفى كل مصر — كنعمة المحبة ، والرجاء ، واليقين ، والبهجة ، والسلام ، والوداعة ، والطهارة وما إليها. قابل ماجاء فى ١ كورنثوس ١٢ : ٣١ ، ١٣ : ١ و٢ ، ١٤ : ٢٢ بما ورد فى ١ كورنثوس ١٣ : ٨ يتضح لك أن المواهب الخارقة وُهبت لأناس معينين فى عصر معين وأنه قُصد بها أن تبطل يوماً ، بخلاف المواهب الروحية الباطنة فانها باقية مابقى الله .

—ب— وقت الختم : « إذ آمنتم ختمتم » . يختم المؤمن حالما يؤمن . ومع أن المؤمن لايشعر بالختم ولايتحققه إلا بعد الإيمان ، إلا أن الله يختمه وقت الإيمان. فالإيمان فعل داخلى ، يوجّه قلب المؤمن إلى الله ، والختم هو جواب الله على إيمان المؤمن ، فالختم ليس ثمرة من ثمرات الإيمان ، بل هو دلالته ، وعلامته ، وصحته. فى العهد القديم أخذ ابرهيم علامة الختان ختماً لبر الإيمان ، وفى العهد الجديد ينال المؤمنون معمودية الروح علامة لبنوّتهم لله.

—ج— طبيعة الختم : « خُتمتم بروح الموعــد القدوس » . إن نسبة الختم إلى الروح ، نسبة وصفية — أى أن الله الآب ختمنا بالروح القدس — « وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢٢).

وُصف الروح القدس فى هذه العبارة بوصفين : أولهما : « روح

الموعد القدوس

الموعد» ، لأن الروح القدس حل فى الكنيسة وفق الموعد . ففى العهد القديم كان الوعد بمجيئه موضوع نبوات الأنبياء (إرميا ٣١: ٣١— ٣٤ ويوئيل٢:٢٨—٣٠ وحزقيال ٢٧:٣٦) . وفى العهد الجديد وعدّ المسيح تلاميذه مرات بمجىء الروح القدس، على اعتباراته وعد منه هو . وفي ظروف أخرى حدثهم عن مجىء الروح باعتبار كونه وعداً من الآب(يوحنا ١٤ :١٥ — ٢١و٢٦، ١٥ : ٢٦ ، ١٦ : ٧ — ١٠، أعمال ١: ٤) .

إن كلمة ، «موعد» ترجع بنا إلى الوعد الأول الذى وعد به الله ابرهيم رئيس العائلة اليهودية . وقد أبان الرسول بولس فى رسالة أخرى ، الصلة الكائنة بين الموعد الابتدائى الذى وعد به الله ابرهيم ونسله ، وبين موعده النهائى الذى شمل الأمم أيضاً إذ قال ، «وأما المواعيد فقيلت فى ابرهيم وفى نسله ... لتصير بركة ابرهيم للأمم فى المسيح يسوع ، لننال بالإيمان موعد الروح »(غلاطية ٣:١٦و١٤). وفى هذا الصدد عينه يقول بطرس الرسول فى خطابه الخمسيني: «لأن الموعد» — موعد الروح القدس — « هو لكم ولأولادكم ولكل الذين هم على بعد كل من يدعوه الرب إلهنا »(أعمال٢:٣٩).

والوصف الثانى الذى وصف به الروح ، هو : «القدوس» . وقد جاء هذا الوصف بعد الوصف الأول فى الترتيب من باب التوكيد ، فهو الوصف الذى اختص به الأقنوم الثالث فى اللاهوت ، متميزاً عن الروح البشرية الإنسانية ، وهو «قدوس» فى طبيعته ، ومقدس فى عمله.

١٤ الذى هو عربون ميراثنا

|عـدد ١٤| — د — فاعلية الختم : « الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده »

إن كلمة «عربون» مستعارة من لغة التجارة ، وهى فى اللغة الأصلية « أرّابون » — ولعلها فينيقية الأصل .

« العربون» فى عُرف التجارة ، هو جزء من الثمن يُدفع مقدماً كضمان لصحة الصفقة ، على أمل أن يُدفع باقى الثمن بعد تسلم البضاعة . ويراد به هنا ، أن الله أعطى المؤمنين روحه القدوس كضمان لحقهم الأكمل فى ميراثهم العتيد فى المجد الأبدى . فالروح القدس الذى به ختم المؤمنون ، ليشهد لأرواحهم أنهم أولاد الله هو ذات الروح الذى يضمن لهم ميراثهم الأبدى بوصف كونهم أبناء الله . وفى هذا الصدد يقول بولس فى رسالة أخرى : «أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ ياأبا الآب . الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه»(رومية ٨:١٥ — ٢٧) . والحقيقة المشجعة هى أن الميراث محفوظ للورثة، والورثة محفوظون للميراث(١ بط ١ : ٤ و٥).

إن النعم الروحية المعطاة للمؤمنين ، نتيجة حلول الروح القدس فى قلوبهم كالفرح والمحبة والسلام والوداعة ، هى عربون المجـــد الذى يتمتع به المؤمنون فى الحياة العتيدة. فالنعمة هى المجد فى البذرة، والمجد هو النعمة فى البلوغ •

لفداء المقتنى

وهنالك حقيقة أخرى مكملة لهذه — هى أن نعم الروح القدوس، التى بها خُتم المؤمنون ، ليست فقط عربون ميراث المؤمنين فى الله ، بل هى أيضاً عربون ميراث الله فى المؤمنين ، بدليل قول الرسول فى تتمة هذا العدد : «لفداء المقتنى» . إن هاتين الحقيقتين ليستا سوى وجهين لحقيقة واحدة شهد بها قديماً إرميا : «ليس كهذه نصيب يعقوب. لأنه» — الله — «مصور الجميع وإسرائيل قضيب ميراثه» (إرميا ١٠: ١٦) .

إن قوله «لفداء المقتنى» — يراد به نوال الملك المكتسب بحق الشراء والفداء . وقد ورد الفعل الأصلى المشتقة منه كلمة: «مقتنى» فى أعمال ٢٠: ٢٨ — فى كلام بولس الرسول نفسه «... ارعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه». والفكر الذى تنطوى عليه العبارة «لفداء المقتنى» هو أن المؤمنين بالمسيح — من اليهود والأمم — هم شعب اقتناه الله واشتراه بدم الفادى ، فأصبحوا ملكه، وخاصته، وميراثه . ومع أن الله — فى الوقت الحاضر — لم يمتلكهم تماماً، لكونهم عائشين فى بيئة مفسدة، ومعرضين لهجمات الشيطان وسهامه الملتهبة، إلا أنهم مازالوا لله ومختومين له. غير أن الله تعالى، لا يستولى عليهم تماماً ، إلا متى حررهم وفكهم من هذا العالم الشرير ، وأتم فداء أجسادهم مثلما أنجز فداء أرواحهم — وذلك عند مجىء المسيح ثانية (ملاخى ٣ : ١٧ و١ بطرس ٢ :٩) .

ومع الملاحظ ، أن بولس الرسول، عاد إلى إستعمال ضمير المتكلم فى قوله : «ميراثنا» بعد أن كان قد استعمل ضمير المخاطب : «سمعتم» . .

لمدح مجده

«خلاصكم» . . «آمنتم» . . «ختمتم» ،فى العدد السابق .

في ختام هذه الأنشودة البديعة كرر الرسول – للمرة الثالثة – ذلك القرار الجميل : «لمدح مجده».

قديماً أريد ببنى إسرائيل أن يكونوا «لمدح مجد الله» ، كما قيل فى إرميا ١٣ : ١١ «لأنه كما تلتصق المنطقة بحقوى الإنسان، هكذا ألصقت بنفسى كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا يقول الرب ليكونوا لى شعباً ، واسماً، وفخراً ، ومجداً» – لكنهم لم يسمعوا» – على أن وجه العزاء هو أن ما فشل فيه إسرائيل العالمى سينجح فيه إسرائيل الروحى ليكون «لمدح مجد الله» . وما قصرت دونه الأمة ، سيفوز به الفرد.

صلاة الرسول لأجل المؤمنين

١ : ١٥ — ٢ : ١٠

من الحمد ، والشكر ، والتمجيد، انتقل الرسول إلى الصلاة ، والتضرع ، والسجود . وفى صلاته وسجوده ، رأى المسيح عالياً مرتفعاً، ورأى المؤمنين مرفوعين فيه ومعه ، وفيه ومعه ممجدين.

من عادة الرسول ، أن يستهل رسائله بكلمة شكر ، وصلاة. وفى شكره يشير عادة إلى إيمان المكتوب إليهم ، ومراراً يقرن ذكر إيمانهم بمحبتهم . وأحياناً يجمع تلك الفضائل الجليلة المكونة لمثلث النعمة ، ويقرنها معاً — «الإيمان ، الرجاء، المحبة».

فيقول في رومية : «أولاً أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم » (رومية ١ : ٨).

وفى ٢ تسالونيكى : « ينبغى لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق لأن إيمانكم ينمو كثيراً. ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد (٢تس ١ :٣).

وفى فليمون : « أشكر إلهي كل حين ذاكراً إياك فى صلواتى سامعاً بمحبتك والإيمان الذى نحو الرب يسوع ولجميع القديسين» (فليمون ٥).

وفى ١ تسالونيكى: «نشكر الله كل حين من جهة جميعكم ذاكرين إياكم فى صلواتنا متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم» (١ تس ١ : ٣) .

وفى كولوسى: «نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين مصلين لأجلكم إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع ومحبتكم لجميع القديسين من أجل الرجاء الموضوع لكم فى السماوات (كولوسى ١ :٣و٤).

هذه هى الصلاة الأولى المدونة للرسول فى هذه الرسالة. وعند ختام الأصحاح الثالث (٣: ١٤—٢١)، نلتقى بصلاته الثانية ومتى وصلنا إليها نتبين أوجه الشبه وأوجه الخلاف بينهما ، ويكفينا هنا فى دراسة صلاته الأولى أن نلاحظ:

أولا : محتويات هذه الصلاة (١ : ١٥—١٩).

(١) المناسبة التى دعت الى هذه الصلاة (١ : ١٥).

(٢) العنصران اللذان تتألف منهما هذه الصلاة (١ : ١٦).

(٣) الذات العلية التى رُفعت اليها هذه الصلاة(١ : ١٧ « ١ »).

(٤) غاية هذه الصلاة (١ : ١٧ (ب) — ١٩)

— ا — الغاية الأولى — إعدادية تمهيدية وموصلة للغاية الثانية

(١) كى يعطيكم روح الحكمة ... (١ : ١٧ (ب))

(٢) مستنيرة عيون أذهانكم (١ : ١٨ (١))

— ب — الغاية الثانية — نهائية ومكملة للغاية الأولى — «لتعلموا»

(١) ما هو رجاء دعوته (١ : ١٨) (ب)

(٢) ماهو غنى مجد ميراثه (١ : ١٨ (ج))

(٣) ماهى عظمة قدرته الفائقة نحونا (١ : ١٩)

ثانيا : أساس هذه الصلاة (١ : ٢٠ — ٢ : ١٠)

هو عمل شدة قوة الله كما تجلى فى مظهرين :

(١) المظهر الأول فى صلته بالمسيح (١ : ٢٠ — ٢٣) فى أربع درجات :

(ا) الدرجة الأولى : فى إقامته من الأموات (١ : ٢٠)

(ب) الدرجة الثانية : فى إجلاسه عن يمين الله (١ : ٢١)

(ج) الدرجة الثالثة . فى إخضاع كل شىء تحت قدميه (١ : ٢٢)

(د) الدرجة الرابعة : فى جعله رأساً للكنيسة (١ : ٢٣)

(٢) المظهر الثانى (ا) فى صلته بالمؤمن الفرد (٢ : ١ — ١٠)

(ب) فى صلته بالأمم (٢ : ١ و٢)

(ج) فى صلته باليهود (٢ : ٣)

(د) فى صلته بكليهما معاً فى ثلاث درجات :

١٥ لذلك أنا أيضاً

(١) الدرجة الأولى . فى إقامة المؤمن روحياً مع المسيح (٢ : ٥)

(٢) الدرجة الثانية . فى إصعاده روحياً مع المسيح (٢ : ٦)

(٣) الدرجة الثالثة : فى إعداده له برنامجاً للسلوك (٢ : ٧ — ١٠)

صلاة الرسول بولس لأجل المكتوب إليهم (١ : ١٥ — ٢٣)

عدد ١٥ . (١) المناسبة التى دعت إلى هذه الصلاة : (١ : ١٥)

« لذلك » — هذه الكلمة بمثابة حلقة اتصال بين الفصل السابق والفصل اللاحق . فهى ترجع بنا إلى قول الرسول للمكتوب إليهم : « إذ سمعتم كلمة الحق — إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضا إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس » ... « لذلك أنا أيضاً » — باعتبار كونى واحداً من الذين يهمهم أمركم ، ومن باب أولى ، أنا أفرح بتقدمكم فى الحياة الروحية سيما لأنى بشيركم — « فإذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين » — فاض قلبى « بالشكر لله من أجلكم » — ولأنى أطلب لكم المزيد من كل خير روحى ، لم أكتف بالشكر . بل توجت شكرى لأجلكم ، « بذكرى إياكم فى صلواتى » لأنكم أنتم — وعلى الأخص الأمميين منكم — ثمرة خدمتى بينكم (٣:١ــ١٣).

من هذا نرى أن المناسبة التى دعت بولس إلى شكر الله والصلاة إليه من أجل المكتوب إليهم ، هى سماعه بثمرتين ناضجتين جادت بهما شجرة حياتهم — الثمرة الاولى : تربطهم بمن فى السماء — وهى : فى « إيمانهم بالرب يسوع » . إن حرف الجر المترجم إلى العربية « ب » هو فى الأصل اليونانى

إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين

«فى» . ويقول إليكوت فى تفسيره : إن الفرق بين الإيمان فى المسيح » ، وبين «الإيمان بالمسيح»، هو أن الإيمان فى المسيح يرتكز على المسيح ثم يوجه إلى الآب — فالمسيح عماده . والإيمان بالمسيح موجه إلى المسيح نفسه . فالمسيح موضوعه . إن قول الرسول : «سمعت بإيمانكم» هو تعبير مجازى عن عمل إيمانهم . لأن الإيمان في ذاته معنوى ، خفى ، باطنى لا يُرى ، ولا يُسمع ، ولا يُلمس . لكن ثماره هى التى تُرى . أن كلام الرسول هنا يماثله قول كاتب سفر الأعمال: « . . . الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح».

استنتج بعضهم من القول : «سمعت بإيمانكم » أن الرسول لم يكن قد رأى المكتوب إليهم بعد، وأن معرفته بهم، كانت معرفة سماعية. لكنَّ هذه العبارة لا تفرض هذا المعنى بالضرورة، لأن الرسول كتب مثل هذه العبارة إلى فليمون الذى لم يكن فقط معروفاً لديه بالذات ، بل كان ابناً روحياً له (فليمون ٥و١٩) .

أما الثمرة الثانية التى بلغت بولس ، فهى : « محبتهم نحو جميع القديسين » — هذه هى الرابطة التى تربطهم بمن فى الأرض . إن محبتهم لجميع القديسين هى وليدة إيمانهم المشترك بالمسيح الواحد، الذى أحبهم وبذل نفسه لأجلهم . وهى تختلف عن محبتهم لجميع الناس، فى أن أولا هما هى محبة الاعزاز والألفة والمصاحبة، لكن الثانية هى محبة المسالمة، والمحاسنة والمجاملة .

١٦ لاأزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم

عــدد ١٦ | (٢) العنصران اللذان تتألف منهما صلاة الرسول (١٦:١).

تتألف صلاة الرسول لأجل المكتوب اليهم من عنصرين :

— ا — أولها : الشكر المستمر : « لاأزال شاكراً لأجلكم »

هذه الكلمات القليلة تنم عن قلب الرسول الطيب، الذى يجد موضوعاً للشكر فى كل شخص ، مهما يكن ضعيفاً ، وعن عينه الصافية التى ترى جمالاً فى كل شخص مهما يكن قبيحاً دميماً . ذو القلب الخبيث يتجسس على أخلاق الناس ، عله يعثر على هفوة ، ليتهمهم فى صلاحهم ويتشكك فى إخلاصهم ، وذو العين الشريرة يحوّل وجهه عن الشمس المشرقة ليفتش عن كتفة غيم، ويتناسى أزهار الربيع اليانعة ليفتش عن أوراق الخريف الصفراء .. أما بولس فقد كان قلبه ونظره من طراز آخر. لأن المكتوب إليهم الذين كانوا موضوع شكره ، لم يكونوا «قديسين» بالمعنى الكمالى المفهوم من هذه الكلمة ، بل كانوا محاطين بضعفات كثيرة ، وربما كانت ضعفاتهم أكثر بكثير من صلاحهم . فظلمات الأوهام الوثنية مازالت عالقة بهم، وجانب غير يسير من بقايا خفايا الخزى لم يزل يحف بهم . ولكن على الرغم من ذلك، كتب إليهم الرسول قائلاً : «لاأزال شاكراً لأجلكم». ويكفى المرء أن يلقى نظرة عاجلة على ماجاء فى الآيات المذكورة بعد ، ليتبين حقيقة حال المكتوب إليهم (٢٢:٤ و٢٥ و٢٨ و٢٩ و٣١ و٥ :٣ — ٦) .

— ب — ثانيهما : الذكر المتوالى : « لا أزال ... ذاكراً إياكم فى

في صلواتي ١٧ كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح

صلواتي» . ومما يسترعي الالتفات أن الرسول بولس يقرن الصلاة بالشكر في مقدمات كل رسائله — ماعدا رسالتي غلاطية وكورنثوس الأولى، لأنهما مفعمتان تعنيفاً (انظر رومية ١ :٨، فيلبي ١ :٣، كولوسي ١ :٣، ١ تسالونيكي ١ :٢، ١٣:٢، ٢ تسالونيكي ١ :٣، ٢: ١٣، فليمون ٤) .

جميل بكل منا، أن يقتدي بالرسول في صلواته وتشكراته، فهي خير مثال للصلاة الفعالة، والشكر الجميل .

عـدد ١٧ | (٣) الذات العلية التي رفع إليها الرسول صلاته: (١ :١٧)

هذا وصف مزدوج للاله الحي :

— ١ — جانبه الأول : « إله ربنا يسوع المسيح »

— ب — جانبه الثاني : « أبو المجد »

— ا — الجانب الأول: « إله ربنا يسوع المسيح » . هذا الوصف مؤيد لقول المسيح على الصليب: « إلهي إلهي لماذا تركتني» (متى ٢٧ :٤٦)، ومطابق لقوله بعد القيامة: «... إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠ :١٧) . ويتضح لنا من هذه الأقوال مجتمعة معاً، إن الآب هو إله الابن المتجسد باعتبار كونه فادياً جاء أرضنا ليموت من أجل خطايانا، وليقوم لأجل تبريرنا . فالرسول خاطب الآب بهذه الصفة بمناسبة كلامه — في الأعداد التالية — عن موت الفادي وقيامته . لأنه بديهي أن الإله لا يموت وبالتالي لا يقوم. لكن المسيح مات وقام، باعتبار كونه الفادي المتجسد.

أبو المجد

ولئلا يتطرق إلى ذهن أحد، أى خاطر ينتقص من جلال لاهوت المسيح ، بسبب هذه العبارة، أردفها الرسول بقوله: «ربنا يسوع المسيح». هذا دليل آخر على أن لاهوت المسيح غير منفصل عن ناسوته .

« إله ربنا يسوع المسيح»! تنطوى هذه العبارة على معنى آخر — هو أن الإله الذى صلى إليه بولس ، وإياه نحن نعبد ، هو الإله الذى أظهر لنا وأعلن لنا فى شخص ربنا يسوع المسيح . من أجل ذلك قال فيه بولس الرسول : إليه« ربنا يسوع المسيح» . هذا مؤيد لقول المسيح « لذى رآنى فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ :٩) .

ب — الجانب الثانى من هذا الوصف : « أبو المجد » . أن إلهنا ليس فقط «إلهاً مجيداً» بل هو «أبو المجد» — أى أنه هو نبع المجد، وملك المجد . ورب المجد ، وواهب المجد . فكل ما فى الأرض أو فى السماء من مجد ، ليس سوى شعاعة من نور مجده : « ربنا يسوع المسيح رب المجد» (يعقوب ٢ :١) . ولا شك أن فى مشاركة المسيح للآب فى هذا الوصف الجليل، دليلاً على أن المسيح إله بغير نزاع .

« إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد » — ألا يتبين لنا من خلال هذه الكلمات أن المسيح هو «الشكينا » الحقيقى الذى فيه ظهر مجد الله وجلاله، بأفضل مما ظهر فى « نار الشكينا » الرمزية فى العهد القديم ؟ ! !

إن وصف الرسول بولس لله بالقول : « أبو المجد » يذكرنا بأوصاف

روح الحكمة والإعلان

أخرى شبيهة له : «أبو الرأفة» (٢ كو ١: ٣) ، «إله المجد» (أعمال ٧: ٢) ، «رب المجد» (١ كو ٢: ٨) .

(٤) الغاية التي يرمي إليها بولس في صلاته : (١: ١٧—١٩)

في هذه الأعداد الثلاثة تتجلى لنا غايتان كان يرمي إليها بولس الرسول في صلاته ـ ا ـ الغاية الأولى إعدادية ـ ب ـ والغاية الثانية نهائية : الغاية الأولى ممهدة للثانية ، ومُعدة لها . والغاية الثانية مكملة للاولى ومتممة لها

—ا— الغاية الأولى مؤلفة من جانبين— الأول منشىء ومسبب للجانب الثاني ، والثاني ثمرة ونتيجة للأول

الجانب الأول ظاهر في قوله : «كي يعطيكم . . روح الحكمة والإعلان في معرفته» . والجانب الثاني بين في قوله : «مستنيرة عيون أذهانكم»

(١) الجانب الأول في الغاية الأولى : «كي يعطيكم .. روح الحكمة والإعلان في معرفته» تذكرنا هذه الكلمات بوعد المسيح لتلاميذه : «فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لوقا ١١: ١٣) . هذا هو الروح القدس بعينه — لا مجرد قوة منه ، ولا أي تأثير منه ، بل هو الروح نفسه — «روح الحكمة والإعلان» . لم يكتف الرسول بأن طلب لهم الحكمة التي يهبها الروح — كما فعل سليمان — بل طلب لهم الروح الذي يهب الحكمة — حسب وعد رب سليمان . لم يقنع الرسول بالثمر ، مادام في إمكانه أن يحصل على أصل الثمر . ولم يقف عند حد

طلب كأس ماء من نبع ، مادام في إمكانه أن يصل إلى النبع نفسه . حقاً إنه لرسول عظيم ، فهو عظيم في كتاباته ، عظيم في طلباته . لأنه لم يطلب للمكتوب إليهم بركات الجسد ، مع علمه بحسيس حاجتهم إلى الماديات ، بل طلب لهم بركات الروح — لا بل روح كل البركات ، الذي منه تنحدر كل حكمة ، ويهبط كل إعلان ، كما وعد المسيح تلاميذه قائلا : «أما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم» (يوحنا ١٤: ٢٦).

«روح الحكمة والإعلان» — إن «روح الحكمة» يهب المؤمنين ذوقاً سماويا ليميزوا به الأمور المتخالفة في الحقائق المعلنة لهم. و «روح الإعلان» يكشف لهم القناع عما خفي عنهم من أسرار ملكوت السموات : «إنه بإعلان عرفني بالسر» (٣: ٣). إن «روح الحكمة والإعلان» هو روح واحد، له عمل مزدوج بالنسبة لحاجة المؤمنين- فهو يمنحهم الحكمة ليتفهموا ماعندهم من معلنات، ويفتح أمامهم باباً جديداً لمعلنات جديدة، ليزدادوا تقدماً من نور إلى نور ، ومن مجد إلى مجد . فالحكمة تكشف المعلنات، والمعلنات تغذي الحكمة .

إن مجال عمل «روح الحكمة والإعلان» قد بينه الرسول في قوله : «في معرفته — أي في معرفة الله ، معرفة شخصية اختبارية. هذه المعرفة ذات درجات متعاقبة — إحداها فوق الأخرى . فإذا مابلغ الإنسان أول درجة

١٨ مستنيرة عيون أذهانكم

منها ، أعلن له الله درجة أرقى منها ، وهكذا دواليك حتى يبلغ الإنسان «قياس قامة ملء المسيح» . بهذه المعرفة تبدأ بذرة الحياة الأبدية فى قلب المؤمن: «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته» (يو ١٧ : ٣) ، وبها أيضاً تنمو شجرة الحياة الأبدية فى جنة قلب الإنسان : «نامين فى معرفة الله» (كولوسى ١ : ١٠)

عدد ١٨ (٢) الجانب الثانى فى الغاية الأولى : «مستنيرة عيون أذهانكم» . هذه حالة ناتجة عن تمتع المؤمنين «بروح الحكمة والإعلان فى معرفة الله» . «مستنيرة عيون أذهانكم» — هذه هى الإنارة الروحية الباطنة التى تصل إلى القلب عن طريق «عيون الأذهان» الروحية ، مثلما تصل معرفة المرئيات الحسية إلى الذهن الطبيعى ، عن طريق «عيون الأجساد» . لقد شبـّه الرسول «الأذهان» بأجساد ذات «عيون» ترى المرئيات الروحية ، مثلما ترى عيون الأجساد المرئيات الحسية . وكما أن العيون الجسدية يلزمها نور طبيعى لترى به المرئيات ، كذلك تحتاج «عيون الأذهان» إلى نور «روح الحكمة والإعلان» لتستنير به فى معرفة الحق الإلهى بل فى معرفة الإله الحى الحقيقى .

من هذا يتبين لنا أن الإنارة الإلهية ليست مجرد علم طبيعى ، وإنما هى معرفة باطنية تصل إلى العقل فتصير علماً ، ثم تهبط منه إلى القلب والعاطفة فتضحى إحساساً حياً ، ثم تصل منه إلى الإرادة فتصبح قوة فعالة فى حياة

الإنسان المتجدد. فلنتنبّه إلى عيون أذهاننا، ولنحرص على أن تكون بسيطة على الدوام: سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذي فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون» (متى ٦: ٢٢و٢٣).

—ب— الغاية الثانية — الغاية القصوى والكمالية في صلاة بولس:

«لتعلموا ...». هذه هي الغاية القصوى التي كان يرمي إليها الرسول في صلاته، وهي تعتبر الغاية النهائية. أما الغاية الأولى الإعدادية، فإنما هي وسيلة لهذه الغاية. فالمؤمنون يعطَون روح الحكمة والإعلان لتستنير عيون أذهانهم. وما استنارة عيون أذهانهم إلا وسيلة بها يعرفون.

ومع أنهم عرفوا هذه الأشياء أو جلها منذ إيمانهم، إلا أن الرسول طلب لهم المزيد من المعرفة الاختبارية. فهو لا يطلب لهم معرفة جديدة في نوعها، بل درجة جديدة من هذه المعرفة.

ذكر الرسول ثلاث حقائق، كموضوع لهذه المعرفة: **الأولى** تتناول الماضي. والثانية تشير إلى المستقبل. والثالثة تنصب على الحاضر - فهذه المعرفة المثلثة تُلم بكل تاريخ الفداء:

(١) الحقيقة **الأولى** — تتناول **الماضي**: «لتعلموا ما هو رجاء دعوته».

لم يقل الرسول: «ما هو رجاء دعوتنا» أي «دعوة الله لنا»، بل قصد ما هو أعمّ — «رجاء دعوته». إن نسبة «دعوته» إلى «دعوتنا»، كنسبة الكل

رجاء دعوته

إلى أحد أجزائه . فالدعوة المقصودة هنا ، هي «دعوة الله» بأوسع معانيها ، وأقصى حدودها الغير المحدودة . وهي تتضمن كل البرنامج الفدائي الذي دبره الله للمؤمنين كمجموع . وهي تنم عن قصد الله في حياة كل مؤمن بالذات ، كما قال بولس في رسالة أخرى : « أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا» (فيلبي ٣ : ١٤) . والفرق بين كلام بولس في رسالة فيلبي ، وكلامه في هذه الرسالة ، هو أنه في رسالة فيلبي تكلم عن «جعالة دعوة الله» . وهنا تكلم عن «رجاء دعوة الله» . إن «رجاء دعوة الله» ، هو ذلك الأمل اليقيني الذي تولده هذه الدعوة في قلب المؤمن . وهو بلا شك رجاء وطيد ، لأنه مبني على إرادة الله ، وشرفه ، وصدق مواعيده ، لا على مجرد أماني البشر وأشواقهم : «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كورنثوس ١ : ٩) . ومن المحقق أن الله الذي دعانا إلى جعالته العليا ، يمنحنا أيضاً قدرة نبلغ بها أمجاد هذه الجعالة التي دعانا إليها ، ورتبها لنا . فهو يسعدنا بما أعده لنا . ويمدنا لما وعدنا به . «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً» (١ تسالونيكي ٥ : ٢٤) .

هذه هي الدعوة الفعالة التي تنجز ماتعد لأنها « تعمل في البشر أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرة» (فيلبي ٢ : ١٤) .

أما الرجاء الذي تولده هذه الدعوة الإلهية ، في قلب الإنسان ، فقد وُصف في الكتاب بعدة أوصاف : «الرجاء المبارك » (تيطس ٢ : ١٣) ، «رجاء قيامة الأموات» (أعمال ٢٣ : ٦) ، «رجاء بالله» (أعمال ٢٤ : ١٥) ،

وماهو غنى مجد ميراثه

«الرجاء المخلص»، «الرجاء الغير المنظور» (رومية٨:٢٤)، «الرجاء الحى» (١ بطرس ١:٣)، «الرجاء الموضوع لنا فى السموات» (كولوسى ١:٥)، «رجاء المجد» (كولوسى١:٢٧)، «رجاء الخلاص» (أفسس ٥:٨).

فما أمجد هذه الحقيقة، وما أوسع مداها. فاذا كانت الدعوة ترجع بنا إلى قصد الله فى الماضى، فإن رجاءها يمتد بنا إلى وقت «استعلان أبناء الله» عند «ظهور ربنا يسوع المسيح» (رومية ٨:١٩، ١ يوحنا ٣:٢).

(٢) الحقيقة الثانية — تشير إلى المستقبل: «وماهو غنى مجد ميراثه فى القديسين». غالباً لم يقصد الرسول فى قوله هذا، ميراث القديسين فى الله — مع أن هذا أمر هام (رومية٨:١٧). لكنه يرمى إلى ماهو أهم — ميراث الله فى القديسين. وأى شىء فى القديسين يستحق أن يكون ميراثاً لله ؟!؟ أمام جلال هذه الحقائق وسموها، يضع المفسر قلمه جانباً، ويجلس صامتاً، مأخوذاً بجلال هذه الحقائق، متعجباً من سموها، وفى تعجبه يعجب وفى إعجابه يشكر، وفى شكره يتعبد! هذه هى الحقيقة التى أعلنت للأمة الإسرائيلية قديماً: «إن قسم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه» (تث٣٢: ٩ و١٠) «وأنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكى تكونوا له شعب ميراث كما فى هذا اليوم»، (تث ٤ : ٢٠) «هم شعبك وميراثك الذى أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة» (تث٩:٢٩)، «خلص شعبك وبارك ميراثك» (مزمور٢٨:٩)، «من خلف المرضعات أتى به ليرعى يعقوب شعبه واسرائيل ميراثه» (مزمور ٧٨:٧١). «فالآن إن

فى القديسين . ١٩ وماهى

سمعتم صوتى ، وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة» (خروج ١٩ :٥) .

إن كلمة : « ميراثه » كما وردت فى العهد الجديد باليونانية ، وفى العهد القديم بالعبرانية ، لاتعنى أكثر من كلمة « نصيب» على اعتبار أن المؤمنين هم «خاصة الله» . أما مجد ميراث الله فى القديسين فهو تلك القداسة المجيدة، الناضجة، المكتملة ، التى يستمتع بها المؤمنون عند استعلان يسوع المسيح. ولعل هذا ما أراده الرسول بقوله : «حرية مجد أولاد الله» (رومية ٨ :١١) إذ يكونون حينئذ : «قديسين ، وبلالوم قدامه فى المحبة» .

أما غنى هذا المجد، فهو الكمال، والملء، والوفرة، التى يفيض بها هذا المجد

تذكرنا كلمة ، «غنى مجد » كما جاءت فى هذا العدد ، بتلك الكلمة التى وردت فى العدد السابع — «غنى نعمته» . وما الفرق بين النعمة والمجد، سوى أن النعمة هى المجد فى البزرة، والمجد هو النعمة فى البلوغ .

«غنى مجد ميراثه فى القديسين» — هذه العبارة تعنى بكلمة أوضح : غنى مجد ميراث الله كما سيظهر ويتجلى أخيراً فى القديسين . أو كما قال الأسقف موليه — إنها تعنى : «غنى مجد إسرائيل الجديد فى كنعان الجديد كما سيتجلى أخيراً فى القديسين» .

عدد ١٩ | (٣) الحقيقة الثالثة — تنصب على الحاضر : «وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين » . جميل بالرسول أنه طلب لأجل المكتوب إليهم ، أن يعرفوا «دعوة الله» ، و«غنى مجد ميراث الله »

عظمة قدرته الفائقة نحونا

و «عظمة قدرة الله الفائقة» . ولكن أجمل منه ، إنه أرادهم أن يعرفوا كل هذه الأشياء فى صلتها بنا نحن المؤمنين . فاذا كانت هذه كلها عظيمة فى ذاتها ، فإن عظمتها فى نظرنا متى عرفناها فى صلتها بنا . وبما أن الرسول قد أشار فى العبارة السابقة إلى « مجد ميراث الله فى القديسين » فى المستقبل العتيد ، فمن الطبيعى أن يحدثنا عن عظمة قدرة الله الفائقة التى تعمل فى قلوبنا فى الزمن الحاضر ، لتعدّنا لذلك « المجد العتيد » .

« عظمة قدرته الفائقة » — ثلاث كلمات تسند إحداها الأخرى ، كما تتساند الأحجار فى البنيان المرصوص ، فيشد بعضها بعضاً . إن قدرة الله فائقة ، لأنها خارقة لكل النواميس الطبيعية ، فهى تتعدّى كل التقديرات البشرية ، وتتحدّى كل العوامل المنظورة ، لأنها تعمل فى الدائرة الروحية الغير المنظورة فهى لذلك عظيمة — فائقة فى العظمة . لذلك اضطر الرسول أن يضيف كلمة إلى كلمة ، لعلّ فى تراكم هذه الكلمات وتجمعها ما يعبر عما يجيش فى قلبه الكبير من عظمة قدرة الله الفائقة نحونا ، التى لم يعرف منها هو سوى « البعض » (١ كو ١٣ : ٩) ، ويريدهم هم أن يعرفوا منها درجة تلو درجة إلى ان تغمرهم هذه المعرفة ، وتملك عليهم مشاعرهم ، وتوجّههم فى حياتهم العملية أحسن توجيه

ومما يظهر عظمة شدة قوة الله الفائقة ، أنها قوة مختبرة ، فقد ظهر عملها فى من هو أعظم منّا ، بل فى من لا تجوز مقارنتنا به — ربنا يسوع المسيح — إذ أقامه الله من الأموات ، وأجلسه عن يمين العظمة فى السماويات فوق كل

نحن المؤمنين حسب عمل

رياسة ، وسلطان ، وقوة ، وسيادة ، وكل اسم .. وأخضع كل شيء تحت قدميه . وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ...» . هذا هو «المقياس المدرج» الذى به تقاس قوة الله التى تفوق كل قياس . وقد لاحظ الدكتور روبنسون أن كلمة « قوة » التى وردت فى هذا العدد ، قصرت فى العهد الجديد على التعبير عن القوة الإلهية ، ولم يعبر بها قط عن القوة البشرية ، كذلك الأمر فى كلمتى «عمل» .. «وعمله» ، فإن بولس لم يستعملها إلا فى التعبير عن عمل الله .

إن ما عملته هذه القوة الإلهية فى المسيح ، إن هو إلا قياس لما تعمله فى الحال ، وستعمله فى الاستقبال ، فى الكنيسه التى هى جسد المسيح . لأن ما يعمل بالرأس هو عربون ، ومثال ، ونموذج ، علة ، وحجة ، لما يعمل بالجسد .

ما أعظم القدرة المجيدة التى تسلمت المسيح جريحاً ، مصلوباً ، مماتاً ، ومدفوناً فى القبر المظلم المختوم ، فأقامته من الأموات ، وأجلسته عن يمين العظمة وأخضعت كل شيء تحت قدميه ... وإياه جعلت رأساً فوق كل شيء» !! إن هذه القوة بعينها ، هى التى وجهها الله نحونا نحن المؤمنين «فأحيانا بهامع المسيح ، وأقامنا معه ، وأجلسنا معه فى السماويات» . لأن الشرف الذى يحظى به الرأس هو نصيب الجسد أيضاً . فكما اشتركنا معه فى آلامه ومحنته ، نشترك معه فى قيامه ورفعته .

إذا أضفنا إلى هذا الفصل ما جاء فى فيلبى ٢ : ٦ — ١١ وكولوسى ١ : ١٤ — ١٩ تكونت لدينا فكرة واضحة جلية عن عقيدة بولس الرسول فى

شدة قوته

لاهوت المسيح ، وهى بلا شك عقيدة المسيحية بأسرها . فى هذه الثلاثة الفصول سالفة الذكر، تكلم الرسول عن جوهر لاهوت المسيح، و بنوته الأزلية، ويده العاملة فى الخلق ، وسيادته على الأكوان ، وتطوعه للتجسد والهوان، وموته الكفارى ، وقيامته المجيدة ، وصعوده ، وجلوسه عن يمين العظمة فى الأعالى ، ورياسته على الكنيسة ، وإيداع روحه القدوس فى كنيسته التى اقتناها بدمه الثمين.

ذكر الرسول فى هذه الأعداد ، أربع كلمات رئيسية ، هى فى حقيقتها أربع درجات فى سلم رفعة المسيح : « أقامه » ، « أجلسه » ، « أخضع » ، « جعل » . وكل درجة منها ممهدة لما بعدها ، ومتوجة لما قبلها. فالدرجة الأولى: «أقامه» — تشير إلى خروج المسيح من القبر ناقضاً أوجاع الموت، كاسراً شوكته ، ظافراً بقوات الجحيم .والدرجة الثانية: «أجلسه» — تشير إلى صعود المسيح ، وجلوسه على عرش الملك والعظمة ، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا . والدرجة الثالثة : «أخضع كل شىء تحت قدميه» — تشير إلى سلطان سيادته ، وسيادة سلطانه ، باعتبار كونه مسيح الله الملك الذى تقلد سلطان ملكه بآلام صليبه ، لا بأسنة حرابه. فأعطى السيادة والحكم على كل سلطة فى العالم الخارجى — فوق جميع الأعادى. والدرجة الرابعة: «إياه جعل رأساً» — تشير إلى رياسته على الكنيسة التى هى ملكوته الغير المنظور الجامع كل المؤمنين .

٢٠ الذى عمله فى المسيح إذ أقامه

عدد ٢٠ | فى هذا العدد ذُكرت درجتان فى سلم رفعة المسيح :

الأولى قيامة المسيح من الأموات: «إذ أقامه من الأموات». إن قيامة المسيح هى الحجر المركزى فى صرح البشارة المسيحية، وهى الامتياز الخاص الذى بزت به المسيحية سائر الأديان، وهى سر نصرتنا على الحياة والموت، وهى حجة يقيننا بالخلود، وهى برهان قبول ذبيحة المسيح الكفارية.

إن قيامة المسيح حقيقة تاريخية ثابتة، لن ينال البطل منها مهما تألبت عليها قواته، لأن سحابة عظمى من شهود الحق مكتنفة إياها. فالحياة السامية الفائقة التى قضاها المسيح على الأرض. كان يجب أن تتوّج بنصرته الفائقة على الموت. إن معجزة حياته هى حجة معجزة قيامته، إذ فيه وحده تمت هذه الحقيقة: «علو فى الحياة وفى الممات»! الموت ختام لكل حياة خاطئة، لأن «أجرة الخطية هى موت». لكن الحياة الوحيدة التى لم تصل الخطية إلى ناحية من نواحيها هى حياة رب الحياة، لأن الموت لم يستطع إلى النيل منها سبيلاً.

وأقوال المسيح مؤيدة لقيامته. أليس هو القائل «لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها. هذه الوصية قبلتها من أبى»؟ (يو ١٠ : ١٧) «انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه» ؟ (يو ٢ : ١٩).

ناهيك عن شهادة القبر الفارغ الذى ختمه الأعداء. فختموا شهادته. وظهور المسيح لتلاميذه فى خلال الأربعين يوماً التالية لقيامته، وإحجام التلاميذ، الذى استحال بعد قيامة سيدهم إقداماً، ويأسهم الذى انقلب بأساً،

من الأموات

وإبدال السبت اليهودي بالأحد المسيحي ، وقيام الكنيسة المسيحية برسلها الإثنى عشر . كل هذه سحابة شهود مؤيدة لحقيقة القيامة.

هذه هي الحقيقة التاريخية التي جعل منها الرسول قوة روحية في حياة المؤمن الفرد، وفي حياة الكنيسة كمجموع. فمثلما أقيم الرأس، أقيم معه الجسد وكما أن الرأس حي كذلك جسده أيضاً حي: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . إهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد » (كولوسي ٣ : ١—٣).

« إذ أقامه من الأموات» — هذا هو عمل شدة قوة الله معلناً نصرة المسيح على الموت ، وتحرره من عقاب الخطية ، وكمال عمله الفدائي.

ولا يبرح عن أذهاننا أنه وإن كانت قيامة المسيح تُعزى هنا، وفي بعض مواضع أخرى ، إلى عمل قوة الله الآب ، إلا أنها تُعزى أيضاً إلى قوة المسيح نفسه : «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها» (يو ١٠ : ١٧ و١٨). « انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو ٢ : ١٩) . فحينما يراد التعبير عن رضى الله الآب عن ذبيحة المسيح الكفارية ، تنسب قيامة الفادي إلى عمل قوة الآب . وفيما إذا قُصد التعبير عن قوة المسيح الإلهية وتطوعه للموت الفدائي حراً مختاراً ، عُزيت قيامته إلى عمل قوته الخاصة باعتبار كونه رب الموت والحياة . وإذا ما قُصد التعبير عن نصيب الروح القدس في عمل الفداء، نُسبت إليه قيامة المسيح (رو ١ : ٤، ١ بطر ٣ : ١٨ ، رو ٨ : ١١)

وأجلسه عن يمينه فى السماويات

الدرجة الثانية : جلوس المسيح على عرش الملك والعظمة

«وأجلسه عن يمينه فى السماويات». هذه العبارة تفترض صعود المسيح الذى تكلم عنه الرسل والبشيرون مراراً وتكراراً (مرقس ١٦ : ١٩ ، لوقا ٢٤ : ٥١ ، أعمال ١ : ٢ و ٩ و ٢ : ٣٣ و ٣ : ١٩ و ٢٠ و ٥ : ٣١ ، ٧ : ٥٥ ، رومية ٨ : ٣٤ ، ١ كو ١٥ : ٢٥ ، فيلبى ٢ : ٩ ، ١ بطرس ٣ : ٢٢ ، رؤيا ٣ : ٢١ و ٥ : ٦)

«عن يمينه» — هذه عبارة مجازية لا تشير إلى مكان معين ، بل إلى حالة ممتازة رفيعة . وهى تعنى جلوس المسيح في عرش الله (رؤيا ٣ : ٢١) لا مجرد قربه من العرش ولا تقدمه أمام العرش . كان المسيح قبل التجسد « عند الآب » (يو ١ : ١) ، « وفى حضن الآب» (يو ١ : ١٨) ، وبعد أن أكمل عملية الفداء ، عاد إلى مقامه الأول ، فاستوى على العرش . فقد تمثل الخلائق أمام عرش الله لكن المسيح ليس واحداً منها ، ولذلك فهو على العرش ليحكم ، ويدين (عبرانيين ١ : ١٣ ، زكريا ٦ : ١٣ ، مزمور ١١٠ : ١ و ٤).

« والجلوس عن اليمين » يرمز أيضاً إلى مقام الشرف والاقتدار ، والعظمة والإجلال ، وهو يشير أيضاً إلى ارتياح المسيح بعد إتمامه عملية الفداء : « وأما هذا فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله» (عب ١٠ : ١٢) . بعد أن أتم الخالق عملية الخلق ، استراح فاستوى على العرش ، كذلك بعد أن أكمل الفادى عمل الفداء ، استراح فاستوى على العرش.

أما مقر عرش المسيح ، فقد بيَّنه الرسول فى قوله : «فى السماويات ».
ولقد سبقنا فشرحنا هذه العبارة فى العدد الثالث من هذا الأصحاح حيث

٢١ فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة

وردت لأول مرة : وهى الدائرة السماوية التى فيها يظهر مجده وسيادته ، وملكه . وهى مقام ، ومكان فيه يحل المسيح بجسده المقام الممجد. لأن وجود جسد يفترض وجود مكان يحل فيه هذا الجسد ، ولو أننا نعجز عن إدراك كنهه وسبر غوره .

| عدد ٢١ | مقياس سمو عرش المسيح «فوق كل رياسة ، وسلطان ، وقوة وسيادة، واسم » . أمامنا خمس كلمات متجمع بعضها فوق بعض ، بفضل غنى أسلوب الرسول الخصيب ، لتعطينا فكرة — ولو ضئيلة — عن مقياس سمو عرش المسيح، وسيادته المطلقة، وهى تضم بين دفتيها كل حكومات البشر وسيادتهم ، وكل درجات الملائكة الأخيار وسلطتهم ،وكل سيادات الملائكة الأشرار وإماراتهم — سواء فيها المعلوم والمجهول، ما يخطر لبالنا نحن البشر وما لا يخطر لنا ببال . فعرش المسيح فوق كل هذه الرياسات بمراحل تتعدى كل حصر وتتحدى كل قياس . ومتى ذكرنا أن طائفة الغنوسيين التى كانت معاصرة لبولس الرسول ، خلعت على الملائكة سلطاناً ليس لهم ، وأوصت الناس بعبادتهم من دون الله ، جاز لنا أن نعتقد أن الرسول أضاف هذه الخمس الكلمات بعضها إلى بعض ليسحق بها عقيدة الغنوسيين ، ويطعنها فى الصميم.

ويقول كاندلش : إن الكلمتين الأوليين: « رياسة وسلطان» تشيران إلى ذوات حية عاقلة من طغمة الملائكة ، أمثال تلك التى ورد ذكرها فى

وكل اسم يسمَّى ليس فى هذا الدهر فقط

دانيال ١٠ : ١٣ و ٢٠ و ٢١ ، تثنيه ٣٢ : ٨ — حسب نص الترجمة السبعينية . وأن الكلمة : «قوة» تشير إلى السلطة المنظمة كما في جيش مستوفى النظم. وأن كلمة : « سيادة » تعنى القوة المعنوية التى تحفّ بهذه الجيوش ، وبها تبسط سلطانها ونفوذها.

استنتج بعض مفسرى القرون الوسطى ، من هذه الآية مضافاً إليها ماجاء فى كولوسى ١ : ١٦ ، أن للملائكة تسع درجات متفاوتة . وارتأى البعض الآخر أن للملائكة ثلاث رتب رئيسية . فى كل رتبة منها ثلاث درجات متفاوتة . على أن هذه الأقوال — كدنا نقول الأقاويل — لا تتعدى حدود الحدس والتخمين .

يلوح لنا أن بولس أراد أن يتحدى الأجيال، بسلطان المسيح المطلَق، فقال : «فوق كل . . . وكل اسم يسمى ، ليس فى هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً» . إن كلامه هنا يذكرنا بقوله فى فيلبى: «لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (فيلبى ٢ : ٩ — ١١). ويراد بـ« كل اسم »هنا ، كل ذات، أو لقب، أو مقام، أو شرف، أو سلطان. ولكى يؤكد الرسول أن رفعة المسيح أبدية خالدة ، قال : «ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً».

فما أعجب هذه الرفعة المجيدة التى امتاز بها الناصرى الذى وُلد فقيراً وعاش فقيراً ، ومات فى زمرة الفقراء ، بل مات كما يموت المجرمون، معلقاً

بل فى المستقبل أيضاً . ٢٢ وأخضع كل شىء تحت قدميه

على صليب العار والهوان !!! إن هذه الإعلانات الجليلة السامية تبهر عيوننا بوهج ضيائها فتكاد تصبح كعينى بولس وقت تجديده « إذ كان مفتوح العينين لا يبصر أحداً » (أعمال ٩: ٧) . فعرش المسيح متعال جداً فوق كل سلطان، حقيقاً كان أم غير حقيقى ، صالحاً كان أم طالحاً، كائناً فى الحال أم سوف يكون فى الاستقبال .

عدد ٢٢ | **الدرجة الثالثة : إخضاع كل شىء تحت قدمى المسيح** : « وأخضع كل شىء تحت قدميه » وهكذا تم لفادى البشرية، ذلك النصيب الأكمل الذى أراده الله للإنسان الكامل ، فقصر دونه الإنسان الساقط . وهذا يتضح جلياً من ربط ثلاث آيات معاً ربطاً متماسكاً كثلاث حلقات فى سلسلة واحدة : الآية الأولى : « وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها» (تكوين ١ :٢٨) . الآية الثانية: «فمن هو الإنسان ... جعلت كل شىء تحت قدميه» (مزمور ٨: ٤و٦). الآية الثالثة: «على أننا لسنا نرى الكل بعد مخضعاً له . ولكن يسوع الذى وضع قليلا — أى إلى حين — عن الملائكة نراه مكللا بالمجد والكرامة» (عبرانيين ٢: ٦— ٩) .

فما فشل فيه آدم الأول ، فاز به آدم الثانى — المسيح . ولكى يبين الرسول مبلغ خضوع كل شىء وكل شخص تحت سلطان المسيح المطلق، عبر عنه تعبيراً قوياً، بقوله: « تحت قدميه» — هذا هو خضوع الإذلال والتعبد.

وإياه جعل رأساً فوق كل شيء

فاذا لم يكن المسيح إلهاً ، لست أدرى لمن غير الله يخضع كل شيء وكل شخص هذا الخضوع التام !!

«وأخضع كل شيء تحت قدميه» — بهذه العبارة يكتمل وصف رفعة المسيح وملكه ، على مثال ماوصفه به بولس فى ١ كو١٥: ٢٥— ٢٨ ، إذ أبان الرسول سيادة المسيح على الخطية والموت ، مثلما أبان فى العدد السابق سيادته على جميع الخلائق الحية العاقلة، فى السماويات فهى إذاً تكون حلقة اتصال بين سيادة المسيح على الخلائق الحية الموصوفة فى العبارات السابقة ، وبين رياسته على الكنيسة ، كما هى موصوفة فى العبارات اللاحقة .

الدرجة الرابعة : جعل المسيح رأساً..للكنيسة: وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة » .قدم الرسول كلمة« إياه »على كلمة «جعل» على سبيل التوكيد— فهى تعنى: إياه وحده دون سواه . وبهذه العبارة القوية كالسهم ، أبان أن فادينا المسيح المقام الممجد ، المتسلط على كل الكائنات المنظورة والغير المنظورة، والسائد على كل قوات الدهر الحاضر والدهور الآتية، قد أعطاه الله للكنيسة رأساً حياً محيياً . فما أجلّ مقام الكنيسة فى نظر الله. وما أعظم قدرها عنده !! فالكنيسة هى جسد المسيح وكل مجد ينا له الرأس، يكون للجسد نصيب وفير منه. فصيرورة المسيح رأساً فوق كل شيء يعود بالنفع الجزيل على الكنيسة لأنها تشاطره هذا المجد الرفيع. لأن هذا الكائن الحى الرفيع الشأن المتسلط على الكون بأسره، هو رأس الكنيسة .

هذا أول مرة نلتقى فيها بكلمة : « كنيسة » فى هذه الرسالة، وفيما بعد

للكنيسة

نلتقى بها ثمان مرات أخر(٣: ١٠و٢١، ٥: ٢٣ و ٢٤و٢٥و٢٧ و ٢٩ و ٣٢) ومعناها الحرفى « مَدعو من » العالم الساقط إلى اتحاد حيوى مع المسيح الممجد. وقدأشار اليها الرسول ضمناً فى كلمة «دعوته» (١: ١٨). وهى تعنى الجماعة المسيحية ، وتقابلها فى العبرية الكلمة المترجمة « الجامعة » ، فهى الجماعة الروحية التى آل إليها المجتمع اليهودى . فلا عجب إذا سُمى مجمع اليهود فى الوقت الحاضر : « الكنيس ».

« الكنيسة » هى «العروس امرأة الحمل» التى رآها يوحنا(رؤيا ٢١: ٩) هى الجماعة التى دعاها الله ، فبرّرها ومجدّها (رومية ٨: ٣٠) ، هى « كنيسة الأبكار» التى حدثنا عنها كاتب الرسالة إلى العبرانيين(عب ١٢ : ٢٣) ، هى «الجنس المختار، والكهنوت الملوكى، والأمة المقدسة ، وشعب الاقتناء» كما علمنا عنها بطرس الرسول(١ بطرس ٢: ٩). هى جسد المسيح السرّى. فالمسيح هو مصدر حياتها، وعلة كيانها، وأصل وجدانها. هو ملكها، ومحبها محبة الإنسان لجسده هو الموحى اليها بإرادته، المجرى فيها، وبها، وبواسطتها سلطان قدرته وقدرة سلطته. تمتاز صلته بها عن صلته بسائر المخلوقات، بهذه الرابطة الحيوية القوية التى عبّر عنها هو بقوله: « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » . فالأغصان تستمد عصارة حياتها من الكرمة، والكرمة تجود بثمارها بواسطة الأغصان.

وغير خاف أن مقام الرأس بالنسبة إلى الجسد فى هذه القرينة يختلف عنه فى ١ كورنثوس ١٢: ١٢ . هناك تكلم الرسول عن الرأس باعتبار كونه أحد

٢٣ التى هى جسده ملء

أعضاء الجسد ، وهنا تكلم عنه باعتبار كونه سيداً الجسد وحياة الجسد بل كل الجسد . هذا يوافق قوله فى ١ كو ١٢: ١٢ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد ، كذلك المسيح أيضاً» . فكما أن الكرمة تعنى الجذع والأغصان معاً ، كذلك المسيح هو الرأس والجسد معاً ، لأنه هو الكل فى الكل .

عدد ٢٣ | مقام الكنيسة بالنسبة إلى المسيح ومقام المسيح بالنسبة إلى الكون بأسره : استُعملت كلمة: «التى» فى غرة هذا العدد لتدل على أن ما بعدها حجة لما قبلها . فهى بمثابة قوله «لأنها هى» أى أن المسيح صار رأساً فوق كل شىء للكنيسة لأنها هى جسده . ملء الذى يملأ الكل فى الكل .

أوضح الرسول مقام الكنيسة بالنسبة إلى المسيح في **كلمتين :**

أولاهما : «جسده» — وهى تصف **الصلة** الحية المكينة التى تربط الكنيسة بالمسيح . فالجسد مرتبط ارتباطاً حياً بالرأس ، ويستمد منه حياته وإرادته ، ويخضع لكل إشارة منه ، وهو موضوع محبته .

والكلمة الثانية : «ملء» — هى بدلٌ من الكلمة الأولى «جسد» وهى تصف الوظيفة الحية التى تقوم بها الكنيسة فى نسبتها إلى المسيح .

إن كلمة «ملء» من مميزات رسائل بولس التى كتبها فى السجن ، سيما رسالته إلى كولوسى ، ورسالته هذه وهى قد تفيد : (١) الفاعلية — أى المالئة ،

أو المتممة ، على اعتبار أن الجسم متمم للرأس و به يعبر الرأس عن ميوله ، و يحقق آماله ، و ينفذ رغائبه ، و يجرى سلطانه . فكما أن الأغصان متممة للكرمة على اعتبار أنها تحمل ثمار الكرمة ، كذلك يعتبر الجسد متمما للرأس باعتبار كونه منفذاً إرادته ، و به يسير و يتحرك على الأرض ، و هو شريك آماله و آلامه . هذا يذكرنا بقول الرسول فى رسالة معاصرة لهذه «أكمل نقائص شدائد المسيح» (كو ١ : ٢٤) . فمع أن المسيح تحمل كل الآلام ، تامة غير ناقصة فى شىء ، فقال «قد أكمل» إلا أن بولس باعتبار كونه أحد أعضاء جسد المسيح ، له — بل عليه — أن يشاطر الرأس آلامه . فقال « أكمل نقائص شدائد المسيح فى جسدى» . و فى هذا يقول يوحنا الذهبى الفم : «كما أن ملء الرأس هو الجسد ، كذلك ملء الجسد هو الرأس »

و قد تفيد الكلمة «ملء» : (٢) «المفعولية» أى أن الكنيسة مملوءة من المسيح و قد وردت بهذا المعنى فى مرقس ٦ : ٤٣ فى قوله «اثنتى عشرة قفة مملوءة » (أنظر أيضا مرقس ٨ : ٢٠) ، و فى ١ كو ١٠ : ٢٦ « لأن للرب الأرض و ملأها» و فى كولوسى ١ : ١٩ «لأن فيه — فى المسيح — سر أن يحل كل الملء» (أنظر أيضا كولوسى ٢ : ٩) «فإنه فيه» — فى المسيح — « يحل كل ملء اللاهوت جسديا» . فكما أن ملء اللاهوت حل فى المسيح المتجسد ، كذلك ملء المسيح حل فى الكنيسة التى هى جسده . على أن ملء اللاهوت حل فى المسيح بغير حد و لا قياس ، لكن ملء المسيح يحل فى

فى الـكل

الـكنيسـة على قدر اتساعها وقابليتها . « افغر فاك فأملأه».

هذا المعنى الثانى مطابق لبقية الآية التى تظهر مقام المسيح بالنسبة إلى الـكون بأسره : «الذى» — أى المسيح «يملأ الـكل فى الـكل». فليس المسيح مالئاً الـكنيسة وحدها ، لـكنه أيضاً يملأ كل الـكون فى كل زمان ، وفى كل مكان ، بكل شىء ، إذ هو الـكل فى الـكل.

فالـكون من دونه «خرب وخال ، وعلى وجه غمره ظلمة»(تك ١:٢).

الأصحاح الثاني

في نهاية الأصحاح الماضي، رأينا المسيح ملكاً مقاماً مرفوعاً، ممجداً، متسلطاً على كل القوات الملائكية وغير الملائكية، في السماويات، مالئاً كنيسته بحياته وشخصه، منفذاً بها مشيئته، ومعلناً بواسطتها جلال مجد نعمته، ومالئاً كل الكون بجلال حضرته، وسلطان قوته. فهو مركز الدائرة في الكون بأسره «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته». هو علة «كل ما هو حق، وجليل، وعادل، وطاهر، ومسر» في الكون. هو حياة الكل وكل الحياة!

على أن رسول الأمم، لم يكتف بتبيان المجد الذي ناله المسيح رأسنا ورئيسنا الأعلى، بل أظهر أن المجد الذي تكلل به «الرأس» هو عين المجد الذي صار من نصيب «الجسد» — والقياس مع الفارق · لأن الجسد يشاطر الرأس آلامه وآماله. وما جسد المسيح إلا جماعة المؤمنين المفديين في كل أمة، وفي كل جيل. فكما أقيم المسيح بعد أن مات عن الخطية، كذلك أقمنا نحن أيضاً معه بعد أن كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا، وكما أجلس المسيح على عرش المجد، كذلك أجلسنا نحن أيضاً معه في السماويات. فعمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، قد عمله أيضاً في المؤمنين به من اليهود — و بولس الرسول واحد منهم — ومن الأمم، هؤلاء هم المعنيون بقوله: «..وأنتم». هذه هي عظمة قدرة الله الفائقة التي يريدهم الرسول أن يعرفوها (١ :١٩).

فلنستقبل هذا الفصل الجديد بروح الخشوع والتعبد. لأن الرسول لم

يكتب هذه الحقائق بقلم جاف ، كما لو كان محاضراً ، بل كتبها بمحلول من ذوب قلبه ، لأنه فى كتابته كان متعبداً ، ومخبراً بحقائق جليلة سامية، تمس المؤمن فى تاريخه الماضى ، وحالته الحاضرة ، وحياته العتيدة .

في الأصحاح الأول تكلم الرسول عن دعوة الله العليا التى قصدها بالكنيسة، وعن الأمجاد العلوية التى رُفع إليها رأس الكنيسة — فكان بذلك متكلماً عن عمل شدة قوة الله فى علوه . وفى هذا الأصحاح الثانى رغب الرسول إلى المؤمنين أن يلقو نظرةً إلى « النقرة » التى منها أخذوا، بل إلى المقبرة التى منها أُقيموا ورفعوا — فكان بهذا متكلماً عن عمل شدة قوة الله فى عمقه. لذا وجه الخطاب أولاً إلى الأمم بقوله : « إذ كنتم أمواتاً ». ولئلا يلتبس الأمر على الأمم فيظنوا أنهم هم الموتى دون سواهم، أزال الرسول عنهم هذا اللبس ، فقرر أن اليهود ، بلا استثناء — بما فيهم الرسول نفسه — يشاطرون الأمم هذا الماضى المظلم ، فقال فى بدء العدد الثالث . . . نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا . . . . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين » — أى الأمم — « أيضاً » . إن هذا الاستدراك شبيه بذاك الذى مررنا به فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الأول . ولكنهما يختلفان فى هذا : فى الأصحاح الأول تكلم الرسول عما نال اليهود من بركات فى المسيح (١ : ١١). ولئلا يظن الأمم أن اليهود هم وحدهم أصحاب هذه المزايا ، أزاح عنهم هذا الظن بقوله : « الذى فيه أنتم أيضاً » — أيها الأمم — « ... إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس». لكنه فى الأصحاح الثانى تكلم عن « المقبرة » المظلمة التى أقيم منها الأمم ، ولئلا يتوهموا أن الرسول أراد أن

يذكرهم دون سواهم بماضيهم المظلم ، أزال عنهم هذا الوهم بقوله فى العدد الثالث : « الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا بينهم » — أى لستم أنتم وحدكم أصحاب الماضى التعيس الغير المشرّف ، بل نحن أيضاً « كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين ».

ومن الملاحظ أن الرسول — من فرط المعلنات المسلمة له — كثيراً ما عرج فى سياق كلامه على بعض العبارات ليزيد المعنى إيضاحاً.

وما قصد بولس بتوجيه التفات الأمم واليهود معاً ، إلى حالتهم الطبيعية الساقطة ، إلا ليرفع أنظارهم إلى أمجاد الحالة الراقية التى رفعتهم إليها النعمة الإلهية . فيحق لنا أن نلقب هذا الفصل بـ « معجزة النعمة » — أو « من الطبيعة إلى النعمة » — أو « ما كنا عليه بالطبيعة ، وما صرنا عليه بالنعمة » وعلة العلل فى هذا الفارق العظيم الذى بين ماضينا ومستقبلنا — « الله » ! (٢ : ٤) أما قصده فى كل هذا ، فهو إظهار « غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » (٢ : ٧) . هذا ملتقى الأصحاح الأول ، بالأصحاح الثانى من هذه الرسالة : فى العدد السادس من الأصحاح الأول ، نجد القول : « لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب » . وفى العدد السابع من الأصحاح الثانى ، نجد القول : « ليظهر غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » . وكل قول منها موآزٍ للآخر ومكمل له ، ومفسر .

هذا الأصحاح يماشى الأصحاح الأول من سفر التكوين — هذا يتكلم عن الخليقة الثانية وذاك عن الخليقة الأولى .

معجزة النعمة (٢:١ — ١٠)

أولا: ما كنا عليه بالطبيعة — ٢:١ — ٣

(١) ماضينا — ٢:١ — الأمم وحدهم
(٢) مسلكنا — ٢:٢ — ٣ (ا) — اليهود والأمم معاً
(٣) استحقاقنا الطبيعي — ٢:٣ (ب) — اليهود وحدهم

ثانياً: ماصرنا اليه بالنعمة ٢:٤ — ١٠

(١) أساس عمل إله النعمة — ٢:٤و٥ (ب)
— ا — غنى رحمة الله — ٢:٤ (ا)
— ب — عظمة محبة الله — ٢:٤ (ب)
— ج — مجانية نعمة الله ٢:٥ (ب)
(٢) ماهية عمل إله النعمة — ٢:٥ (ا) «احيانا»
(٣) قوة عمل إله النعمة ٢:٦
— ا — أقامنا — ٢:٦ (ا)
— ب — أجلسنا — ٢:٦ (ب)
(٤) غرض إله النعمة من عمل نعمته — ٢:٧
— ا — وقت إظهار غرضه — ٢:٧ (ا)
— ب — حقيقة غرضه — ٢:٧ (ب)
(٥) أسلوب عمل إله النعمة — ٢:٨ — ١٠
— ا — علة خلاصنا «النعمة» ٢:٨ (ا)
— ب — وسيلة خلاصنا «الإيمان» ٢:٨ (ب)
— ج — غاية خلاصنا — تمجيد الله وحده — ٢:٩
— د — ثمر خلاصنا — أعمال صالحة معدة — ٢:١٠

اليهود والأمم معاً

هذه تسبحة النعمة، أنشأها رسول النعمة - مطلعها: «أنتم» (عدد١)، وقلبها النابض: «الله» (عدد٤)، وقرارها المتكرر: «بالنعمة انتم مخلصون»

١ وأنتم إذ كنتم أمواتاً

(عدد ٥و٨)وختامها: «لأعمال صالحة... نسلك فيها » . فلنترنم بها، ونحن على ركبنا جاثون ، لأننا إن ارتكبنا شراً فلا عذر، وإن أتينا خيراً فلا فخر

أولا : ما كنا عليه بالطبيعة ٢ : ١ — ٣

عـدد ١ (١) ماضينا — (٢ : ١) . « وأنتم إذ كنتم أمـواتاً بالذنوب والخطايا » . هذا تعبير مُجمَل ، يصف الغير المؤمنين فى:

— ١ — حالتهم الطبيعية: «أمواتاً» : إن الموت المقصود هنا هو الموت الروحى ، الذى هو بُعد النفس عن الله . وكما أن الموت الجسدى ينشأ عن انقطاع كل صلة بين الجسد وبين أسباب الحياة الطبيعية المحيطة به — كالهواء وما إليه، كذلك يقع الموت الروحى عند انقطاع الصلة بين النفس وبين الإله الحى الذى هو مصدر حياتها ، وعلة كيانها . يؤيد هذا، وصف آخر وصف به الرسول الغير المؤمنين : «إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله » — هذه هى البيئة الروحية ، فمتى انقطعت كل صلة تربطهم بها ، أمسوا أمواتاً فعلاً وحقاً.

— ب — علة موتهم : « بالذنوب والخطايا » . هذا هو الداء الدفين الذى تغلغل في البشرية ، فأبعدها عن الله الذى هو مصدر الحياة والنور فماتت البشرية بهذا الداء العياء . وإذا كانت الخطية علة موت الإنسان ، فهى أيضاً المقبرة التى يُطـوى فيها ، ولذلك فهو أيضاً ميت فى « الذنوب والخطايا » . قد يجوز أن نميز بين الذنوب والخطايا ،

بالذنوب والخطايا . ٢ التى سلكتم فيها

فنقول: إن الذنوب هى الاعتداء على شريعة أو هى كسر حاجز والاصطدام به ، والخطايا هى القصور أو التقصير فى عدم إصابة المرمى. ويقول بعضهم : إن الاولى تشير إلى خطايا الترك ، وأن الثانية تعنى خطايا الفعل . ويقول البعض الآخر : إن الأولى تشير إلى الخطايا الفعلية التى يرتكبها الإنسان متعمداً مختاراً ، وأن الثانية تعنى الخطايا الأصلية الموروثة من آدم الأول. ويعتقد سواهم : أن الذنوب هى ما يُرتكب ضد الإنسان . وأن الخطايا هى ما يُرتكب ضد الله تعالى. ويقول آخرون : إن الذنوب تشير إلى الفعال الظاهرة ، الخطايا تتناول النيات الخفية التى فى القلب . ومع ميلنا إلى الأخذ بالرأى السابق للأخير ، إلا أنه ليس من السهل أن نحكم بأفضلية أحدها.

عدد ٢ | (٢).مسلكنا — (٢:٢ — ٣ (ا)) . « التى سلكتم »

هذه حالة شاذة غريبة ، لأننا لم نكن بالطبيعة أمواتاً جامدين بغير حركة ، مثلما يكون عادة موتى الأجساد ، بل كنا أمواتاً متحركين: « سالكين » . فليست « الذنوب والخطايا » مجرد مقبرة يتوارى فيها موتى النفوس والأرواح ، وإنما هى « بيئة » حية ، أدبية ، « فيها يوجد الخطاة ، ويحيون ، ويتحركون » ، ويسلكون. إن مسألة السلوك غاية فى الأهمية ، وهى ذات اعتبار خاص لدى أحبار اليهود الذين سبقوا بولس والذين عاصروه. فقد استهل سفر المزامير بالكلام عن السلوك : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار » . ولليهود سفر جليل مختص بآداب السلوك

قبلاً حسب

يُعرف بـ « كتاب الهالخا » הֲלָכָה ، وجاء فيه :

« قبل سقوط الإنسان ، كان الله علة حياة نفوس البشر ، ومشتهى أرواحهم ، وغاية آمالهم . لكن بعد السقوط ، أضحت الخطايا أمنية نفوسهم ، ومطمح أرواحهم ، ومنتهى آمالهم » .

إن كلمة «قبلاً» تصف المكتوب اليهم فى حالتهم قبل إيمانهم بالمسيح و «السلوك فى الذنوب والخطايا» — يعنى: سلباً: سير الإنسان فى هذه الحياة ، بعيداً عن مصدر الإرشاد الإلهى ، وهو غير شاعر بالحب الإلهى وغير مُلب للنداء السماوى. وإيجاباً : هو السير حسب اتجاهات روح العالم وإيحاآت الشيطان ومشيئات الجسد. هذا هو العدو المثلث الذى يستأسر بأفكار الإنسان الغير المتجدد ، ويستهويه لذاته ، ويخضعه لنفوذه وسلطته: العالم، والشيطان ، والجسد — هذا هو مثلث الشر، والفساد، والدمار. فالعالم حوالينا، والشيطان علينا، والجسد داخلنا. العالم عصر، والشيطان روح ، والجسد مبدأ.

١ — «العالم» — (كوزموس) — لا يراد به هذا الكون المنظور، بما فيه من أفلاك ، وجبال ووديان ، وبحار وأنهار — فكلها من صنع الإله الحكيم ، وهى تحدثنا دواماً بمجده وجلاله (مز ١٩ : ١ — ٦) ولا الناس الذين فى العالم . لأن هؤلاء « أحبهم الله » (يوحنا ٣ : ١٦) . ولا يُقصد به الوظائف ، والصنائع ، والحرف ، التى يحترفها الناس فى العالم ، لأن المسيح نفسه كان نجاراً . وإنما يراد بـ « العالم » — مظاهر الحياة

دهر هذا العالم

الجذابة الخلابة ، التى تسلب اللب، وتستهوى القلب: «شهوة الجسد، وشهوة العيون ، وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم » (١يو ٢:١٦) .

«دهر هذا العالم » — هذا نموذج من غنى أسلوب الرسول . فربما كانت إحدى هاتين الكلمتين كافية للإفصاح عما فى فكره ، لكنه أضاف كلمة إلى أخرى ليجعل غنى المبنى متمشياً مع غنى المعنى . ويستفاد مما جاء فى بعض أسفار الرابيين ، أن كلمة . « دهر هذا العالم » تعنى العصر الحاضر السابق لمجىء مسيّا، تقابلها كلمة « لدهر الآتى » أو «العالم الآتى»، التى تشير إلى العصر اللاحق لمجىء مسيا ، ومما جاء فى كتب الرابيين من هذا القبيل : « أن الإله العلى قد أعطى «العالم الحاضر» لكثيرين ، وأما العالم العتيد فلقليلين»(قابل اسدراس ٨:١ و٦ ٩ مع متى ١٢ :٣٢) . فالدهر هو روح العصر الذى يلهى الإنسان بالساعة الحاضرة البائدة عن الحياة الأبدية الخالدة . ويصرفه بالمنظور عن غير المنظور . ويبيعه مجد بركة باقية ، بلذة أكلة ذاهبة (عب ١٢ :١٦) . هذا ما أراده بولس بقوله: « لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو ٧:٣١) ، « ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر » (٢ تى ٤ :١٠) . بل هذا ما قصده يوحنا بالقول « والعالم يمضى وشهوته » (١يو ٢ :١٧) . هذا هو «الدهر» الذى يطلب إلينا الرسول « أن لا نشاكله، بل أن نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا ، لنختبر ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ٢) .

الكلمة اليونانية التى ترجمت إلى « دهر » يجوز أن تترجم أيضاً

حسب رئيس

إلى «أسلوب» أو «نمط» أو «مسلك»، فتُقرأ العبارة كلها هكذا: «التى سلكتم فيها قبلاً حسب مسلك هذا العالم». هذا هو المسلك الذى ينافى إرادة الله، ويكون غالباً مقاوماً لها (أُطلب يوحنا ٨: ٢٣ و ٩: ٣٩، ١٢: ٢٥ و ٣١ و ١٣: ١ و ١٦: ١١ و ١٨: ٣٦، ١ كو ١: ٢٠ و ٣: ١٩ و ٧: ٣١، ١ يو ٢: ١٧). غير أن موقف المؤمن الحقيقى إزاء العالم، واضح فى قوله: «قد صُلب العالم لى وأنا للعالم» (غلا ٦: ١٤).

إن كلمة «سلوك» هى إحدى الكلمات الاستعارية المميّزة لأسلوب بولس الرسول. وهو يشير بها هنا إلى الحياة التى يكون حب الذات قائدها، وروح الشيطان مرشدها، وأسلوب العالم الملتوى رائدها، بدلاً من أن يكون الله هاديها وعضدها. وقد استعمل الرسول هذه الاستعارة سبع مرات فى هذه الرسالة (٢: ٢ و ١٠، ٤: ١ و ١٧، ٥: ٢ و ٨ و ١٥). وليس بغريب أن يكثر الرسول من ترديد هذه الكلمة فهو الذى يعتبر الديانة «طريقاً» سواء أكانت يهودية أم مسيحية (أعمال ٢٤: ١٤). ولعل لوقا استعارها منه للتعبير عن فكرته فى الديانة المسيحية.

ب — الشيطان: «حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية». ذُكرت هاتان العبارتان وصفاً للشيطان —

(١) **أولاهما** تصفه فى مقامه ومكانه: «رئيس سلطان الهواء». هذا مكان أعلى من «العالم» حيث يعيش الإنسان (عدد ٢)، وأدنى من «السماويات» حيث «أجلس المسيح، وأجلس معه المؤمنون» (عدد ٦)

سلطان الهواء

ولعله تعبير عبرى استعاره بولس من مصادر يهودية . والظاهر أن العالم بعد السقوط ، صار هدفاً لهجمات إبليس. ولكن لما جاء المسيح ليفتدى المؤمنين من هذا العالم الشرير « رأى الشيطان نازلاً مثل البرق من السماء » (لوقا ١٠ : ١٨) .

إن « سلطان الهواء » هو نفسه « سلطان الظلمة » المقاوم والمضاد لملكوت المسيح — ملكوت النور، والحق ، والمحبة . فى هذا يقول بولس فى رسالة أخرى « شاكرين الآب ... الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » (كولوسى ١ :١٣). هذا يؤيد قول المسيح للمتآمرين عليه : « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » (لوقا ٢١ : ٥٣) .

« رئيس سلطان الهواء » أو « أمير سلطنة الهواء » . هذا دليل على أن الشيطان ليس مجرد تأثير أو قوة ، بل هو ذات وشخصية . إلا أنها شخصية ساقطة شقية — على خلاف جبرائيل « الواقف أمام الله » ، فإنه شخصية صالحة تقية . ومع أننا لا نعلم الشيء الكثير عن حقيقة شخصية الشيطان، إلا أننا نفهم من الكتاب المقدس، أنه محدود فى كيانه، ومقيد فى سلطانه . فلا يمكنه أن يجرب إنساناً إلا بسماح من الله تعالى (أيوب ١ :١١ و ٢ :٥) ، كما أنه لا يجرب شخصاً إلا بالقدر الذى يسمح به الله (أيوب ١ : ١٢ و ٢ : ٦) . ولكنه رئيس، فمن الضرورى أن يكون تحت إمرته جنود يأتمرون بأمره ، ويخضعون لنصحه، وينفذون تعليماته . ومع أن « سلطان » الهواء، الذى يرأسه الشيطان، ليس بسلطان مشروع بل جائر ، تعسفى، اعتباطى ،

الروح الذى يعمل الآن

عدوانى» ، إلا أنه موجود بسماح من الله — ولكن إلى حين — حتى تخضع جميع الأعادى لسلطان المسيح الحق ، ويسجد الكل ضد موطىء قدميه. ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بإعلان كلمة البشارة وإعلانها حتى تعم المسكونة كما تغطى المياه أرض البحر .

«رئيس سلطان الهواء » — هذا يذكرنا بقول المسيح فى مثل الزارع: « . . . وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء» — وفى الأصل — «طيور الجو أو الهواء » . وفى تفسير هذا المثل قال المخلص: « والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتى إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم »(لوقا٨: ٥و١٢) . وقد لاحظ بعض المفسرين أن هذا التعبير : «رئيس سلطان الهواء »ورد مراراً فى كتابات المعاصرين لبولس من كتاب اليهود والإغريق ، ولكن هذا لا يدل بالضرورة على أن بولس اقتبسه من أحدهم (راجع أعمال ٢٦: ١٨ ، متى ١٢ : ١٦ ، أفسس ٦: ١٢)

(٢) العبارة الثانية : « الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» — هذه تصف الشيطان فى سلطته — أى أن الشيطان هو رئيس « الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية» .وقد استعملت كلمة «روح» اسماً للنوع ، كقولنا : «حديد» ، و « شوك» — فهى لا تعنى المفرد لكنها اسم جمع تركزت فيه كل الوحدات ، فهى تصف طبيعة سلطان الهواء — إنه «روح غير منظور» لا «جسد هيولى» — وهى بالتالى تصف طبيعة الشيطان الذى هو رئيس سلطان الهواء ، ورئيس هذا الروح .

فى أبناء المعصية

إذا كان الروح النجس الشرير ، يعمل الآن فى أبناء المعصية ، فلا نفشل . لأن الرسول صرح فى الأصحاح الأول مرتين (١١:١ و ٢٠) بأن روح الله القدوس يعمل أيضاً ، بل قد عمل حقاً ، وأظهر عمله فى المسيح، وسيظهر عمله على توالى الأيام فى أبناء الله العتيدين أن يرثوا الخلاص . فليست النصرة النهائية للظلام ، بل للنور ، ولا هى للباطل بل للحق ، ولا هى لأبناء المعصية بل لابن محبته .

إن قوله : «أبناء المعصية» ، تعبير عبرى ، ورد أيضاً فى العدد السادس من الأصحاح الخامس فى هذه الرسالة : « يأتى غضب الله على أبناء المعصية » . ويقابله قول الرسول : «أبناء نور» و «أبناء نهار» (١تس ٥:٥) ويماثله قول المسيح: «أبناء هذا الدهر» (لوقا ١٦ :٨ و ٢٠ :٣٤). إن «أبناء المعصية» هم الأشخاص الموسومون بعصيان الله ومقاومة إرادته لدرجة يحسب فيها العصيان ميزة خاصة لهم، وطابعاً لاصقاً بهم ، وشيمة لاحقة بهم ، وداء متغلغلاً فى دمهم — كل هذا بسبب حالتهم الطبيعية من جهة ، وبفعل روح العصيان فيهم من الجهة الأخرى . لأن الشيطان هو « المعاند» — كما يدل على ذلك معنى الأصل العبرى : « شطن ». فعمله متفق وطبيعته، ومشتق من صفاته ، لأن العصيان من أظهر هذه الصفات . وسواء أكان العصيان كامناً بين ضلوعهم ، أم ظاهراً فى أعمالهم وتصرفاتهم ، فهو سيماؤهم المميزة لهم. إن علة هذا العصيان هى اكتفاء الإنسان بإرادته النفسانية الشريرة، ورفضه إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . وأساس هذا الرضى هو عدم الإيمان ،

٣ الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا

وأساس عدم الإيمان هو البعد عن الله أو الارتداد عنه — كما قال كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « أنظروا أيها الإخوة أن لايكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الارتداد عن الله الحى » (عب ٣ :١٢) .

ويقول الدكتور كندلش — إن قول الرسول: «أبناء المعصية» هو تعبير مركز يصف قوماً فى قبضة المعصية ، بل في مخالبها حتى أضحو ملكا لها وأبناء بجدتها .

عدد ٣ اليهود يشاطرون الأمم مسلكهم وماضيهم —

—ج— العدو الثالث: «الجسد». «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا» . تكلم بولس فى العدد السابق عن ماضى الأمم ومسلكهم . ولئلا يظن الأمم أن الرسول قصد أن يخصهم بذلك الماضى التعيس ، وهذا المسلك الشائن ، عرّج على اليهود ، فادمجهم مع الأمم فى مسلكهم وماضيهم. ولأن الرسول بولس يهودى ، أورد عبارته فى صيغة المتكلم ، فقال : « الذين نحن أيضاً »ولئلا يتوهم الأمم أن الرسول يقصد فريقاً معيناً دون آخر ،أجمل الكل ، فقال : «... نحن جميعاً » ، ولئلا يتطرق إلى ذهن الأمم أى خاطر من جهة فضل أسبقية اليهود عليهم فى المجد والكرامة، أبان لهم الكاتب أن لليهود أيضاً ميزة الأسبقية عليهم فى العصيان والتمرد ، فقال : « تصرفنا قبلاً » . فما أحكم الرسول وما أعدله !! أليس هو القائل فى رسالة أخرى: « أما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون

بينهم فى شهوات جسدنا

للحق بل يطاوعون للاثم فسخط ، وغضب . شدة ، وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر — اليهودى أولا ثم اليونانى . ومجد ، وكرامة، وسلام لكل من يفعل الصلاح — اليهودى أولا ثم اليونانى»؟(رومية ٢: ٩ — ١١).

فلا يعادل ضياء النور الساطع ، إلا قتام ظله . ولا يوازى عظمة الامتيازات ، قدر ثقل مسئولياتها . فاليهودى شريك الأممى فى :

— ا — التصرف السابق فى شهوات الجسد — ب — اطاعة مشيئآت الجسد والأفكار — ج — كونه ابن الغضب بالطبيعة. وكل هذه الثلاثة الأوصاف منصبة على الجسد الذى هو عدونا الثالث

— ا — إن «شهوات الجسد» بحصر اللفظ، تعنى الخطايا الحيوانية المنحطة — ب — و « مشيئآت . . الأفكار » تعنى الخطايا الفكرية الناشئة عن الكبرياء العقلية نظير الانتفاخ العلمى ، وحب السلطة ، وطلب الجاه والشهرة ، اللواتى هن بعض أخوات محبة الذات .

ومن الملاحظ ، أن بولس، حين كان يتكلم عن نفسه بالذات فى هذا العدد الثالث وصف الخطية فى منابعها الداخلية ، لكنه لما تكلم عن خطايا الآخرين (عدد ٢) وصف الخطية فى مظاهرها الخارجية التى تبدو فى الحياة بالتصرف والسلوك .

— ج — «أبناء الغضب» — لئلا يتبقى فى قلب اليهود أثر من الفخر بحسبهم على اعتبار أنهم «أولاد ابرهيم » ، انتزع الرسول من قلوبهم كل أسباب الافتخار بميلادهم الطبيعى ، لأنهم بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين — أى

أنهم فى ميلادهم الطبيعى يستوون والغير المؤمنين من الوثنيين . فليست العلة فى البيئة المحيطة بهم ، ولا فى مرافقهم وظروفهم الخارجية ، ولا فى الزمان العائشين فيه ، بل فيهم هم . لأنهم بالطبيعة أبناء الغضب . نعم أن الله تبنى الأمة الإسرائيلية ، ولكن على أساس الايمان ، لا على أساس حياتهم الطبيعية ، ولا بناء على استحقاقهم ، كورثة جسديين لابرهيم . لأن بولس نفسه يقول فى رسالة أخرى : « كما آمن إبرهيم فحُسب له (الإيمان) براً. فاعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان ، أولئك هم بنو ابرهيم » (غلاطية ٣: ٦و٧) . فاذا كان بعض اليهود يظنون أنهم يمتازون عن الأمم بكونهم أبناء إبرهيم بميلادهم الطبيعى ، فقد هدم بولس صرح تفاخرهم هذا ، وأبان لهم أن لا وجه لفخرهم لأنهم بحكم ميلادهم الطبيعى ، هم « أبناء الغضب » كسائر الناس ، فإن لم يولدوا ثانية ميلاداً روحياً من الأعالى ، فلا سبيل إلى تمتعهم برضى الله .

« وكنا بالطبيعة أبناء الغضب » — تنطوى هذه العبارة على إشارة ضمنية إلى الخطية الأصلية التى يولد بها كل إنسان غير متجدد ، وبسببها يدخل فى عداد أبناء الغضب . وليس من الضرورى أن تبرز خطية الإنسان إلى حيز الفعل ، حتى تُوجب عليه غضب الله . إذ يكفى بقاؤها كامنة فى طبيعته لإثارة غضب الإله الذى « عيناه أطهر من أن تنظر الشر » (حبقوق ١ : ١٣) . فالأسد الرابض فى قفص من حديد ، ليس حَملاً لكنه أسد عاجز عن إيقاع الأذى . وكذلك الخطية الكامنة فى طبيعتنا إنما هى خطية حقيقية حتى

وكنا بالطبيعة أبناء الغضب

فى الأوقات التى لا تجد فيها مجالاً للظهور. فالخطية الأصلية هى خطية عامة. يولد فيها كل إنسان، لا على سبيل المصادفة، ولا من قبيل الحظ العاثر، بل بحكم ناموس عام لا يتخطاه زرع بشر ولا يتحداه. وبحكم هذا الناموس العام المشترك أضحت الخطية طبيعة أصلية فى الإنسان، وأضحت طبيعته البشرية خطية أصلية فيه. فكل ما يصدر عن هذه الطبيعة ليس سوى خطأ فى خطأ. وأن أقدس أعمالها فساد فى فساد — حتى الصلاة التى نرفعها تحسب مكرهة لدى الله. فبحكمها وبموجب نواميسها وأنظمتها تصبح كل أعمال الإنسان الطبيعية التى تصدر عنه عفواً، خاطئة، بل خطية متمثلة فى صورة أعمال، وتصبح الخطية حالة طبيعية، أصيلة فيه. بهذه الطبيعة الخاطئة، وهذه الخطية الطبيعية الأصلية، يولد الإنسان، وفيها ينمو، وفيها يسلك، فيستعذب مرارتها، وبها يصبر له المر حلواً والحلو مراً، ما لم تتداركه النعمة الإلهية فتخلق منه انساناً جديد.

يقول الدكتور ارمتاج روبنسون — إن كلمة: «بالطبيعة» تصف البشر كما هم فى ذاتهم وفى حالتهم الأصلية من غير أن تتداخل فى أمرهم قوة خارجة عنهم أو تتداركهم نعمة أرفع منهم. مثال ذلك قول بولس: «لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة — أى بدون إعلان إلهى خارج عنهم — ما هو فى الناموس. فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم» (رو ٢: ١٤).

أما قول الرسول: «أبناء الغضب» فهو على مثال قوله فى عدد سابق

كالباقين أيضاً ٤ الله

« أبناء المعصية » وهو يصف الواقعين تحت الغضب طبعاً واستحقاقاً فأبناء المعصية لا يمكن إلا أن يكونوا «أبناء الغضب» كما قال الرسول نفسه: « .. بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية فلا تكونوا شركاءهم لأنكم كنتم ظلمة . وأما الآن فنور فى الرب».

فالغضب المقصود هنا هو غضب الله فى الحال وفى يوم الدين . و«أبناء الغضب» هم موضوع هذا الغضب ومقضى عليهم به ، وإياه يستحقون سواء أكانوا يهوداً أم أمميين ، «لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم ... وأما الذين من أهل التحزب ، ولا يطاوعون للحق ، بل يطاوعون للاثم ، فسخط وغضب .. على كل نفس إنسان يفعل الشر، اليهودى أولا ثم اليونانى »(رومية ١: ١٨و٢: ٥و٨).

هذا ما بينه الرسول ، إن الأمم واليهود ، على السواء ، هم أبناء الغضب بالطبيعة إذا ما تركوا على حالهم الطبيعية التى فيها ولدوا ونشأوا، ونموا ما لم تنتشلهم النعمة الالهية المخلصة.

عدد ٤ و٥ | ثانياً: ماصرنا اليه بالنعمة (٢: ٤—١٠)

من السحب المتكاثفة التى تلبدت فى جو الأعداد الماضية المفصحة بالكلام عن خطايا اليهود والأمم ، انتقل بنا الرسول إلى جو صاف تضىء فيه أنوار النعمة الإلهية، وتشرق وتشع فيه أشعة شمس إله النعمة. فما أحلى هذه الكلمة العظيمة التى يستهل بها هذا العدد الرابع :«الله» ! ما أشبه هذا الاستهلال

الذي هو غني

يطلع الرسالة إلى العبرانيين : « الله . . . ! ! » . وهل من كلمة يمتلىء بها الفم المعبر عن سرور القلب وبهجته ، مثيل هذه الكلمة الجليلة الممتازة: «الله»!؟

كما تشرق الشمس بأشعتها النورانية فتشق كبد اليوم إلى ليل حالك ونهار مشرق ، كذلك تدخل الله بنعمته فى تاريخ المؤمنين فنفصل بين ماض مليء بالسيئات والمعاصى، وبين حاضر غمرته النعمة المجانية. تأمل هذه القائمة السوداء: « أمواتاً بالذنوب والخطايا» ... « دهر هذا العالم » ... « رئيس سلطان الهواء» ... «أبناء المعصية» ... «أبناء الغضب» ... وكأن نفس الرسول شعرت بانقباض إذ أطالت التحليق فى هذا الجو الخانق ،وسرعان ما شعرت بحرية مجيدة وتنفست الصعداء حالما انتقل بولس إلى هذا العدد الرابع فتنسمت نفسه نسيم الحرية والمجد ، وطربت لدى سمعها عذب نغم هذه الكلمات: «الله» ... « غنى فى الرحمة » ... « محبته الكثيرة » ... « أحيانا » ... « المسيح » ، « النعمة » ، « مخلصون » ، « أقامنا » ... « أجلسنا » ... « السماويات » . ولا شك أن السرور أخذ من نفس الرسول كل مأخذ عندما وصل إلى هذه العبارة المركزية التى تصلح قراراً لأنشودته الجميلة : « غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح » ! !

— ١ — غنى رحمة الله(٢: ٤(ا)) . هذه صفحة مجيدة فى سفر الخليقة الجديدة . فيها يتجلى البون الشاسع بين حالين : حال طبيعية كان عليها المؤمنون قبل إيمانهم ، وحال أخرى أوصلتهم إليها النعمة الإلهية . ما أشبهها بأول صفحة يستهل بها كتاب الخليقة الأولى فى غرة سفر التكوين: « كانت

فى الرحمة

الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة » — هذا هو جانبها المظلم « ..وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور .. وفصل الله بين النور والظلمة » — هذا جانبها المنير . فما أقرب الشبه بين الصفحتين — صفحة الكون المخلوق بكلمة الله المقولة، وصفحة الإنسان الجديد المخلوق فى المسيح كلمة الله المتجسد .

وفى هذا العدد الرابع وما بعده ، عاد الرسول إلى إتمام العبارة التى استهل بها هذا الأصحاح : « وأنتم إذ كنتم أمواتاً .... الله الذى هو غنى فى الرحمة ... أحيانا مع المسيح » . وإذا كان الرسول قد أظهر فى الأعداد السابقة سواد الخطية وفسادها ، فلذلك إلا ليظهر فى الأعداد اللاحقة جمال النعمة وأمجادها ومثلما كثرت الخطية ، ازدادت النعمة جداً . وأى وصف يعبر عن وفرة النعمة أبلغ من قول الرسول . « الله الذى هو غنى فى الرحمة » من أجل « محبته الكثيرة » ... « ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته » .

هذه تعبيرات جليلة متجمع بعضها على بعض كما تتجمع أمواج البحر الخضم فوق بعضها البعض : « غنى الرحمة » « كثرة المحبة » ، « غنى النعمة » . لو اقتصر الرسول على استعمال إحدى هذه الثلاث الكلمات وحدها ، لكان فيها الكفاية للتعبير عن جلال النعمة وجمالها . لكنه نظم حبات هذا العقد الثلاثى الثمين ، بعد أن أحاط كلا منها بإطار مرصع ليزيدها جمالاً على جمال ، فأرانا الرحمة فى غناها بل فى غنى الله ، والمحبة فى كثرتها ووفرتها ، والنعمة فى فيضها ، فقال : « غنى فى الرحمة ، من أجل محبته الكثيرة » ،

ليظهر «غنى نعمته». فالرحمة وحدها كافية. والمحبة وحدها مقتدرة. والنعمة وحدها فعالة. فما بالك إذا اجتمعت ثلاثتها معاً كما اجتمع الثلاثة الملائكة قديماً فى ضيافة إبرهيم عند بلوطات ممرا (تكوين ١٨: ٢) ؟ فكم بالحرى إذا اجتمعت لها ثلاثة أوصاف جامعة ؟. في ختام الأصحاح الثالث عشر من الرسالة الأولى إلى كورنثوس ذكر الرسول ثلاث فضائل: «الإيمان، والرجاء، والمحبة» ثم وازن بين بعضها البعض فرجحت لديه كفة الأخيرة، فقال «وأعظمهن المحبة» لكنه لو أراد أن يوازن بين هذه الثلاث الفضائل التى نحن بصددها: «الرحمة» و «المحبة» و «النعمة»، أترى كان يجد سبيلاً إلى المفاضلة بينها ؟! وهل من مفاضلة بين أشعة الشمس الواحدة ؟ أليست كلها منبعثة من نبع واحد هو المحبة ؟ فالرحمة هى المحبة مترفقة، والنعمة هى المحبة متدفقة.

- ب - عظمة محبة الله (٢: ٤(ب)) : غنى رحمته، ووفرة محبته، وغنى نعمته — لقد تجلت هذه كلها بصورة واضحة فى سفر الفداء. فإذا رأينا قدرة الإله المبدع منقوشة على لوحات سفر الخلق، بحروف صخرية حجرية، وإذا تبينا حكمة الله مرتسمة على صفحات سفر العناية، بحروف من نور ونار، فإننا نلمس رحمته تعالى مطبوعة على صفحات سفر الفداء بحروف من دم. نعم قد يتاح لبعض الناس أن يروا آثار خطوات الله موجودة فى سفر الخلق، وأن يتبينوا آيات يديه مطبوعة على سفر العناية، إلا أنهم يحسون بنبضات قلبه المحب متى تصفحوا سفر الفداء. إن لغة محبته سهلة المأخذ لدى الأطفال، بل هى سر غامض لا يفهمه إلا الأطفال! ألم يقل فادينا المجيد: «أحمدك أيها

الآب رب السماء والأرض ، لأنك أخفيت هـذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال » ؟

« الله الذى هو غنى فى الرحمة » . إن إلهنا غنى فى القدرة، والعظمة ، والجلال ، والحكمة . فهو غير محدود فى ذاته وفى صفاته ، لكن الرسول يحدثنا بنوع خاص عن غنى الله فى الرحمة ، فأيد بذلك قول إشعياء: « ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره ، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران» (إشعياء٥٥:٧) ، وقول مرنم اسرائيل الحلو : «الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة » (مزمور ١٠٢ : ٨) .

«الله الذى هو غنى فى الرحمة » — فى الاصحاح الأول، عرّفنا الرسول إن علة اختيارنا للتبنى هى مسرة مشيئة الله، لكنه فى هذا الأصحاح الثانى أظهر أن علة خلاصنا هى «محبة الله المتفاضلة» . على أنها علة ثانوية. لكن العلة الأساسية هى الله نفسه ، بدليل قول الرسول : «الله الذى هو غنى فى الرحمة » فنحن مدينون كثيراً لرحمة الله، ومحبته، ونعمته. لكن ديننا لإله الرحمة، والمحبة، والنعمة ، أجلّ وأكبر . فالرحمة لم تخلصنا ، لكن الله الذى هو غنىّ فى الرحمة ، هو الذى خلصنا، وأحيانا بعد أن كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا . فوراء التبنى ، الاختيار . ووراء الاختيار ، مسرة المشيئة الإلهية . ووراء المشيئة الإلهية ، النعمة المجانية . ووراء النعمة المجانية ، المحبة الإلهية . ووراء المحبة الإلهية . الله المحب

إن محبة الله الموصوفة هنا ، ليست محبته العامة لجميع الناس المعبّر عنها

التى أحبنا بها . ٥ونحن

بإحسانه ولطفه (تيطس ٣ : ٤) ، وإنما هى عاطفته القلبية التى اختص بها أبناءه المؤمنين به ، الذين هم اسرائيله الروحى المختار «إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر» (تث٧ : ٦ — ٨). لقد أحبنا لأنه أراد ، وأراد لأنه أحب . فهو لا يعرف علة خارجة عن نفسه ، ولا محركاً سوى ذاته ، فهو الكائن بذاته ، الذى يكون بذاته . وبهذا الاسم عُرف لاسرائيل قديماً: אהיה אשר אהיה

هذا هو المثلث الرئيسى الذى يقوم عليه صرح التعاليم الإنجيلية — ضلعه الأول : رحمة الله الواسعة . والثانى : محبته المتفاضلة . والثالث : نعمته المجانية. وكلها تشير إلى حقيقة واحدة أساسية — هى أن الله يسرّ بالعطاء. لأن الإحسان من طبعه ، وهو لا ينتظر من البشر إلا أن يقبلوا عطاياه بروح الشكر . وهو يسر بالعطاء أضعاف سرورنا نحن بالأخذ . فالإحسان من صفاته ، والبذل من ميزاته . (تكلم الرسول عن إحدى نواحى غنى الله فى ١ : ١٨ ، فاطلب تفسيرها على صفحة ٩٢).

| عدد ٥ | — ج — ماهية عمل نعمة الله: « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » . عبر الرسول عن الحجر الأساسى فى بناء عمل النعمة

بكلمتين متماثلتين — إحدهما : «الحياة» ، والثانية : « الخلاص » . وقد استعملت كل منهما فى مناسبة خاصة **فأولاهما**: «الحياة» استُعملت على اعتبار أننا كنا **أمواتاً** . **والثانية**: «الخلاص» استعملت على اعتبار أننا كنا قبل إيماننا بالمسيح هالكين. وقد أبان الرسول فى هذا العدد **ثلاث حقائق** — **الأولى** خاصة بالعامل **الأولى** فى خلاصنا : « ونحن أموات بالخطايا أحيانا . . . » ، والثانية خاصة **بالقياس الأعلى** لخلاصنا: « . . . مع المسيح» والثالثة تتعلق بالعلة الثانوية فى خلاصنا: «بالنعمة أنتم مخلصون» فى نور الحقيقة الأولى نعلم أن الخلاص من عمل الله أولاً وآخراً لأننا نحن البشر لم نفكر في هذا الخلاص، ولم نطلبه ، ولم نسع إليه، لأن «الله خلصنا ونحن أموات بالذنوب والخطايا». والحقيقة الثانية ترينا أن قياس خلاصنا هو التمتع بالحياة الجديدة مع المسيح « ... أحيانا مع المسيح». والحقيقة الثالثة تظهر لنا أن هذا الخلاص مجانى لأننا نلناه بالنعمة لا على سبيل الأجرة: « بالنعمة مخلصون » وجدير بالملاحظة أن كلمة «مخلصون» قد وردت فى خاتمة هذا العدد بالصيغة الحالية التى تفيد الاستمرار المتجدد، على اعتبار أن الخلاص عملية مستمرة تتم على خطوات متتابعة ، ولو أنها تُبدأ فى لحظة (١ كو ١٥ : ٢، ٢ كو ٢ : ١٥).هذا هو الخلاص الذى يعتبر فى بدايته تبريراً ، وفى مجراه تقديساً، وفى كماله تمجيداً . فنحن إذاً متبررون بالنعمة، ومقدسون بالنعمة، وممجدّون بالنعمة : إن ديننا للنعمة التى أوصلتنا إلى منطقة الخلاص لا يزيد

أحيانا مع

عن ديننا للنعمة التى تحفظنا الآن لتوصلنا إلى ديار المجد .

عجيبة حقاً هذه المحبة السامية التى وجهها الله إلينا . وبها أحيانا ونحن أموات بسبب خطايانا. وأعجب منها . أن هذه المحبة لم تقف بنا عند حد الحياة المجردة ، لكنها رفعتنا وسمت بنا إلى الحياة فى أسمى مراتبها، وأرفع درجاتها إلى حياة المسيح نفسه «أحيانا مع المسيح» . إنه لشرف عظيم لنا ، أن يحيينا الله بواسطة المسيح، أو فى المسيح، ولكن أن يحيينا مع المسيح -- هذه نعمة ممتازة تشتهى الملائكة أن تتطلع عليها ! !

هذا اختبار يحصل عليه المؤمن عند الولادة الجديدة التى هى انتقال من الموت إلى الحياة. ومع أن المؤمن يكون فى هذه الحياة عائشاً على هذه الأرض إلا أنه يكون شرعاً وحقاً، حياً مع المسيح فى السماء: «لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله » . على أن كمال هذه الحال ، لا يتحقق إلا عند التمجيد: «ومتى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد» . فى هذا تُعتبر قيامة المسيح من الأموات أساساً ، ورمزاً ، وقياساً ، لقيامتنا الروحية : « إن كنتم قد قمتم مع المسيح» (كو٣: ١ — ٣، ٢: ١١ — ١٥).

فاذا كان موت المسيح قد أعتقنا من الموت الذى هو أجرة الخطية ، فإن قيامة المسيح قد أدخلتنا إلى جدة الحياة التى يسودها الفرح ، والرجاء ، والنصرة. إذ لم تكن حياتنا الأولى التى كنا نحياها قبل إيماننا بالمسيح ، سوى الموت بعينه (رومية ٦: ٤ — ١١، متى ١٦: ٢٤ — ٢٦ ، يوحنا ١٢: ٢٣ — ٢٦) .

ان كلمة : «مع» تعنى اتحادنا الحى بالمسيح ، باعتبار كوننا أعضاء في

المسيح . بالنعمة أنتم

جسده الروحى ، وهى تعين صلتنا الشرعية به باعتبار كونه ضامن عهدنا ووليناء. فبموته قد متنا معه ، وبقيامته قمنا معه . هذا يؤيد قول المسيح لتلاميذه فى خطابه الوداعى: «إنى أنا حى فأنتم ستحيون»(يوحنا١٤: ١٩).

استعمل الرسول كلمة «مخلَّصون» بصيغة الفعل التام المتواصل لتفيد الاستمرار المتجدد لا بالصيغة الحالية (كما فى ١كو ١: ١٨، ١٥: ٢، ٢كو ٢: ١٥، أعمال٢: ٤٧) : « الذين يخلصون» ، ولا بصيغة الماضى التام كما لو كان الخلاص فعلا تم من جانب الله وحده دفعة واحدة كما فى رومية ٨: ٤ — «خلَّصنا» .

فالخلاص عملية كملت لكنها تتم على درجات متتابعة حتى تكمل فى المجد . كصورة تمَّ التقاطها فى لحظة لكنها تستغرق وقتاً حتى يظهر جمالها . هذا هو الخلاص الذى يعتبر عند التبرير بذرة ، وفى التقديس شجرة، وفى التمجيد ثمرة ناضجة (١بطرس ١: ٥ ، رومية١٣: ١١) .

أما الواسطة الثانوية لهذا الخلاص فهى النعمة . أوضحنا معنى هذه الكلمة فى تفسير العدد الثانى من الأصحاح الأول . وجدير بالملاحظة ، أن الله ما كان يريد أن يخلصنا بالنعمة لو كان فى الإمكان أن نخلِّص أنفسنا بقوّتنا أو مجهودنا الذاتىّ . أما عجزنا عن تخليص أنفسنا، فظاهر من حالنا التى كنا عليها : «أمواتا بالذنوب والخطايا» ، ومن الحال التى صرنا إليها : أحياناً مع المسيح» . فلاحياة أصلية فينا ، لكنها مستمدة من نبع «حياة المسيح»

«بالنعمة أنتم مخلصون» — مرتين كرر الرسول هذه العبارة العذبة

مخلصون. ٦ واقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات

المرة الأولى في هذا العدد، والثانية في العدد الثامن، بعد أن أضاف إليها كلمة: «بالإيمان» ليبين أن الإيمان ليس عملاً نأتيه من جانبنا فنصير به مستحقين الخلاص كأجرة، وإنما هو بمثابة اليد المفتوحة التي تقبل عطايا الله. وأنى لميت أن يفتح يده! فاذاً نحن مدينون للنعمة بالإيمان الذي هو اليد المفتوحة التي تقبل من المسيح هبة الخلاص. ولعل بولس كرر هذه العبارة ليجعل منها قراراً عذبا لأنشودة الخلاص المجاني. هذه هي الأنشودة التي مطلعها: «لست مستحقا»، وختامها: «مستحق أنت ... أن تأخذ الغنى والمجد والكرامة والقدرة»، وقلبها النابض «ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد»!

وهل من فضل لمتسول يمد يده ليقبل نعمة مقدمة إليه من محسن كريم؟!

عدد ٦ | (٣) قوة عمل إله النعمة (٢: ٦)

(ا) «أقامنا» .. (ب) «أجلسنا»

إن الحياة التي وهبنا الله إياها بالنعمة ليست مجرد حياة هزيلة ضعيفة نقضيها على هذه الدنيا، لكنها حياة نتمتع بها مع المسيح يسوع في السماويات. فهي معه واليه. إنه لجلي واضح أن كلمة: «أقامنا» ترجع بنا إلى قيامة المسيح من الأموات. وكلمة: «وأجلسنا معه» ترفع أفكارنا إلى صعود المسيح. فنحن إذ أشركاؤه في القيامة والصعود باعتبار كونه رأسنا ورئيسنا،

فى المسيح يسوع . ٧ ليظهر فى الدهور الآتية

وفادينا، وولينا، ونائبنا. لأجلنا مات وقام وعاش، وفيه متنا نحن وقمنا ونعيش، فأرواحنا عائشة معه فى السماويات ظافرة منتصرة، وأجسادنا تتمشى على وجه هذه الدنيا، الملطخ بالدماء والدموع.

فى العدد الثانى رأينا المؤمن فى ماضيه سالكاً «حسب دهر هذا العالم» والآن نراه جالساً متربعاً على عرش المسيح فى الأعالى.

هذه حالة، وإن تكن مستقبلة فى تمامها، إلا أنها حاضرة فى فعلها. فهى تعيِّن موقف المؤمن كظافر منتصر فوق رئيس سلطان الهواء، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية.

إن قوله «فى المسيح» يبين أن قيامة المسيح وصعوده وتمجيده، لها صلة حية بكنيسته على الأرض، إذ هى عربون ١ وحجة، وضمان، وأساس قيامة الكنيسة، صعودها، وتمجيدها.

(قابل هذا بما جاء فى لوقا ١٠: ١٨و١٩).

لقد أوضحنا معنى كلمة: «فى السماويات» فى سياق تفسير العدد الثالث من الأصحاح الأول فاطلبها فى موضعها على صفحة ٣٧

عدد ٧ (٤) قصد الله من عمل نعمته، ووقت إعلان هذا القصد.

«ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق».

(١) **قصد الله** من عمل نعمته: «ليظهر ... غنى نعمته الفائق». لقد أحيانا الله وقدسنا، لا لأننا نستحق شيئاً من هذا، ولا لأننا قمنا من جانبنا

غنى نعمته الفائق

بمجهود فى هذا السبيل ، بل لإظهار غنى نعمته المجانية . وكما أبان الرسول فى الأصحاح الأول ، أن الله اختارنا «لمدح مجد نعمته» (١:٦) ، أظهر أيضاً فى الأصحاح الثانى ، أن الله خلصنا وأحيانا «ليظهر غنى نعمته الفائق باللطف علينا».

(ب) وقت إعلان هذا القصد: «فى الدهور الآتية» . يراد بـ «الدهور الآتية» العصور والحقب المتعاقبة التى تشهد تقدم ملكوت المسيح ورفع لوائه لا فى هذا الدهر فقط بل فى الأجيال العتيدة : «الآن وإلى كل الدهور». وليس من شك فى أن «ملك الدهور وحده» هو العليم بما تتضمنه هذه العبارة من معان دفينة ، يستترجلها وراء حجب المستقبل الكثيفة. فمع أن الباعث لإله النعمة على عمل نعمته ، هو لطفه علينا ، إلا أن عمل نعمته ليس مقصوراً علينا . لكنه ذات صلة وثيقة بملائكة ، ورؤساء فى الدهور الآتية. وليس هو وقفاً على عصر معين لكنه يمتد إلى الدهور الآتية . هذا دليل على أنه عمل حىّ ، فعّال ، دائم . وهل نستحق نحن البشر الساقطين أن نكون موضوع إعجاب الملائكة وتعجبهم «عند استعلان أبناء الله» (رومية ٨:١٩)؟

حقاً إن السموات تحدّث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه ، وأن «أمور الله غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته» لكن جلال نعمته الفائقة ، لا يُرى ظاهراً جليا إلا فى أشخاص المفديين الذين كانوا عمياناً فاستنيروا ، وظلاماً فأناروا . هذه هى «اللوحة الحية» المتحركة التى يُستعرض عليها جلال نعمة الله الفائقة باللطف علينا.

بقدر ما تعتبر هذه الحقيقة معظمة لله ، ومظهرة جلال نعمته ، نراها فى

باللطف علينا فى المسيح يسوع

الوقت نفسه ، مظهرة ضعة الإنسان وحقارته ، ومذكرة إياه على الدوام «بالنُقرة» التى منها أخذ ، والصخرة التى منها اقتُطع . وكأن الله يقول باستمرار للبشر « ليس من أجلكم وحدكم قد عملت هذا بل من أجل اسمى الذى دعى عليكم ولأجل مجدى » .... «وكرامتى لا أعطيها لآخر » .

(ج) صلة هذا القصد بالإنسان : « باللطف علينا » . الكلمة الأصلية المترجمة «لطف» تعنى حرفيا «التأهب لإغاثة الملهوف» . وقد استُعملت وصفا لنعمة الله المترفقة بنا نحن الجهال ، السريعة الخطى إلى المغفرة والصفح . وردت فى لوقا ٦ :٣٥ وصفا لجودة الله «المنعم على غير الشاكرين والأشرار» وجاءت فى رومية ٢ : ٤ مقترنة « بإمهال الله وطول أناته » ، وفى رومية ١١ :٢٢ مضادة لشدة الله وصرامته . وفى تيطس ٣ :٤ مرتبطة باحسان الله ولطفه .

يراد بقوله : « فى المسيح يسوع » أن المسيح كان بحياته ، وأعماله ، وكلماته ، ومماته ، خير مترجم لنا عن لطف الله نحونا . هذا فضل شهدت به الأعداء : «هذا يقبل خطاة ويأكل معهم» (لوقا ١٥ :١) ، «أنظروا كيف كان يحبه» (يوحنا ١١ :٣٦) . نعم إن لطف الله نحو البشر ظهر فى الطبيعة، وما أعده الله فيها للإنسان من أسباب التمتع ، إلا أن الطبيعة مشوبة بشىء غير قليل من الأمور القاسية التى لا نفهم لها قصداً خيراً — كالزلازل والبراكين . وظهر لطف الله أيضا على لوحة العناية الإلهية التى تُلمّ بكل شاردة وواردة فى حياة الإنسان ، لكننا كثيراً ما نرى على لوحة العناية أعمالاً نقف دونها حيارى —

٨ لأنكم بالنعمة مخلصون

كآلام الطفولة البريئة ، والمجاعات . لكننا نرى فى حياة المسيح وموته عنا لطفاً لا تشوبه قسوة ، ومحبة لا يتطرق إليها ظل من الفتور أو التغاضى، وتفانياً لا يعرف الوهن إليه باباً .

(٥) أسلوب عمل إله النعمة (٢:٨—١٠)

| عدد ٨ | — ١ — علة خلاصنا — النعمة : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان . وذلك ليس منكم هو عطية الله » . هذا تقرير وتوكيد وتوضيح لما ذكره الرسول عرضاً فى العدد الخامس . فأوضح هنا عقيدة الخلاص بالنعمة إيضاحاً ليس بعده من مزيد . ولئن كان قد سبق فكتب عن هذه الحقيقة بجلاء فى رسالتى رومية وفيلبى (رومية٣: ٢٧ و٤: ٢٥، في ٣: ٢ —٩) إلا أن كتابته عنها فى هذا العدد، أجلى وأوضح. فقد أبان بجلاء لا يأتيه الشك من إحدى نواحيه ، إن عملية الخلاص كلها من عمل النعمة وحدها . فهى تبدأ بالنعمة ، وتسير بالنعمة ، وتتوج بالنعمة . فقد شاءت المسرة الإلهية ألا تترك مجالا للإنسان فى عملية الفداء ، لكى يعود كل المجد على الله وحده ، كيلا يفتخر أمامه جسد ما . هذه الحقيقة قررها المسيح حين قال على الصليب : « قد أكمل » ، فالوليمة السماوية أعدت من جانب الله ، وما على الإنسان إلا أن يقبل الدعوة ، ويتمتع بأفخر أطايب الوليمة — هذا القبول يعبر عنه بالإيمان. لذلك يقول الرسول: « بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان ». فالنعمة هى العامل الأساسى، والإيمان هو العامل الثانوى

بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله

—ب— وسيلة قبولنا الخلاص : الإيمان .لئلا يخطر ببال أحد أن للإنسان فضلاً فى إيمانه، فيتخذ منه أداة للفخر ويبنى على أساسه صرحاً للبر الذاتى ، عمل الرسول على هدم هذا الصرح من أساسه فقال . «وذلك — أى الإيمان — ليس منكم. هو عطية الله » . وهل من فضل لمتسول يمد يده ليقبل العطية التى يجود بها عليه محسن كريم؟ ومع ذلك ، فإذا جاز للمتسول أن يفخر بيده الممدودة لتناول الإحسان ، فلا يجوز قطعاً لإنسان مفتدى بالدم الكريم، أن يفتخر بإيمانه ، لأن « الإيمان ليس منه. هو عطية الله ». ويمكننا أن نتحقق ذلك جيداً ، متى ذكرنا أن الخلاص مقدم للإنسان وهو ميت بالذنوب والخطايا ، وأنى لميت أن يحرك يداً أو أن يظهر إستعداداً وقابلية؟! على إتمام إرادته الصالحة: « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا . . . من أجل المسرة » (اطلب ٢ كو ٤:١٣، فيلبى ٢:١٣) . ولعل الإيمان عنصر من العناصر المكملة للتوبة الحقيقية التى تقوم بتغيير فكر الإنسان فيرفض إرادته الذاتية ويعتنق إرادة الله من جهته (أعمال ٥ :٣١ ، ٢ تى ٢:٢٥).

يعتقد بعض المفسرين — وبينهم كلفن — أن كلمة : « وذلك » تعود على كل الجملة التى بها يبدأ هذا العدد : « لأنكم بالنعمة مخلصون »، لا على كلمة : « الإيمان» وحدها . والظاهر أن وضع العبارة فى اللغة الأصلية يجيز لنا أن نحسبها وصفاً للإيمان أو للخلاص .وعلى كلٍ ،فجوهر المعنى فى كلا الحالين واحد (قارن هذا بما جاء فى رومية ٣:٢٧و٢٨، ٤:١٤—١٦).

٩ ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. ١٠ لأننا نحن عمله

عدد ٩ — ج — غاية خلاصنا — تمجيد الله وحده « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد ». هذا صدى الصوت القوى الذى رفعه بولس عالياً فى العدد السابق ، وهو قرار الأنشودة التى تغنى بها الرسول فى رسالتى رومية (ص ٤) وغلاطية (ص٣) ، فأبان الرسول فى هذا العدد ، أن الإيمان الخلاصى ، أو الخلاص بما فيه الإيمان ، ليس ثمرة مجهود بشرى ، ولا هو أجرة على عمل أتاه الإنسان أو سيأتيه ، وإلا كان سبباً للفخر ، وداعياً للارتكان على عكاز الاستحقاق الذاتى — بذلك تبطل النعمة ، لأن الإنسان لم يعد بعد فى حاجة إليها ، فتنعكس الآية ويتمجد الانسان ، وينسى إله النعم والخيرات . من أجل ذلك أراد الرسول أن ينتزع هذا الوهم إنتزاعاً ، فبين حقيقة الحال ، إذ قال : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (قابل هذا بما جاء فى رومية ٣: ٢٧ ، ١ كو ١: ٢٩ ، ٤: ٧ ، غلاطية ٦: ١٤ وفيلبى ٣: ٣) . وفي هذه الأقوال مجتمعة معاً ، تتجلى لنا غيرة الرسول المتقدة على مجد الله ، وجلال نعمته ، كيلا يرتفع رأس فى حضرة الله ، ولكى تكون أنشودة كل إنسان مكونة من مقطعين — أحدهما « لست مستحقاً » وثانيهما : « مستحق أنت » .

عدد ١٠ — د — ثمر خلاصنا أو القصيدة الإلهية المجيدة :

« لأننا نحن عمله .... لأعمال صالحة معدة »

« لأننا نحن عمله » — وفى اللغة الأصلية « قصيدته » — « مخلوقين فى

مخلوقين فى المسيح يسوع لأعماله صالحة

المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها »

هذه حجة قوية ، قصد الرسول أن يدعم بها حقيقة الخلاص بالنعمة، مبيناً بها أن لا فضل للإنسان فى الأعمال الصالحة التى تصدر عنه ، لأن الإنسان مدين لله بكيانه الروحى المطلق . وما دام أصل الشجرة ديناً ، فكل ثمارها ديون مركبة . فالإله المنعم قد خلقنا خليقة جديدة، وأهلنا بحكمة وقوة لكى نعرف إرادته الصالحة وننفذها فى حياتنا ، وفق برنامج معين قصده الله بنا. فإذا ما أتممنا برنامجاً مرسوماً لنا ، فلا فضل لنا ولا فخر، لأننا لم نرسمه لأنفسنا ، لكنه مخلوق لنا ونحن له مخلوقون ، ولولا حرصنا على ما للإنسان من حرية إرادة لقلنا أننا لم نرده لأنفسنا لكن الله أراده لنا وأرادنا له، قبل أن يكون لنا كيان أو إرادة . هذه هى الأعمال الصالحة التى سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها ، إذاً لم تكن لنا يد فى إعداد هذا الطريق ولا فى تعبيده ، ولا فخر لنا فى هذه الأعمال الصالحة ، لأنها تصدر عن طبيعتنا المتجددة عفواً واختياراً ، لا قهراً واضطراراً . فكما أن التنفس عمل طبيعى تأتيه الرئتان السليمتان ، وكما أن الهضم عمل طبيعى تقوم به المعدة السليمة، كذلك تعتبر هذه الأعمال الصالحة من مستلزمات الطبيعة المتجددة « المخلوقة فى الله حسب البر وقداسة الحق » . فاذا كنا نحسب يوماً أننا أتينا هذه الأعمال لله ، فإننا قد أتيناها أيضاً بالله ومن الله . فاذا ذكرنا « أعمالنا » فلا ننس « عمله » الذى هو « نحن وأعمالنا » .

قدسبق الله فأعدها لكى نسلك فيها

ويهمنا أن نذكر أننا وإن كنا لم نخلص بسبب هذه الأعمال الصالحة ، إلا أننا قد خلصنا لها ، فهى ليست علة خلاصنا ، لكنها ثمرة خلاصنا .

وجميل بنا أن نلاحظ أن الكلمة التى تُرجمت من الأصل اليونانى إلى: «عمله» ، قد تُترجم حرفياً إلى : « قصيدته » — شِعره . هـــذه حقيقة ممتازة تدعو إلى شكر الله وحمده . لأنها تعلمنا ضمناً، إننا تعبير جميل عن إرادته الصالحة ، وأفــكاره الجميــلة ، وتصوراته القدسيــة — لأننا «قصيدته » . فاذا كانت ملائــكة السماء قد ترنمت وقت الخليقة الأولى ، فإن الله نفسه قد فرح مترنماً عندما خلقنا الخليقة الجديدة «فيالعمق غنى الله ،وحكمته وعلمه ! ما ابعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأنه من عرف فــكر الرب أو من صارله مشيراً . أو من سبق فأعطاه ليكافأ لأن منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد . آمين » .

هذه ثالث مرة وردت فيها العبارة : « فى المسيح يسوع » فى خلال الخمسة الأعداد الفائتة. فالله قد أقامنا وأحيانا «فى المسيح يسوع» ،ليظهر غنى نعمته الفائق باللطف علينا « فى المسيح يسوع » ، لأننا نحن عمله مخلوقين «فى المسيح يسوع ».

بين عهدين
أو
دخول الأمم إلى ملكوت النعمة
(٣ : ١١ — ١٢)

جدير بنا ، وقد قطعنا مرحلة كهذه في ميدان هذه الرسالة ، أن نستوقف أنفسنا قليلاً لنُلقى نظرة عاجلة على ما مرّ بنا ، لنتبين الخيط المنطقى الدقيق الذى يربط ما مضى منها بما يأتى .

فى منتصف الأصحاح الأول ، رأينا بولس الرسول ساجداً مصلياً لأجل المكتوب إليهم ، كى يعطيهم الله « روح الحكمة والإعلان فى معرفته . ليعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين . وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين » — تلك القدرة التى تجلت فى إقامة المسيح من الأموات وفى إقامة المؤمنين معه ، ورفعهم ، وإجلاسهم معه فى السماويات . لأن قيامة الرأس عربون وضمان ، وحجة لقيامة الجسد ، إذ لا يمكن فصل الجسد عن رأسه الحىّ .

وكان من نتائج هذه الرفعة وهذا السمو ، أن الرسول أماط اللثام عن أمجاد المؤمنين ، فأرانا إياهم فى غرة الأصحاح الثانى مرتفعين فوق « دهر هذا العالم » ، متحرّرين من سلطة « رئيس سلطان الهواء » ، متسلطين على « مشيئات الجسد والأفكار » . لأنهم « فى السماويات » مقيمون . ولو أن

أذكروا أنكم

أجسادهم تتمشى على هذه الأرض الدنيا . وفوق ذلك ، فقد أصبحوا جميعاً متمتعين بوحدانية مقدسة أزالت ما بينهم من فوارق .

غير أن الرسول أراد أن يذكر المكتوب إليهم بحالهم الأولى الوضيعة ، كى يجعل نصب أعينهم مجدَ الله الذى تجلى فى نعمته المجانية التى أغدقها بكل حكمة وفطنة على اليهود والأمم على السواء .

ومع أن المفاضلة غير جائزة فى باب النعمة ، لأن النعمة شملت اليهودىّ والأممىّ ، وكلاهما ميت بالذنوب والخطايا — ولا مفاضلة بين درجات الموت — إلا أن اليهودىّ قد خص بمزايا إجتماعية ودينية كان الأممى محروماً منها . فمن هذه الوجهة يعتبر دين النعمة على الأممى أثقل منه على اليهودى . لذلك قصد الرسول : أولاً — أن يذكر الأمميين ببعدهم الأصلى الذى أخذوا منه ، وبالصخرة الأولى التى منها نقروا — فى ماضيهم (۲: ۱۱ و۱۲) . ثانياً — أن يحيطهم علماً بالسلام الذى هم فيه مقيمون — فى حاضرهم (۲: ۱۳ — ۱۸) . ثالثاً — أن يجعل نصب أعينهم الغاية المجيدة التى أعدهم الله لها — فى مستقبلهم (۲: ۱۹ — ۲۲) . فماضيهم ، ظاهر فى قوله : « قبلاً » . وحاضرهم ، بيّن فى كلمة « الآن » . ومستقبلهم ، واضح فى كلمة « ينمو »

عدد ۱۱ و۱۲ | أولا : الرسول يذكر الأمم ببعدهم الأصلى الذى منه جبلوا — فى الماضى (۲: ۱۱ و۱۲)

« لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً . . والآن » ! ! من ذكر ماضيه

أنتم الأمم

المظلم ، شكر الله على حاضره النيّر . هذا هو الدرس الذى أراد الرسول أن يطبعه على قلوب قارئيه من الأمم . فمن المحقق أن ضياء صفحة النعمة اللامع، يزداد تألقاً ولمعاناً إذا ما انعكس على سواد صفحة الذنوب والمعاصى . وبضدها تتبيّن الأشياء .

ومن المسلّم به ، أننا نحن الأمميين العائشين فى القرن العشرين ، لا نستطيع أن نقدّر الحرمان العظيم الذى كان واقعاً على الأمم قديماً، فقد كانوا في نظر اليهود من سقط المتاع ، المزدرى والغير الموجود . فما كان اليهودىّ ليأكل طعامه إذا وقع عليه ظل إنسان أممى . وقد ذكر بولس نفسه — وهو رسول الأمم — أن اليهود كانوا متمتعين بمزايا جمة لا يستهان بها: « . . . لهم التبنى ، والمجد، والعهود، والاشتراع، والعبادة، والمواعيد. ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين » . لكن هذه المعركة الحامية التى ظلت نيرانها مستعرة بين اليهود والأمم بسبب الامتيازات المتمتع بها الأولون والمحروم منها الآخرون، قد خمدت نيرانها . لأن كل هذه القرون المتعاقبة قد كسرت حدة الخلافات الكثيرة التى كانت قائمة بين اليهود والأمم. ولقد كانت حرب المفاضلة بين اليهود والأمم على أشدها فى منتصف القرن الأول للميلاد ، فيها كانت كفة اليهود راجحة لدرجة جبن أمامها بطرس الرسول ، الذى كان متصفاً بالشجاعة والإقدام، فاضطر بولس الرسول « أن يقاومه مواجهة لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان بطرس يأكل مع الأمم . ولكن لما أتوا كان

قبلاً فى الجسد

يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى معه باقى اليهود أيضاً حتى أن برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم » (غلاطية ١ : ١٠ — ١٣). فلا غرابة إذا كان الأمميون يحسبون مساواتهم باليهود نعمة ممتازة ، يذكرونها فيشكرون الله عليها . وكان بولس الرسول يعلم ذلك حق العلم سيما وأن الأمم كانوا قد ظفروا بهذه المزايا حديثاً ، لذلك أراد أن يذكرهم بماضيهم القريب ، فقال لهم : « اذكروا ... » . وقد ذكر الرسول فى هذين العددين (١١ و ١٢) بضع مزايا كان الأمميون محرومين منها — واحدة جسدية — ميزية الختان (عدد ١١) . وواحدة إجتماعية ظاهرة ، فى قوله : « بدون مسيح » . « أجنبيين عن رعوية إسرائيل » وأربعاً روحية ظاهرة ، فى قوله : « غرباء عن عهود الموعد » . « لا رجاء لهم » . « وبلا إله . فى العالم » .

إن ذكر الماضى الوضيع ، يرفع الإنسان إلى حصن الشكر المنيع . حسناً قال إرميا قديماً : « أردد هذا فى قلبى . من أجل ذلك أرجو . أنه من إحسانات الرب أننا لم نفن لأن مراحمه لا تزول . هى جديدة فى كل صباح . كثيرة أمانتك . نصيبى هو الرب قالت نفسى . من أجل ذلك أرجو » حسناً قيل عن أحد كبار أهل الغرب العصاميين أنه بعد أن رفعه مليكه إلى مرتبة الأشراف ، كان يحتفظ فى غرفة إستقباله ، أيام عزه وغناه ، بتلك المنطقة التى كان يتمنطق بها فى أيام بؤسه وبلواه .

فالذكرى تنفع من يريد أن ينتفع ، وهى أيضاً ترفع من يبغى أن يسمو بها ويرتفع .

المدعوين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد في الجسد. ١٢ انكم

عدد ١١ | ١- الميزة الأولى - الميزة الجسدية - التي كان الأميون محرومين منها، وكان اليهود يفتخرون بها عليهم - الختان. يلوح لنا أن الرسول — وقد أضحى الآن رسول الأمم — لا يعتقد أن في هذه العلامة الجسدية ما يميز جماعة عن جماعة أخرى في ملكوت النعمة. لذلك استعمل لهجة تهكمية لاذعة إذ قال: «المدعوين غرلة من المدعو ختاناً، مصنوعاً باليد في الجسد» — فهي إذاً ميزة عرضية، جسدية، إسمية، لا هي جوهرية، ولا روحية، ولا حقيقية بدليل تكرار كلمة «في الجسد» مرتين في هذا العدد. هذا مؤيد لكلام الرسول في رومية ٢: ٢٨ و٢٩ «لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً. بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه» — وفي الأصل «يهوديته» - «ليس من الناس بل من الله». فالميزة الحقيقية هي الميلاد الثاني الذي تبدعه يد الله في القلب، بخلاف الختان الذي تجريه يد إنسان في الجسد. فالختان إذاً ليس سوى ميزة في عرف اليهودي لا في عرف الحقيقة والواقع: «المدعوين غرلة من المدعو ختاناً» — يؤيد هذا قول التلمود. إن الفريسيين كانوا يلقبون أنفسهم «بالختان» والأميين بـ «الغرلة».

عدد ١٢ | خلاصة المزايا الحقيقية التي نالها الأميون. «إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح» بعد أن فرغ الرسول من الكلام

كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح

عن الختان الذى كان يحسبه اليهود ميزة عظمى يتفاخرون بها على الأمم — ولم يكن الرسول نفسه يشاطرهم هذا الرأى اعتقاداً منه أن الختان علامة جسدية ليست ذات بال ولا خطر فى ملكوت الله الروحى — انتقل إلى الكلام عن المزايا الحقيقية التى كان الأمميون محرومين منها قبل إتيانهم إلى المسيح . وقد أجمل هذه المزايا فى كلمتين : « بدون مسيح » . فأجاد الرسول كل الإجادة إذ جمع كل المزايا الاجتماعية والروحية التى كان الأمميون محرومين منها، في هذه العبارة الموجزة ، الجامعة ، المانعة : « بدون مسيح » . هذا بحر خضم من المزايا مركز فى قطرة . بل قصيدة خالدة مجملة فى شطرة .

« بدون مسيح » — وماذا يتبقى بعد هذا ؟ ! قد يعيش إنسان بغير عينين ، وقد يسلك الأعمى بغير عكاز ، وقد يحيا الجسد بغير قلب — أما أن يكون إنسان « بدون مسيح » ، فهذا جحيم مقيم ! قد تعيش أمة بغير حكام، وقد يحكم حكام بغير برلمان، وقد ينعقد برلمان بغير دستور — أما أن تكون أمة « بدون مسيح » ، فهذا فناء وإعدام! قد يسافر مسافر فى قلب الصحراء بغير جرة ، وقد يحمل جرة على ظهره بغير ماء ، أما أن يكون الإنسان مسافراً فى برية هذا الوجود « بدون مسيح » فهذا انتحار محقق ! قد يستغنى سكان الغبراء عن نور الشمس فى النهار . وقد لا يحتاجون إلى ضوء القمر فى الليل ، وقد يعيشون طوال أعوامهم من غير أن يروا ربيعاً فى الحياة فيجمدوا فى الشتاء ، ويذوبوا فى الصيف ، ويفنوا فى الخريف ، لكن أن يكون الإنسان « بدون مسيح » فهذا هو الموت الزؤام !

أجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء

« بدون مسيح » — هذه خلاصة المزايا الحقيقية التي كان الأمميون محرومين منها — ومنها تتفرع سائر المزايا — اجتماعية كانت أم روحية : فالمسيح هو منبع كل المزايا الاجتماعية، ومصدر كل البركات الروحية .

(ب) المزية الاجتماعية: « أجنبيين عن رعوية إسرائيل » — الكلمة المترجمة « أجنبيين » يجوز أن تترجَم حرفياً إلى « مبعَدين »، وهي ذات الكلمة المترجمة « متجنبون » في ٤ : ١٨ . إذ قوله: « عن رعوية اسرائيل » يرسم أمامنا صورة جماعة منتظمة تحت لواء ملك عظيم قد منحهم حقوقاً اجتماعية ومزايا مدنية باعتبار كونهم رعاياه . كذلك كانت الأمة الإسرائيلية قديماً حين كان الرب إلهاً لها وملكاً ومشيراً وحامياً . ولعل الرسول نظر إلى الأمة الإسرائيلية باعتبار كونها رعية « لمسيا » الملك ، بدليل قوله : « أجنبيين عن رعوية اسرائيل » ، كتعقيب، وشرح، ونتيجة لقوله : « بدون مسيح » .

إننا مدينون للوقا الطبيب كاتب سفر الأعمال بحوار دار بين بولس وأمير، يلقي ضوءاً على كلمة: « رعوية » — فجاء الأمير وقال له قل لي . أنت روماني. فقال نعم : فأجاب الأمير أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية. فقال بولس أما أنا فقد وُلِدت فيها » (أعمال ٢٢ : ٢٧ و ٢٨) . فالأمميون كانوا أجنبيين عن رعوية إسرائيل لأنهم لم يولدوا فيها ولم يكن لهم سبيل إلى اقتنائها وهم أمميون . ولعل أقرب كلمة إليها في عصرنا الحاضر، هي : « حرية المدينة » أو « تقدير الوطن » .

(ج) أولى المزايا الروحية: « وغرباء عن عهود الموعد » . الموعد

عن عهود الموعد

واحد لكن عهوده كثيرة . هو وعد الله لإبرهيم: تتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تكوين ١٢:٣، ٢٢:١٨) . لكن العهود التى قطعها الله مع شعبه بمناسبة هذا الموعد، كثيرة العدد . فمنها: عهده مع إبرهيم، وموسى، ولاوى وداود ، ويشوع . وجدير بالملاحظة ، أن « الموعد» لم يكن مقصوراً على الأمة الاسرائيلية، لكنه تناول « جميع قبائل الأرض» . وما كان بنو اسرائيل سوى أداة إيصال بركة الله إلى « جميع قبائل الأرض» . لذلك حسب الأمم فى نظر الرسول « مبعدين عن رعوية إسرائيل »، « وغرباء عن عهود الموعد» على اعتبار أنهم كانوا أصحاب حق طبيعى فيه — حسب الموعد، لكنهم أبعدوا عنه لكونهم « بدون مسيح» . وفى هذا يقول الرسول « فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل ابرهيم وحسب الموعد ورثة » (غلاطية ٣:٢٩) . فهو موعد الخلاص ، والتبرير ، والتبنى ، بالإيمان بالمسيح يسوع — هذه أولى المزايا الروحية التى كان الأمميون محرومين منها ، بسبب بعدهم عن المسيح .

(د) المزية الروحية الثانية : « لا رجاء لكم » — إن خير مفسر لهذه العبارة هو ماقاله الرسول نفسه فى ١ تس ٤:١٣ « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم » . فالرجاء المقصود هنا، هو رجاء الخلود. نعم عند الأمم تصورات و انتظارات فى الخلود، قد تكون أوهاماً وقد تكون آمالاً لأنها ليست مبنية على أساس يقينى ثابت، بخلاف الرجاء الوطيد الذى أبدعته حياة المسيح، وموته، وقيامته ، فى قلوب المؤمنين به . وأن من تتاح له فرصة الاطلاع على مؤلفات الرومان واليونان،

لا رجاء لكم

فى العصور الأولى ، يتحقق جلياً مقدار الغموض والإبهام اللذين كانا مستوليين على عقولهم من جهة حقيقة الخلود . ويقول المؤرخون أنه فى أبَّان حكم إسكندر الأكبر ، كان هذا القول مأثوراً ومتداولا على ألسنة حكماء اليونان ، والسواد الأعظم فيهم : « الخير الأعظم : أن لا يولد الإنسان قط ، والخير الذى يليه : أن يموت حالاً » .

قد تكون كلمة : «لا رجاء لهم» غير مقصورة على رجاء الخلود ، بل تتناول الحياة كلها وتصف نظرة الإنسان إلى الحياة بأسرها. لأن انعدام الرجاء فى ما بعد الموت ، ينعدم معه كل رجاء فى الحياة. يتبين لنا ذلك ، متى ذكرنا أن أقوال شعراء الرومان واليونان، وفلاسفتهم، فى أيام بولس الرسول، كانت منصبة على أمجاد الماضى ومنسحبة على عظمة القرون السالفة. فكانوا يحسبون أن عصرهم الذهبى قد مضى وانقضى. لذلك ملوا الحاضر وأصبحوا بغير رجاء من جهة المستقبل . لأنه كان مظلماً أمام عقولهم المظلمة. بخلاف كتابات شعراء اليهود وأنبيائهم فإنها كانت منصرفة كلها إلى التغنى بالأمجاد العتيدة ، وتوقع استعلان أبناء الله ، وانتظار المدينة التى لها الأساسات التى صانعها وبارئها الله، والاشتياق إلى مجىء «مسيا» بمجده ظافراً منصوراً.

(هـ) **المزية الروحية الثالثة** : « بلا إله» . لقد عبد الوثنيون آلهة كثيرة وخضعوا لأرباب عديدين ، لكنهم كانوا يجهلون الإله الواحد الحى الحقيقى الذى يطلب تخصيص القلب كله له ، وإلا فهو بعيد عن القلب كلية . إن إله

وبلا إله

اليهود هو إله الأمم(رومية٣:٢٩) . لكن هذه الحقيقة لم تكن قد أعلنت للأمم بعد : لأنهم كانوا بغير مسيح. فكانوا بغير إنجيل . فمع أن «معرفة الله كانت ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم » (رومية ١:١٩) ، إلا أنهم « لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم» (رومية١:٢٨) . ولعل العلة الرئيسية في كونهم « بلا إله»، هي أنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد — من الإنجيل — أن إله اليهود هو هو إله الأمم

ولكونهم « بلا إله » يسيطر على عقولهم ، ويتسلط على قلوبهم، صارت عقولهم مرتعاً للأفكار الدنسة ، وأمست قلوبهم بؤرة لكل شر وفساد . « ففعلوا ما لا يليق مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث ، مشحونين حسداً وقتلا وخصاماً ومكراً وسوءاً . نمامين مفترين ، مبغضين لله ، ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين . بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة ».

الكلمة الأصلية المترجمة « إله» وردت هنا نكرة ، وهي المرة الوحيدة التي وردت فيها بهذه الصيغة في العهد الجديد، ومنها اشتقت الكلمة الشائعة التي تعني «ملحد» أو « كافر » . ومن الغريب أن المسيحيين الأولين كانوا يضطهدون من الوثنيين بحجة كونهم ملحدين وكفرة . مع أنهم هم الكفرة. فكأنما الإنسان يتبرع لغيره بالتهمة اللاصقة به هو دون سواه ! !

كان الأمميون محرومين من كل هذه المزايا لأنهم كانوا « بدون المسيح» فحرمانهم من المسيح يترتب عليه حرمانهم من كل ميزة ، وصلاح ، ونعمة.

فى العالم

لأنهم « بدون مسيح » ، أصبحو « أجنبيين عن الرعوية الملكية »
ولأنهم « بدون مسيح » ، أضحوا « غرباء عن عهود الموعد »
ولأنهم « بدون مسيح » ، أمسوا « بلا رجاء »
ولأنهم كانوا « بدون مسيح » ، باتوا « بلا إله » (*)
ولأنهم كانوا « بدون مسيح » تركوا « فى العالم »

فالمسيح هو مصدر الحياة الوطنية الصحيحة ، وهو مصدر الحياة الروحية الراقية ، وهو منبع الرجاء الوطيد ، وهو معلن لنا حقيقة الله ، لأنه هو « الطريق والحق والحياة . فما من أحد يأتى إلى الآب إلا به ».

ختام المأساة : « فى العالم » . إن هذه العبارة ، وان كانت غير قائمة بذاتها

(*) يقول يوستنيان « الشهيد » إن المسيحيين الأولين كانوا يضطهدون بحجة كونهم كافرين بالآلهة المتعددة αΘεοί فكان هو يذكر المضطهدين بأن سقراط أعدم بحجة كونه كافرا بالله الحى αΘεος . وفى مناسبة تاريخية مشهورة ، ارتدت سهام هذه التهمة إلى صدور الذين تبرعوا بها لسواهم ، ذلك أنه لما حانت ساعة إعدام الشهيد وليكاربوس ناشده الحاكم بهذه الكلمات المأثورة : « أقسم بعظمة الامبراطور وتب . وقل : مالى والملحدين (يعنى المسيحيين) فليسقطوا !! » أما بوليكاربوس فقد أجابه إلى ما طلب ولكن بمعنى غير الذى قصد . لأنه التفت إلى جماعة الوثنيين — لا المسيحيين — ثم رفع يديه نحوهم وهتف بلهجة قاطعة : « مالى والملحدين (يعنى الوثنيين) فليسقطوا » !! ولقد أصاب بوليكاربوس كبد الحقيقة لأن الملحدين حقا هم الوثنيون الذين بلا إله » .

١٣ ولكن الآن

بل مرتبطة بسابقاتها ، إلا أنها تعبير إيجابي مركز اختتمت به كل العبارات السلبية السابقة. فإذا كانت كلمة: «بدون مسيح» أساساً لكل الحرمان الذي أصاب الأمم ، فإن كلمة «في العالم» قياس لكل نواحي حياتهم. فرعويتهم ... في العالم... ورجاؤهم... في العالم، وإلههم... في العالم. ومعبودهم .. في العالم. وهل تعلو المياه عن المستوى الذي منه تنحدر ؟ هم من العالم — وفي العالم — وإلى العالم !!

«في العالم» — على عكس قوله : «في المسيح» . من الطبيعي إن من كان بدون مسيح، يصبح مطروداً من العالم و «بلا إله». لأن هذا «العالم» قد وضع في الشرير ، وكل ما فيه مضاد للمسيح ، لأن إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين بحجاب المادة الكثيف.

| عدد ١٣ | ثانياً: الرسول ينبه الأمم إلى السلام الذي هم فيه مقيمون في حاضرهم (٢: ١٣ — ١٨).

جميل بالمرء أن يذكر ماضيه فلا تبرح عن باله الصخرة التي منها قطع : لكن انصراف الفكر إلى الماضي وحده ، يجعل المرء منقطعاً عن مستقبله وحاضره ، متحسراً على ما فات إن كان جميلا مقبولا ، فزعاً منه إن كان قبيحاً مرذولا ، فليس من الحكمة أن يقضي الإنسان أعز أوقات حاضره ليذرف الدموع السخينة على الماء المهراق بالأمس . لأن ما مضى قد انقضى وفات. وأمام الإنسان حاضره ، وما هو آت آت. لذلك بعد أن فرغ الرسول

في المسيح يسوع

من تذكير الأمم بماضيهم التعس، وجه أبصارهم وبصائرهم إلى حاضرهم المقدس فقال : « . ولكن الآن» . وكما أن شقاوتهم الغابرة حلت بهم لكونهم « بدون مسيح » ، كذلك سعادتهم الحاضرة أحاطت بهم لكونهم «في المسيح» . فالبون العظيم الكائن بين الهاوية والسماء يعينه موقف الإنسان من المسيح — أهو « بدون مسيح» أم «في المسيح » . «لذلك اذكروا أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين .. في العالم ... لكن الآن في المسيح ... صرتم قريبين» .

يعتبر هذا العدد خير مفسر لما جاء في إشعياء ١٩:٥٧ « ... سلام سلام للبعيد (الأممي) ، وللقريب (اليهودي) قال الرب وسأشفيه» . وفيه أجمل الرسول حقيقة السلام الذي صنعه المسيح بين الأممي واليهودي ، ثم بينهما معا وبين الله تعالى . وفي الأعداد التالية (٢ : ١٤ — ١٨) فصّل الرسول ما أجمله في هذا العدد . فكأن هذا العدد هو المحور الذي عليه يدور هذا الفصل ، وهو بمثابة مقدمة له . وفيه أبان الرسول ثلاثة أمور .

— ١ — **الامتياز الحالي الذي يتمتع به الأمم: «ولكن الآن... صرتم قريبين»** — هذا هو السلام الذي تم بينهم وبين اليهود ، ثم بينهم واليهود معا وبين الله كان الأمميون بعيدين عن المزايا اليهودية حساً ومعنى — تفصلهم عن بعضهم البعض فوارق وفواصل عدة ، بعضها : جغرافي — لأن اليهود كانوا يركزون كل شيء في اليهودية ، ويركزون كل اليهودية في أورشليم وكان الأمميون — إلى عصر الرسول — بعيدين جغرافيا عن أورشليم ،

أنتم الذين كنتم قبلاً

و بعض تلك الفواصل معنوى، روحى. فالأمميون كانوا يختلفون عن اليهود فى نوع تفكيرهم، وفى طقوس عبادتهم، وفى نظرتهم الى الحياة بوجه عام سواء أكان فى جانبها الشخصى أم الاجتماعى أم الدينى وفوق ذلك، كان الأمميون أجنبيين عن الله فى حقيقة حالهم، وفى خطاياهم التى أقاموها فاصلاً بينهم وبين إلههم وفى أفكارهم الحمقاء وقلوبهم الغبية (رومية ١: ٢١)، فحق إذاً لبولس أن يقول لهم: «ولكن الآن أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين». لأنهم كانوا بعيدين عن اليهود، بعيدين عن أنفسهم الحقيقية الشريفة (لوقا ١٥: ١٧)، بعيدين عن الله.

ب — مقامهم الحالى: «الآن فى المسيح يسوع». أما مقامهم السابق فقد بيّنه الرسول فى عبارتين سالفتين تبعد كلتاهما عن هذه بعد الهاوية عن السماء. وقد وردت إحداهما فى غرة العدد السابق: «بدون مسيح»: وثانيتهما فى خاتمته: «فى العالم». فالعامل الأساسى فى هذا المقام الممتاز هو المسيح نفسه الذى أجرى سلاماً بين اليهود والأمم، ثم بينهما كليهما وبين الله. هذا مقام حى، بل صلة حيوية، كتلك التى تجمع بين الشجرة وأغصانها، وهى أيضا صلة نامية. لأن كل حى نام، فهى بالتالى صلة باقية. هذه صلتهم الجديدة بعد أن كانوا زيتونة برية، فطعموا فى الكرمة الحقيقية، فصاروا رعية تحت لواء «مسيا» الملك الحقيقى.

ج — أساس مقامهم الحالى: «بدم المسيح». إذا كان المسيح هو

بعيدين صرتم قريبين

العامل الأساسى فى توحيد الأمم واليهود معاً ، وفى مصالحتهما كليهما مع الله ، فان الدم هو الوسيلة التى بها أجرى المسيح هذه المصالحة بجانبيها . ويقول بعض العارفين بدخائل اللغة الأصلية : إن كلمة « بدم المسيح » يجوز أن تترجم إلى : « فى دم المسيح » . فى دم المسيح تمحى الفوارق التى تفصل بين الناس وبين بعضهم البعض . وفى دم المسيح تغسل الخطايا التى تقف حائلا بين الله والناس .

منذ العصور الأولى التى نشـأت فيها البشرية على الأرض ، كانت معاهدات الصلح تعقد وتختم بالدم . فالدم كان ختما لكل محالفة تتم بين إنسان وإنسان ، وأساسا لكل مصالحة تجرى بين الله والناس « هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به . . والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم وكل شىء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم ، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . فهذه المصالحة بين الله والناس هو عهد دم . وعهد التحالف بين فرد وفرد أو بين أمة وأمة هو عهد دم . قديماً كان هذا دم حملان وكباش ، ولكن فى ملء الزمان ، جاء المسيح وقدم نفسه ذبيحة عنا نحن الخطاة ، فأدخلنا بدمه إلى عهد جديد . من ثم قال لتلاميذه وقت العشاء الأخير : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى » . ومع أن موته كان يُحسب فى حينه علامة ضعف من جانب المسيح المصلوب ، إلا أن قيامته قد بددت كل شىء فى نصرته ، فأراقت نوراً خالداً على صليبه ، وجعلت من صليبه أرفع أريكة لأرفع مليك ، فصار دم الصليب دم المصالحة . فكأن المسيح إذ مد ذراعيه على الصليب ، صالح أقاصى الأرض بأقاصيها ، وضم سكان الأرض إلى قلب

بدم المسيح. ١٤ لأنه

ربـ الارض والسماء . فكأن جسد المسيح المصلوب صار تلك «السلم» التى ربطت الأرض بالسماء .

هذا هو العهد الجديد الذى لم ينسخ العهد القديم بل أيده ووسع أفقه وجعله يضم القريبين والبعيدين معاً ، بهذا اكتسب اليهود كثيراً من غير أن يخسروا شيئاً، إذ اكتسبوا إخوة آخرين وضموا إلى حظيرتهم رعية أخرى لم تكن أصلاً فى حظيرتهم ، وفى المسيح صارت لهم الأمم ميراثاً وأقاصى الأرض ملكاً . بهذا أيضاً اكتسب الأمم الشىء الكثير من غير أن يخسروا شيئاً إذ أصبحوا ضمن العائلة الواحدة المقدسة ، وأضحوا فى عداد بنى الله وباتوا أحجاراً فى الهيكل الإلهى الواحد، وأمسوا مطعمين فى الكرمة الحقيقية بعد أن كانوا زيتونة برية، وصار لهم حق الدخول إلى الأقداس الجيدة ليتمتعوا بالشركة القدسية مع الله.

| عدد ١٤ — ١٨ | ثالثا . سلامنا والمسيح (٢: ١٤ — ١٨)

فى هذا الفصل فصّل الرسول ما أجمله فى العدد السابق فى ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى. السلام كعملية أجراها المسيح (٢: ١٤ أ)

«لأنه هو سلامنا» . النبرة فى هذه العبارة واقعة على الكلمة الوسطى : «هو» ويجوز أن تترجم حرفياً إلى : «هو بنفسه» أو هو «هو لا سواه» . قديماً تنبأ عنه إشعياء فلقبه بـ «رئيس السلام» (إشعياء ٩: ١٥) . وفى يوم ميلاده هبطت على الأرض بشرى السلام: « المجد لله فى الأعالى وعلى

هو سلامنا

الأرض السلام و بالناس المسرة » . وقبيل صلبه رأينا فيه واهب السلام ومعطيه لتلاميذه ومريديه: سلاما أترك لكم سلامي أعطيكم». لكن بولس يحدثنا عنه في هذا العدد أنه «هو سلامنا» . فشخصيته، وذاته، وطبيعته كلها سلام ، وهو بنفسه رابطة السلام بين الناس والناس ، وبين الله والناس ، وشخصه الحي المجيد هو ضمان سلامنا، بل جوهر سلامنا، فالسلام مشتق منه ومنبعث ، مثلما تنبعث أشعة الشمس من كلف الشمس إنبعاثاً طبيعياً. وهو أيضا «سلامنا» لأننا لا نتمتع بالسلام ، إلا إذا كنا فيه.

إن كلمة: «سلامنا» تشير إلى الوئام والانسجام بين العنصرين الرئيسيين اللذين تتألف منهما كنيسة المسيح : «حيث ليس يهودي ولا يوناني ...» (غلاطية ٣: ٢٨ ، كولوسي ٣ : ١١) ، ثم إلى السلام الشامل الذي تم بين رب السماء وساكني الأرض : لكن المعنى الأول هو المقصور على كلمة «الاثنين» في هذا العدد

الحقيقة الثانية . المسيح صانع سلامنا (٢: ١٤ ب — ١٦) تتألف هذه الحقيقة الثانية من عنصرين رئيسيين : العنصر **الأول: ماهية** السلام الذي أجراه المسيح — وهذه عبر عنها الرسول بكلمتين رئيسيتين، وبكلمة تفصيلية. أما الكلمتان الرئيسيتان فقد وردتا بصيغة **الماضي** : «جعل» و « نقض» — **أولاهما** تفيد البناء ، والثانية تفيد الهدم . فكل بناء حقيقي لا يخلو من هدم ، وكل هدم حقيقي هو خطوة إلى البناء . وأما الكلمة التفصيلية فقد وردت بصيغة اسم الفاعل: «مبطلا» — وهي نتيجة طبيعية لما سبق

الذي جعل

والعنصر الثاني: غاية السلام الذي أجراه المسيح: «لكي يخلق ... صانعاً ويصالح ... قاتلا»

العنصر الأول. ماهية السلام الذي أجراه المسيح معبراً عنها بعاملين:

(ا) عامل البناء في عملية السلام: «الذي جعل الاثنين واحداً». يراد بـ«الاثنين» اليهود والأمم اللذين جعلهما المسيح «واحداً»: فهو لم يجعل اليهودي أممياً ولا الأممي يهودياً، بل أنسى اليهودي يهوديته، وأنسى الأممي أمميته؛ وصار الاثنان يذكران أنهما مسيحيان قبل كل شيء، وفوق كل شيء، ويقول العارفون بأصول اللغة الأصلية: إن كلمتي: «الاثنين» «واحداً» وردتا بصيغة، لا مذكرة ولا مؤنثة، ويعتقد الدكتور مونود أنهما تعنيان نظامين أو هيئتين باعتبار أن المسيح جعل من هاتين الهيئتين المختلفتين -اليهود والأمم- هيئة واحدة، واتحاداً واحداً، ونظاماً واحداً وكتلة حية واحدة، وكلمة: «واحداً» تعني أيضا «جوهراً واحداً» لأنها هي ذات الكلمة التي استعملها المسيح في قوله: «أنا والآب واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠).

لسنا ندري هل وجدت بين العوامل الطبيعية مادة تصهر معدنين متباينين فتصيغ منهما معدناً واحداً. لكننا نعلم علم اليقين أن المسيح قد استطاع بدمه الثمين أن يصوغ من اليهود والأمم — اللذين لا يقبلان تمازجاً بطبيعتهما — معدناً واحداً صافياً، اذا أمعنت النظر فيه ألفيته عنصراً واحداً.

(ب) عامل الهدم في عملية السلام: «ونقض حائط السياج المتوسط».

لكي نفهم المراد من هذه العبارة، يجب أن نرجع بأفكارنا الى الحالة التي كان

الاثنين واحداً

عليها الهيكل وقت كتابة هذه الرسالة. فمن المسلم به، أن هيرودس الأكبر أضاف إلى الهيكل قطعة فسيحة من الأرض كانت مؤلفة من دار متداخلة فى دار، حتى تصل إلى القدس، ومنه إلى قدس الأقداس. وكانت كل دار تزيد فى درجة «القدسية» عن الدار الخارجة عنها، حتى تنتهى إلى قدس الاقداس — الذى لا يُسمح بدخوله إلا لرئيس الكهنة وحده، مرة واحدة فى السنة. وأما القدس فكان يَسمح للكاهن بدخوله يومياً ليحرق البخور على مذبح المحرقة وقت تقديم ذبيحتى الصباح والمساء. وكانت تُقدم هاتان الذبيحتان فى دار الكهنة على مذبح المحرقة. وخارج هذه الدار، داران أخريان: إحداهما — وهى الملاصقة لدار الكهنة مباشرة — تسمى «دار بنى اسرائيل»، والثانية — وهى خارج الأولى شرقاً — تسمى «دار النساء»

كل هذه الامكنة — قدس الاقداس، والقدس، ودار الكهنة، ودار بنى اسرائيل، ودار النساء — كانت مقامة على مستوى عال حساً ومعنى — ينتهى فى عدة مواضع منه إلى خمس درجات تؤدى إلى أبواب مفتوحة فى جدار مرتفع، تتصل به منصة ضيقة تشرف على دار خارجية فسيحة. وهذه الدار الخارجية كانت مخصصة للأمميين الذين يريدون أن يجتلوا محاسن أمجاد هيكل اليهود، أو أن يقدموا ذبائح وتقدمات لإله إسرائيل — ولكن لم يكن مسموحاً لهم بحال، أن يتخطوا هذا الحائط الذى كان يفصل هذه الدار عن الهيكل. وكل من تحدثه نفسه باقتحام ذلك الحائط يقع تحت طائلة الإعدام. ومبالغة فى التحوط، لمنع الأمم من أن يمسوا الجدار المرتفع ذات الأبواب،

ونقض حائط السياج

أقام اليهود حائط سياج منحوتاً من حجر ، مطوّقاً أبنية الهيكل ، يبلغ ارتفاعه نحو خمسة أقدام . هذا هو الحد الفاصل الذى كان قائماً بين الأمم واليهود ، كما حدثنا عنه يوسيفوس فى «سفر الآثار» هذا هو حائط السياج المتوسط الذى قصده بولس فى هذا العدد. ويقول علماء الآثار إن جماعة من المستكشفين فى فلسطين ، رفعوا الردم أخيراً عن أحد الأعمدة ، وقد كان مقاماً فوق ذلك السياج المتوسط — وهو محفوظ الآن في الاستانة — منقوشة عليه هذه الكلمات باللغة اليونانية :

« لا يجوز لإنسان ما ، من أمة أجنبية ، أن يتخطى هذا السياج ويجتاز منه إلى الهيكل . وكل من يجسر على اقتراف هذا الذنب ، ويُقبض عليه ، يكون هو الجانى على نفسه » .

ويقول كاتب سفر « الأعمال» إن يهود أورشليم ثارت ثائرتهم على بولس الرسول لأنهم ظنوه أخذ تروفيموس الأفسسى وأدخله إلى الهيكل مجتازاً به حائط السياج المتوسط (أعمال ٢١ :٢٨ — ٣٠) .

إن «حائط السياج المتوسط» لم يكن موجوداً فى الهيكل فقط ، بل كان قائماً فى قلوب اليهود ، فمنع دخول الأمم إليها — هذا هو الحائط المعنوى الذى يفوق فى سمكه ذلك الحائط الحجرى . وكم من مرة يكون فيه اللحم أقسى من الحجر !!

ومع أن «حائط السياج المتوسط» هذا ، كان لم يزل بعد قائماً بأعمدته المنقوشة ، حتى كتابة هذه الرسالة ، إلا أن المعنى الذى يرمز إليه ، كان قد زال منذ أن انشق حجاب الهيكل ، والمسيح معلق على الصليب . فمع أن الحجارة

المتوسط . ١٥ أى العداوة

المادية كانت قائمة وقتئذ ، إلا أن معناها الجوهرى كان قد زال . وبعد كتابة هذه الرسالة بقليل ، تهدم الجدار فعلا ، ولم يبق فيه حجر على حجر . فزال الرمز والمرموز إليه كلاهما.

أما المعنى المراد من « نقض حائط السياج المتوسط » فقد زاده بولس وضوحاً وجلاء فى العدد التالى — الذى يعتبر جملة تفسيرية لهذا العدد ولسابقه

أعدد ١٥ جملة تفسيرية : (٢ : ١٥ أ) « أى العداوة . مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض » . يحدثنا الرسول فى هذه العبارة عن أمرين:

أولهما : ما أبطله المسيح : « ناموس الوصايا »

ثانيهما : أداة إبطاله : « بجسده »

— ا — ما أبطله المسيح : « ناموس الوصايا » . إن المسيح، إذ نقض حائط السياج المتوسط بين الأمم واليهود ، استأصل العداوة التى كانت متأصلة بينهما . ولقد أبطل المسيح هذه العداوة إذ أبطل العلة الأساسية لها، لأنه إنما يعالج الداء من أساسه، وينتزع الأشواك من جذعها. فالعلة الدفينة لهذا الداء هى : « ناموس الوصايا فى فرائض » . فلكى يزيل المسيح تلك العداوة المتأصلة ، أبطل علتها المستعصية : « مبطلاً ناموس الوصايا فى فرائض »

فما هو هذا الناموس الذى أبطله المسيح ؟ أهو الناموس الطقسى ؟ أم هو الناموس الأدبى ؟ أم هو كلاهما معاً ؟ .

يلوح لى أن الناموس المقصود أكثر من سواه فى هذه القرينة ، هو

مبطلاً بجسده ناموس الوصايا

الناموس الطقسي . لأن وصاياه مفرغة فى قالب أوامر و نواهٍ مفروضة فرضاً: «لا تمس ولا تذق ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال» (كولوسى ٢ : ٢١ و ٢٢). هذه هى الفرائض التى أقام منها اليهود سوراً منيعاً رفيعاً، كانوا يشرفون من قمته على الأمم، فينظرون اليهم نظرة كلها زراية واحتقار فاليهود كانوا يتورّعون عن أن يمسوا شيئاً فى الأسواق العامة، متى علموا أن يداً أممية مستْه قبلهم ، لئلا يتنجسوا . وكانوا يأنفون من أن يأكلوا على مائدة واحدة مع شخص أممى ، لئلا يتلوثوا . فجعلوا من هذه الفرائض الطقسية حصناً منيعاً تحصنوا وراءه ضد الأمم. وما الفواصل القائمة فى عصرنا الحاضر بين البرهميين والهندوكيين سوى بعض الفواصل التى أقامها اليهود من هـــذه الفرائض ، حائلاً بينهم وبين الأمم . ومن الغريب أن تلك الفرائض وضعت قديما على اليهود لتقيهم شر الاختلاط بالأمم ، فأقام اليهود منها تمثالاً عبدوه !

غير أن «ناموس الوصايا» قد يعنى أيضاً الناموس الأدبى إذا نُظر إليه كواسطة لنوال الخلاص أو كشرط أساسى للتمتع بالسلام مع الله . هذا يؤيد قول الرسول فى رسالة رومية (٧ : ١ — ٦ ، ٨ : ٢ — ٤) « ... لأن ناموس روح الحياة فى المسيح يسوع قد أعتقنى من ناموس الخطية والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه فى ما كان ضعيفاً بالجسد ، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح ».

فالمسيح أبطل الناموس الطقسى برفعه أثقاله عن الإنسان وتحريره إياه من كل مطاليبه. وقد أبطل الناموس الأدبى بتغييره موقف المؤمن بالنسبة إليه، إذ غير موقف المؤمن بالنسبة إلى الله. فبدل أن كان المؤمن مطالباً بإطاعة الناموس والخضوع له لكى يتمتع برضوان الله وغفرانه وسلامه، أضحى متمتعاً بسلام الله الذى اشتراه له المسيح بدماه، فأصبح ينظر إلى الناموس لا كأنه أداة خلاصه، بل مظهر من مظاهر إرادة الله المعلنة للبشر. قبلاً كان الإنسان مطالباً بالعمل بموجب الناموس ليتمتع بسلام الله، والآن أصبح متمتعاً بسلام الله، فهو لذلك يحترم الناموس، لأنه مجلى فكر الله الذى أحبه وافتداه. قبلاً كان يعمل بالناموس ليخلص، واليوم صار يعمل وفق الناموس لأنه نال الخلاص. قبلاً كان الناموس عليه سيداً جباراً عتياً. واليوم صار له خادماً وفياً. قبلاً كان يخضع لناموس الوصايا، واليوم صار يعمل بناموس المحبة.

« ما جاء المسيح لينقض بل ليكمل ». لكنه إذ أكمل الناموس الغاه. قل زوالاً إذا ماقيل تم.

ب— أداة إبطاله : «بجسده». هذا تعبير آخر لقوله : « جسم بشريته » (كولوسى ١ : ٢٢) أو « شبه جسد الخطية » (رومية ٨ : ٣) وكلها تشير إلى تجسد المسيح، وموته الذى قاساه فى جسده على الصليب. فلولا تجسد المسيح لما أتيح لرب الحياة أن يموت عن البشر. فجسد المسيح هو أداة تجسده، واتضاعه، وافتقاره، وموته عنا على الصليب. فهو « جسم الفداء الذى به صنع لنا سلاماً مع الله، هو السلم التى ربطت الأرض بالسماء

في نفسه إنساناً واحداً

هوأداة البناء وهو أداة الهدم التي بها أبطل ناموس الوصايا في فرائض. فالمسيح بصليبه صنع سلاماً، وبصليبه ألغى أحكام الناموس، « لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا » هذا يوافق قول الرسول في كولوسي ١: ١٩ — ٢٢ « لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء. وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته... وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت » فالمسيح بجسده أوجد أداة اتصال بين اليهود والأمم، وبدم صليبه مزجهما معاً، وصالحهما مع السماء.

العنصر الثاني : غاية السلام الذي أجراه المسيح : « لكي يخلق صانعاً ... ويصالح قاتلا » . عبر الرسول عن هذه الغاية بفعلين — كل منهما متبوع باسم فاعل موضح له ومفسر: فالفعل الأول « يخلق » متبوع باسم الفاعل : « صانعاً » . والفعل الثاني : « يصالح » متبوع باسم الفاعل: « قاتلا » أولهما . « يخلق » يرينا أن المسيح بموته قد أتحد في نفسه اليهود والأمم وكوّن منهما انساناً واحداً جديداً — هذه خطوة أولية ابتدائية تمهيدية للخطوة الثانية المبينة في الفعل الثاني : « يصالح » بعد أن خلق المسيح من اليهود والأمم إنساناً واحداً جديداً ، صالح هذا الإنسان الجديد مع الله. فالخطوة الأولى هي إجراء السلام بين طرفي الأرض المتباعدين —

اليهود والأمم. والخطوة الثانية هي إجراء السلام بين سكان الأرض باعتبارهم إنساناً واحداً ، وبين الله . هذه هي المصالحة المزدوجة التي أجراها المسيح بدم صليبه — فهو إذ خلق من اليهود والأمم إنساناً واحداً، قد صنع سلاماً. وإذ صالح الإثنين في جسد واحد مع الله ، قد قتل العداوة بالصليب .

في مصالحة اليهود مع الأمم قد خلق المسيح «إنساناً واحداً جديداً» هذه هي الإنسانية الجديدة الموحدة المكونة من وحدات حية متحدة هي الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق ، لا مجال فيها للخلاف الذي توجده الجنسية، ولا للعداء الذي يسببه اللون، ولا للمشاحنة التي يولدها المذهب ، لكنها إنسانية واحدة حية جديدة — كجسد واحد كل عضو فيه للآخر نصير . لأنه يحيا ويتحرك معه بالروح الواحد .

في رسالته الثانية إلى كورنثوس ، ذكر الرسول أن المؤمن الفرد هو خليقة جديدة في المسيح (٢ كو ٥ : ١٧) . وفي هذا العدد أبان أن جماعة المؤمنين المتصالحين والمتحدين معاً في المسيح ، هم أيضاً خليقة جديدة باعتبار كونهم إنساناً واحداً جديداً في المسيح .

ورد هذا التعبير « إنساناً واحداً جديداً » مرة واحدة غير هذه في هذه الرسالة (٤ : ٢٤) .

كما أننا بالجسد إنسان واحد عتيق في آدم ، كذلك نحن بالروح إنسان واحد جديد في المسيح .

١٦ ويصالح الاثنين

عدد ١٦ | الغاية الثانية : « ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » . هذه هى الغاية الثانية والقصوى فى برنامج الفداء — مصالحة الأرض بالسماء . وبها تمّ استرداد هذه البقعة السوداء المسماة بالأرض التى استلبها الشيطان من التاج السماوى، فردّت إلى مركزها فى تاج السماء .

الكلمة الأصلية المترجمة : « يصالح » وردت كما هى ، مرة واحدة فى غير هذا الموضع : « وأن يصالح به الكل لنفسه » (كولوسى ١ : ٢٠ و ٢١) . لكن صيغة مجانسة لها وردت فى عدة مواضع (رومية ٥ : ١٠ ، ١ كو ٧ : ١١ ، ٢ كو ٥ : ١٨ و ١٩ و ٢٠) . والفكرة الرئيسية المنطوية عليها هذه الكلمة ، هى أن شخصاً سامياً رفيعاً ضحى أكبر تضحية فى سبيل رده جماعة متمردة عليه ، لتكون مقبولة لديه . فالله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه إذ قدم نفسه فى المسيح فدية لهذه المصالحة (٢ كو ٥ : ١٩) . والمسيح صالحنا مع الله إذ قدّم ذاته فدية لهذه المصالحة ، لأن لا مصالحة بغير فدية « وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة »

أنبأنا الرسول فى هذا العدد عن أربعة أمور :

(١) معنى المصالحة : « ويصالح . . . » . ان المصالحة التى أجراها المسيح بين الأرض والسماء تتضمن التفكير والتبرير . لأن عدالة السماء تطالب بمعاقبة الأرض على سيئاتها التى اقترفتها فى الماضى — وهذا تمّ بالتكفير . وهى أيضاً تنتظر من الأرض أن تكون فى حالة بارة تؤهلها

في جسد واحد

للشركة مع السماء — وهذا تم بالتبرير. على أنه لا يُفهم من هذا أن الله جلّ جلاله ، كان حاقداً على البشر ، معادياً لهم، متحفزاً للانتقام منهم ، لكن المراد بهذا أن الله غير راض عن البشر ، ماداموا عائشين في خطاياهم ، وأنه حاجب وجهه عنهم ماداموا راضين بآثامهم. فإن كثروا الصلاة لا يسمع، وإن عرضوا عليه طلباتهم، أعرض هو عنها وعنهم. لكن قلبه من جهتهم لم يتغير لأنه هو الذي دبر الفداء : «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد».

(٢) الفريقان اللذان تمت بينهما المصالحة : «ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله» . فالفريق الأول بيّن في قوله : « الإثنين » أي اليهود والأمم معاً، بعد أن صارا متحدين معاً ومكوّنين إنساناً واحداً جديداً فبعد أن كان اليهود والأمم فريقين متنازعين، أصبحا واحداً في المسيح . غير أن اتحادهما هذا ليس غاية نهائية ، وإنما هو وسيلة لغاية — أن يتصالح كلاهما مع الله . فبعد أن وفق المسيح بينهما أدمجهما معاً في «جسد واحد» فجعلهما شخصاً واحداً وصالحهما مع السماء. إن قوله «جسد واحد» يقابل قوله «روح واحد» في عدد ١٨ — ومعناه : «هيئة واحدة» . ولعله أراد كنيسة المسيح المجيدة . ويقول بعضهم إنه أراد جسد المسيح الذي صُلب فيه.

(٣) أداة المصالحة : « .. بالصليب» . هذه هي المرة الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة «صليب» بحصر اللفظ في هذه الرسالة. والمراد بـ «الصليب» تقديم المسيح نفسه ذبيحة كفارية لإجراء المصالحة بين الأرض والسماء. إن ماقاساه المسيح على الصليب من آلام لا توصف، وتعييرات لا تنسى ، وموت

مهين ، يدل على أن المصالحة ليست من الهنات الهينات ، لكنها من أدق المهام وأشقها ، لأنه يتحتم على المصالح أن يقوم بكل ما تتطلبه المصالحة من نفقة . وما أعظم تكاليف نفقة هذه المصالحة العظمى التي هي أعظم المصالحات ! « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . فالذبائح كانت منذ القديم عنوان المصالحة «أجمعوا إلى أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة » .

قد يجد الانسان الطبيعي صعوبة في الاعتقاد بأن الصليب أداة المصالحة فيقول مثلاً : وما الداعي لكل هذه التضحية الكريمة ، متى كان في الإمكان أن يجري الله هذه المصالحة بغير هذه الآلام المبرحة التي تحملها المسيح ؟ أما كانت تكفي كلمة واحدة من فم الله صاحب الشأن الأعلى ، وبهذه الكلمة تتم المصالحة ! وجواباً على هذا نقول : لو كانت كلمة واحدة أو كلمات عدة تكفي لإجراء المصالحة ، لما أقدم الله على تضحية ابن محبته . لأن الله مدبر حكيم ، لا يسمح بالإسراف والتبذير في تدبير الفداء .

من السهل على الإنسان الغارق في بحر الخطايا والآثام أن يتكلم باستخفاف عن الخطية وغفرانها . مثله مثل الوالد المستبيح ، يرى إبنه يرتكب الشرور والموبقات فلا يبالي . لكن الوالد المقدس السريرة ، النقي السيرة ، لا يسمع بخطايا إبنه إلا وعينه دامعة وقلبه دام . لأن خطية إبنه تكون له بمثابة صليب يقاسي عليه مُر العذاب . فكم بالحري يكون موقف الله الكلي القداسة ، تجاه البشر ، وهو لهم بمثابة الأب الذي يتألم لخطايا أولاده ! فكيف به إذا كان

قاتلاً العداوة

عليهم قاضياً عادلاً مكلفاً بتنفيذ أحكام شريعته القائلة : «إن النفس التى تخطىء هى تموت» ؟!

فالصليب — بل المصلوب — هو أداة المصالحة بين الأرض والسماء . أليس من عوامل شكرنا لله أن نكون نحن المخطئين ، فيقوم هو بواجب التكفير؟ أن يكون لنا الغنم ، وأن يكون عليه الغرم ؟ فأين القلوب الشاكرة ، وأين الألسنة التى تكف عن الاعتراض والاستجواب وتنصرف إلى الحمد والشكر والتمجيد ؟ !!

(٤) أساس المصالحة : «قاتلاً العداوة به» إن عمل المصالحة يفترض وجود عداء بين الفريقين اللذين تمت بينهما المصالحة . وما لم يقتل هذا العداء لا تصلح المصالحة ولا تقوم لها قائمة . إن مثل من يحاول أن يجرى مصالحة من غير قتل العداء ، كمثل من يحاول أن يعالج مريضاً من غير أن يصل إلى علة الداء ، أو كمن يريد أن يقيم بيتاً على غير أساس ، أو على أساس واه.

إن «العداوة المقصوده هنا هى تلك التى تحدث عنها الرسول فى العدد الخامس عشر . وهى ذات سهمين — أولها له إتجاه أفقى — بين اليهود والأمم والثانى له إتجاه علوى — بين الله والناس (رومية ٥: ١٠، كولوسى ٢: ١٤)

ولعل الرسول استعمل كلمة : «قاتلاً» بدلا من كلمة : «ماحياً» أو «مزيلاً» أو «رافعاً» ، لأن أداة المصالحة هى الصليب ، وفى الصليب قتل وإعدام . فالذى قتل فعلاً على الصليب ليس المسيح ، بل الخطية والعداوة. كأن زعيم الخطاة عندما أراد أن يقتل المسيح بالصليب ، قتل نفسه وهو

به . ١٧ فجاء و بشركم بسلام

لايدرى . فالسهم الذى أرشه فى صدر المسيح قد انخلع منه وارتد إلى قلبه، فأصاب منه مقتلاً ، وبذلك أضحى القتيل قاتلاً ، والقاتل قتيلاً !!

فكلمة «به» تشير إلى الصليب ، أو بالحرى إلى الصلب الذى به تم فداؤنا بموت المسيح الكفارى عنا .

وهنا نقرر بكل وضوح أنه لا مكان للعداء فى قلب الله من جهة البشر ، لأن الله محب ، بل الله محبة ، ولكن هذا العداء متمكن من أفكار البشر من جهة الله بسبب خطاياهم وجهالتهم « وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة »(كولوسى ١ :٢١) فالجهل ينشىء عداوة ، والاعتداء يولد عداء.

أما شعور الله من جهة الخطاة، فيجوز أن نعبّر عنه بكلمة : «عدم رضاه عنهم» أو « تحويل وجهه عنهم»، ماداموا هم مصرين على التمادى فى المعاصى.

ثالثاً : ثمرتان شهيتان جادت بهما المصالحة : (٢ :١٧و١٨)

— ا أولاهما: بشرى السلام (٢ :١٧)

—ب— والثانية : فتح طريق تقدمنا إلى الله (٢ :١٨)

عدد١٧ | — ا — الثمرة الأولى: بشرى السلام : « فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين» . فى هذا العدد ، جمع بولس بين نبوتين وردتا ضمن نبوات إشعياء، وحاك منهما نسيجاً واحداً لخيمة السلام — ألم يكن هو فى صناعته خيامياً النبوة الأولى وردت فى إشعياء ٥٧ :١٩ «خالقاً

أنتم البعيدين والقريبين . ١٨ لأن

ثمر الشفتين . سلام سلام للبعيد وللقريب . قال الرب وسأشفيه». ووردت الثانية في إشعياء ٥٢: ٧ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير، المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك». والظاهر أن الرسول استقى كلمة «بشركم» من كلمات النبوة الأولى — حسبما وردت في الترجمة السبعينية

(١) حامل البشرى : «فجاء» - المسيح — «وبشركم» . إذ مجيء المسيح للبشرى ، لا يشير إلى مجيئه عند التجسد ، ولا إلى مدة كرازته على الأرض قبل الصلب ، بل يشير إلى بشرى المسيح المقام ، والمرفوع، والممجد، التي قام بها بشخصه (يو ٢٠: ١٩و٢٠) وبواسطة روحه الأقدس العامل في رسله وأتباعه (٢كو ٥: ٢٠ ، أعمال ١٠: ٣٦ ، أعمال ٣: ٣٦) .

(٢) موضوع البشرى: «السلام» : وهو يعني هنا ، الوئام الداخلي الذي أقيم بين عنصري كنيسته الأولى — اليهود والأمم، وهو يشير أيضاً إلى المصالحة التي تمت بين الله والبشر بدم المصلوب.

(٣) أصحاب البشرى «أنتم البعيدين والقريبين» أما «القريبون» فهم «الاسرائيليون الذين لهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد» (رو ٩: ٤و٥) . وأما «البعيدون» فهم «الأمميون الذين كانوا قبلا أجنبيين عن رعوية اسرائيل» (أفسس ٢: ١٢و١٣). وقد ابتدأ الرسول «بالبعيدين» لأن المكتوب إليهم أمميون.

عدد ١٨ — ب — الثمرة الثانية : فتح طريق تقدمنا إلى الله

به لنا كلينا

«لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد». ترتسم أمامنا في هذا العدد، صورة شخصين كانا قاصدين قصراً ملكياً، ثم ضرب عدو الخير بينهما بسهم من العداوة والشقاق، فتناحرا، وتنابذا، حتى أوصد دونهما باب القصر الملكي. وإذا بسيد كريم لقيهما فألفاهما على هذه الحال، فتحنن عليهما، وضحى بأعز ما عنده في سبيل مصالحتهما، فسار وإياهما إلى ذلك القصر الملكي، وإذ وجد الباب موصداً دونهما بسبب عدم استحقاقهما، مس ذلك الباب بيده المغموسة بدم تضحيته، فانفتح الباب من تلقاء ذاته، فأدخلهما — واضعاً يد كل منهما في يد أخيه — إلى حضرة الملك العظيم، فقبلهما وجعلهما من أبناء ذلك القصر

(١) فريقا المصالحة «كلينا ... الآب» — هما اليهود والأمم. وقد تمثلهما الرسول في شخصين، فقال «كلينا». إن ذلك النزاع القديم الذي كان قائماً بين اليهود والأمم، قد محي بالصليب فأمحت كل آثاره. في البداية كان اليهودي والأممي أخوين، ثم فرق بينهما عدو الخير والسلام فجعلهما عدوين، وأخيراً جاء رب السلام فألف بين قلبيهما وجعلهما أخوين كما كانا بل أفضل، إذ خلق منهما «جسداً واحداً، وإنساناً واحداً»

هذا من جانب. ومن الجانب الآخر، نرى اليهود والأمم مكونين معاً فريقاً واحداً متعادياً مع الله. فكان باب التقدم إلى الله موصداً دون وجوه اليهود والأمم على السواء: «لأن الجميع زاغوا وفسدوا معاً». «فأغلق الكتاب على الكل تحت الخطية».

قبل المصالحة كان اليهودي عدو الأممي، وكان كلاهما عدواً لله

ولكن بعد أن تمّت المصالحة ، وضع اليهودى يده فى يد الأممى ، وأصبح كلاهما فى عداد بنى الله ، أيدخل إلى حضرة أبيه بغير استئذان . هذا حق مجيد لا يتمتع به اليهود والأمم ككتلة بل كأفراد . هذه هى حرية إمتياز أولاد الله ، وامتياز حريتهم : «أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يوحنا ١٠ : ٩) . هذا هو القدوم الذى ذكره الرسول فى قوله : «لأن به لنا كلينا قدوماً ... إلى الآب» .

(٢) فاعلية المصالحة : « قدوماً » — يستفاد من هذه الكلمة ، كما وردت فى الأصل ، أن المؤمنين — من الأمم واليهود — لم يتمتعوا بحرية التقدم إلى الله إلا بوساطة شفيع كريم ، قدمهم إلى الآب ، وأن هذه الحرية لا تقوم إلا بدوام فعل وساطة هذا الشفيع العظيم « الذى هو حى فى كل حين ليشفع فينا » .

وقد وردت هذه الكلمة عينها : «قدوماً» — فى الأصل — مرتين أخريين فى العهد الجديد (أفسس ٣ : ١٢ ، رومية ٥ : ٢).

(٣) وسيط المصالحة : «به . . . فى روح واحد» . إن ضمير الهاء «الغائب» فى «به» يشير إلى المسيح «الحاضر» فى كل مكان وكل زمان ، الذى به تمت مصالحة اليهود بالأمم ، وأقيم السلام بين اليهود والأمم من جانب ، والله من الجانب الآخر . ولقد أتم المسيح هذه المصالحة بصليبه . وبعد صعوده أرسل روحه القدوس إلى كنيسته ليستقر فيها ويبشر بهذا السلام بواسطة رسله القديسين . هذا هو الروح القدس المقصود بقول الرسول : «فى روح واحد»

روح واحد

ومن الملاحظ ، أن العبارة: «في روح واحد» جاءت مقابلة لقول الرسول: «في جسد واحد» (عدد ١٦). وهذا الجسد الواحد الذي هو كنيسة المسيح الواحدة مفعم حياة بالروح القدس الواحد، لأن المسيح وجدنا كلنا عظاماً مبعثرة كتلك التي رآها حزقيال، فنفخ فينا من روحه. فلبس الروح عظامنا فتقار بنا من بعضنا البعض ، وصرنا كلنا جسداً روحياً واحداً (٢ كو ١٣: ١٤ ، ١ بط ١: ٢ ، يهوذا ٢٠ و ٢١) . وقد جاءت كلمة «واحد» بعد «روح» مقابلة لكلمة «كلينا» . فاذاً قد صار الفريقان ذاتاً واحدة ، وإنساناً واحداً .

(٤) مآل المصالحة : « إلى الآب » . مع أن لتقريب اليهودي من الأممي مكاناً ممتازاً في برنامج الفداء ، إلا أن تقارب اليهودي من الأممي يعتبر عملاً ابتدائياً بالقياس إلى تقرّب الناس من الله — هذا هو المآل النهائي للمصالحة: «إلى الآب».

إن هذه الكلمة القدسية الجليلة « الآب » تصف صلة الله ، الأقنوم الأول في اللاهوت ، بالمسيح الابن — الاقنوم الثاني في اللاهوت . لاحظ أن الثالوث الأقدس ذُكر في هذا العدد : — « به » - الأقنوم الثاني . روح «واحد» — الاقنوم الثالث . «الآب» الأقنوم الأول .

فما أجل هذه الصلة القدسية وما أعمقها . فقد تاهت عنها كل تخيلات أساطير الأقدمين ، وقصرت عنها حكمة المتقدمين والمتأخرين . إذ كانوا ينظرون إلى الله نظرة المتهم المجرم إلى قاض عادل . واقف له بالمرصاد وعلى فمه النطق بالإعدام . أو كمهندس عظيم خلق آلة الكون ، ثم تركها واستوى

الى الآب . ١٩ فلستم إذاً

على عرشه ليراقب سيرها عن كثب. إلى أن جاء المسيح ، فكشف لنا نحن الأطفال عن هذا السر الدفين الذى ظل مخفىً عن الحكماء والفهماء نعم عرف اليهود قديماً شيئاً عن هذه النسبة الجليلة فى كتابات الزابورى إلا أنهم عرفوا الله أباً للأمة كمجموع . ولكن المسيح وحده هو الذى أعلمنى أنا الإنسان الترابى الساقط إنى ابن لهذا الإله الأعظم.

غير أن بنوة المسيح لله غير بنوة البشر له تعالى ، بدليل قوله : «أبى وأبيكم» (يو ٢٠:١٧) ، وكان فى إمكانه أن يقول «أبينا» ، لو كانت هذه البنوة واحدة . فهى تختلف عنها في النوع وفي الرتبة .

ولكن مالنا من نصيب فى هذه النسبة الجليلة ، يكفينا ويفضل عنا ، ويزيد ! !

رابعاً: التآلف الذى تم بين اليهود والأمم (٢: ١٩ — ٢٢)

عدد ١٩ | —١— ما كانوا عليه بالطبيعة : « فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً » عاد الرسول إلى استعارته المدنية، فاستعمل تعبيراً مفهوماً لدى عقلية اليونان المستوطنين أفسس وغيرها من سائر البلدان اليونانية «فالغرباء» هم الأجانب عموماً الذى يحلّون بالديار ويقطنونها فيتمتعون ببعض «امتيازاتها» لكنهم يظلون مطبوعين بطابع الاغتراب . «والنزُل» هم الغرباء الرحّل المؤقتون الذين يتنقلون بين هنا وهنالك من حين إلى حين . فالغرباء والنزُل كانوا يتمتعون ببعض المزايا الوطنية — ولكن على سبيل «السماح والنعمة»،

بعد غرباء ونزلاً

لا بحسبان أنها حق . فالسكن كان ممنوحاً لهم، لكن حق الرعوية كان ممنوعاً عنهم ، فكانوا منه محرومين .

هذا هو الموقف الطبيعي الذى كان يجب أن يكون عليه الأمميون — ومنهم الأفسسيون — الذين اعتنقوا المسيحية ، إذ كانوا بالنسبة إلى اليهود غرباء و نزلاً ، لكن النعمة خولتهم حق امتياز الرعوية فأصبحوا متمتعين بكامل حقوق الرعوية المسيحية مع كونهم غرباء ، وأضحوا من أهل البيت على رغم كونهم نزلاً ، وأمسوا من أصل الكرمة حال كونهم أغصانا غريبة طعّمت فيها .

— ب — ما صاروا إليه بالنعمة : «بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» . إن كلمة «قدّيسين» تصف شعب الله القديم الذى أفرزه الله وخصصه لذاته وعبادته . ولما أسست المسيحية احتلت المكانة التى كانت للشعب اليهودى فى برنامج الفداء . وعلى هذا الاعتبار — كما يقول الأسقف ليتفوت — قد آلت إليها كل الحقوق والامتيازات الروحية التى كانت من حق الشعب اليهودى . لأن الكنيسة المسيحية — كما يصفها بطرس الرسول — «جنس مختار ، وكهنوت ملوكى ، أمة مقدسة ، شعب اقتناء» (١ بطرس ٢:٩) . فكل الذين دخلوا الكنيسة في عهد النعمة أضحوا «قدّيسين» بالدعوة ، والتكريس ، والتقديس . فالأمميون الذين انضموا إلى زمرة اليهود المتنصرين ، أصبحوا متساوين مع القديسين فى كل شىء لأنهم لا ينقصون عنهم فى شىء . وقد خلع عليهم الرسول — فى هذا العدد وفى الأعدد التى

بل رعية مع القديسين

تليه — خمسة أوصاف تعبّر عن متانة اتحادهم مع المؤمنين الذين سبقوهم من أصل يهودي :

(١) رعية واحدة : « رعية مع القديسين » . (٢) عائلة واحدة : «أهل بيت الله» (عدد ١٩) . (٣) بناء واحد : «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » (عدد ٢٠) . (٤) هيكل واحد : « الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً للرب » (عدد ٢١) . (٥) مسكن واحد : «مبنيون معاً مسكناً لله في الروح (عدد ٢١) .

غير خاف ، أن الثالوث الأقدس ذُكر بوضوح وجلاء في هذه الأوصاف التي هي استعارات ومجازات متجمعة ومتراكمة فوق بعضها البعض ، مما ينمّ عن بصيرة الرسول النيرة ، وروحه المحلقة بحرية في سماء الوحي ، وعقله الخصيب الذي تتزاحم فيه المعاني فيلبسها من الاستعارات والكنايات أجمل الحلل وأبهاها . فالأقنوم الأول : الله الآب — ذُكر في عدد ١٩ : «وأهل بيت الله» . والأقنوم الثاني : الله الابن — ذُكر في عدد ٢٠ — «ويسوع المسيح نفسه» . والاقنوم الثالث : الروح القدس — ذُكر في عدد ٢٢ — «مسكناً لله في الروح» .

إن كلام الرسول في هذا الفصل الموجز (٢ : ١٩ — ٢٢) مرتبط بعضه ببعض ارتباط الحلقات المكينة ، في سلسلة متينة . فعباراته كدرجات متصاعدة في سلم واحدة . فالكلام في عدد ١٩ تناول «فكرة» البيت المعنوي . وطبيعي

وأهل بيت الله

أن الكلام عن البيت، يرجع بالفكر إلى الكلام عن «بناء» البيت — هذا ما عالجه الرسول في عدد ٢٠. وطبيعي أيضاً أن الكلام عن البيت المبني، يؤدي إلى الكلام عن «الهيكل» الذي هو أقدس بيت — هذا ما أوضحه الرسول في عدد ٢١. ومنطقي أن الكلام عن الهيكل، ينتقل بالفكر إلى «المسكن» الذي هو «قدس» الهيكل — هذا ما بينه الرسول في عدد ٢٢

(١) الوصف الأول — رعية واحدة «رعية مع القديسين».

من الملاحظ أن بولس الرسول استعمل التشبيهات سالفة الذكر، بحسب الصور المختلفة التي ارتسمت في ذهنه عن حقيقة كنيسة المسيح. وبحسب وصف الكنيسة، يكون وصف المؤمنين الداخلين إلى أحضانها. فقال عن المؤمنين أنهم «رعية واحدة»، باعتبار كون الكنيسة ملكوتاً روحياً، والمسيح ملكه. وقال عنهم أنهم «أهل بيت واحد» باعتبار كون الكنيسة عائلة واحدة، والمسيح ربها. وقال أنهم «بناء واحد» على اعتبار أن الكنيسة بيت مبني، والمسيح نفسه حجر الزاوية. وقال إنهم «مسكن واحد» باعتبار كون الكنيسة هيكل الله الحي، والمسيح كاهنه الأعلى وربه.

«٢» الوصف الثاني — عائلة واحدة: «أهل بيت الله»:

إنه لمشجع حقاً أن الأممي الذي كان غريباً ونزيلاً حسب الطبيعة مستحقاً الطرد في أي وقت، والحرمان من كل الحقوق، يصبح ابناً في بيت الله. متمتعاً بكامل حقوق البنوة، هانئاً، ناعم البال.

٢٠ مبنيين على أساس الرسل والأنبياء

|عدد ٢٠| **(٣) الوصف الثالث — بناء واحد :** « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » .

إن كلام الرسول فى العدد السابق عن « البيت » يرجع بالفكر إلى بناء هذا البيت . فالعدد السابق يتناول الكلام عن أهل البيت ، وهذا العدد يتناول الكلام عن البيت ذاته . فقال الرسول عن الأمم أنهم مبنيون على الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية . فأبان لنا فى هذا العدد ثلاث حقائق :

ا — أحجار البناء : « مبنيين » — أعنى المؤمنين من الأمم ، ومن اليهود الذين سبقوهم إلى الإيمان المسيحى . هؤلاء هم الأحجار الحية فى هذا البناء . إن كلمة « مبنيين » تعين حالة استقرت وتمت فى الماضى يوماً ما ، بيد الفادى المجيد . على أن الرسول أوضح أن المؤمنين من الأمم واليهود ليسوا أول أحجار فى البناء ، لكنهم مبنيون على أساس قائم .

ب — أساس البناء : « على أساس الرسل والأنبياء » . إن الرسل والأنبياء المعنيين هنا ، هم رسل العهد الجديد وانبياؤه . أما « الرسل » فهم الاثناعشر المعروفون . وأما « الأنبياء » فهم الذين وإن كانوا لم يشاطروا الرسل وظيفتهم الفريدة إلا أنهم استنيروا وأُلهموا بطريق مباشر فأنبأوا بالمستقبل حيناً (أعمال ١١ : ٢٨) ، ونادوا بحقائق روحية راسخة (أعمال ٣ : ١،٥ كو ١٤) ، لأنهم كانوا مكلفين بابلاغ الحقائق التى أُودعوا اياها — أمثال يهوذا وسيلا (أعمال ١٥ : ٣٢) .

ويسوع المسيح نفسه

ويجدر بنا أن نلاحظ أن «الرسل والأنبياء» مُعتبرون أساس البناء لا في أشخاصهم بل بالنظر إلى التعاليم والمبادىء التي وضعوها بإلهام الروح، وبها صار للأمم حق الدخول إلى ملكوت النعمة، والتمتع بالنعم والمزايا التي يتمتع بها اليهود

في رسالة سابقة، استعمل الرسول استعارة البناء والأساس، حيث قال: « فانه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح» (١كو ٣:١١) ولكن كلام الرسول في رسالة كورنثوس الأولى يختلف عنه في رسالة أفسس. في أولاهما تكلم عن الرسل باعتبار كونهم بنائين، لكنه تكلم عنهم في أفسس باعتبار كونهم أحجاراً حية في أساس البناء. في أولاهما — المسيح حجر الزاوية، وفي الثانية — المسيح أساس البناء — حجر الزاوية. « ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » .

إذا اعتبرنا الكنيسة جسداً حياً، فان المسيح هو رأس هذا الجسد وبالتالي هو العنصر الرئيسي في الجسد، لأن الرأس متمم للجسد. وإذا اعتبرنا الكنيسة بناء حياً، فان المسيح هو حجر الزاوية في هذا البناء، وهو بالتالي الركن الركين في هذا البناء. ولعل بولس عندما استعمل هذه الاستعارة، كان يردد في ذهنه الكلمات الواردة في إشعياء ٢٨: ١٦ «لذلك هكذا يقول السيد الرب: هأنذا أؤسس في صهيون حجراً — حجر امتحان، حجر زاوية، كريماً أساساً مؤسساً» هذا يذكرنا بكلام المسيح لبطرس: « وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي » (متى ١٦ : ١٨) .

الكلمة المترجمة هنا «حجر الزاوية»، هي في الأصل كلمة واحدة. وهي

حجر الزاوية ٢١ الذى فيه

تعنى الحجر الرئيسي الذى يُوضع فوق الأساس ليربط جدارين معاً فى بناء واحد. أليس لنا أن نستنتج من هذا، أن المسيح باعتبار كونه حجر الزاوية في بناء الكنيسة، قد ربط اليهود والأمم معاً في هذا البناء المعنوى، فحفظ البناء كله من التفكك والانهيار؟

وجدير بالملاحظة: أن وضع حجر الزاوية فى البناء لم يكن مألوفاً لدى اليونان بقدر ما كان معروفاً ومألوفاً لدى الشرقيين سيما العبرانيين. وقد أكتشف السر هنرى ليارد في حفريات نينوى بعض أحجار ضخمة، منحوتة على شكل زوايا قائمة، كانت مستعملة قديماً لربط جدارين متجاورين في بناء واحد، مما دلَّ على أن أهل نينوى كانوا يضعون «أحجار الزاوية» فى أبنيتهم.

إن كلمة «نفسه» الواردة بعد اسم المخلص المجيد، تنمُّ عما لفادينا العظيم من مجد وجلال ممتازين. لا يشاطره إياهما الرسل والأنبياء. فاذا كانت مهمة الأنبياء، إذاعة الحق الإلهى، فان المسيح هو أساس هذا الحق بل هو الحق نفسه.

عدد ٢١ | (٤) الوصف الرابع — هيكل واحد: « الذى فى كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب.

يحدثنا الرسول فى هذا العدد عن أربعة أمور: أولا: تعاون عناصر البناء فى النمو: «كل البناء مركباً معاً». ثانياً عنصر النمو فى هذا التعاون: «ينمو» ثالثاً الغاية التى يبلغها هذا النمو: «ينمو هيكلا مقدساً» رابعاً: العامل الحى فى هذا النمو: « فى الرب ».

كل البناء

أولا : تعاون عناصر البناء في النمو: «الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو». مما لا جدال فيه، أن بولس الرسول، وهو يكتب هذا العدد، كان واضعاً نصب عينيه هيكل ارطاميس الذي كان مفخرة أفسس في هاتيك العصور. أفلا يجوز لنا أن نعتقد أن الرسول أراد أن يوجد مقارنة بين هيكل ارطاميس — الذي هو مفخرة، حسب الظاهر، ومعرّة في الواقع — وبين الهيكل العظيم الذي أقامه المسيح على الأرض بنشره مبادىء ملكوته في المعمور؟ فكلاهما هيكل، وكلاهما هيكل ذو بناء، وكلاهما هيكل عظيم. إلى هنا تنتهي أوجه الشبه بين الهيكلين، وتبتدىء أوجه الخلاف. فلئن اقترب الهيكلان حيناً إلا أنهما يتباعدان إلى الأبد تباعد الظلام عن النور، والجحيم عن النعيم. فهيكل أرطاميس بناء مادي، لكن هيكل المسيح بناء روحي. هيكل ارطاميس بناء ميت لأنه مقام من أحجار جامدة ميتة، لكن هيكل المسيح بناء حي نام، لأنه مُقام من أحجار حية معنوية. هيكل أرطاميس هيكل نجس كانت تُرتكب فيه الموبقات باسم العبادة، لكن هيكل المسيح مقدس تسمو فيه النفس فوق الدنايا. هيكل أرطاميس كان مكرساً لـ «ديانا» آلهة الصيد لكن هيكل المسيح مكرس للفادي المجيد.

ثانيا : عنصر النمو في هذا التعاون: هذا التعاون عملية نامية: «ينمو». غير خافٍ أن بولس، اليهودي الأصل والثقافة، لا يمكن أن يخط كلمة عن هيكل ما، من غير أن يحضر في ذهنه هيكل سليمان. والمستفاد من قوله: «كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلا»، إن الرسول — وقت كتابة هذه العبارة —

مركبا معاً ينمو هيكلا

كان متفكراً بالأروقة الكثيرة المنوعة، التى تركّب منها هيكل سليمان، فقد كان كل رواق منها متوّجاً بقبة، وكانت كل القباب متصلة معاً ومتماسكة ، لتكوّن هيكلا واحداً رئيسياً. فالأبنية كثيرة ومنوّعة ، لكنها متعاونة كلها ومتساندة فى تأليف هيكل واحد . وبما أن هيكل سليمان لم يكن بناء ساعته بل كان مرتباً ومنظماً وفق تصميم خاص، لدرجة لم يُسمع فيها صوت وقت بنائه ، لذلك كان من السهل على من يراقب بناء الهيكل ، أن يرى كل بنائه نامياً يوماً فيوماً ، ومتقارباً عند سقفه نحو سائر الأبنية، لتكوّن كلها مجتمعاً واحداً رئيسياً ينتهى إلى قبة الهيكل الرئيسية التى كانت مفخرة فن البناء فى تلك العصور .

إن تآلف الأروقة الكثيرة المتضمنة فى الهيكل لتكوّن هيكلاً واحداً، لهو رمز إلى تآلف الأجناس المختلفة التى تتألف منها كنيسة المسيح — لا فرق بين بربرى وسكيثى ، عبد وحر ، يهودى ويونانى ، بل الجميع يؤلفون هيئة واحدة.

هذا رأى بعض المفسرين و معنى قول الرسول: « كل البناء » — أى كل العناصر أو الأروقة التى يتألف منها الهيكل . ويرى البعض الآخر — وبينهم دكتور ارمتاج روبنسون — أن بولس الرسول نظر إلى البناء نظرته إلى جسم حى نام مدة عملية بنائه، وإن كل حجر فيه يقوم بقسط من هذا النمو. ونميل نحن إلى ترجيح الرأى الثانى كما يتبين من معنى كلمة « هيكل » فيما يلى :

ثالثا : الغاية التى يبلغها هذا النمو: « ينمو هيكلاً مقدساً » . فى اللغة اليونانية كلمتان تعنيان « هيكلا » —الأولى : « ناؤس» . والثانية:

مقدساً فى الرب

«هيرون». فالكلمة الأولى : « ناؤس » — المستعملة فى هذا العدد — تعنى، بحصر اللفظ ، ذلك البناء المقدس المكوَّن من « القدس وقدس الأقداس » والكلمة الثانية: «هيرون» تعنى الهيكل بكل أروقته الخارجية التى اجتمع فيها كل الشعب للعبادة . ويلاحظ هذا الفرق فى المعنى المراد من الكلمتين فى كتابات يوسيفوس المؤرخ اليهودى، وفى رسائل كتبة العهد الجديد. فالهيكل — كما تدلّ عليه الكلمة الثانية — هو المكان الذى وقف فيه الفريسى والعشار مُصليين ، وهو المكان الذى طالما علم فيه ربنا و فادينا ، ومنه طرد التجار . لكن الهيكل — كما تدل عليه الكلمة الأولى — هو المكان الذى ظهر فيه الملاك لزكريا الكاهن ، وهو المسكن الذى انشق حجابه وقت الصلب . و بين هذا المكان و بين المذبح ، قتل زكريا بن برخيا.

رابعاً : العامل الحى فى هذا النمو : « فى الرب » . هذه أول مرة استعمل فيها الرسول هذه العبارة الجليلة فى هذه الرسالة . ومن الملاحظ أن بولس — حينما يريد وصف الصلة العلوية الفائقة الكائنة بين المسيح والمؤمنين — التى على أساسها يقبلون أمام الله — يعبر عنها بقوله: «فى المسيح» . ولكنه عندما يريد أن يصف نتائج هذه الصلة التى تظهر فى الحياة العملية، يعبر عنها بقوله : «فى الرب». قارن بين قوله :«مخلوقين فى المسيح يسوع » (أفسس ٢ : ١٠) وقوله : « تقوّوا فى الرب»(أفسس٦ :١٠). «فى المسيح» — نحن فى السماء — من حيث المركز و المقام. «فى الرب» — نحن فى هذه الحياة — من حيث التصرف والسلوك .

٢٢ الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً

أورد بولس هذه العبارة القدسية «فى الرب» ، ليبين لنا أن الرب هو العامل الحى الفعال فى هذه الوحدانية . وأنه هو سر النمو والتقديس .

عدد ٢٢ / (٥) الوصف الخامس — مسكن واحد : « الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح » .

فى هذا العدد ذُكر الثالوث الاقدس بجلاء ووضوح: «فيه» — فى المسيح الاقنوم الثانى. «لله» — الاقنوم الأول . «فى الروح» — الأقنوم الثالث.

ـاـ أساس البناء وروحه : « الذى فيه » ـ فى المسيح ـ « أنتم أيضاً » ـ أيها الأمم باعتبار كونكم شركاء اليهود فى تدبير الفداء وفى عهد النعمة — فأصبحتم وإياهم رعية واحدة

ـبـ التآلف بين عناصر البناء: «مبنيون معاً». هذه العبارة تنم عن عملية حالية مستمرة، ومتجددة فى كل آونة يُقبل فيها أعضاء أحياء إلى كنيسة المسيح. لأن قبولهم يكون بمثابة إضافة أحجار حية إلى البناء النامى القائم. وكلمة «معاً» تشير إلى التعاون المتبادل، والتساند الكائن بين عناصر البناء الواحد

ـجـ غاية البناء المتآلفة عناصره : «مسكناً لله». الكلمة اليونانية المترجمة : «مسكن» لم ترد فى العهد الجديد سوى مرة أخرى (رؤيا ١٨ : ٢) وهى تعنى بالذات «البناء الدائم المقيم». فالإشارة فيها منصرفة إلى اعتبار الكنيسة مسكن الله الدائم. ولا شك أن هذه الفكرة ستتم كاملياً فى الكنيسة الممجدة بعد أن تتحقق جزئياً فى الكنيسة المجاهدة على الأرض . وغاية

مسكناً لله في الروح

الغايات من هذا البناء، أن ينمو مسكناً «لله»، الذى إليه مآب الجميع، ليكون « هو الكل فى الكل » (١ كو ١٥:٢٨) .

د- واسطة تآلف عناصر هذا البناء : « فى الروح ». إن الروح القدس هو العامل فى إحياء عناصر البناء ، وفى إبلاغ كل عنصر غايته المثلى التى وُضع لها ، ووضعت هى له . هذه إشارة أخرى واضحة إلى عمل الروح القدس فى الكنيسة .

بمراجعة الأعداد القليلة ، التى مرت بنا ، يتضح لنا أن عناصر البناء مؤسسة على المسيح ، تنمو هيكلاً مقدساً لله ، بواسطة الروح القدس.

إن قوله : « فى الروح » ، الذى به يختتم هذا الأصحاح ، يعتبر عبارة وصفية للهيكل الجديد المقدس . فليس هو بالهيكل المادى المبنى من لبن ، وأحجار ، ورمال . لكنه هيكل روحى ، قوامه «أحجار» حية من نساء ورجال (١ بطرس ٢:٥) . ولعل هذه العبارة تنطوى على إشارة ضمنية إلى نبوة المسيح ، التى تخطت عقول من وقعت على مسمعهم لأول مرة : «انقضوا هذا الهيكل ، وفى ثلاثة أيام أقيمه» . فلئن فسرها أعداؤه وحسبوها منصبة على الهيكل المادى الذهبى الذاهب، إلا أن تلاميذه الروحيين يفهمون مغزاها الحقيقى . فهيكل سليمان عبثت به عوامل الهدم والفناء ، لكن هذا الهيكل الروحى باق ما بقى رب الأرض والسماء .

الأصحاح الثالث

كشف الرسول فى الاصحاحين السابقين عن جانب من أمجاد الفداء المسيحى العجيب، الذى أعدّه الله لبنى البشر — يهوداً وأمميين على السواء، خالقاً منهم « انساناً واحداً جديداً » ، ليبنى منهم « بناء مركباً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب » ، ليكوّن منهم « مسكناً لله فى الروح » .

إلى هنا رأينا كلام الرسول عمومياً ، لا يحمل إشارة إلى شخصه ولا إلى عمله ، سوى فى قوله : « لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعت بإيمانكم ... لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم فى صلواتى » (١: ١٥ و ١٦) . فلم يذكر شيئاً عن وظيفته الخاصة باعتبار كونه « الاناء المختار » لحمل رسالة الخلاص إلى الأمم ، ولا عن آلامه التى تحملها فى هذا السبيل من سجن وتعذيب وتشريد . والظاهر أن الموضوع الهام الذى كان يشغل فكره ، كان أرفع من أن يحتمل إشارات شخصية . ولكن ما كاد الرسول يصل إلى كلمة « الأمم » التى يختتم بها أول عدد فى هذا الأصحاح ، حتى رأى لزاماً عليه أن يعرج بإشارة شخصية إلى وظيفته ، وعمله ، ووسالته التى أؤتمن عليها(١) . وقد لذّ له الحديث وطاب ، حتى امتدّ به الكلام إلى نهاية العدد الثالث عشر ،

(١) يرى بعض المفسرين فى تنقل الرسول من موضوع إلى موضوع آخر قبل إتمام الموضوع الأول ، دليلا على أنه لم يكن يكتب بخطه بل كان يملى رسالته إملاء

وبعد أن فرغ من هذه الإشارة الشخصية ، استأنف حديثه الذي به استهل هذا الأصحاح : « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم (عدد١) . . .[1] « بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح » (عدد١٤) . وهكذا اختتم الرسول هذا القسم التعليمي من رسالته بصلاة لأجل المكتوب إليهم(٣: ١٤ — ٢١)، مثلما بدأه أيضاً بصلاة(١: ١٥ — ٢٣) فصلاة بولس في كل من هذين الموضعين . عماد هذا القسم من رسالته ، لدرجة يعتبر فيها مابينهما حلقة اتصال بين الصلاة الأولى، والثانية — كأن هذا القسم كله صلاة واحدة متصلة الحلقات.

ينقسم هذا الأصحاح إلى قسمين رئيسيين :

أولا : بولس وإنجيل الأمم — أو بولس رسول الأمم(٣: ١ — ١٣)

ثانيا : بولس والمكتوب إليهم من الأمم — أو بولس متضرعاً لأجل الأمم (٣: ١٤ — ٢١)

أولا بولس وإنجيل الأمم (٣: ١ — ١٣)

من خلال كلمات هذا الفصل ، تتجلى لنا صور مختلفة للرسول بولس — كل صورة منها تنم عن ناحية خاصة من نواحي حياته المتعددة الجوانب،

(١) يعتقد جماعة من المفسرين ، أن الرسول بعد أن قطع سياق كلامه في نهاية العدد الأول ، عاد فاستأنفه في العدد الثامن . ويظن آخرون انه استأنفه في العدد الثالث عشر ، يقول قوم آخرون إنه وصله بدء الأصحاح الرابع . ولكننا نرجح الرأي القائل بأنه استأنف الكلام في العدد الرابع عشر سيما وأن الرسول كرر في بدء ذلك العدد نفس العبارة التي استهل بها العدد الأول « بسبب هذا » . . .

فنرى فى الطليعة : « بولس الأسير» (عدد١) ، ثم « بولس الإناء المختار» (عدد ٢) و « بولس الخبير بالأسرار » (عدد ٣و٤) « بولس الرسول» (عدد ٥و٦)و« بولس الخادم الأمين » (عدد ٧) و « بولس أصغر جميع القديسين » (عدد٨) و «بولس البشير» (عدد٨) و «بولس حامل النور» (عدد٩) و « بولس رجل الشدائد» (عدد ١٣) و «بولس رجل الصلاة » (عدد ١٤) .

ولكى نلم بعض الإلمام بكلام الرسول فى هذا الفصل ، يجمل بنا أن ندرسه دراسة تحليلية. إن موضوعه الرئيسى هو: «بولس وسر إنجيل الأمم» والكلام فيه منقسم إلى أربعة أقسام ، مسبوقة بكلمة تمهيدية (عدد ١) ومختتمة بكلمة ختامية (عدد ١٣) ، ومن محاسن الاتفاق أن موضوع الكلام فى المقدمة وفى الخاتمة يكاد يكون واحداً —فالمقدمة ترينا بولس فى الأسر ، والخاتمة تحدثنا عن بولس فى الشدائد — والأسر والشدائد من مصدر واحد .

كلمة تمهيدية مجملة : بولس سجين إنجيل الأمم (٣:١)

أولا : اتصال هذا « السر» ببولس (٣:٢—٥) :

(١) عن طريق الإيهاب (٣:٢)

(٢) عن طريق الإعلان (٣:٣و٤)

(٣) وقت إعلان هذا السر (٣:٥)

ثانياً : موضوع هذا «السر» (٣:٦)

١ بسبب هذا

ثالثاً موقف بولس إزاء هذا «السر» (٣:٧—٩) :

(١) خادم له (٣ : ٧)

(٢) مبشر به (٣ : ٨)

(٣) حامل مصباحه (٣ : ٩)

رابعاً: الغاية القصوى من إعلان هذا «السر» (٣:١٠—١٢)

« لكى يعرف عند الرؤساء والسلاطين » :

(١) بحكمة الله الممنوعة (٣ : ١٠)

(٢) بقصد الدهور (٣: ١١)

(٣) بسلام الله (٣ : ١٢)

كلمة ختامية مجملة : بولس فى شدائد انجيل الأمم (٣:١٣)

عدد ١ | كلمة تمهيدية مجملة — بولس سجين انجيل الأمم يصلى لأجل الأمم « بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح . . »

— ا — علة صلاته :«بسبب هذا» — خط الرسول هذه العبارة، ولكنه قبل أن يتمها، عرج فى كلامه على ذلك «السر» العجيب الذى ظل مستوراً عن الناس حتى جاء ملء الزمان فتجسد المسيح، وعاش، ومات، وقام. ومن مكان عليائه فى المجد، أشرف على شاول الطرسوسى مضطهد الكنيسة فأخضعه لإرادته، ثم أشرق عليه بنوره العجيب وكشف له عن ذلك السر العظيم: وهو أن إله اليهود، هو هو إله الأمم أيضاً، وأن إنجيل الأمة الإسرائيلية

أنا بولس

المختارة هو بالذات إنجيل الأمم: «فلا يهودي ولا يوناني · لا عبد ولا حر .. لأن الجميع واحد في المسيح يسوع». «فالأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل». هذا هو السر الذي أفضى به بولس إلى قارئيه في الأصحاحين اللذين مررنا بهما في هذه الرسالة — من اختيار، وتبنّ، وتقديس، وتمجيد، إلى مصالحة تمت بين والناس والناس، ثم بين الله والناس، إلى تلك الوحدانية المجيدة التي تؤلف من اليهود والأمم - على السواء - مسكناً مقدساً لله، في الروح، بالمسيح.

«بسبب هذا» الإعلان المجيد، أراد بولس أن يضع القلم عن يمينه ورق الكتابة عن يساره، ليحني ركبتيه لدى أبي ربنا يسوع المسيح، مصلياً لأجل المكتوب إليهم، «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبهم لكي يمتلئوا إلى كل ملء الله». ولكنه قبل أن يلقي القلم جانباً أراد أن يُسرّ إلى المكتوب اليهم بكلمة عن الحق المخوّل له، والسلطان الذي تقلده في مناداته بالإنجيل للأمم — كأن هذا الحق كان موضوع جدل ومناقشة ومنافسة بين أعداء الرسول، الذين هم أعداء انجيل الأمم — ولعلهم من اليهود الذين ضاقت أفكارهم وقلوبهم عن أن تسع الأمم معهم في حيز الإنجيل الواحد، حاسبين عن خطأ وجهل، أن «يهوه» هو إله الإسرائيليين وحدهم، مثلما كانت آلهة الوثنيين مقصورة عليهم هم دون سواهم. وقد فاتهم أن «يهوه» هو «رب واحد للجميع لكل من يؤمن»، «لأنه لا فرق». إذ «ليس عند الله محاباة».

— ب — رجل الصلاة، وأسير الانجيل، هو المؤتمن على السر :

أسير المسيح

« أنا بولس أسير المسيح يسوع» . تكلم بولس عن نفسه فى هذا المقام بلهجة التوكيد : «أنا بولس» ، لكنه توكيد المتواضع، الشاعر بنعمة الله عليه، لا توكيد الفخور المعجب بذاته . وإذا كان بولس فخوراً بشيء فى هذا المجال ، فهو إنما يفخر بالسجن ، والسلاسل ، والقيود التى تحمّلها فى سبيل الإنجيل ، بل يفخر بكونه «أسير المسيح يسوع» . أوَ ليس أسير المسيح أشرف من أسير الخطايا ؟ وأرفع شأناً من أسير الذات ؟ وأسمى مقاماً من أسير أحد ملوك العالم ؟ بل أليس أسيرُ المسيح خيراً من أمير مقاطعة وأرفع قدراً من زعيم دولة ؟ إلا أن السجن فى سبيل المسيح ، أفضل من الجلوس على أفخر العروش . والاستعباد له هو نِعمَ الحرية ، والسلاسل الحديدية التى تُغلّ بها الأيدى والأرجل فى سبيله ، لهى أحلى من أغلى الحلى التى تزين أجمل المعاصم .

« بولس أسير المسيح يسوع» — هذه عبارة ترسم أمامنا صورة رجل نحيل الجسم ، مرتد ملابس بسيطة ، ويده اليسرى مغلولة بسلسلة من أحد طرفيها — وطرفها الثانى مُطوِّق مِعصَم أحد الجنود الرومان القائمين على حراسته . وغير خاف أن بولس صار أسير محبة المسيح قبل أن يلج أبواب السجن المادى لأجل المسيح . ولعله أصبح أسير الفادى منذ تلك اللحظة التى قال فيها : «يارب ماذا تريد أن أفعل» ؟ (أعمال ٩:٦) . وقد ظل طوال حياته أسير حب المسيح سواء أكان فى السجون أم خارج السجون . أليس هو القائل : «إن محبة المسيح تحصرنا» (٢كو ٥:١٢)؟ ألم يقل

يسوع لأجلكم

قبل ختام حياته: «إني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (غلاطية ٦: ١٧)؟ كان كثيرون في أيام بولس أسرى في قصر قيصر، لكن بولس أسير المسيح يسوع (أعمال ٢٣: ١١). فهو لم يفقد حريته نتيجة تعديه على شريعة أو وصية، بل نتيجة إطاعته وصية المسيح القائلة: «إذهبوا إلى العالم أجمع»

«أسير المسيح يسوع» — نلاحظ أن الرسول، في هذه العبارة، قدّم وظيفة المسيح كفاد: «المسيح» على اسمه الإنساني «يسوع». والظاهر أن كرازة بولس بأن الفادي هو «مسيح» الأمم، لا «مسيح» اليهود وحدهم، قد اثارت حفيظة اليهود عليه، فعملوا على طرحه في غياهب السجون.

ج— تضحيات بولس لأجل المكتوب إليهم: «لأجلكم أيها الأمم».

إننا مدينون للوقا الطبيب بحادث دوّنه في سفر الأعمال (٢١: ٢٦-٣٠) يلقي ضوءاً ساطعاً على قول بولس: «أسير... لأجلكم أيها الأمم». «حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل... فرآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل فأهاجوا كل الجمع صارخين يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا. هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل ودنّس هذا الموضع المقدس. لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الأفسسيّ فكانوا يظنون أن بولس أدخله إلى الهيكل. فهاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل وللوقت أُغلقت الأبواب».

هذا ضرب من ضروب العذابات التي تحملها بولس من أيدي اليهود قصاصاً

أيها الأمم ٢ إن كنتم

وتأديباً له على تلك «الجريمة التي لا تغتفر» — تبشير الأمم بالإنجيل!! فكان هذا الاختبار عربوناً لآلام مبرّحة، عاناها رسول الأمم لأجل الأمم، وقد اختتمت هذه الآلام بسجنه الأخير في روما حيث قضى شهيد الحق والواجب، في سبيل إبلاغ الأمم رسالة الحق والخلاص. ومن المعلوم أن قضية تبشير الأمم قد اجتازت أزمة حادة موصوفة في أعمال ص ١٥. أطلب أيضاً أعمال ٢٢: ٢١و٢٢.

هذا هو «سر إنجيل الأمم». فكيف سُلمت مفاتيحه لبولس؟ هذا ما يعرفنا عنه الرسول في العدد التالي: أنه تقلد المفاتيح لا نتيجة مجهود من عنده، بل هبة إلهية مجانية — «مجاناً أخذتم. مجاناً أعطوا»

| عدد ٢ | (١) بولس تقلد مفاتيح هذا السر، بتدبير من نعمة الله المعطاة له بالإيهاب: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم»

— ا — معرفة المكتوب إليهم برسالة بولس إلى الأمم: «إن كنتم» — استعملت «إن» هنا للتعليل لا للشك، فهي يقينية لا شرطية، مع أنها أفرغت في قالب الشرط شكلاً. ومعناها: «مادمتم قد سمعتم حقاً بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم». والظاهر أن الرسول التجأ إلى هذا الأسلوب في التوكيد، تلطفاً منه، واتضاعاً، وتودداً نحو المكتوب إليهم الذين تربطهم به روابط البنوة المقدسة في الرب. وقد لا تخلو هذه العبارة من التهكم اللاذع المؤسس على شدة الثقة وقوة اليقين. أو قل إنه يقين أفرغ في صيغة فرض (٤ : ٢١). وإن من يقرأ أعمال ١٩: ١٠و٢٦، لا يمكن أن يخالجه شيء من

الشك فى أن بولس كان معروفاً لدى أهل أفسس ، وأن رسالته لم تكن موضوع شك عندهم ، إلا إذا احتاج النهار إلى دليل، فمن المحقق أن «رسالته» إلى الأمم لم تكن بعد سراً مخفياً ، بل صارت هى نفسها بشارة ذاع خبرها وشاع، وملأ الأسماع، وقت كتابة هذه الرسالة . ويقول الدكتور كاندليش إن بولس ، بقوله : «إن كنتم قد سمعتم» قد وجه الخطاب إلى فريق معين من غير أهل أفسس ممن لم يسمعوا يقيناً برسالته إلى الأمم ، سيما وأن هذه الرسالة غير مقصورة على كنيسة أفسس، لكنها رسالة دورية بعث بها إلى كنائس أخرى . مع العلم بأن كثيرين من آسيا ومن أماكن أخرى مجاورة لها، تشككوا كثيراً فى رسالة بولس إلى الأمم بنوع خاص ، وفى رسوليته بنوع عام ، بل كانوا يستحون بقيوده .

— ب — النعمة الجزيلة التى وهبها بولس، والقصد منها : « بتدبير نعمة الله المعطاة لى لأجلكم». إن كلمة «تدبير» تصور لنا رب بيت مدبر حكيم ، يوزع بركاته السخية على كل واحد من أفراد بيته ، بتدبير محكم ، ونظام دقيق ، يضمن كفاية البركات للجميع ، فيأخذ كل منهم نصيبه الحق . وهو يجود بنعم وفيرة على بعض الأفراد لكى يوزعوها هم على غيرهم. هذه الكلمة من مميزات كتابات الرسول. وهى تعنى «التوكيل»، أو «التوزيع» أو «تسليم الوديعة» (أنظر ١ كو ٤:١ و٩:١٧،٢، كولوسى ١:٢٥، ١ بطرس ١٠:١) . هذا هو «التدبير» الإلهى المحكم الذى بموجبه وُهب بولس نعمة

المعطاة لى لأجلكم

جزيلة ، هى نعمة الكرازة للأمم ، لا مجرد النعمة الخلاصية . فالإنسان، بعد أن ينال النعمة المخلِّصة له ، يُوهَب درجة أرقى فى مراتب النعمة لتخليص غيره . هذه هى النعمة التى قال عنها بولس فى رومية ١ : ٥ « الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم » ، وفى عددى ٧ و ٨ من هذا الأصحاح الذى نحن بصدده الآن : « الذى صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى حسب فعل قوته ، لى أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى » .

هذه هى النعمة التى حصل عليها بولس « إذ سُرَّ الله الذى أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته ، أن يعلن ابنه فيه ليبشر به بين الأمم » (غلاطية ١ : ١٦) . غير أنه ليس من الضرورى أن يمضى وقت ما ، بين نوال النعمة المخلصة للكارز ، والنعمة التى تعينه على تخليص غيره — وإن شئت قل : بين نعمة البشارة ، ونعمة التبشير . لأن بولس نال النعمة الخلاصية ، وأحيط علماً بتدبير الله الفدائى ، وتقلد نعمة حمل بشارة الخلاص إلى الأمم ، فى وقت واحد . فكأن كل هذه الثلاثة الأدوار الجيدة قد تمت له فى آن واحد ، حين التقى بالمسيح فى طريق دمشق . ولكن النعمة المقصودة فى هذا العدد بالذات ، هى نعمة تبشير الآخرين . وكل إنسان ينال الدرجة الأولى فى النعمة لا يمكنه أن يقف عند هذا الحد ، لأننا خُلِّصنا لنخلِّص ، وبُشرنا لنبشر . فبولس لم يُوهَب هذه النعمة لكى يتنعم بها ، ولا لكى يتمتع بها تمتعاً ذاتياً ، وإن يكن هذا التمتع روحياً ، لكنه وُهبها « لأجل

٣ أنه باعلان عرفني بالسر

الأمم » فهى إذاً ليست له وإنما هى لهم : «لأجلكم» — هذا أسمى مجالى التنعم بالنعمة ، لأن «المروى هو أيضاً يُروى» .

عدد ٣ | (٢) بولس تقلد هذا السر — عن طريق الاعلان:

« إنه باعلان عرفنى بالسر » .

الكلمتان الرئيسيتان فى هذا العدد هما . «إعلان» و «سر» . وحتى نعرف معنى أولاهما ، ينبغى أن نعرف معنى ثانيتهما . لقد مرّت بنا هاتان الكلمتان في العدد التاسع من الإصحاح الأول ، حيث قال الرسول عن الله : « إذا عرفنا بسر مشيئته » : «فالمعرفة» و «الإعلان» هما من مصدر واحد . فليرجع القارىء إلى صفحة ٦١ من هذا الكتاب ، ليعرف المعنى الأساسى لهاتين الكلمتين .

«إنه باعلان عرفنى بالسر» — أراد الرسول ، بهذه العبارة ، أن يُفهم المكتوب إليهم ، ان وديعة إنجيل الأمم لم تنته إليه نتيجة بحث عقلى قام هو به ، ولا هى من مبتكراته الخاصة التى أوحت إليه بها غيرة نفسانية ، ولا هى نتيجة اكتشاف اجتهادى قام به هو من عندياته ، ولا هى تقليد أو رسالة تقلدها من سُلفائه أو رؤسائه ، وإنما هى إعلان خارجى عنه ، خصّه الله به ، وافتقده به فى مراحمه ، فى وقت كان بولس لاهياً عنه ، بل معرضاً عنه ، بل مُعارضاً له .

غالباً جداً أفضى الله إلى بولس بهذا «السر» مجملاً ، حين عرّفه بحقيقة

كما سبقت

ذاته وصفاته يوم تجديده (أعمال ٢٦:١٧و١٨) . ثم كشف له عن مخبئآت هذا السر ، الكامنة بين ثناياه فعرفه ببعض مشتملاته و تفصيلاته أثناء الثلاثة الأعوام التى قضاها بولس فى العربية ، باحثاً ، دارساً ، متفكراً ، متعبداً ، كما يقول هو فى موضع آخر : «لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته . أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لحماً ولا دماً. ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت أيضاً إلى أورشليم (غلاطية ١٥:١—١٨) . هذا مطابق لاختبار نبى قديم : «قبلما صورتك فى البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب» (إرميا ١ :٥) فرسالة الإنجيل ، وسلطة تقلدها ، وطريقة المناداة بها ، نزلت كلها على بولس عن طريق الإعلان المباشر.

إن طبيعة الرسالة بما فيها من جلال ممتاز ، وطبيعة الرسول الذى كان زعيم شيعة اليهود الفريسيين المتعصبين فأصبح رسول الأمم ، وطبيعة المرسل إليهم — الأميين ، كل هذا يجعل الإعلان الالهى المباشر لازماً شديد اللزوم . لأن الأشياء العادية تتطلب وسائل عادية مثلها ، لكن الإشياء الخارقة للطبيعة تتطلب وسائل من وراء الطبيعة نظيرها . وهل من المستبعد على الإله العلى الذى استخدم وسيلة ممتازة فى إقناع بطرس بالإقلاع عن أفكاره الطبيعية المتمكنة منه و المتأصلة فيه (أعمال ١٠) ، أن يستخدم مثل هذه الوسيلة أو أبلغ منها ، لانتزاع جذور التعصب الفكرى من ذهن بولس نحو الأمم ، وزرع

فكتبت بالإيجاز. ٤ الذى بحسبه

أشجار المودة والصفاء والتسامح عوضاً عنها ؟! أما عن كون الرسول بولس مستودَعاً لسر الإعلان الإلهى، فهذا ظاهر من ترديده كلمة: «إعلان» بين ثنايا رسائله وكتاباته (رومية ١٦: ٢٥، غلاطية ٢:٢ . وأما عن كونه مهبطاً لهذا الإعلان، فهذا واضح من ٢ كورنثوس ١٢: ١و٧، غلاطية ١: ١٦)

ا — موجز هذا السر: «كما سبقت فكتبت بالإيجاز». يشير الرسول فى هذه الكلمات إلى ما مرّ به، فى الأصحاحين السابقين من هذه الرسالة. فالرسول لم يفصّل هذا السر تفصيلا ولكنه ذكره موجزاً. وأنىّ للغة البشر أن تحيط بمافى هذا السر الجليل، من عرض، وطول، وعمق، وعلو ! ! فهما أطال الرسول فى شرحه وأطنب، لا يكون في إطنابه إلا موجزاً، ومهما أسهب فى تفسيره، فلا يكن فى إسهابه إلا قاصراً أو مقصراً. إذ قوله: «كما سبقت فكتبت» مرادف لقولنا: «كما ذكرت آنفاً»

عدد ٤ | - ب — طبيعة كلام الرسول تشهد لسمو مصدره:

وتؤيد رسالته: «الذى بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح». قال المسيح: «بكلامك تتبرر وبكلامك تدان». وقال فى موضع آخر: «... الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها. هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى . . . . فتشوا الكتب . . . وهى التى تشهد لى». وقال أيضاً: «من ثمارهم تعرفونهم». على هذا المبدأ تعتبر كلمات الرسول خير شاهد له أو عليه. ومع أنه لم يقدم للمكتوب إليهم شرحاً

حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي

وافياً لبرنامج الفداء الذى أعده الله للمفديين بما فيهم الأمم ، بل اجتزأ بخلاصة موجزة منه ، إلا أن القليل ينمّ عن الكثير . فكما أن تحليل قطرة من مياه البحر يكشف عن ذات العناصر التى يتركب منها البحر كله ، كذلك كلمات الرسول التى كتبها بالإيجاز ، عن النصيب العظيم الذى جعله الله للأمم فى برنامج الفداء ، تتضمن جوهر الفداء بالذات . فيحق للمكتوب إليهم أن يجعلوا من هذا القليل الموجز خير دليل على المطول المعجز : « الذى منه تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح » . إن الفهم المراد هنا ، هو فهم التمييز . « والسر » المقصود ، هو الذى حدثنا عنه الرسول فى العدد الثالث من هذا الأصحاح .

ولا يغرب عن بالنا أن الرسول لم يرغب فى الاستشهاد بأهل أفسس لدرايته بسر المسيح ، حباً بهذه الشهادة فى ذاتها ، ولا طمعاً فى المجد الذاتى الذى يناله من هذه الشهادة ، لكنه كان يبغى من وراء ذلك ، إبلاغ رسالته إلى قلوبهم . فخيرهم هم لا خيره هو ، كان مطلبه الأسمى . فهو لم يرغب إلى المكتوب إليهم أن يشهدوا له ، بمقدار ما أرادهم أن يحكموا لأنفسهم . ولم ينتظر منهم أن يؤخذوا بسمو مداركه ، وإنما أرادهم أن يتمنعوا بصدق رسالته ، وسلطانها الإلهى ، ومبلغ فهمه لها — لأن رسالته لا تنفعهم إلا بمقدار اقناعهم بسمو مصدرها ، وأنى لهم أن يعرفوا « سر المسيح » إلا من شخص ذى خبرة ودراية ؟ فالبصيرة الروحية النافذة — لا المعرفة العقلية المكتسبة — هى المقصودة بقوله : « درايتى بسر المسيح » . فليس هذا كلام الفخور بنفسه ومؤهلاته ، بل كلام الشاعر بضعفه وقدرة المسيح .

بسر المسيح . ٥ الذى فى

إن «سر المسيح» مرتبط تمام الارتباط بعمله (١٤:٢) وبمجده، (١٠:١). فجوهر خلاصه هو: «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسى ١ :٢٧) وموضوعه هو: «المسيح المعلن». إن سراً عظيماً كهذا، لهو حقيق بأن يدعى «سر المسيح» أو «المسيح السر». فلا يمكن أن يكون من مبتكرات بولس، ولا من ثمرات خياله. لأن سمو السر شاهد لسمو مصدره. فكما أن قوة انحدار المياه تشهد لعلو منبعها، كذلك عمق هذا السر وسموه يشهدان له بأنه صادر من أعماق قلب الإله السامى بسلطانه، والسخى بنعمته، والغنى بمحبته.

يقول بعض المفسرين : إن كلمة «تقرأونه» تعنى التلاوة بصوت مسموع كما من منبر الكنيسة مثلاً . ولسنا نجد فى القرينة ما يؤيد أو يفنّد هذا الرأى.

| عـدد ٥ | (٣) وقت إعلان هذا السر . ووسيلة إعلانه

هذا العدد يقسم نفسه إلى قسمين متقابلين، تفصل بينهما كلمة «كما». فهما شبيهان بكفتى ميزان، وكلمة «كما» شبيهة «بقصبة الميزان» :

— ا — الزمن : «فى أجيال أخر» ... كما ... «الآن»

— ب — درجة الوحى } «لم يعرف به» .. | .. «قد أعلن بالروح»
والإعلان }

| .. «لرسله القديسين

— ج — مهبط الوحى : «بنو البشر» .. — .. وأنبيائه ....»

— ا — المقابلة الأولى تحدثنا عن الزمن الذى فيه أُعلن هذا السرّ .

أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر

«الآن»، مقابل «الأجيال الأخر» التى كان فيها هذا السر مكتوماً ومختوماً. وقد أراد بـ«الأجيال الأخر» الأزمنة السابقة لعصر الإنجيل، حين كان اليهود يعتقدون أن «يهوه» هو إلههم هم دون سواهم، وأن لا نصيب للأمم معهم فى التبنى والعهود والمواعيد، لأن «سر» إنجيل الأمم كان مكتوماً عنهم.

— ب — المقابلة الثانية ترينا أن هذا «السر» قد «أعلن» لبولس ولغيره من الرسل «بالروح» القدس، مع أن بنى البشر لم «يعرَّفوا به» فى «الأجيال الأخر». فالبشر قديماً لم يستطيعوا بقدرتهم الفكرية، ولا باستنتاجاتهم العقلية، ولا بتصوراتهم الخيالية، أن يكتشفوا هذا السر ولا أن يكشفوه. وأنّى للعقل البشرى أن يصل إلى كنه معلنات «الروح»! وكما أنه يستحيل على الطفل الرضيع أن يفهم العلوم الجامعية العويصة، كذلك تعذر على العقول البشرية الغير الناضجة أن تفهم هذا السر، لا لأنها لم تقوَ على فهمه أو كشفه فحسب، بل لأن وقت إعلان هذا السرّ لم يكن قد حلّ بعد، لأن «ملء الزمان» لم يكن قد حان، ولأن «الروح لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد». ألا يُستفاد من قوله: «كما قد أعلن» إن كلمة «كما» تشير إلى الدرجة الممتازة التى أعلن بها هذا «السر» فى العهد الجديد. مقابل تلك الدرجة الجزئية الضئيلة الشبيهة بالأشعة المتكسرة، التى أعلن بها هذا «السر» لفئة قليلة ضئيلة من أبطال العهد القديم، الذين كانوا بالنسبة للشعب، مثل قمم الجبال الشاهقة بالنسبة لحصباء الوادى؟ و«السر» ليس بجديد لكن إعلانه هو الأمر الجديد. كان فى الماضى «مكنوناً» فأصبح الآن معلناً

كما قد أعلن الآن لرسله القديسين

— جـ — المقابلة الثالثة تصف الفارق العظيم بين من خفى عنهم هذا السر: « بنو البشر » وبين من أعلن لهم بالروح: «رسله القديسين وأنبيائه بالروح». إن كلمة «بنو البشر» تضم بين دفتيها جميع أهل «الأجيال الأخر» من يهود وأمميين. ومن المحتمل أن بعضاً من المستنيرين أمثال إشعياء وسمعان الشيخ قد رأوا بصيصاً من ضوء هذه المعلنات (أعمال ١٣: ٤٧، رومية ١٥: ٨ — ١٢، إشعياء ٥٦: ٦و٧). ولكن أنى لضوء الفجر أن يواجه ضياء الشمس !! (١ بطرس ١: ١٠ — ١٢).

أما الذين شرفهم الله بهذا الاعلان المجيد، فقد وصفهم الرسول بقوله: « رسله القديسين وأنبيائه بالروح » . هذه العبارة تنم عن حقيقتين —

أولاهما: مهبط الوحى: «رسله القديسين وأنبيائه» — هؤلاء هم رسل العهد الجديد وأنبياؤه (٤: ١١) — وبولس أحدهم بل على رأس القائمة مع أنه رضى تواضعاً منه أن يضع نفسه فى ذيلها (١ كورنثوس ١٥: ٩). وإذا كان بولس أحدَ هؤلاء الرسل والأنبياء، أفلا يُلام على كونه تبرع لنفسه ولهم بكلمة: «قديسين» فكيف يتفق هذا مع ماهو مشهور عنه من الوداعة والتواضع؟ إن هذا اللبس لايلبث أن يزول من أذهاننا متى ذكرنا المعنى الخاص الذى تنطوى عليه كلمة: «قديسين». فهى لاتصف حالة كمالية منزهة عن كل شر وشبه شر، لكنها تعنى التخصص والفرز، والتكريس. فهؤلاء الرسل والأنبياء هم قديسون لأنهم أفرزوا لله فى الروح وبالروح. فهم إذاً مقدسون فى مقامهم ووظيفتهم ودعوتهم. وفى الوقت نفسه هم مُقدسون بالدم

وأنبيائه بالروح . ٦ ان الأمم

الثمين ، ومتقدسون فى الروح القدس ، وهم أنقياء بسبب كلام المسيح ، الذى هو كلمة الله الحى الباقى إلى الأبد . ولا تنس أن أهل أفسس وصفوا بهذه الكلمة: «قديسين» نسبة لدعوتهم العليا فى السماويات فى المسيح يسوع . وأن اليهود سموا «شعباً مقدساً» نسبة لكونهم شعباً مقتنى من الرب وللرب.

الحقيقة الثانية: واسطة الوحى: «بالروح». هذا هو الروح القدس الذى ألهم الأنبياء والرسل فيه هم مقدسون، وبه هم ملهمون . وكلمة: «بالروح» يجوز أن تترجم حرفياً إلى : «فى الروح». لأن هذه المعلنات جاءتهم وهم «فى دائرة الروح» . قد نعتبر كلمة : «بالروح» وصفا لكلمة «أعلن» — أى أن الروح هو واسطة الإعلان . وأن نعتبرها وصفا لقوله: «لرسله القديسين وأنبيائه» فتكون وصفاً لحالة الرسل القديسين والأنبياء حينما تلقوا المعلنات الإلهية ، بخلاف بنى البشر — أو بنى آدم — الذين كانوا على حالتهم الطبيعية فخفيت عنهم هذه المعلنات العميقة السامية . قال بنغال تعليقا على كلمة : «أعلن» : أن الإذاعة بالإعلان هى سر الإذاعة بالكرازة» .

عدد ٦ | ثانياً : موضوع هذا السر : «إن الأمم شركاء»

هذه هى خلاصة «السر» الذى أعلن لبولس ، بل جوهر السر : إن الأمم شركاء اليهود فى بركات الإنجيل. وقد أوضح الرسول فى هذا العدد ثلاثة أمور : — ١ — بركات هذا السر — ب— العامل الأساسى فيها —ج— العلة الثانوية فيها .

شركاء فى الميراث

— ا — بركات هذا السر : « الميراث ، والجسد ، ونوال موعده » —

هذه إذاً شركة مثلثة يتساوى فيها الأممى واليهودى على السواء (١) شركة فى الميراث. « شركاء في الميراث» . (٢) شركة العضوية في الجسد الواحد : « والجسد » . (٣) شركة التمتع بروح الموعد القدوس: «ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل».

فالجانب الأول : « شركة الميراث» يعين نصيب الأمم مع اليهود فى الله الآب (رو ٨: ١٧ ، غل ٣ : ٢٩ ، ٤ : ٧) . والجانب الثانى . « شركة العضوية فى الجسد الواحد» يبين نصيب الأمم مع اليهود فى الابن الذى هو رأس هذا الجسد الغير المنظور (٢: ١٥—٢٢) . والجانب الثالث: شركة التمتع «بنوال موعده» القدوس ، يقرر نصيب الأمم مع اليهود فى الروح القدس، الذى هو «روح الموعد القدوس» (أعمال ١: ١٤). فإذاً هذه الشركة المثلثة الجوانب تعيّن النصيب المشترك الذى للأمم واليهود على السواء فى الإله الواحد المثلث الأقانيم. فهم شركاء فى الميراث الواحد الذى لهم من الآب، وفى الجسد الواحد الذى رأسه المسيح، وفى شركة الروح القدس الواحد (١: ٣، ٢: ١٢، عب ٦: ٤).

فما أجل هذا السر وما أمجده! قبلاً كان اليهود ينظرون إلى الأمم — وياليتهم ينظرون بغير أنفة وترفع — نظرتهم إلى سقط المتاع، المزدرى والغير الموجود، نظرة كلها زراية، فيحتقرونهم. وكانوا ينظرون إلى الله نظرة تنم عن قلوب ضيقة فيحتكرونه لأنفسهم — فيظنون أنهم هم وحدهم ورثة مجده ، ومنهم وحدهم تتألف الأمة المختارة فلا يختلطون بأحد ولا يمتزجون ولهم

والجسد ونوال موعده

وحدهم شركة موعده . كل هذا كان قبل إعلان هذا السر المجيد الذى به صار الأمم ورثة مع اليهود فى الله ، فأصبحوا وإياهم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع (غلاطية ٣:٢٦ ، رومية ٨:١٧) . وقد أضحوا وإياهم أعضاء متآلفين فى جسد المسيح الذى هو كنيسته الغير المنظورة (٢:١٦). فبالنسبة لهذا الجسد الواحد، هم مساهمون. وبالنسبة لبعضهم البعض هم متحدون متآلفون - هذا هو المعنى الحرفى لقوله : «شركاء فى الجسد» . وبالتالى صاروا وإياهم شركاء فى نوال موعد الروح، وروح الموعد، الذى يأخذ من المسيح ويعطيهم سوية ، «قاسماً لكل واحد بمفرده نصيباً كما يشاء» (١ كورنثوس ١٢:١١) . هذا حق فى الحال لا فى الاستقبال .

ب — العامل الأساسى فى نوالها : «فى المسيح» — هذا هو العامل الأساسى فى تمتع الأمم مع اليهود بهذه البركات المشتركة : اتحادهم وإياهم فى المسيح. بل هذا مقامهم، وامتيازهم ، ومجدهم. فى المسيح صاروا أبناء الله فأضحوا شركاء مع بعضهم البعض فى الميراث المقدس الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . فى المسيح صاروا أغصاناً فى الكرمة الواحدة وأعضاء أحياء فى الجسد الواحد . فى المسيح صار لهم حق نوال الروح والامتلاء بالروح ، لأن الروح هو رسول المسيح إلى كنيسته بعد صعوده، وهو معزيها بعد افتراقه عنها بجسده المنظور .

ج — الوسيلة الثانوية : «بالإنجيل». فالإنجيل هو الواسطة التى بها نفذ التدبير الإلهى فى فداء الأمم واليهود سواء بسواء ، وبواسطته أظهر

في المسيح بالإنجيل . ٧ الذى صرت

وأعلن بالكرازة والبشارة . بالإنجيل تسلم بولس هذا الإعلان ، وبالإنجيل أعلن بولس هذا السر للأمم . وفى الإنجيل ولدهم (١كو ٤: ١٥، رو ١٠: ٨-١٥، ١٦: ٢٥) .

هذا من جهة الله ، وأما من جهة البشر ، فما عليهم إلا قبول الإنجيل بالإيمان . وفي قبولهم إياه يقبلون كل البركات التى تصحبه .

يعتقد الدكتور موفات أن هذه الشركة المثلثة منحصرة كلها فى الجانب الأخير — الموعد . فترجم هذا العدد على هذه الصورة : إن الامم لهم شركة الميراث ، وشركة الزمالة ، وشركة المساهمة — فى الموعد . أى أن الأمم وارثون مع اليهود ، وشركاء لليهود ، ومساهمون مع اليهود فى الموعد الواحد . ولكننا لا نستطيع الأخذ بهذا الرأى لأن فيه إخفاء لكلمة «الجسد» ، وإنما أوردناه لمجرد تبيان الأشياء بأضدادها . ولعل هذا المترجم ارتأى هذا الرأى لأن الرسول خلق فى هذا العدد كلمتين لم تستعملا قط من قبل . كأنه وجد أن بردة الكلمات اليونانية الموجودة فى وقته ليست بكافية ليخلعها على هذا الحق خلعاً ، فخلق له كلمتين خلقاً !

ثالثاً : موقف بولس إزاء إنجيل الأمم (٣: ٧-٩)

عدد ٧ | (١) بولس خادم لإنجيل الأمم (٣: ٧)

إن كلام الرسول هنا مواز لكلامه فى كولوسى ١: ٢٤-٢٩ حيث قال : « . . . الإنجيل الذى سمعتموه . . الذى صرت أنا بولس خادماً له » . . . ،

أنا خادماً له

«الكنيسة التى صرتُ أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لى لأجلكم»...
«الأمر الذى لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذى يعمل فىّ بقوة»

تكلم الرسول فى هذا العدد عن ثلاث حقائق متتابعة — الحقيقة الأولى: تؤدى بنا إلى الثانية، والثانية تصل بنا إلى الثالثة لكنّ الثالثة قياس للثانية، والثانية قياس للاولى. فى الحقيقة الأولى أرانا الرسول صلته بهذا الإنجيل: «الذى صرتُ أنا له خادماً». وفى الحقيقة الثانية حدّثنا عن قياس كفايته لهذه الخدمة: «حسب موهبة نعمة الله المعطاة لى». وفى الحقيقة الثالثة أبان لنا كفاية قياس النعمة المعطاة له: «حسب فعل قوة الله». ويقول الأسقف موليه — استناداً إلى دلالة الكلام فى اللغة الأصلية — إن العبارة «حسب فعل قوته» لا تصف ما قبلها، بل تتخطاه وتعود إلى قول الرسول: «خادماً له» أى أن الرسول صار خادماً للإنجيل بمؤهلين — أولهما: نعمة الله الموهوبة له. وثانيهما: قوة الله العاملة فيه — فهو إذاً خادم بحق الدعوة الإلهية، ومؤيد بفعل قوة الله. فنعمة الله تعيّن سمو خدمته، وقوة الله تعيّن اقتدار خدمته. وربما كان أقرب إلى المنطق أن نأخذ بالرأى الأول المتفق والترجمة العربية، على اعتبار أن نعمة الله هى أساس دعوة بولس للخدمة، وأن فعل قوة الله هو قياس نصيبه من النعمة.

الحقيقة الأولى: صلة بولس بالإنجيل: «الذى صرت أنا خادماً له». إن كلمة: «الذى» تعود على آخر كلمة فى العدد السابق: «الإنجيل». ولا شك

حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي

في أن كلمة «صرت» تنم عن تاريخ جليل حافل بالحوادث والعبر، هو تاريخ انتقال الرسول من ملكوت الظلمة إلى ملكوت ابن محبة الله ، فأضحى الطرسوسي شاول، بولس الرسول. وأمسى عدو الأمم المدود، صديقهم الودود وصار مضطهد رب الإنجيل خادماً للإنجيل. وقد يلذ لنا أن نعرف أن الكلمة المترجمة «خادماً» هي في الأصل «ديا كونوس» ومعناها الحرفي «شماساً» وهي تفيد أمرين — أولهما : خدمة النشاط الفعال ، والثاني : التبعية، فبولس خادم نشيط للإنجيل قاسى في سبيله أضعاف ما تحمله أي شخص آخر في سبيل عمل كرّس له كل مواهبه وقواه . فما نشاط رجل المال في سبيل المال سوى بعض نشاط بولس الرسول في خدمة الإنجيل. وهو أيضا يدين للانجيل بحق التبعية، فهو له خادم وعبد. لأن كل ما لبولس، للانجيل (رو ١: ١٥)، فلا عجب إذا كان كل ما للانجيل من نعم وبركات ، لبولس .

إذا كان بولس الرسول قد خلع على نفسه وظيفة « شماس » فهل علم شمامستنا أنهم رسل ؟ إننا نعني بالرسولية ما فيها من خدمة وتضحية وأمانة، لا ما فيها من مجد وجلال وزعامة !

الحقيقة الثانية. قياس كفاية بولس للخدمة: «حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي» . إن النعمة التي أهّلت بولس للخدمة ، هي التي خلصته أولا . وأن «موهبة النعمة» المشار إليها هنا، تتضمن تقليده رسالة الإنجيل، وتعضيده في تبليغها ، وإلهامه بنور الحق الإلهي . فخدمة بولس كانت من حيث سعة مداها، وسمو رسالتها ، وعمق تأثيرها، من عمل «موهبة نعمة الله المعطاة له»

حسب فعل قوته . ٨ لى

لا عن استحقاق ولا عن جدارة ، بل لأن النعمة أرادت . وهل من إرادة للنعمة سوى النعمة ؟ !

الحقيقة الثالثة : كفاية قياس النعمة الموهوبة لبولس : «حسب فعل قوته» إن هذه العبارة الأخيرة مثيلات فى غير هذا الموضع : «حسب عمل شدة قوته» (١: ١٩) ، «حسب عمل استطاعته» (فيلبى ٣: ٢١) ، «حسب عمله الذى يعمل فىَّ بقوة» (كولوسى ١: ٢٩) . فالرسول يصف بها اختباره فعل قوة الله فى حياته وفى خدمته . إن نعمة الله جزيلة وموهبة نعمته جزيلة كنعمته ، ولكن لا سبيل إلى إيصال موهبة نعمة الله، إلى بولس ، إلا عن طريق فعل قوة الله فى بولس . فقوة الله خصصت لبولس موهبة نعمة الله بقوتها الفعالة ، وفعلها القوى فى حياته . إذاً فعل قوة الله فى حياة بولس وخدمته ، هو قياس نصيبه من موهبة نعمة الله المعطاة له . إن موهبة نعمة الله أغدقت عليه بسخاء جزيل ، وقوة الله عملت فى حياته باقتدار جليل . يقول يوحنا الذهبى الفم : «لم تكن موهبة النعمة بكافية ، لو لم يخصصها لى فعل القوة» .

| عدد ٨ | (٢) بولس مبشر بالإنجيل (٣: ٨)

فى هذا العدد ، ذكر الرسول أربع حقائق : —ا— **مقامه** : «أنا أصغر جميع القديسين» —ب— **مؤهلاته** : «لى أعطيت هذه النعمة» —ج— **مهمته** : «أن أبشر بين الأمم» —د— **رسالته** : «غنى المسيح الذى لا يُستقصى» .

أنا أصغر جميع القديسين

—١— مقامه : «أنا أصغر جميع القديسين» . هذه العبارة متممة لما قبلها . فى بدء العدد السابق صدرت من الرسول إشارة عن نفسه إذ قال «الذي صرت أنا...». فمرّ بكلمة «أنا» مر الكرام على غير عادته. لأن بولس الكريم على غيره، بخيل على نفسه — إلا بألقاب التحقير و المذلة، فلم يسعه إلا أن يعود إلى «أنا» ليعطيها حقها الواجب، فعلقها على الصليب ليرفع المسيح على عرش القلب والحياة ! فإلى كل من يداخله فى نفسه شك من جهة وداعة بولس وتواضعه، وإلى كل من أساء فهم كلام بولس عندما سمعه يتحدث عن نعمة الله التى أوحت إليه بالسرّ الذى خفى عن غيره إلى هؤلاء ومن على شاكلتهم نسوق الحديث راجين منهم أن يقرأوا الكلمات الآتية بامعان : «لى أنا أصغر جميع القديسين» — مع العلم أن كلمة «قديسى» لا تعنى تلك الطغمة الخاصة التى رفعتها بعض السلطات البشرية إلى مراتب الأملاك، وسمت بها إلى ما فوق الأفلاك، ولكنها تضم بين جوانبها أضعف المؤمنين بالمسيح، وأحقرهم شأناً ، وأدناهم مقاماً ، ممن تساورهم الهواجس أحياناً، وتعصف بهم الضعفات ألواناً . ومع كل، فإن بولس ، أصغر جميع هؤلاء الأصاغر — ولكن فى عينى نفسه فقط ! لا في نظر الله ولا فى عيون المنصفين من البشر . وغير خاف أن الرجل الأممى الذى قال عن نفسه : «لستُ مستحقاً» (لوقا ٧:٦) . وقال فيه المنصفون من البشر : «إنه مستحق» (لوقا ٧:٤) قال فيه المسيح ربّ المجد : «لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (لوقا ٧:٩)

أعطيت هذه النعمة

وجدير بالملاحظة أن الكلمة اليونانية المترجمة «أصغر» تعني حرفياً : «أصغر الأصغرين» — فلا مجال فيها لمزيد من التواضع .

ثلاث مرات وضع بولس تقديراً لنفسه بالنسبة إلى الآخرين — وفي كل مرّة كان ينقص تقديره لنفسه عن المرة السابقة لها ، مما يدل على أن بولس كان متصاعداً صعوداً متواليا على سلم النعمة . وكلما سما الإنسان في درجات النعمة والقداسة ، هبطت نفسه في عينيه ، فأضحت لا شيء .

في المرة الأولى — عام ٥٩ م قال : « إني أصغر الرسل» (١ كو ١٥ : ٩)

وفي الثانية — عام ٦٤ م قال: «أنا أصغر جميع القديسين » (أفسس ٣ : ٧)

وفي الثالثة — عام ٦٥ م قال «أنا أول الخطاة» (١ تي ١ : ١٥)

من هذا نرى أن تلك الذات الأنانية النفسانية المعبر عنها بكلمة «أنا» كانت تصغر في عينيه تدريجا. في البداءة قابلها بالرسل ، فاذا هي أصغر منهم . ثم قابلها بالقديسين ، فاذا هي أحقر منهم. أخيراً لم يجد بداً من مقابلتها بالخطاة فاذا هي في مقدمتهم ! ! طوباك يا بولس لأنك كلما صغرت في عيني نفسك عظمت في نظرنا — ولكن ماذا يهمك من نظرنا نحن الخطاة ! فأنت عظيم في نظر الملائكة . ولكن ماذا يعنيك من الملائكة وهم خدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص ؟ لا بل أنت عظيم في نظر الله وكفى بالله شهيداً ! !

ليس من الضروري أن تكون هذه العبارات الثلاث : «أصغر الرسل» و «أصغر جميع القديسين» و «أول الخطاة» معبرة عن ثلاث درجات متتابعة

أن أبشر بين الأمم

قد ارتقاها بولس فى سلم الوداعة ، فقد تكون ثلاثة تعبيرات متفاوتة لحقيقة واحدة .

تعوّد يوحنا الذهبى الفم أن يقول «يارب احمل نفسى على التواضع واحفظها فى هذا المستوى دواما » .

ب — مؤهلاته: « لى . . أعطيت هذه النعمة » . هذا توكيد لما جاء فى العدد الثانى من هذا الأصحاح. حسناً أطلق على بولس لقب: «رسول النعمة » . فبالنعمة نال الخلاص (١ تى ١: ١٤) ، وبالنعمة دُعى للخدمة (غلاطية١ :١٥) ، وبالنعمة بلغ ماهو عليه (١كو ١٥ : ١٠) وبالنعمة تأهب للكرازة وقام بها (أفسس٣: ٨) ، وبالنعمة «جاهد وتعب» (١كو ١٥: ١١)

ج — مهمته : «أن أبشر بين الأمم». جميل بالرسول أن يفخر بكونه «مبشراً» . فهلاَّ علم «المبشرون» أنهم رسل حاملون البشرى الطيبة المفرحة! «فما أجمل على الجبال قدمى المبشر» — ولكن على شرط أن يكون المبشر مرتقياً ، وعائشاً، وسالكا على جبال القداسة والشركة مع الله ، فمن شواهق الجبال يأتيه العون .

إذا كان المنفرون الذين ينفخون فى بوق النزاع والشقاق ، يرفعون عيونهم إلى الجبال الأرضية الشاهقة ، فأحرى بالمبشرين بغنى المسيح الذى لا يستقصى ، أن يرفعوا عيونهم إلى الجبال السماوية لينتظروا العون من رب البشارة. وإذا كان المنادون بأشياء تافهة ذاهبة، لا يستحون ببضاعتهم، فأجمل بحاملى غنى المسيح الذى لا يستقصى ، أن يفتخروا بهذه الكنوز التى تصغر

بغنى المسيح الذى

دونها أفخر كنوز الذهب .

إن كلمة « أبشر » تعنى حمل الخبر المفرح وإذاعته . أليس المستفاد ضمناً من هذا ، أن العالم فى حزن عميق ، بسبب ظلام الخطية ، وجروحها الدامية، وطعناتها المميتة! هذه هى الحال التى كان عليها الأمميون قبل أن تصلهم رسالة الإنجيل ، فكانوا واليهود سواء بسواء فى الحالة الروحية .

—د— رسالته —أو— موضوع بشارته : « غنى المسيح الذى لا يُستقصى » . ما أغناك يا بولس وأنت حامل غنى المسيح الذى لا يستقصى ! بل ما أقواك لأنك قدرت أن تحمل « غنى المسيح الذى لا يستقصى » ! أشبه الرسول فى هذا الموقف ، بشخص كان يبحث عن لآلىء ثمينة ، وبعد الجهد الجهيد ، اهتدى إلى كنز عظيم ملىء باللآلىء الدرّية ، والجواهر الكريمة . فما كاد يرى جانباً من هذا الكنز حتى تفتحت أمامه جوانب عدّة رأى فيها أكداساً من الجواهر ، وأهراء من اللآلىء ، فبُهر من فرط جمالها وضيائها ، وأخذ من وفرة عددها وفيض غناها، فخرج منادياً لكل من لاقاه: «غنى لا يستقصى» !! «غنى لا يستقصى» .! بل ما أشبهه بعالم مستكشف مضى إلى بلاد بعيدة باحثاً ومنقباً عن مناجم. فما كاد يكتشف أول منجم حتى ظهرت له من ورائه مناجم غنية بمعادنها ، لا حصر لها ولا عدّ ، فكفّ عن الاستكشاف لأنه وجد فى تلك البلاد الغنية كنوزاً لا تستقصى . يفنى الزمان ، وكنوزها لا تفنى ، ويتقادم الجديدان وهى لا تزال جديدة فى كل صباح ، ثم عاد يهتف بملء فمه : «غنى لا يستقصى ! غنى لا يستقصى» !!

لا يستقصى ٩ وأنير الجميع فى ماهو شركة السر

غنى لا حد لعرضه لأنه يغنى الجميع من غير أن ينقص منه شيء . ولا حصر لطول مداه فالسنون تفنى وهو باق ! وتبلى الليالى وهو جديد . ولا نهاية لعمقه الذى لا يسبر له غور لأنه متأصل فى أزلية الله . ولا غاية لعلوه لأنه يجرى من تحت عرش الله . فهيهات لبشر أو لملاك أن يعرف «ماهو العرض والطول والعمق والعلو» .

المعنى الحرفى للكلمة اليونانية المترجمة «لا يستقصى» هو «لا يمكن أن يقتفى له أثر» — وبالتالى لا يمكن أن يسبر له غور . ولم ترد هذه الكلمة فى العهد الجديد سوى مرة أخرى غير هذه — «ما أبعد طرقه عن الاستقصاء» . (رومية ١١: ٣٣) . وقد وردت ثلاث مرات فى الترجمة السبعينية — الترجمة اليونانية للعهد القديم — أيوب ٥: ٩، ٩: ١٠، ٣٤: ٢٤ . فترجمت فى الأولى ، وفى الثانية : «لا تفحص» ، وفى الثالثة «بدون فحص» .

« غنى المسيح الذى لا يستقصى » — هذه خلاصة الإنجيل ، بل نبعه الفياض الذى لا ينضب له معين . فلا خلاص بغير إنجيل ، ولا إنجيل بغير مسيح ، ولا مسيح بغير غنى لا يستقصى . إن المسيح غنى فى وداعته ، غنى فى قدرة فعاله ، غنى فى حكمة أقواله ، لكنه فوق الكل غنى فى محبته المضحية .

عدد ٩ (٣) بولس حامل مصباح الإنجيل : (٩:٣)

يرسم أمامنا هذا العدد صورة قوم يحاولون السير فى مسالك متعرجة يكتنفها ظلام دامس ، فيتخبطون فى ظلامها ، وإذا بشخص حكيم قد أشفق

المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح

عليهم فسلط نوراً كشافاً قوياً، فبددالظلمات وأنار الطريق، وأوضح السبيل للبصائر والأبصار. أما القوم المتخبطون، فهم «الجميع» — أى كل البشر يهوداً كانوا أم أمميين. وأما السبيل الذى لم يكن واضحاً أمامهم فهو «سر» القصد الأزلى فى افتداء الأمم. وأما النور الكشاف الذى أضاء السبيل، فهو نور الإنجيل. وأما حامل النور فهو بولس الرسول.

وردت كلمة «ينير» مرة أخرى فى العهد الجديد «... وأنار الحياة والخلود بالإنجيل» (٢تى ١ : ١٠). وهى تعنى أن الحق الذى كان غامضاً فى ضوء فجر نبوات العهد القديم، أضحى ساطعاً فى نور شمس الإنجيل. ومن المحتمل أن بولس استعمل هذه الكلمة فى هذه الرسالة بمعناها المتداول عند الأمم وقت كتابة الرسالة — أى كشف «السر» للمؤمنين من أعضاء جمعياتهم (أطلب تفسير ١ : ٩ و١٨). إن كلمة «شركة» تعنى «تدبير». (أطلب تفسير العدد الثانى من هذا الأصحاح).

إن لله قصداً أزلياً فى خلق الجميع. لكن هذا القصد ظل «سراً» مكنوناً فى فكره تعالى، ومخفى عن أفكار البشر والملائكة، مدة أجيال طويلة. وفى ملء الزمان كشف الله عن هذا السر لأنبيائه ورسله القديسين فأوضح للجميع، أن الله الذى خلق جميع الخلائق والكائنات فى المسيح، لم يخلقهم عبثاً، ولكنه خلقهم لقصد سام شريف، إذ فداهم بالمسيح، ليحضرهم كاملين فى المسيح، وليبلغهم إلى قياس قامة ملء المسيح. هذه هى الحكمة التى خفيت ثم أعلنت بالإنجيل.

١٠ لـكى يعرف

رابعاً . الغاية القصوى من إعلان هذا السر (٣ : ١٠ — ١٣)

عدد ١٠ (١) لـكى يعرف عند الرؤساء والسلاطين بحكمة الله المتنوعة. تحدث الرسول فى العدد السابق عن إطلاق نور الإنجيل الـكشاف أمام عيون جميع البشر من يهود وأمميين، لـكى يستنيروا فى معرفة قصد الله الأزلى الذى ظل مستوراً عن البشر مدة أجيال طويلة ، فأعلن لهم فى ملء الزمان . وبما أن البشر وحدهم ليسوا كل الخلائق العاقـلة ، ولـكنهم يؤلفون مع الملائـكة ، كتلة الخلائق العاقلة ، فلم يكن فى إمكان الرسول أن يتغاضى عن نصيب هذه الطغمة الممتازة من نور الإنجيل الـكاشف . هذا موضوع الـكلام فى هذا العدد .

قال بطرس الرسول (١ بط ١ : ١٢) : إن فداء البشر هو موضوع أشواق الملائـكة ، وإن سر هذا الفداء هو الهدف الذى يوجهون إليه جل محاولاتهم فى سبيل استكشافه . لأن الشيء الذى يستحق أن يكون موضوع تفـكير الله، حقيق بأن يكون موضوع تفكير الملائـكة ومشتهى آمالهم. وإذا كان الله قد أراد أن ينير جميع البشر فى ماهو شركة السر المكتوم ، قد أراد أيضاً — تفضلا منه — أن يعرف الملائـكة بحكمته المتنوعة التى ظهرت فى تدبير هذا السر، وفى اخفائه، وفى إعلانه. أبان الرسول فى هذا العدد أربع حقائق:

—١— وقت كشف هذا السر: «الآن» — أى فى «ملء الزمان» ، الذى هو عصر الإنجيل .

الآن عند الرؤساء والسلاطين

—ب— لمن يُذاع هذا السر : « عند الرؤساء والسلاطين في السماويات» .ورد مايماثل هذه العبارة فى ١ : ٢١ من هذه الرسالة. وهى تعنى الملائكة المتشوقين إلى معرفة أسرار الفداء (١ بط ١ : ١٢) ، ومتلهفين إلى كشف الغوامض، كما رآهم سيما فى الرؤيا الأخيرة من سفر دانيال. فلئن كانوا أوسع معرفة واطلاعاً من بنى الإنسان ، إلا أنهم محدودون في هذه المعرفة، فلا يتصل بعلمهم إلا مايسمح لهم الله به. ومن الطبيعى أن يهتم الملائكة بمعرفة «أسرار» الفداء، لأنها تعلن لهم الحكمة الإلهية التى رتبت كل شىء فى وقته ، وفى محله اللائق به . فلا خطأ ولا إسراف. ومن المحتمل أن الملائكة يبغون الاطلاع على «أسرار» فداء البشرية لأنها تنير أمامهم السبيل فيما يجهلون من معاملات الله لهم. لأن إله البشر هو إله الملائكة. فمتى ظهرت حكمته فى إحدى نواحى سياسته ، كانت هذه حجة دامغة على حكمته الممتازة فى كل أعماله. أما مقام الملائكة ومكانهم ، فقد عبر عنهما الرسول بقوله: «فى السماويات». قد أوضحنا المراد من هذه العبارة فى تفسير ١ : ٣ فليطلبها القارىء هناك .

—ج— أداة إذاعة هذا السر للملائكة: « .... الكنيسة» . هذه مره ثانية وردت فيها هذه الكلمة في رسالة أفسس، وفيما بعد نلتقى بها فى نهاية هذا الأصحاح ، وستواجهنا ست مرات أخر فى مختتم الأصحاح الخامس. ومن الملاحظ أن بولس لم يستعمل هذه الكلمة فى رسالة أفسس للدلالة على جماعة محلية — مع أنه استعملها مرتين من أربع مرات فى كولوسى —

لكنه أراد بها هنا الكنيسة الغير المنظورة الجامعة لكل المؤمنين في كل أمة وفي كل جيل .

عندما يتم عمل نعمة الله في الكنيسة ، ويلبس المفديون حلل البر والبهاء والمجد ، التي حاكتها لهم النعمة ، ووشتها بدم الفادي الكريم ، وطرزتها بأشعة أنوار مجد الآب العظيم ، وجملتها بضياء قداسة روح الله القدوس — عندما يتم كل هذا ويذكر الجميع ما كانوا عليه من حقار ، ودنس ، وصغار ، عندئذاك يدوي في الفضاء صوت جامع ، مترنماً بمجد الله الذي يستحق كل إكرام وسجود . لأنه صنع من التراب تبراً ، ومن الفحم ماساً ، ومن الأشواك ورداً وريحاناً ، فيعرف الملائكة ، بواسطة هذا الاستعراض الجليل الذي فيه استعلن أولاد الله ، أن كل أعمال الله بحكمة قد صنعت .

مع أن الجمال الإلهي الذي زان به الله كل مؤمن ، يظهر شعاعاً من أنوار مجد نعمة الله ، إلا أن جمال كل فرد على حدة ، غير كاف في ذاته لأنه إنما يكشف جانباً ضئيلاً من هذا المجد . كذلك شأن كل كنيسة أو طائفة إذا أخذت على حدة ، فانها غير كافية لإظهار هذا المجد كله . فمن الضروري لإظهار كمال هذا المجد الإلهي ، أن يتجمع كل المؤمنين معاً ، في كل عصر ومصر ، لكي يترنموا بأنشودة واحدة على أوتار كثيرة متباينة ، لكنها مجتمعة لتكون نغمة واحدة : « مستحق أنت أن تأخذ المجد والكرامة » .

— د — موضوع هذا الكشف أو الاعلان : « بحكمة الله المتنوعة » .

إن الكلمة اليونانية المترجمة في العربية إلى « متنوعة » تقال وصفاً للألوان

بحكمة الله المتنوعة

الجميلة المتجمعة فى باقة زهر ، أو فى قطعة من «الشبكة» المطرزة والموشاة بألوان كثيرة . ولعل بولس كان خبيراً بهذا الفن الجميل لأنه كان فى صناعته «خياماً» . والكلمة تعنى حرفياً «الكثيرة الألوان» ، حال كونها حكمة واحدة . ما أشبهها بالنور ، بل ما أشبه النور بها! فهو جامع فى ذاته السبعة الألوان التى يتكون منها قوس قزح . هى حكمة متنوعة ، لأنها توحد الوسائل المتباينة والمتشابكة ، التى يستخدمها الله فى تنفيذ مقاصده ، وهى متمشية مع حالات البشر وحاجاتهم المتنوعة . فهى تظهر فى المنح وفى المنع . فى الإعلان وفى الإخفاء ، فى إجراء عدالة الله وفى إظهار رحمته . فما أحكمها فى التوفيق بين تعطفات الرحمة ، ومطاليب العدالة ، وفى الجمع بين الأمميين واليهود فى تدبير الفداء العجيب الذى بانت فيه الحكمة بأسمى معانيها (١ كو ١ : ٢٤ و٣٠) .

لم ترد هذه الكلمة : «المتنوعة» فى العهد الجديد سوى هذه المرة . لكن كلمة أخرى تحمل ظلاً من معناها ، وردت فى رسالة بطرس الرسول الأولى « نعمة الله المتنوعة » (١ بط ٤ : ١٠) . وهو يريد النعمة فى مظاهرها المتنوعة — النعمة المخلصة ، والمعلمة ، والمعزية ، والمقوية ، والمسندة (تيطس ٢ : ١١ — ١٣ ، ٢ كو ١٢ : ٩) .

ما أحلى ما قاله غريغورى نازينازى فى هذه « الحكمة المتنوعة » : «قبل التجسد ، استطاعت الملائكة أن ترى حكمة الله فى مظهر واحد بسيط ، لكنهم بعد التجسد قد رأوها فى مظاهرها المتنوعة — إذ خلقت من الموت حياة ، وصاغت من الهوان مجداً ، وضفرت من إكليل الشوك والعار ، تاج مجد

١١ حسب قصد الدهور الذى صنعه

وفخار» . يالها من حكمة متنوعة ، صادرة عن غنى عظيم لا يُستقصى، فصاغت من جهالة الكرازة حكمة جليلة خالدة .

عدد ١١ (٢) لكى يعرَّف عند الرؤساء ... بقصد الدهور

إن قوله: « قصد الدهور » تعبير عبرىّ فى صيغته ، يراد به « القصد الدهرى » أو « القصد الأزلى » ، على مثال القول : « صخر الدهور » الذى هو « الصخر الدهرى » أو « الصخر الأبدى » (إشعيا ٢٦: ٤). « قصد الدهور » هو القصد الأزلى الذى لم يكن ارتجالياً ولا وليد ساعته ولا مؤقتاً لكنه مدَّبر منذ الأزل بتدبير محكم ، يمتدّ إلى الأبد، لأنه مظهر إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة . ولعل الرسول أراد أن يبين فى هذا العدد أن حكمة الله المتنوعة الألوان، ليست « متلونة » طبق الظروف الطارئة والأحوال المفاجئة، كالو كانت بلا قصد معين ، لكنها تعمل وفق قصد معيَّن منذ الأزل، فتلحظه المشيئة الإلهية، وتحفّ به القدرة الإلهية حتى يُنفذ بحذافيره. ومتى جاء الوقت المعين، سوف تُظهر كنيسة الأبكار المفديين، لجمهور الملائكة أمجاد الفداء العجيب الذى دبره الله بتجسد المسيح ، وحياته ، وموته على عود الصليب. هذا هو المسيح ربنا ومخلصنا الذى كان معروفاً فى أيام جسده. فكنيسة المفديين هى مظهر مشيئة الله وفيها تتحقق مقاصده الأزلية. هذه هى الكنيسة فى مجدها وجلالها الا فى ضعفها وامحالها. فلا صفحة الخلق وما تجلى فيها من قدرة وجلال وابداع ، ولا صفحة العناية وما تعلنه من أسرار الحكمة الإلهية،

في المسيح يسوع ربنا. ١٢ الذى به لنا جراءة

بكافية لإظهار حكمة الله المتنوعة. ولكن صفحة الفداء وحدها، التي تتجلى فيها كنيسة المفديين عند استعلان أبناء الله ، هي التي تكشف للرؤساء في الأرض وفي السماء ، عن سر الفداء العجيب الذي دبره الله في المسيح ونفذه بالمسيح. لأن محبة الله قد تجلت بأسمى مظاهرها «في المسيح يسوع ربنا» (رومية ٨: ٣٩)

إن قول الرسول : « الذي صنعه في المسيح» قد يشير إلى تكوين هذا القصد منذ الأزل في شخص المسيح ، بمعنى أن كل المقاصد الإلهية المتعلقة بالخلق والفداء — سيما الفداء — قد دبرها الله في المسيح: فيه خلق الكل وفيه فدى الكل. وقد يشير أيضاً إلى تحقيقه في شخص المسيح وفي جسده الروحي الذي هو كنيسته المجيدة، المفتداة والمقدسة بالدم الثمين. وقد تكون الاشارة منصبة على الأمرين كليهما — أي على تكوين القصد الإلهي منذ الأزل ، وتنفيذه وتحقيقه على ممر الأجيال . ويميل الدكتور كاندلش إلى الرأي الثاني، بحجة أن الرسول أورد في هذه المناسبة اسم فادينا كاملاً «المسيح يسوع ربنا». ونعتقد نحن — مع سائر المفسرين — أن المعنى الأول هو المقصود.

| عدد ١٢ | (٣) لكي يعرف عند الرؤساء... بدالتنا نحن البنين

ردد الرسول في هذا العدد ما سبق فقرره في ٢: ١٨ ، كي يبين أن دالتنا نحن البنين — يهوداً كنا أم أمميين — هي موضوع إعجاب الملائكة وتعجبهم ليس في الدهر الآتي فقط بل في هذا الزمان. لأن هذه نعمة حالية يحظى بها المؤمنون في الحاضر. وقد ذكر الرسول هنا ثلاث حقائق عن هذه الدالة :

وقدوم بإيمانه

الحقيقة الأولى — مظاهر الدالة التى لنا نحن المؤمنين : « جراءة وقدوم ». إن « الجراءة » المقصودة هنا هي جراءة التكلم عندما نظهر أمام الله فى الصلاة ونملأ أفواهنا حججاً ، إذ نفضى اليه بكل ما يخالجنا من مخاوف وأشواق ، ونعترف له بما وقعنا فيه من زلات ، ونخاطبه بما تكنه صدورنا من لواعج وطلبات ، من غير حاجة إلى وسطاء وشفعاء ، لأن المسيح هو شفيعنا الأوحد ومحامينا الأكمل . ويراد بـ « القدوم » حرية المثول بين يديه فى كل ساعة ولحظة ، من غير داع إلى استئذان ، ولا حاجة إلى انتظار ظهور صولجان الملك ، كما كانت تعمل رعية ملوك الأوثان (أستير ٣:٢) ، ولا لزوم للتقدمات والمحرقات التى كان يقدمها رؤساء الكهنة قبل مثول الشعب فى حضرة الله (كولوسى ٢ : ١٥ ، عبرانيين ١٠ :٣٥ ، ١ يوحنا ٢:٢٨ ، عبرانيين ٤:١٦)

الحقيقة الثانية : طبيعة هذه الدالة : « عن ثقة » . إن « الجراءة » التى تحدث عنها بولس هنا ، ليست جراءة المجترىء الوقح الذى لا يعبأ بشىء ولا يبالى بتقدير الموقف . وأن « القدوم » الذى وصفه ليس قدوم المقتحم المتصلف العابث بكل شخص ، وإنما هى جراءة الواثق ، وقدوم المطمئن . هى جراءة الأبناء الواثقين من محبة أبيهم ، فيدنون منه وفى قلوبهم يقين ، وعلى عيونهم ملامح الرجاء الوطيد ، وحواليهم جو سلام وأمن ، مفعم بالثقة المتبادلة (رومية ٨ : ٣٨) . إن موضوع هذه الثقة هو المسيح نفسه ، لا الإيمان به

الحقيقة الثالثة أساس هذه الدالة : « بإيمانه » — هذا تعبير يونانى قديم يُراد به « الإيمان بالمسيح » أو « الإيمان فى المسيح » . وقد وردت هذه

عن ثقـة. ١٣ لذلك أطلب

الصيغة عينها فى مرقس١١ :٢٢«ليكن لـكم إيمان بالله» - وترجمتها الحرفية: «ليكن لـكم إيمان الله » أى «الإيمان الذى فى الله». وقد يكون القصد منها الإيمان الذى يولده المسيح، وينشئه ، ويربيه فى قلوبنا من جهته .فهو إيمان المسيح لأنه نتيجة عمله فى حياتنا (اطلب رومية٣ : ٢٢ ، غلاطية ٢ : ١٦ و٢٠، فيلبى٣ : ٩ ، كولوسى ٢: ١٢).فنحن إذاً لج باب ملكوت المسيح بالإيمان بالمسيح، ثم «نحيا و نتحرك» و نتقدم فى هذا الملـكوت بالإيمان بالمسيح. وغالباً تعنى هذه العبارة : الإيمان الذى موضوعه المسيح، وغايته المسيح. فالمسيح هو موضوع إيماننا ، وهو غايته، وهو نفسه موضوع الثقة التى تكلم عنها الرسول فى العبارة السالفة. لأن الثقة الحقيقية التى تولد الجراءة والقدوم لا تقوى بنظرنا إلى أنفسنا ، ولا بالتأمل فى اختباراتنا الماضية، ولا بالتفكر فى مؤهلاتنا الحاضرة. ولـكنها تنمو وتتزايد وتتقوى، بالنظر إلى يسوع وحده.

عدد ١٣ | كلمة ختامية مجملة — بولس فى شدائد إنجيل الأمم (٣ : ١٣)

فى رسالة معاصرة لهذه(كولوسى١ :٢٤)قال بولس لقارئيه: «...الآن أفرح فى آلامى لأجلكم . . . » . فاذا كانت آلام بولس لأجل رعيته تنشىء فى قلبه فرحاً ، فمن الواجب أن تنشىء فى قلوبهم رجاء وفخراً .

وردت كلمة « أطلب» فى الأصل بصيغة قوية بمعنى « أتوسل». وهى الصيغة التى تستعمل أحياناً فى الصلاة لله . فلا غرابة إذا مال واضعو الترجمة الانجليزية المنقحة إلى حسبانها صلاة موجهة إلى الله لا طلباً مقدماً إلى المكتوب

أن لا تكلوا فى شدائدى لأجلكم

إليهم . كأنهم أرادوا أن يفهموا كلام الرسول على هذه الصورة: لذلك أطلب من الله أن لا أكلّ في شدائدى لأجلكم». لكن ختام الآية: «التى هى مجدكم» مضافاً اليه غرة هذا الاصحاح ، يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الكلمة «أطلب» لا تحمل صلاة مرفوعة إلى الله ، بل تتضمن رجاء مقدماً إلى المكتوب اليهم فهى من نوع قوله فى رومية ١٢ : ١ « أطلب اليكم أيها الأخوة » .

أما «الكلل» المشار إليه فى قوله: «أن لا تكلوا» فهو وليد الفشل والملل من فرط الآلام وطولها بسبب عدم معرفة القصد منها . وقد وردت هذه الكلمة عينها فى لوقا ١٨: ١ «ولا يُمل» وفى ٢ كو ٤: ١٦ «لذلك لا نفشل».

كان المكتوب إليهم معرضين لهذا الكلل ، لحداثة إيمانهم ، من جهة . ومن جهة أخرى لعدم معرفتهم غاية هذه الآلام وتغافلهم عن دلالتها. هذا ما أراد الرسول أن ينبههم إليه بقوله لهم : «شدائدى التى هى مجدكم». فبدلا من أن تحرّض فيهم عوامل الفشل ، ينبغى أن تولد فيهم بواعث الشكر والفخر ، لأنها تاج أكاليلهم ومجد فخارهم. فالأشياء الزهيدة تُنال بأسهل الطرق وأهون الوسائل . لكن الأشياء الثمينة لا تنال إلا باقتحام الأهوال وركوب متن الأخطار . ولا بد للشهد من إبر النحل . فالاسفنج موجود بكثرة على سطح الماء . لكن من طلب اللآلىء عليه أن يغوص فى أعماق اللجج. وبما أن انجيلهم كلف حامله كل هذه المتاعب والمشاقّ ، فإن فى هذا برهاناً جلياً على أنه إنجيل كريم ، وعلى أنهم هم قوم لهم قيمة فى نظر الله ، لدرجة استحقوا فيها

التى هى مجدكم

كل هذه التضحيات والآلام . وكم من ألم يبعث فى النفس خير أمل، فيقتل فيها شر ملل .

يعتبر الفصل الذى مرَّ بنا فى هذا الأصحاح ، شرحاً وإيضاحاً لموقف الرسول بالنسبة للمكتوب إليهم، كما أجمله فى قوله: «أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم» (٣: ١) . لكنه فى سبيل إيضاح هذه الحقيقة أفضى إلينا ببيان عظيم وبلاغ خطير، عن فاسفة التاريخ المقدس ، فكشف لنا عن سر الدهور « الذى فى أجيال أُخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح » .

في المرحلة التى مرت بنا من هذه الرسالة ، رأينا عمل المسيح فى مصالحة اليهود بالأمم، وضمهما معاً فى عهد الفداء . وها قد شرع الرسول يستعرض معاملة الله للبشرية جمعاء ، معلناً أن قصد الله ، واحدٌ فى كل أجيال الدهور، وأن هذا القصد مدرسة جليلة يتعلم فيها الجميع — حتى ملائكة السماء .

صلاة بولس الثانية لأجل المكتوب إليهم

حلول المسيح فى القلب وبعض نتائجه : القوة والإدراك وكمال الملء

(٣ : ١٤ — ٢١)

مرتين فى هذه الرسالة رأينا بولس الرسول مصلياً لأجل المكتوب إليهم: المرة الأولى فى ١ : ١٦ — ٢٣ ، والثانية فى ختام هذا الأصحاح ، وبها يبلغ الرسول ذروة هذه الرسالة فيختتم القسم التعليمى منها، ليستهل القسم

١٤ بسبب

العملى، بقوله «فأطلب إليكم أنا الأسير». فى الصلاة الأولى طلب بولس لأجل المكتوب إليهم أن يعطوا معرفة وحكمة. وفى الصلاة الثانية طلب لأجلهم قوة وإدراكاً وملئاً كاملاً . فى قلب كل صلاة منهما، طلبٌ رئيسى: — فى الأولى «روح الحكمة» (١: ١٧)، وفى الثانية « قوة الروح » (٣: ١٦) : فى الأولى طلب الرسول لأجلهم « معرفة الله » ، وفى الثانية طلب «معرفة المسيح». الفكرة الرئيسية فى الصلاة الأولى هى : « نحن فى المسيح» ، وفى الصلاة الثانية : «المسيح فينا» . قياس الطلبات التى طلبها بولس فى الصلاة الأولى هو : « حسب عمل شدة قوة الله » (١ : ١٢) ، وقياس الطلبات المتضمنة في الصلاة الثانية هو : « بحسب غنى مجد الله » . . . « أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا » (٣ : ١٦ و ٢٠) .

يجمل بنا فى المقابلة بين هاتين الطلبتين ، أن نذكر أوجه الشبه الرباعية فى كل منهما :

(ا) الصلاة فى كل منهما موجهة إلى الله الآب : «أبو المجد» (١: ١٧)، « أبى ربنا يسوع المسيح » (٣ : ١٤) . (ب) تتضمن كل منهما طلبة بنوال عطية الروح القدس : « ... كى يعطيكم ... روح الحكمة والإعلان فى معرفته » (١ : ١٧)، «لكى يعطيكم أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن » (٣ : ١٧) . (حـ) دائرة عمل الروح فى كل منهما واحدة: فهى فى الصلاة : الأولى «عيون الأذهان» (١ : ١٨) وفى الصلاة الثانية : « الإنسان الباطن » (٣: ١٦) . (د) الغاية القصوى فى كل منها تكاد تكون متشابهة:

هذا

فهي في الصلاة الأولى : «لتعملوا ماهو رجاء دعوته»(١: ١٨) ، وفى الصلاة الثانية: «حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين...وتعرفوا»(٣: ١٨) فالمعرفة والقوة مرتبطتان تمام الارتباط في هاتين الطلبتين فالصلاة لأجل «معرفة القوة المقتدرة» (١: ١٩) تتطور فتصبح صلاة لأجل «نوال القوة المقتدرة» (٣: ١٦) ، فتُمسى وسيلة يصبح الإنسان بها قادراً على أن يعرف (٣: ١٩).فالمعرفة تساعد على القوة والقوة تعين على المعرفة

تتضمن رسائل بولس التى كُتبت أثناء سجنه فى رومه : فيلبى وكولوسى،وأفسس،أربع صلوات رئيسية رفعها الرسول لأجل المكتوب إليهم: الصلاة الأولى نجدها فى الأصحاح الأول عن رسالة فيلبى،والصلاة الثانية فى الأصحاح الأول من رسالة كولوسى ، والصلاة الثالثة فى الاصحاح الأول من رسالة أفسس ، والصلاة الأخيرة هى التى نحن بصددها الآن

موضوع الصلاة الأولى (فيلبى ١: ٩ — ١١) : **المحبة الفطنة المميزة .**

وموضوع الصلاة الثانية (كولوسى ١: ٩—١٢) : **السلوك النيِّر .**

وموضوع الصلاة الثالثة (أفسس ١: ١٥—٢٣) : **الانارة الروحية .**

وموضوع الصلاة التى نحن بصددها (أفسس ٣: ١٤—٢١) :**الملء الالهى.**

حسناً قال الدكتور الكسا ندر مكلارن فى هذا الصدد : لم يرتق بولس فى كتاباته إلى الذروة التى بلغها فى صلواته . وهو لم يبلغ فى كل صلواته تلك الذروة التى بلغها فى هذه الصلاة المؤلفة من طلبات متدرجة .

فلا جدال فى أن هذه الصلوات الأربع ،من أهم الصلوات التى رفعت

أحني

إلى عرش النعمة على ممر الدهور . وإذا جازت المفاضلة بينها فإن أعظمهن هى الأخيرة، لأنها تتضمن الشيء الكثير من محتويات سابقاتها . ولأن موضوعها هو الذروة العليا التي يمكن أن يبلغها أفضل مصلٍّ . أفليس بكاف للمصلى أن يبلغ إلى قياس ملء الله . وحلول المسيح فى قلبه ، وتأييد قوة الروح القدس له فى الانسان الباطن ؟ ! إن مقام هذه الصلاة بالقياس إلى رسائل بولس ، كمقام صلاة المسيح المدوّنة في يوحنا ١٧ ، بالقياس إلى البشائر الأربع .

تنقسم هذه الصلاة فى مبناها — أما معناها فلا يقبل التقسيم والتجزئة إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولا : مقدمة الصلاة (٣:١٤ و ١٥)

(١) موقف المصلى — نفسياً : «بسبب هذا» (٣:١٤ ا)

(٢) موقف المصلى — جسدياً : «أحنى ركبتى» (٣:١٤ ب)

(٣) المصلي إليه فى نسبته إلى المسيح : (٣ : ١٤ جـ)

(٤) المصلى إليه في نسبته إلى عشائر السموات والأرض : (٣:١٥)

ثانياً : غرض الصلاة : «لكى يمتلئوا إلى كل ملء الله» (٣:١٦ — ١٩)

(١) طلبات إعدادية لهذا الغرض : (٣:١٦ — ١٩ ا)

ا — القوة الاعدادية لهذا الغرض (٣:١٦ و ١٧)

(١) تأييدهم بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن (٣:١٦)

(٢) حلول المسيح بالإيمان فى قلوبهم (٣:١٧)

دكبتى

ب — المعرفة الإعدادية لهذا الغرض : (٣: ١٨ و ١٩ ا)

(١) «حتى تستطيعوا أن تدركوا .. ماهو العرض ...» (٣: ١٨)

(٢) «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة» : (٣ : ١٩ ا)

(٣) تحقيق هذا الغرض : (٣ : ١٩ ب وج)

(١) حقيقة هذا الغرض : «.. لكى تمتلئوا» (٣: ١٩ ب)

(ب) قياس هذا الغرض : «... إلى كل ملء الله » (٣ ١٩ ج)

هذه الطلبات سائرة على نظام تدريجي متصاعد كدرجات السلم

الطلبة الخامسة

الطلبة الرابعة

الطلبة الثالثة

الطلبة الثانية

الطلبة الأولى

كل طلبة من هذه الطلبات تؤدى إلى الطلبة التى تليها مثلما تتفتح كؤوس الزهر من داخل بعضها البعض

ثالثاً : نشيد التمجيد (٣: ٢٠ و ٢١)

ا — موضوع تمجيدنا — «المسيح .. »

ب — أساس ثقتنا فى تمجيدنا — «هو القادر» } (٣: ٢٠)

ج — علة تمجيدنا لله — اظهار مجده فى كنيسته، وفى رأسها الأعلى

د — مدى تمجيدنا له «إلى جميع أجيال دهر الدهور» (٣: ٢١)

لدى أبى

أولا : مقدمة الصلاة (٣: ١٤و١٥)

عدد ١٤ | (١) موقف المصلى — نفسياً : «بسبب هذا» (عدد ١٤ ا)

«بسبب هذا» : تعرفنا هاتان الكلمتان عن موقف بولس الرسول إزاء المكتوب إليهم . وهما ترجعان بنا إلى كلمتين مثلهما وردتا فى غرة هذا الأصحاح : «بسبب هذا» . فما هو هذا الشيء الذى أشار إليه بولس بقوله : هذا» ؟ يتضح لنا «هذا» الأمر، متى رجعنا إلى الأصحاح السابق، وذكرنا الموضوع الذى كان يشغل ذهن الرسول هنالك —ألا وهو نعمة الله المتفاضلة على الأمم ، «الذين كانوا قبلاً أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لهم، وبلا إله فى العالم . ولكن الآن فى المسيح يسوع، صاروا قريبين بدمه الثمين ».

«فبسبب هذه» النعمة التى أجزلها الله على الأمم ، جاعلاً بولس أداة صالحة لإبلاغها إليهم عن طريق الكرازة بالإنجيل للأمم — أو بإنجيل الأمم، صار لزاماً على بولس أن يحنى ركبتيه أمام الله ، طالباً منه أن يملأ الأمم بمعرفة هذا السر الذى كان مخفى فأعلن ، وأن يتأيدوا بالقوة بالروح فى الإنسان الباطن ، حتى يمتلئوا إلى كل ملء الله .

(٢) موقف المصلى — جسدياً : «أحنى ركبتىّ» (عدد ١٤ ب)

يمكننا أن نقدّر رهبة هذه العبارة وجلالها، متى ذكرنا أنها نادرة الورود فى العهد الجديد . فالظاهر أن القيام للصلاة كان «الموقف» المألوف فى ذلك

العصر ، بدليل قول المسيح : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع » (متى ٦:٥)، وقول البشير «أما الفريسى فوقف» ... «وأما العشار فوقف» (لوقا ١٨ :١١ و١٣) . ولكن الركوع كان يلجأ إليه للتعبير عن التأثر العميق فى مواقف دقيقة خطيرة ، كما فعل مخلصنا فى بستان جسثيمانى حيث «انفصل عن التلاميذ نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى» . وكذلك فعل بولس عند توديعه قسوس الكنيسة التى وجهت إليها هذه الرسالة ، حين «جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى» (أعمال ٢٠ :٣٦) . وبمقابلة ما جاء فى لوقا ٢٢ :٤١ «جثا على ركبتيه وصلى» بما جاء فى مرقس ١٤ :٣٥ « وخر على الأرض وكان يصلى » وبما جاء فى متى ٢٦ : ٣٩ « ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى » ، جاز لنا أن نستنتج أن جبهة الساجد كانت تلامس الأرض فى الصلاة ، دليلاً على التخشع التام . ويقول المؤرخون إن الكنيسة الأولى منعت السجود على هذه الصورة فى يوم الرب بحجة أن يوم الرب يوم فرح وبهجة ، فمن المناسب أن يمتنع فيه التذلل .

ويلوح لنا ، أن بولس اختار السجود «موقفاً» له فى صلاته هنا ، لخطورة الموضوع الذى جعله هدفاً لصلاته . ولعله تحصن بما جاء فى إشعياء ٤٥ :٢٣ ، فاقتبسه فى رومية ١٤ :١١ ، وفيلبى ٢ : ١٠ ، وعمل بموجبه هنا : « بذاتى أقسمت خرج من فمى الصدق كلمة لا ترجع . إنه لى تجثو كل ركبة ويحلف كل لسان » .

ومع أن حالة المصلى الجسدية لا تدل بالضرورة على حالته الروحية ، إلا

ان الجسد والروح ليسا عدوين متنازعين، لكنهما صديقان متلازمان وأخوان متآخيان ، فما يؤثر فى أحدهما يكون له أكبر الأثر فى أخيه

(٣) المصلى اليه فى نسبته إلى المسيح: «لدى أبى ربنا يسوع المسيح» — هذا تعبير يراد به إظهار صلة الله الآب بالمسيح فى عهد الفداء، و بالتالى صلته بنا نحن المؤمنين فى هذا العهد المقدس . فالمسيح موصوف هنا، باعتبار كونه وسيطنا وشفيعنا .

عدد ١٥ | (٤) المصلى اليه فى نسبته الى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض : (٣: ١٥)

الكلمة اليونانية المترجمة «عشيرة» (باتريا) فى هذا العدد، هى من ذات الأصل المشتقة منه كلمة «اب» (باتر) الواردة فى العدد السابق ، وهى مجانسة لها فى اللفظ ، ويجوز أن تترجم كل العبارة حرفياً إلى : «لدى الآب الذى منه تسمى كل أبوة فى السموات وعلى الأرض » ، أو « المشتقة منه كل أبوة فى السموات وعلى الأرض» . فالمستفاد من هذا ، أن الأبوة الإلهية هى النموذج الأساسى والمثل الأعلى لكل أبوة فى السموات وعلى الأرض . فليس بكاف أن الأبوة الالهية اتحدت كل المؤمنين معاً وصاغت منها أخوة واحدة ، لكنها اتحدت عشائر السموات بعشائر الأرض وصاغت منهم عشيرة واحدة . كل هذا تم فى المسيح ، كما قال بولس فى موضع سابق « لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما

في السموات وعلي الارض. ١٦ لكي

على الأرض في ذاك — المسيح» (١: ١٠ ، كولوسي ١: ٢٠)

ويجمل بنا هنا أن نذكر المواضيع التي ذكر فيها الرسول «أبوة الله» في رسالة أفسس . فقد أشار الرسول إلى أبوة الله سبع مرات أخر في هذه الرسالة : «سلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح» (١ : ٢) ، مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح» (١: ٣)، «أبو المجد» (١: ١٧) ، « في روح واحد إلى الآب» (٢: ١٨) ، «إله وآب واحد» (٤ : ٦) ، « في اسم ربنا يسوع المسيح لله الآب» (٥: ٢٠) ، «محبة بإيمان من الله الآب» (٦: ٢٣)

لا أبوة حقيقية خارج المسيحية، لأن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي أعلنت للبشر أبوة لله بصورة قاطعة صريحة : فلا غرابة إذا كانت أجل صلاة في المسيحية ، هي تلك التي مطلعها : «أبانا الذي في السموات»

ثانياً : غرض الصلاة (٣ : ١٦—١٩) . . . « لكي تمتلئوا »

عدد ١٦ | (١) طلبات اعدادية لهذا الغرض (٣: ١٦—١٩)

—١— القوة الاعدادية لهذا الغرض (٣ ١٦و١٧)

(١) تأييدهم بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (٣: ١٦)

يحدثنا الرسول في هذا العدد عن خمس حقائق: —أ— مصدر القوة : «لكي يعطيكم» —ب— قياس القوة : «بحسب غنى مجده» — ج — عمل القوة : «أن تتأيدوا» —د— معدن القوة : «بالقوة بروحه» —هـ— دائرة فعل القوة : « في الإنسان الباطن» .

يعطيكم بحسب غنى مجده

أ — مصدر القوة : «لكي يعطيكم» — يستفاد من هذه العبارة، أن القوة الروحية صادرة «من فوق من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» . فهي ليست نتيجة انفعال بشري، ولا هي وليدة إيحاء نفساني ذاتي . وإنما هي هبة من الله وعطية جزيلة منه تعالى. حقاً قال المسيح في هذا الصدد : «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه»

ب — قياس القوة : «بحسب غنى مجده» — إن «مجد الله» هو مظهر جلال ذاته وكمالاته، و«غنى مجده» هو ذلك المجد في أكمل صوره وأجمل مظاهره، وأجلها، وأرفعها ، وقد أشار بولس إلى «غنى» هذا المجد في رسالة أخرى معاصرة لهذه، حين قال : «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (فيلبي ٤:١٩) .

قد يتاح لنا أن نعرف شيئاً عن معنى «المجد» متى قابلناه بالنعمة . فالنعمة هي المجد في البزرة ، والمجد هو النعمة في البلوغ . فالله الذي هو غني في النعمة ، غني أيضاً في المجد . وإذا كنا غير قادرين على أن نحيط علماً بغنى نعمته ، فكم بالحري يكون إعجابنا بغنى المجد !! هذا هو قياس العطايا التي طلبها بولس لأجل المكتوب إليهم . فما أحكمه حين يكتب. وما أحكمه حين يصلي . فقد بلغ في طلبته هذه أقصى المراد من قول الكتاب : « فغر فاك فأملأه» . لأنه لم يطلب لهم مجرد ملء ، بل طلبه لهم في أعلى قياس « حسب غنى مجد الله » .

أن تتأيدوا بالقوة بروحه

ج — عمل القوة : « أن تتأيدوا » . الكلمة اليونانية المترجمة « تتأيدوا » تعنى القوة والنشاط والثبات (لوقا ١ : ٨٠، ٢ : ٤٠، ١ كو ١٦ : ١٣) فقد طلب بولس لأجل المكتوب إليهم أن يمتلئوا قوة وشجاعة كيلا يخافوا ولا يتهيبوا الاختبارات الروحية الراقية التى تتهيبها الطبيعة البشرية عادة، سيما عند حلول الإله القدوس فى القلب ، وسكنه فيه على الدوام، وتسلطه على جميع حواس الإنسان .

د — معدن القوة : « بالقوة بروحه » . إن القوة المقصودة هنا، هى القوة الروحية التى هى وليدة حلول روح الله القدوس فى القلب : « ولكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم » (أعمال ١ : ٨) . إن للروح القدس مقاماً فريداً فى هذه الرسالة . فتأييده لنا فى الإنسان الباطن يجعل حلول المسيح فى قلوبنا مستديماً . فهو « قائمقام » المسيح فى القلب . ففى رسالة رومية ٨ : ٩ يقول بولس : « إن كان روح الله ساكناً فيكم » ، بينما نسمعه يقول فى العدد التالى : « إن كان المسيح فيكم » ! فالروح (عدد ٩) حالّ محل المسيح (عدد ١٠) (راجع أقوال المسيح فى يوحنا ١٤ : ١٦ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ ، ١٦ : ٧، ١٧ : ١١). فمع أن المسيح يقول لتلاميذه إنه « ليس بعد معهم فى العالم » ، وأنه « خير لهم أن ينطلق » إلا أنه قال فى موضع آخر « إنه يأتى إليهم » فى شخص روحه القدوس الذى سيحل فى قلوبهم ، ويأخذ مما له ويخبرهم . وفى الرسائل السبع التى يستهل بها سفر الرؤيا، نسمع صوت المسيح فى نبرات صوت الروح للكنائس

في الانسان الباطن ١٧ ليحل

— هـ — دائرة فعل القوة : «في الانسان الباطن» . الكلمة المترجمة «في» تعني : «في أعماق» كأن فعل الروح يتخلل كل الأركان في أعماق الإنسان الباطن . ويراد «بالانسان الباطن» ، الطبيعة الإلهية الجديدة التي تخلق في المؤمن بعد التجديد (رومية ٧ : ٢٢ ، ٢ كو ٤ : ١٦) ، ومع أن المراد «بالإنسان الباطن» بوجه عام ، الانسان الروحي الغير المنظور ، إلا أنها تعني — في رسائل بولس بنوع خاص — الإنسان الجديد .

عدد ١٧ (٢) حلول المسيح بالايمان في قلوبهم (٣ : ١٧)

الطلبة السابقة ممهدة لهذه الطلبة ، كما أن هذه الطلبة ممهدة للطلبة التالية . فتأييد المؤمنين بالروح القدس في إنسانهم الباطن ، ممهد لحلول المسيح بالايمان في قلوبهم

في هذا العدد تتجلى أمامنا ثلاث حقائق : (ا) حلول المسيح (ب) موطن حلول المسيح . (ج) وسيلة التمتع بحلول المسيح

(ا) الحقيقة الاولى: «حلول المسيح في القلب» : من المهم أن نذكر أن المكتوب إليهم — وبالتالي المصلي لأجلهم — أمميون . وقد ينفعنا أن نذكر أن الرسول حدثهم فيما سبق من هذه الرسالة (١ : ١٣ ، ٢ : ١٠) عن حقيقة كونهم «في المسيح» ، فمن الطبيعي أن يريهم في هذه الآية ، الحقيقة الأخرى المكملة لها : وهي — حلول «المسيح فيهم» .

لقد قرر الرسول في رسالته إلى كولوسي (١ : ٢٧) ، أن حلول المسيح في

قلوب الأمميين هو منتهى العجب فى قصد الله الأزلى : « الذين أراد الله أن يعرّفهم ما هو غنى مجد هذا السرّ فى الأمم الذى هو المسيح فيكم رجاء المجد ». فحلول المسيح فى قلب المؤمن ، فى هذه الحياة ، هو رجاء المجد فى الخلود .

وردت كلمة: «المسيح» — فى الأصل — معرّفة بأداة التعريف ، كعادة الرسول فى هذه الرسالة، فلعله أراد «مسيا» النبى، والكاهن، والملك (١: ١٠ و١٢ و٢٠ ، ٢: ٥ و ١٣، ٣: ٤ و١٨ و١٩ ، ٤: ٧ و١٢ و ١٣ و ٢٠ ، ٥: ٢ و٥ و١٤ و٢٣ و٢٥ ، ٦: ٥) . إن الروح القدس الحال فى قلب المؤمن يشهد له باستمرار، بحلول المسيح الدائم فيه، فيمتلىء المؤمن شجاعة وثباتاً و إقداماً لعلمه أن المسيح حى فى كل حين، «فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام » .

إن كلمة : «يحل» تعنى الاستقرار المستمر ، والسكن الدائم . فهى مجانسة للكلمة التى ترجمت إلى «مسكن» فى ٢: ٢٢ من هذه الرسالة. وقد وردت فى ٢ بطرس ٣: ١٣ بهذا المعنى عينه : « ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر » .

(ب) الحقيقة الثانية : موطن حلول المسيح: «فى قلوبكم» . هذه العبارة مجانسة لقوله : « الإنسان الباطن» فى العدد السابق . وإن شئت قل ، إن القلب هو مركز الدائرة فى الإنسان الباطن، وهو عرشه الأعلى، الذى يتبوأه المسيح نبياً ، وكاهناً، وملكاً . وبما أن القلب، فى لغة الكتاب، هو مركز الفهم، والشعور، والعزيمة ، والوجدان ، فمن الواجب إذاً أن نحب المسيح بالعقل، والعاطفة، والإرادة، والضمير (تكوين ٢٠: ٥ وتثنية ٤: ٣٩ و إشعياء

بالإيمان فى قلوبكم ١٨ وأنتم

٦ : ١٠ ، مرقس ١١ : ٢٣ ، لوقا ٢١ : ١٤ ، أعمال ١١ : ٢٣ ، رومية ٥ : ٣ ، ١ كو ٢ : ٩ ، يعقوب ١ : ٢٦ ، ١ يوحنا ٣ : ٢٠ ، أفسس ١ : ١٨). لا يكفى أن يكون المسيح في عقولنا ، بل يجب أن يكون في قلوبنا . ولا يكفى أن يكون فى أى مكان من قلوبنا ، بل على عرشها .

(ج) وسيلة التمتع بحلول المسيح : « بالإيمان » . هذا هو الإيمان الحى ، المتجدد كل يوم ، الذى هو وسيلة تبريرنا ، وتقديسنا ، وتمجيدنا . ليس هذا إيمان من يرى المسيح مرة فيكتفى بهذه اللمحة كمن يلقى نظرة على صورة جميلة ثم يتحول عنها ، وإنما هو إيمان النظر المستديم ، والتملى المستمر بطلعته البهية ، فلا تتحول عنه عين الإيمان لحظة . وبقدر ما يكون إيماننا بالمسيح مستمراً ، يكون حلوله فى قلوبنا مستديماً . هنا ينطبق القول الجليل : « بحسب إيمانك يكون لك » . إن هذا الإيمان هو الثقة التى بها نقبل المسيح ، وندخله إلى قلوبنا بالطاعة والولاء له (يوحنا ١٤ : ٢١ و ٢٣ ورؤيا ٣ : ١٤) . هذا هو الإيمان الشخصى ، العملى ، الفعال .

يميل بعض المفسرين إلى اعتبار كلمة : « فى المحبة » التى فى العدد الآتى جزءاً من هذا العدد . ونميل نحن إلى ابقائها فى موضعها .

عدد ١٨ — ب — المعرفة الاعدادية لهذا الغرض (١٨٣ و ١٩ (١))

(١) إدراك العرض والطول والعمق والعلو (٣ : ١٨)

قرر الرسول في هذه الآية ثلاث حقائق متعلقة بالمؤمنين : الحقيقة

متأصلون ومتأسسون فى المحبة

الأولى: مؤهلاتنا: «وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة». الحقيقة الثانية معيّتنا: «مع جميع القديسين». الحقيقة الثالثة: دراستنا. «حتى تستطيعوا أن تدركوا ما هو الطول ... » .

الحقيقة الأولى — مؤهلاتنا: « وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة» . لا يمكننا أن ندرك شيئاً عن المحبة إلا إذا كنا متأصلين ومتأسسين فى المحبة . فالمحبة درس عملى لن يقوى على تفهمه إلا من يمارسه عملياً. وهى سلم رفيعة لن يبلغ الإنسان منها درجة عليا إلا بعد اجتيازه الدرجة التى تحتها. وهى مدرسة راقية لن يفهم الإنسان درساً منها إلا بعد تمكنه من الدروس السابقة . وقد استعمل الرسول كلمتين للتعبير عن هذا التمكن : «متأصلون» « ومتأسسون » . الكلمة الأولى مستعارة من النبات، والثانية مستعارة من البناء . فالمستفاد من الكلمة الأولى، هو: أن المؤمنين أشجار حية. والمستنتج من الكلمة الثانية : أنهم « هيكل حى » (٢ : ٢٢) . الاستعارة الأولى : «متأصلون» يدعمها ما جاء فى مزمور ١ : ٣، ٩٢ : ١٢، ١٣ وارميا ١٧ : ٨ عن المؤمن: «يكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه» «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز فى لبنان ينمو مغروسين فى بيت الرب فى ديار الهنا يزهرون» «يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها ولا ترى إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الأثمار». والاستعارة الثانية : « متأسسون » يدعمها ما جاء فى كولوسى ٢ : ٧ «متأصلين ومبنيين

حتى تستطيعوا أن تدركوا

فيه وموطدين فى الإيمان »، وكولوسى ١: ٢٣ « إن ثبتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل » .

أما التربة التى فيها يتأصلون وعليها يتأسسون، فظاهرة فى قوله « فى المحبة ». ولقد تساءل الأسقف موليه عما إذا كانت هذه محبة الله للناس أم محبة الناس لله؟ فالتمس الجواب من ألفورد الذى قال: « هى المحبة بوجه عام ». فهى دائرة واحدة: نصفها الأول محبة الله للناس، ونصفها الثانى محبة الناس لله. أو هما دائرتان متراكزتان، الدائرة الداخلية هى محبة الله للناس، والدائرة الخارجية هى محبة الناس لله فالأولى أساس الثانية وعلتها، والثانية مظهر الأولى وثمرتها. غير أن المحبة الأولى هى أقرب إلى قصد الرسول من الثانية (٤: ١)، فهى غذاء الحياة الروحية، وقوامها، وتاج مجدها، وإكليل عمادها .

إذا كنا متأصلين ومتأسسين فى المحبة، فنحن متأصلون ومتأسسون فى المسيح لأن « محبة الله » أعلنت لنا « فى المسيح يسوع ربنا » (رومية ٨: ٣٩).

هذه هى المؤهلات التى على المؤمن أن يكون حاصلاً عليها إذا أراد أن يدرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو. ولن يحصل على هذه المؤهلات إلا بالإيمان بالمسيح (عدد ١٧) . فالاختبار المتضمن فى غرة هذا العدد (عدد ١٨)، مؤسس على الاختبار الموصوف فى العدد السابق (عدد ١٧)، وممهد للاختبار المذكور فى نهاية هذا العدد (عدد ١٨) .

(ب) الحقيقة الثانية : معيتنا : « مع جميع القديسين » . فى هذا العدد، ينظر الرسول إلى المؤمن، لا كأنه فرد مستقل بذاته، بل باعتبار كونه عضواً

مع جميع القديسين

في جسم حي ، بل جزءاً لا يتجزأ من جسد المسيح الحي ، الذي هو الكنيسة (رو ١٢ : ٥). فمع أن كل عضو في الجسم ، يقوم بنصيبه في إدراك شيء من العرض والطول والعمق والعلو ، إلا أن نصيبه وحده من هذا الإدراك محدود غاية المحدودية ، فلا يتاح له أن يرى غير جزء يسير من كل جانب . فلن يمكنه أن يدرك كل «الحق» من جميع نواحيه إلا إذا ضم ما عرفه هو ، إلى ما عرفه سائر القديسين ، سواء أكانوا عائشين على هذه الدنيا — فيتصل بأشخاصهم ، أم مستريحين في عالم الخلود فسجلوا اختباراتهم في بطون الكتب والأسفار . إن «الحق» السماوي كقطعة من «الماس» لها أوجه كثيرة ولكل وجه جمال خاص ، واشعاع ممتاز ، فلا يمكن أن يلم المرء بجمال الماسة الكامل ، إلا إذا نظر إليها من جميع وجوهها . وبما أن «الحق الإلهي» أوسع من أن يحيط به إنسان فرد ، مهما يكن فذاً ، فمن الضروري له أن يغني موسوعة معلوماته ، بمعلومات الآخرين ، وأن يُخصِب تربة اختباراته بخلاصة اختبارات « جميع القديسين » .

قصد الرسول بكلمة «قديسين» ما أراده بها في غرة هذه الرسالة ، فأطاب تفسيرها هناك .

من هذا يتبين لنا أن معرفة المقاصد الإلهية ، حق يملكه جميع المؤمنين معاً (كولوسي ١ : ٢٦) ، وأن جميع القديسين كتلة واحدة ، حية ، لا تتجزأ .

(ج) الحقيقة الثالثة : دراستنا : «حتى تستطيعوا أن تدركوا .. ما هو العرض والطول والعمق والعلو » . الكلمة المترجمة «يدرك» تعني في اللغة

ماهو العرض

الأصلية الفهم العقلى المبنى على التحقيق والتمييز بالبصيرة. وقد وردت فى أعمال ٤: ١٣، ١٠: ٣٤، ٢٥: ١٥. إن هذا الإدراك يستلزم قوة خاصة ممهدة له، كما يتبين من القول «حتى تستطيعوا»، وكما جاء فى العدد السابق «أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن». هذا إدراك روحى لا يقوى عليه إلا الروحيون المستنيرة عيون أذهانهم.

أما موضوع هذه الدراسة التى على المؤمنين أن يدركوها، فظاهر فى قوله: «ماهو العرض والطول والعمق والعلو». فما هو هذا الأمر الذى على المؤمنين أن يدركوا عرضه، وطوله، وعمقه، وعلوه؟ يعتقد الدكتور ارمتاج روبنسون أن موضوع هذه المعرفة هو تدبير الفداء الذى سبق الرسول فذكره فى الأصحاح الأول من هذه الرسالة: «لتعلموا ماهو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين، وماهى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين». فقوله. «ماهو رجاء دعوته» يعين الطول. وقوله: «غنى ميراثه» يعين العرض. والعبارة: «نحونا نحن المؤمنين» تفيد العمق. وقوله: «ما هى عظمة قدرته» يرينا العلو. ولكننا نعتقد مع غالبية المفسرين. أن موضوع هذه المعرفة، هو ماذكره بولس فى العدد التالى: أعنى المحبة الإلهية التى عبر عنها الرسول بقوله: «محبة المسيح الفائقة المعرفة». هذه هى المحبة التى سبقت هذا القول، ولحقته، فلا غرابة إذا كان الرسول لم يعد ذكرها بعد قوله: «أن تدركوا مع جميع القديسين»، لا تغافلاً ولا تجاهلاً، بل لأن حذف المعلوم جائز.

والطول والعمق

ويقول الدكتور جراهام سكروجى متسائلا : « هل يقصد الرسول كنيسة المسيح — التى هى هيكل الله ؟ إن كان الأمر كذلك ، فان عرضها هو جميع الأمم التى تنضوى تحت لوائها، وطولها هو قصد الله السرمدى من جهتها ، وعمقها هو مهاوى الشر والرذيلة التى منها أختيرت وأُخذت ، وعلوها هو الأمجاد السماوية التى رتبها الله لها . أم هل يعنى بولس تدبير الله الفدائى ، باعتبار كونه قصداً شاملا، وأزلياً ، ومغيراً ، وفعالا ؟ غالباً جداً يقصد الرسول « محبة الله الفائقة المعرفة » . وعلى هذا الاعتبار نحسب أن عرض المحبة هو سعتها ورحابتها حتى ضمت العالم بين ذراعيها: «هكذا أحب الله العالم» وطولها، هو مدى صبرها وطول أناتها على الخطاة حتى يتبرّروا ، ويتقدّسوا ، ويتمجدوا . فهى محبة ممتدة من الأزل إلى الأبد : « محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة » . وعمقها هو مقدار تنازلها إلى مهاوى الأرض السفلى، حيث طوحت الخطية بالناس فى ظلمات الشرّ واليأس . وليس فى إمكان أحد أن يقدّر عمق اتضاع محبة المسيح إلا اذا استطاع — وهيهات — أن يقيس المسافة الشاسعة الممتدة بين العرش . . . والمذود ، بل بين العرش . . . والصليب . وقد يقاس عمق محبة الله بمقدار البذل الذى تكبدته : «هكذا أحب الله . . . حتى بذل» وأما علوها فهو ذات عمقها من حيث القياس — إذا صح أن لهذه المحبة قياساً. فمن المعلوم أن عمق الشىء هو علوه ، إلا أن العمق ينظر اليه من أعلى إلى أسفل ، وأما العلو فينظر اليه من أسفل الى أعلى. فعلو المحبة الإلهية

والعلو ١٩ وتعرفوا

يقاس بمقدار الفارق العظيم بين الحالة التعيسة التي كان عليها الخطاة قبل أن تدركهم المحبة، وبين الحالة المجيدة السامية التي رفعوا إليها بعد أن انتشلتهم المحبة من وهدة الشر والرذيلة والهلاك.

اهتم كثير من المفسرين الأقدمين بالتعليق على هذه الآية: فسفريانوس (في القرن الرابع) رأى صورة الصليب مرتسمة عليها — لاهوت المسيح هو العلو، وناسوته هو العمق، وخدمة الكنيسة التبشيرية في اتساعها وطولها تشير إلى العرض والطول. وايرونيموس (في القرن الخامس) حسب أن العلو يعني الملائكة الأطهار. والعمق يعني الملائكة الساقطين، والطول يعني جميع البشر الصاعدين على درجات التقدم إلى الكمال، والعرض يعني جميع البشر الهابطين إلى دركات الشر والضلال، بانياً هذه العبارة الأخيرة على قول المسيح: «واسع هو الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلونه» (متى ٧ : ١٣). وفوتيوس (في القرن التاسع) يعتقد أن الرسول يقصد «سر الخلاص المجاني بالمسيح للأمم، ولسائر الجنس البشري. فهو طويل لأنه مقضي به منذ الأزل، وعريض لأنه يضم الجميع، وعميق لأن المسيح نزل بسببه إلى أقسام الأرض السفلى، وعالٍ لأن المسيح صعد بعد إتمامه إلى السماوات العليا.

عدد ١٩ | معرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة (٣ : ١٩)

١ — نوع المعرفة: إن المعرفة المقصودة هنا، هي من طراز جديد

راق ، ذات مستوى روحى سام . هى القوة المميزة التى تمتاز بها الطبيعة المتجددة، وبها تتذوق حلاوة محبة المسيح الفائقة المعرفة، فهى معرفة روحية للمحبة التى تعجز دونها المعرفة الطبيعية — هى معرفة قلبية للمحبة التى لا تقوى على إدراكها المعرفة العقلية، فلا يعرف لغة القلب سوى القلب . ولا يميز محبة الله سوى القلب المتجدد بنعمة الله .

— ب — موضوع المعرفة : « . . محبة المسيح » . هذه هى المحبة التى أحب بها المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (٥:٢٥). وهى المحبة التى أحب بها كل فرد فى الكنيسة: « الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غلاطية ٢:٢٠ ، أنظر أيضاً رومية ٨:٣٥و٣٩ ، ٢ كو ٥:١٤ ، رؤيا ١:٥). وبما أن الرسول طلب لأجل أهل أفسس أن يعرفوا : «مع جميع القديسين»، فواضح أنه أراد محبة المسيح للكنيسة كمجموع أولاً ، ثم كأفراد .

وصف الرسول هذه المحبة بقوله : «الفائقة المعرفة» . مهما يكن نوع هذه المعرفة ، عقلية كانت أم روحية ، فهى قاصرة عن أن تدرك محبة المسيح التى تتحدى كل قياس . فكلما عرف الإنسان من هذه المحبة الفائقة ، أدرك أنه لا يعرف عنها شيئاً . وكلما ارتقى إلى قمة منها ، عرف أنه أمام جبل أشم . وكلما ذاق قطرة منها ، تحقق أنه أمام بحر خضم — من الآن إلى الأبد يجد أمامه درساً لم يعرفه عنها بعد . إن فى هذا دليلاً على لاهوت المسيح المجيد ، وسمو محبته الفائقة الوصف والإدراك ، فما من محبة بشرية — مهما سمت أوصافها — ينطبق عليها هذا الوصف الجليل: «الفائقة المعرفة». ولن

يعدل «محبة المسيح الفائقة المعرفة» ، سوى سلام الله «الذي يفوق كل عقل» (فيلبي ٤: ٧) . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب» (متى ١١: ٢٧) .

— جـ — غاية الغايات : «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» — هذه هي الذروة القصوى التي بلغتها صلاة الرسول في هذه الرسالة . بل هي الغاية المجيدة التي بجانبها تُحسب كل الغايات السابقة مجرد وسائل مؤدية إليها : « . . . لكي يعطيكم أن تتأيدوا» . . «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم » . . . « حتى تستطيعوا أن تدركوا» . . . «وتعرفوا محبة المسيح» — هذه كلها وسائل تمهيدية لغاية نهائية — هي : «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» . بل هذا هو قلب صلاة بولس ، وكل ما سبقه ليس سوى مقدمات .

في كولوسي ١: ٩، صلى بولس لأجل المكتوب إليهم قائلا: «من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته» . لكنه في هذه الرسالة وفي هذه الآية التي نحن بصددها ، طلب لأجلهم ما هو أفضل — إذ قال : «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» . فالامتلاء من معرفة مشيئة الله أمر عظيم ، لكن أعظم منه بما لا يقاس، الامتلاء إلى كل « ملء الله» .

«لكي تمتلئوا الى كل ملء الله » — ترسم هذه العبارة في أذهاننا صورة وعاء متصل بمورد عظيم فياض . وسيظل متصلا به حتى يمتلىء إلى كل ملئه . أما الوعاء فهو الكنيسة — أفراداً أو جماعة . وأما هذا المورد العظيم فهو الإله جلّ وعلا . فطلب الرسول أن يمتلىء كل فرد إلى كل ملء الله ،

لكى تمتلئوا إلى كل

والفرد يمتلىء كلياً أو جزئياً حسب استعداده وقابليته وتشوقه، لتمتلىء كل ملكة فيه بالنعمة ، وبالروح القدس ، وبالتالى يمتلىء بكل بركات الله .

« إلى كل ملء الله » هذا هو الحد الغير المحدود ، والقياس الذى لا يقاس ، والنهاية اللانهائية التى إليها تمتلىء النفس . على أنه لا يستنتج من هذا، بالضرورة ، إن فى إمكان النفس أن تصل إلى هذا الملء — إن فى الحال أو فى الاستقبال ، بل المستفاد منه أن أمام النفس مجالاً سامياً متسعاً إلى ما لا نهاية، إليه تتسامى النفس وترتقى متدرجة فى مدارج القداسة والأمجاد، وكلما ارتقت وجدت أمامها مجالاً أسمى وخيراً أعلى . فتنمو طوال الأبدية إلى هذا الحد الغير المحدود، إذ لا نهاية لنموها، وهنيئاً لها بهذا النهاية اللانهائية ، لأن وقف النمو يؤدى إلى الجمود، والجمود هو أول درجات الانحلال، والانحلال يختتم بالزوال .

« إلى كل ملء الله » — إلى كل الغنى الإلهى — غنى النعم والصفات والطبيعة ، فيصير المؤمنون شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١ : ٤) . إن كل ملء الله هو فى المسيح ، وكل ملء المسيح، لنا نحن المؤمنين (كولوسى ٢: ٩ و ١٠)

إن قياس امتلائنا ، عملياً، ليس ملء الله ، بل قابليتنا نحن واستعدادنا.

يقول الدكتور سكروجى: إن حرف الجر المترجم «إلى» يجوز أن يترجم إلى «فى» فيكون ملء الله هو البيئة الروحية المقدسة التى فيها نحيا ونتحرك ونوجد ، وفيها نمتلىء . ويجوز أيضاً أن تترجم إلى حرف الجر «بـ» فيكون ملء الله هو موضوع امتلائنا. ولكننا نميل إلى الاحتفاظ بالترجمة العربية:

ملء الله . ٢٠ والقادر أن يفعل

«إلى» ، فيكون ملء الله هو الحد الأقصى الذى إليه ترتقى ، وتتقدم ، وننمو فى امتلائنا .

إن الصفات الإلهية المطلقة : مثل العلم بكل شىء ، والقدرة على كل شىء ، والوجود فى كل مكان ، لا يمكن أن تكون من نصيب البشر ، ولا يمكنهم أيضاً أن يصيروا شركاء الطبيعة الإلهية من حيث الجوهر . ولكن من الممكن أن يصير المؤمنون شركاء الطبيعة الإلهية فى الصفات الأدبية . وفى هذه أيضاً يختلفون عن الذات العلية فى النوع والكمية . ولكن لن يتاح لهم شىء من هذا ، إلا متى حل المسيح بالإيمان فى قلوبهم ، وملأها إلى التمام ، «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كو ٣ : ١٧) .

فى هذه الحياة لا يمكننا أن ننمو فنبلغ كل ملء الله ، لأننا كنبات منقول من تربته الأصلية إلى تربة غريبة عنه ، فنموه معطل ، وارتقاؤه معرقل . لكننا إذ نبلغ السماء ونتحرر من المادة وأغلالها ، ننمو تدريجياً إلى كمال القصد الإلهى الذى أراده الله فينا ، وبنا ، وبواسطتنا .

عدد ٢٠ ثالثاً خاتمة الصلاة : نشيد التمجيد (٣ : ٢٠ و ٢١)

(١) أساس التمجيد (٣ : ٢٠) . إن الغاية القصوى التى أوصلنا إليها الرسول فى العدد السابق . تضطرنا إلى أن نقف حيارى ، متسائلين . « ومن هو كفوء لهذه الأمور ؟» ولكن الرسول إنسان تحت الآلام مثلنا ، فلا شك أنه قدر

فوق كل شيء أكثر جداً

هذه الصعوبة الكبرى التي قامت في أذهاننا، وفي أذهان المكتوب إليهم، بل في ذهنه هو نفسه، فأسرع إلى إزالة هذه الصعوبة بقوله: «والقادر أن يفعل ...» . حقاً أن طلبة الرسول في العدد السابق : «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» ، قد فاقت حد التصور ، وتخطت حدود ملكات الفكر ، فأقدم الرسول على معالجة هذه العقبة بقوله : « والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر» . فأساس التمجيد هو قدرة الله ، أو قل هو الإله المقتدر ، وقياس قدرته ، هو «القوة التي تعمل فينا» .

(١) الإله المقتدر : «والقادر أن يفعل فوق كل شيء...» . لا غذاء للإيمان يعادل الارتكاز على الله المقتدر ، والارتكاز على قدرته الفائقة : «والقادر أن يفعل» . هذا هو مسك الختام في خير مقام (أعمال ٢٠: ٣٢، رومية ١٦: ٢٥ ، يهوذا ٢٤). فلا ترياق للشك ولا علاج للضعف مثل التفكر في قدرة الله ، والتمسك بها في الملمات (متى ١٩: ٢٦، رو ٤ : ٢١، ١١: ٢٣، ٢: ١٤، ٢ كو ٨: ٩، في ٣: ٢١ ، عب ٧: ٢٥).

هذا ارتقاء تدرجي: الدرجة الأولى «والإله القادر أن يفعل » . **الدرجة الثانية**: «والإله القادر أن يفعل فوق كل شيء» . **الدرجة الثالثة**: «والإله القادر أن يفعل . . . أكثر مما نطلب » . **الدرجة الرابعة**: « والإله القادر أن يفعل . . . أكثر جداً مما نطلب» . **الدرجة الخامسة**: « والإله القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما . . . نفتكر ».

(ب) قياس قدرة الله: القياس الأول : القدرة الإلهية الفائقة

مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا

حد الطلب والفكر: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر». الكلمة المترجمة «أكثر جداً» هي في الأصل كلمة واحدة مركبة صاغها الرسول للتعبير عن خصب المعاني، وغزارة المادة التي ازدحم بها عقله الجبار، الذي ألهمه روح الحكمة والإعلان في معرفة الله (أفسس ٣: ١٠، ٥: ١٣). والكلمة المترجمة «نفتكر» تعني حرفياً «ندرك» أو «نفهم» أو «نعي» (متى ١٥: ١٧). هذا مما يدعو إلى شكر الله وحمده: أننا مهما فكرنا وطلبنا فلا يمكننا أن نصل إلى حدود إمكانيات القدرة الإلهية، ولا أن نستنفد بعض الموارد الإلهية المذخرة لنا.

القياس الثاني: القدرة الإلهية بحسب عملها فينا: «بحسب القوة التي تعمل فينا» — هذه هي قوة الروح القدس. لقد أشار الرسول إلى فعل هذه القوة في رسالته إلى كولوسي ١: ٢٩ بقوله: «الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة». لكنه في رسالته إلى كولوسي تكلم عن القوة في فعلها الاختباري، وفي هذه الرسالة — أفسس — تكلم عن فعل القوة في إمكانياتها. أمام هذه الممكنات الإلهية الجليلة، ليس لنا إلا أن نسلم حياتنا وقلوبنا تسليماً تاماً ليكون المجال متسعاً أمام هذه القوة لتعمل بنا وفينا كما تشاء وأنى تشاء. فإذا ما اشتكى أحدهم من ضيق التنفس، فليس الضيق في الهواء بل في صدره. «ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص» لكن خطايانا صدت تيار عملها، وعدم إيماننا حال دون تنفيذ مراميها في حياتنا. لم يقدر المسيح أن يصنع معجزات في الناصرة بسبب عدم إيمان أهلها

٢١ له المجد فى الكنيسة

عدد ٢١ | الحمدلة الختامية (٣ : ٢١)

فى هذه الحمدلة ، تتجلى لنا أربع حقائق عن المجد الإلهى :

(ا) ماهية المجد: «المجد» . (ب) مآل المجد: «له» . (ج) دائرة إظهار المجد : «فى الكنيسة فى المسيح يسوع» . (د) دوام المجد : « إلى جميع أجيال دهر الدهور» . آمين

(ا) ماهية المجد : « المجد » هو كمالات الصفات الأدبية ، المنعكسة من الجلال الإلهى على البشرية المفتداة ، والعائدة إليه تعالى . فهى منه منبعثة، واليه تعود . ويمكننا أن نعرف حقيقة المجد متى قابلناه بالنعمة . فالمجد هو النعمة فى نضوجها وكمالها ، والنعمة هى المجد فى بذرته ونشأته .

(ب) مآل المجد : «له المجد» — أى لله الآب . فالمجد لله طبيعياً وذاتياً ، سواء أرغبنا نحن أم لم نرغب . والمجد لله ، باعتبار كونه واجباً مقدساً علينا أن نؤديه لعزته . هذا هو مطلع قصيدة الفداء العجيب، يوم ميلاد مخلصنا المجيد . «المجد لله فى الأعالى» . وهو قلب قصيدة الفداء ، الذى فاه به الفادى : « أنا مجدتك على الأرض» . وهو خاتمة قصيدة الفداء التى يترنم بها جمهور المفديين الذين انتقلوا من أرض الشقاء إلى سماء الخلود : « أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة . لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بارادتك كائنة وخلقت» (رؤيا ٤: ١٠—١١) .

(ج) دائرة إظهار المجد : « فى الكنيسة فى المسيح يسوع » . اختلف

فى المسيح يسوع

المفسرون في ترجمة هذه الجملة ، وبالتالى فى تفسيرها : فمنهم — ا — لوثر وميخائيليس وروزنملير وأولزهوزن يترجمونها إلى: «فى الكنيسة التى هى في المسيح يسوع». و — ب — ثيوفيلاكت وجروتيوس وكلفن يترجمونها: «فى الكنيسة بواسطة المسيح يسوع» أى أن المسيح هو واسطة تجلى المجد الإلهى فى الكنيسة. و — ج — مايروا ألفورد وأليكوت يتفقون والترجمة العربية فى هذا الوضع: «فى الكنيسة فى المسيح يسوع» — أى أن الكنيسة هى الدائرة الخارجية التى يتجلى فيها المجد الإلهى، لكن المسيح هو الروح الداخلى والعامل الأساسى فى تجلى هذا المجد فى الكنيسة . فلن يتاح للكنيسة أن تظهر المجد الإلهى إلا بقدر ماتكون فى المسيح ، مستمدة حياتها وكيانها وكمالها منه . و — د — روبنسون ومولية وغيرهما من المفسرين المعاصرين يترجمونها إلى : «فى الكنيسة وفى المسيح يسوع» أى أن المجد الإلهى يظهر فى الجسد الذى هو الكنيسة، وفى المسيح الذى هو الرأس. فالكنيسة فى المسيح، والمسيح متمم رسالته بالكنيسة (١: ٢٣). وفى اعتقادنا أن الرأيين الأخيرين هما أصوب الآراء.

هذه هى المرة الثالثة التى ذُكرت فيها كلمة «كنيسة» فى هذه الرسالة : فى المرة الأولى (١: ٢٣) أشار الرسول إلى الكنيسة باعتبار كونها «الجسد» الذى يكمّل فيه الرأس . وفى المرة الثانية (٣: ١٠) ذكر الرسول الكنيسة باعتبار كونها «المرآة» التى عليها تنعكس أشعة حكمة الله المتنوعة. وفى هذه المرة الثالثة (٣: ٢١) تكلم عن الكنيسة باعتبار كونها «مظهر» تجلى المجد الإلهى

إلى جميع أجيال دهر الدهور . آمين .

(د) دوام المجد الإلهي : «إلى جميع أجيال دهر الدهور» — أو بعبارة أخرى — إلى أبد الآباد . إن هذه العبارة تنم عن سلسلة طويلة مكونة من حلقات متراصة متماسكة . بكل حلقة منها ينتهي جيل خاص بتدبير معين، وكل هذه الحلقات تكون معاً سلسلة الآباد التي لا نهاية لها ولا حد

والظاهر أن العبارة : «دهر الدهور» عبرية الأصل «דּוֹר דּוֹרִים» (مزمور ٧٢: ٥ و ١٠٢: ٢٤) وهي مرادفة لقولنا «أبد الآبدين» . فإذاً، إظهار هذا المجد الإلهي في الكنيسة ليس مقصوراً على الكنيسة المجاهدة على الأرض، لكنه يمتد إلى الكنيسة الممجدة في السماء.

«آمين» . هذه كلمة عبرية معناها «استجب»، وهي من مصدر «أ م ن» ومعناه الحرفي «أيد» . «آمين» — هذه كلمة واحدة، لكن يخيل إلينا أنها خلاصة أناشيد الأجيال كلها، متجمعة ومركزة في هذه الكلمة الواحدة — كأن كل جيل في كل دهر يضم صوته إلى أصوات الأجيال الأخرى لتلتئم كلها في مقطع خاص، فتتجمع كل هذه المقاطع لتكون هذه الكلمة الواحدة . آمين

آمين — بهذه الكلمة تختتم صلاة الرسول في هذا
الأصحاح ، فيختتم بها القسم التعليمي من هذه الرسالة
الجليلة ، ويستهل القسم العملي

آمين

القسم العملى

(٤: ١ — ٦: ٢٤)

قد بلغ بنا الرسول ، في خاتمة القسم الذى مرّ بنا ، قمة جبال المعلنات الإلهية فى هذه الرسالة . ومن ذلك العلو الشاهق، بدأ ينزل الى مستوى الحياة العملية . فى القسم الماضى ارتفع بولس إلى «رأس» المصادر العلوية ، وفى القسم الآتى ، هدانا الى «عين» النبع حيث تنفجر المياه ، وتسيل فى الجداول لتروى العطاش المقيمين فى برية الحياة المجدبة القاحلة .

فى القسم الماضى أرانا الرسول الامتيازات، وفى هذا القسم عرفنا بالواجبات
فى القسم الماضى كشف الحقائق اللاهوتية، وفى هذا القسم أرانا ثمار الحياة العملية
فى القسم الماضى وضع الأساس ، وفى هذا القسم العملى أقام البنـــاء
فى القسم الماضى أرانا موقفنا ، وفى هذا القسم العملى رسم لنا مسلكنا
فى القسم الماضى أبان مقام الكنيسة كمجموع، وفى هذا أوضح عمل المؤمن الفرد
فى القسم الماضى تكلم عن دعوتنا السماوية، وفى هذا أرانا حقيقة جهادنا الأرضى
فى القسم الماضى عرفنا ما عمله الله لنا ، وفى هذا عرفنا بما نعمله نحن لله

أولا : المسيحى والوحدانية المقدسة (٤ : ١ — ١٦)

ثانيا : المسيحى فى حياته الجديدة (٤ : ١٧ — ٦ : ٢٤)

(١) المسيحى فى حياته الخاصة
(٤ : ١٧ — ٣٢)

اولا : مبادىء الحياة العتيقة ومبادىء الحياة الجديدة (٤ : ١٧ — ٢٤)

(١) خلع الإنسان العتيق
(٤ : ١٧ — ٢٢)

(٢) لبس الإنسان الجديد
(٤ : ٢٣ و ٢٤)

ثانياً : تصرفات عتيقة وتصرفات جديدة
(٤ : ٢٥ — ٣٢)

التصرفات العتيقة : التصرفات الجديدة :

(١) الكذب (٤ : ٢٥) الصدق

(٣) الغضب الخاطىء . الغضب البرىء
(٤:٢٦و٢٧)

(٣) السرقة (٤ : ٢٨) الاحسان

(٤) الكلام الهادم (٤:٢٩) الكلام البانى

(٥) الشعور الردىء . الشعور الطيب
(٤:٣٠ — ٣٢)

مرارة . سخط } . . . . لطف
غضب . صياح . } . . . . شفقة
تجديف . خبث . } . . . . تسامح

(٢) المسيحى فى حياته الاجتماعية
(٥ : ١ — ٢١)

أولا : اسلكوا فى المحبة لا فى الفساد
(٥ : ١ — ٥)

(ا) ايجاباً (٥ : ١ و ٢) (ب) سلباً (٥ : ٣ — ٥)

ثانياً : اسلكوا فى النور لا فى الظلام
(٥ : ٦ — ١٤)

(ا) تحذيرات ضد الظلام (٥ : ٦ و ٧)

(ب) علة هذه التحذيرات (٥ : ٨)

(جـ) حض على النور (٥ : ٨ و ١٠)

(د) علة هذا الحض (٥ : ٩)

(هـ) انفصال النور عن الظلام (٥ : ١١ — ١٣)

(و) نداء حى (٦ : ١٤)

ثالثاً : اسلكوا بحكمة لا بجهالة
(٥ : ١٥ — ٢١)

حكمة افتداء الوقت لا جهالة قتل الفرص
(٥ : ١٥ — ١٧)

حكمة الامتلاء بالروح لا جهالة الترنح بخمر الخلاعة (٥ : ١٨)

الحكمة فى العبادة (٥ : ١٩ — ٢١)

(٣) المسيحي في حياته العائلية (٥: ٢٢—٦: ٩)

أولا: الزوجة والزوج (٥: ٢٢—٣٣)

(أ) واجبات المرأة (٥: ٢٢—٢٤ و٣٣)

(١) الطاعة (٥: ٢٢—٢٤)

(٢) المهابة (٥: ٣٣)

(ب) واجب الرجل (٥: ٢٥—٣٣)

(١) الواجب نفسه (٥: ٢٥ و٣٣)

(٢) قياسه (٥: ٢٦—٣٠)

(٣) أساسه (٥: ٣١—٣٣)

ثانياً: الأبناء والآباء (٦: ١—٤)

(أ) واجبات الأبناء (٦: ١—٣)

(١) الطاعة (٦: ١)

(٢) الاكرام (٦: ٢)

(٣) مكافاتهما (٦: ٣)

(ب) واجب الآباء (٦: ٤)

سلباً: «لا تغيظوهم». ايجاباً: «ربوهم»

ثالثاً: العبيد والسادة (٦: ٥—٩)

(أ) واجب العبيد (٦: ٥—٨)

(١) الواجب نفسه (٦: ٥)

(٢) ماهيته (٦: ٦)

(٣) أساسه (٦: ٧)

(٤) مكافأته (٦: ٨)

(ب) واجب السادة (٦: ٩)

(٤) المسيحي في الحرب الروحية (٦: ١٠ - ٣٠)

(أ) المحارب (٦: ١٠ و ١١)

(ب) الحرب (٦: ١٢)

(ج) السلاح (٦: ١٣ - ٢٠)

(١) الاستعداد لحمل السلاح (٦: ١٣)

(٢) نوع السلاح (٦: ١٤ - ١٧)

(عدد ١٤) (عدد ١٥)

«منطقة» «درع» «حذاء»

(عدد ١٦) (عدد ١٧)

«ترس» «خوذة» «سيف».

(٣) السهر وقت حمل السلاح (٦: ١٨ - ٢٠)

كلمة شخصية:

(٦: ٢١ و٢٢)

مسك الختام:

(٦: ٢٣ و ٢٤)

«سلام»، «محبة»،

«إيمان»، «نعمة»،

«عدم فساد»

لقد شوّقنا الرسول إلى هذا الجزء العملي منذ بداية الأصحاح السابق الذي رفعنا فيه إلى أعلى قمم العقيدة ، فمن حقه أن يطلب منا السلوك في جدّة الحياة ، ليرقى بنا إلى المستوى الرفيع الذي منه تأتى دعوتنا السماوية من أجل ذلك ، استهل كلامه في هذا القسم العملي بقوله : « فأطلب » . وكل من أعطى ، له حق أن يطلب . وعلى قدر الامتيازات تكون المسئوليات . ومن يُعطى كثيراً ، يطالب بأكثر .

« فأطلب » ـ بهذه الكلمة عينها استهل الرسول القسم العملي من رسالته إلى رومية : « فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله » (١٢: ١) . فكأنه اختار هذه الكلمة لتكون فاصلاً بين القسم التعليمي والقسم العملي في أهم رسائله . فحق علينا ، بعد أن سمعنا « عظمة مجد ميراث الله فينا » ، « وما هو رجاء دعوته لنا » ، وما هو سر تدبير نعمته لأجلنا » ، ان نسمع شيئاً عن الواجبات المطلوبة منّا لله ، تلقاء هذه المزايا الجليلة .

أولا : المسيحي والوحدانية المقدسة — وحدانية في تنوع (٤: ١ ـ ١٦)

بعد أن علم الرسول المكتوب إليهم وأرشدهم . شرع في أن يستحثهم ويناشدهم . ولا يغرب عن أذهاننا ، إنه وإن يكن القسم الأول من هذه الرسالة خاصاً بالإعلان والإرشاد ، والقسم الثاني مفعماً بالحض على حسن السلوك وحياة الجهاد ، إلا أن القسم الأول لا يخلو من الحث والتحريض ، كما أن القسم الثاني لا يخلو من التعليم والإلهام .

١ فأطلب إليكم

عدد ١ (١) نقطة الارتكاز فى هذا الفصل (٤: ١)

يعتبر هذا العدد نقطة الارتكاز فى هذا القسم العملى من الرسالة، وهو ينجلى عن ثلاثة أمور مهمة :

أولها : الطالب : « فأطلب اليكم ... » . الكلمة الأصلية المترجمة «أطلب» تنم عن الحث المصحوب بشىء من الاستعطاف . ويمكننا أن نقدر هذا الاستعطاف متى ذكرنا ذلك الشخص العظيم، الذى تقدم إلى المكتوب إليهم بهذا الطلب ، وهو الذى ضحى براحته وحريته في سبيل إنجيل خلاصهم . وفوق ذلك، فهو يطلب منهم بوجه حق، لأنه إنما يطلب حقاً مرتكزاً على ما أعطاهم إياه من المعلنات الإلهية الجليلة. على أن نقطة الارتكاز ليست منبثة في العدد كله، بل مركزة فى حرف «الفاء» (انظر رومية ١٢: ١، كولوسى ٣: ١)

ثانيها: موقف الطالب: « أنا الأسير فى الرب » . أضحى بولس أسيراً مكبلاً بالسلاسل، ومقيداً بالأغلال، بسبب اتحاده بالرب يسوع المسيح وحمله إنجيل كرازته للأمم . فهو إذاً أسير حب الفادى ، بل أسير إنجيل فدائهم، فهو بالتالى أسير المسيح لأجلهم (٣: ١). غير أنه لم يذكر هذه العبارة ليستدر عطفهم عليه، فقد كان متحملاً كل آلامه شاكراً مسروراً. لكنه أراد أن يستمد من أسره، حجة قوية تحملهم على إجابة رجائه وتلبية ندائه. لأن الإنسان يتسلط على الآخرين بمقدار حبه لهم وتضحيته لأجلهم « فطالما استعبد الإنسان احسان »

أنا الأسير فى الرب

ومن المشجع لنا أن نذكر أن بولس لم يخجل قط من قيوده ، بل كان يفخر بها . فلا الأساور المرصعة التى تزين معاصم العرائس ، ولا «النجوم» اللوامع التى تزين كتف البطل المغوار الذى خرج من المعركة مكللا بأكاليل الغار — لا هذه ولا تلك — بمساوية للسلاسل الحديدية التى كانت تطوق إحدى قدمى بولس وإحدى يديه. ومن الجائز ، أن الحجة التى أراد الرسول أن يستمدها من قيوده، تسير على هذا النسق: «ياأبنائى الأعزاء! ها أنا الآن أسير، فلا أملك حرية الانتقال إليكم . ولكن يمكننى أن اتصل بكم عن طريق الكتابة بقلمى، وعن طريق الصلاة بروحى . ومع ذلك فإنى واثق من أنكم تقدرون طلبى إليكم وأنا غائب عنكم بسبب أسرى، بأكثر مما تقدرونه لو كنت حاضراً معكم بالجسد. سيما وأنى لست أسير خطأ ارتكبته إلا إذا كان هذا الخطأ هو كرازتى لكم وحملى بشرى انجيلكم » .

رأى بعض المفسرين الأولين مثل يوحنا فم الذهب ، وسملر ، أن يصلوا قول الرسول: «فى الرب» بقوله: «أطلب اليكم» — أى أنه ناشدهم باسم الرب ولأجل الرب . ولكن وضع الجملة فى اللغة الأصلية يجعل قول الرسول « فى الرب» وصفاً لقوله: «أنا الأسير» ، أى أنه أسير بسبب اتحاده بالرب، وهو فى أسره متفوق وغالب، لأنه « فى الرب » الظافر على جميع القوات بما فيها السجون والظلمات .

ثالثها : ماهية الطلب : «أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها».

لم يطلب الرسول منهم تقدمة مالية، ولا رغب إليهم أن يفوهوا بمواعظ بليغة

أن تسلكوا كما يحق للدعوة

بل طلب منهم تقديم أنفسهم على مذبح الحياة اليومية ، فى السلوك القويم. هذا أصعب طلب، وأيسر طالب. فهو أصعب طلب لأنه يكلف أعز تضحية — الذات والإرادة ، لله. وهو أيسر طلب لأن كل إنسان يقوى عليه، فلاحق لفقير أن يعتذر بعدم وفرة موارده ، ولا لعيىٍّ أن يستعفى بسبب عقدة فى لسانه ، أو بافتقاره إلى عوزٍ فى حدة جنانه ، لأن كل إنسان يقدر أن يسلك — سيما متى ترك دور الطفولة .

« أن تسلكوا كما يحق للدَّعوة التى دعيتم بها » — هذا يماثل قول الرسول فى مواضع أخرى « أن تسلكوا كما يحق لإنجيل المسيح »(فيلبى ١ : ٢٧)، «أن تسلكوا كما يحق للرب» (كولوسى ١ : ١٠)، أن تسلكوا كما يحق لله » (١ تس ٢ : ١٢) . أما « الدعوة » التى دعو بها ، فهى دعوتهم للخلاص بالمسيح يسوع ، حين سمعوا كلمة الإنجيل وقبلوها (انظر ١ : ١٨)

لا يغرب عن بالنا، أن كل سلوك، وإن سما وارتقى ، لا يمكن أن يكون لائقاً بالدعوة التى دُعينا بها. فالرسول هنا ، يتكلم عن حالة كمالية ، يجب أن نسعى اليها وأن نضعها نصب أعيننا ، ولكن أن خبنا عنها بسبب قصور أو تقصير ، فلا نفشل ، لأن لنا عند الآب « شفيعاً هو يسوع المسيح البار »

إن بداية الحياة المسيحية سامية راقية ؛ لأنها متصلة بالدعوة الإلهية السماوية ، لذلك يجب أن تكون سامية راقية فى طرفها الآخر الذى هو الحياة العملية. فاذا كان على الماء أن يرتقى إلى المستوى الذى منه نبعت، فمن أوجب واجباتنا أن نرقى بحياتنا العملية ، إلى مستوى دعوتنا الإلهية هذا

التى دُعيتم بها . ٢ بكل تواضع

يعلل قول الرسول مرات عديدة فى رسائله : «لايليق»، «يليق»، «يحق» «يوافق» «لايوافق» . لأنه وضع نصب عينيه مثلا أعلى ، من واجب الإنسان أن ينسج عليه ، وأن يسعى دائماً إليه . فالمثل الأعلى يضبط الحياة العملية ، والحياة العملية تُترجم عن حقيقة المثل الأعلى .

إن الوحدة البشرية الجامعة، التى يراها بولس متوجة القصد الإلهى، قد تمت فى المسيح ، وهى به قائمة. فمن أوجب الواجبات أن تتحقق على الأرض بواسطة كنيسته التى هى جسده على الأرض . فعلى أعضاء كنيسة المسيح أن يحتفظوا بهذه الوحدانية، وأن يحرصوا عليها، مخافة أن يذهب شىء بجمالها، أو أن يعبث بها عابث. فبما أن أعضاء كنيسة أفسس، وسائر المؤمنين، قد اختيروا لهذه الوحدة المشتركة، وصاروا فيها أحجاراً حية فى هيكل المسيحية، وأعضاء فى جسد المسيح على الأرض ، فمن واجبهم أن يكيفوا سلوكهم وفق هذه الدعوة ، وأن يرتقوا إلى مستواها العالى الرفيع .

عدد ٣ (٢) النية التى يجب أن يتسلحوا بها (٤ : ٢)

كنا ننتظر أن الامتيازات الجليلة السامية التى نادى بها الرسول فى الأصحاحات السابقة، تبعث فى المؤمنين روح التعظم والكبرياء، ولكن الأمر عكس ذلك على خط مستقيم. فهى تثمر تواضعاً ووداعة، لأنها ليست امتيازات كسبناها بأعمالنا واستحقاقنا، وإنما هى امتيازات أغدقتها علينا النعمة عفواً وفضلا . فهى إذاً ديون وفيرة ، ثقلت بها النعمة كواهلنا ، فصرنا بها

ووداعة

مضطرين إلى أن نسير منحنين متواضعين،لا متعالين متشامخين . ويجمل بنا أن نذكر أن بولس نطق عن يقين ، لأنه انما يتكلم عن اختبار شخصي . فهو لا يحمّل المكتوب إليهم أحمالاً ثقيلة،لا يستطيع هو أن يحركها بأصبعه، بل يكلفهم بما قام به هو فيما بينهم ، عفواً وعن طيب خاطر . فلنذكر قوله لقسوس كنيسة أفسس فى خطابه الوداعى: «أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كلّ الزمان أخدم الرب بكل تواضع .. »

فى هذا العدد ، أوضح الرسول: — ا — النية الصالحة التى يجب أن يتسلح بها جميع المؤمنين : « بكل تواضع ووداعة وطول أناة »

— ب — واجب المؤمنين نحو بعضهم بعضاً : «محتملين بعضكم بعضاً»

— ج — الجو الروحى الذى يجب أن يسود جميع المؤمنين: «فى المحبة»

— ا — النية الصالحة التى يجب على المؤمنين أن يتسلحوا بها :

تواضع،وداعة ، طول أناة — ثلاث صفات جميلة يجب أن يتحلى بها كل مؤمن ، فتتجلى فى كل حركاته وسكناته. وتكون هى الطابع الخاص الذى به يتميز سلوكه .فالتواضع هو معرفة الإنسان نفسه وشعوره بعجزه وعدم استحقاقه نعمَ الله ومراحمه . والوادعة هى تنازل الإنسان عن حقوقه وطول الأناة هو تذرعه بالصبر تجاه المكاره. فالتواضع يعيّن موقف الإنسان تجاه الله وبركاته. والوداعة تعين موقف الإنسان إزاء نفسه وحقوقها، وطول الأناة يعين موقف الإنسان تجاه الآخرين وأثقالهم. وجدير بالملاحظة ، ان المسيح قال عن نفسه : «لأنى وديع ومتواضع القلب .. لأن نيرى هيّن»

وبطول أناة

«التواضع» : الكلمة اليونانية المترجمة «تواضع» تعنى تقديراً ثابتاً للنفس فى حقيقتها — كدت أقول فى حقارتها — فهى حالة نفسية يجب أن تكون مستمرة ومستقرة. فلئن كان اليونان قد نادوا بالتحلى بالتواضع، على اعتبار أنه صفة ممتازة يجمل بالمرء أن يتحلى بها عند الضرورة، إلا أنها ليست كذلك فى كل الحالات. لكن بولس يعلمنا إن التواضع صفة مسيحية يجب أن يتحلى بها المؤمن فى كل زمان ومكان. وهى تعنى اعتمادنا الكلى على الله، وتعلقنا الدائم به كأولاد لاغنى لهم عن أبيهم الذى هو مصدر حياتهم.

«الوداعة» : والكلمة المترجمة «وداعة» تعنى التسليم لله فى الضيقات، والخشوع لمشيئته فى الملمات. ويقول ترنتش إن الوداعة ترتكز على الأسس والأصول التى تهيئها لها صفة التواضع. فهى صفة، إلى حد ما، أرقى من صفة التواضع أو هى بناء مقام أساسها.

«طول الأناة» — ربط الرسول هذه الصفة بالوداعة فى هذه الرسالة كما فى غلاطية ٥:٢٢ وكولوسى ٣:١٢. إن طول الأناة يحفظنا من التعجل فى الحكم، فلا نحكم فى شيء قبل الوقت، بل نقدر النتائج قبل وقوعها. فيسهل على المرء أن يسلم لله الذى يقضى بعدل. وجدير بالملاحظة أن الشخص الطويل الأناة، يحسب حساباً للأبدية، ويجعلها عنصراً مهماً فى تفكيره وتصرفاته. وإذا جازت المقارنة بين الصفات، فإن هذه الصفة أرقى من سابقتها بقدر ارتقاء سابقتها عن الصفة الأولى. فكأن الرسول وضع هذه الصفات الثلاث على نسق تدرجى متصاعد : تواضع، وداعة، طول أناة. فهو كشخص دخل إلى الهيكل

محتملين بعضكم بعضاً

المقدس، فرأولاً بالدار، ثم بالقدس، حتى وصل إلى قدس الأقداس. ومن دلائل تسامى هذه الصفة على سابقتيها ، كونها استعملت فى أكثر المرات كصفة للذات العلية ، ونسبتها إلى الله أكثر من نسبتها إلى الإنسان (رومية ٢: ٤ و ٩: ٢٢ ، ١تى ١: ١٦، ١بطر ٣: ٢٠، ٢بط ٣: ١٥) .

ــ ب ــ واجب المؤمنين نحو بعضهم بعضاً: «محتملين بعضكم بعضاً» .

إن الصفات الثلاث التى مرت بنا، ممهدة لهذا الواجب المطلوب منا . فهى له بمثابة الأساس للبناء ، والبزرة للشجرة. فبالتواضع ، والوداعة، وطول الأناة يمكننا أن نحتمل بعضنا بعضاً . هذا واجب متبادل «محتملين بعضكم بعضاً»، لأن أوجه الضعف متبادلة ، فمن الواجب أن يكون الاحتمال متبادلاً . فما من مؤمن حقيقى يكون على الدوام مسيئاً، أو يكون مساءً اليه باستمرار من غير أن يسىء هو إلى أحد. بل المسىء اليوم قد يكون مساء اليه غداً. فكما أنه ينتظر من الآخرين أن يحتملوه إذا هو أساء، كذلك من واجبه هو أن يحتمل الآخرين إذا هم أساؤا إليه .

فالمؤمنون بالنسبة لبعضهم لبعض، كأحجار متماسكة فى بنيان مرصوص يشد بعضها بعضاً ، وهم أيضاً أعضاء فى جسد واحد، فعليهم أن يتعاونوا .

ومن أقوى البواعث على هذا الاحتمال المتبادل ، أن يذكر كل مؤمن أنه هو ثقل عظيم على النعمة ، ولو أن النعمة لا تشكو قط من هذا الثقل ! وأكبر الظن، أنها لا تشعر به، فهى شبيهة بمخلوق عجيب، له ألف عين، وألف

فى المحبة . ٣ مجتهدين

يد ، وألف قدم ، ولسان واحد — فهو يخدم باستمرار ، ليل نهار ، وفى نهاية اليوم يقول : «ماعملت شيئاً» !

فلنحتمل بعضنا بعضاً ، لأننا فى إحتمال الآخرين نحمل أنفسنا ونحن لا ندرى . فالناظر إلى الكتل الحديدية التى يتركب منها « الجسر المعلّق » قد يعجب إذ يرى كأن هذه الكتل الحديدية معلقة فى الفضاء ، لكن عجبه يزول ، متى عرف أنها بضغطها على بعضها البعض ، وإحتمالها بعضها البعض ، تحمل نفسها وهى لا تدرى .

—جـ— الجو الروحى الذى يجب أن يسود جميع المؤمنين : «فى المحبة»

هذا هو الجوّ المقدس الذى يجب أن يسود كل العلائق التى بين المؤمنين : «فى المحبة» . بهذا يسهل كل عسير ، ويُحتمل مالا يحتمل ، ومَن لا يحتمل . فى هذا يختلف الاحتمال الناشىء عن الضعف والخنوع وعدم القدرة على المقاومة ، عن الاحتمال الذى تنشئه المحبة ، وتغذّيه ، وتنضجه ، وتتوّجه .

عدد ٣ | (٣) وحدانية الروح ، وواجب المؤمنين ازاءها (٤ : ٣)

هذه أول إشارة صريحة فى هذه الرسالة إلى وحدانية الروح ، وفيها تكلم الرسول عن . (ا) طبيعة هذه الوحدانية : «وحدانية الروح» (ب) واجبنا إزاء هذه الوحدانية : «مجتهدين أن تحفظوا ... برباط السلام» .

—أ— طبيعة هذه الوحدانية . «وحدانية الروح» . هذه هى الوحدانية المقدسة التى ينشئها الروح ويقويها ، ويغذيها ، يجعل كل المؤمنين واحداً فى المسيح

أن تحفظوا

و إيجاد اتحاد حيّ مكين بين المؤمنين و بعضهم البعض ، فهي ليست مجرد وحدانية جغرافية، مكانية، كوجود جثتين جنباً إلى جنب في قبر واحد. بل هي وحدانية حياة، لأن الروح القدس هو روح الحياة. ولا هي مجرد وحدانية التساند والتعاضد ، كوجود حجرين جامدين جنباً إلى جنب في جدار واحد مثلما يتعاضد اللصوص على عمل غير شريف ، بل هي وحدانية الرابطة الحية الشريفة ، الكائنة بين أعضاء حية في جسم حيّ، يتوّجها جميعاً رأس واحد حيّ ، ولا هي وحدانية التشابه والتجانس في كل شيء ، كارتباط حلقات متشابهة في سلسلة واحدة، وإنما هي تآلف العناصر المنوعة التي يؤلف بينها قصد إلهي واحد، مثلما تجتمع الأصوات الموسيقية المتباينة لتؤلف نغمة واحدة، أو كما تأتلف الوان قوس السحاب المتباينة لتكوّن نوراً واحداً، أو كما تتحد الأعضاء المتباينة — ولكل عضو مكانته — في جسد حيّ واحد. فقد يختلف أعضاء الكنيسة الواحدة في الرأى من جهة أمر ما ، لكن الروح القدس يوّحد ما بينهم، متى كانت قلوبهم متآلفة في الجوهر. ولا هي مجرد وحدانية عقلية نفسية ، وإنما هي الوحدانية ينشئها الروح القدس بالذات ، فهي وحدانية مؤسسة على شركة الروح .

— ب — واجبنا إزاء هذه الوحدانية: «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام» . النقطة المركزية في هذا الواجب ، هي قوله : «أن تحفظوا».وأما كلمة «مجتهدين» السابقة لهذا القول ، فهي تعين الروح الذى به تؤدى هذا الواجب المقدس على أتم وجه . والعبارة «رباط السلام» التي

وحدانية الروح برباط

بها يُختم هذا العدد ، ترينا الوسيلة التى بها تؤدى هذا الواجب .

أولاً : واجبنا «أن تحفظوا». إننا نحمد الله لأن هذه الوحدانية مُوجودة حقاً وفعلاً. فليس من واجبنا أن نخلقها خلقاً، ولا أن نوجدها من العدم. لأن كل وحدانية يوجدها البشر مهما سمت مراكزهم، إنما هي وحدانية ميتة، عاطلة، زائفة. ما أشبهها بالجسم الميكانيكي الذي يصنعه مهندس بشري، أو بالزهور الصناعية التى تحيكها يد إنسان ماهر أو آلة ميكانيكية صماء . لكن هذه الوحدانية المقدسة هي من عمل رب الحياة والقوة ، وما علينا نحن البشر إلا أن نحافظ عليها. فهي تُكتشف ولا تُخترع. وطوبى لمن يستطيع أن يراها بعين الإخلاص، ويغذيها بقلب المحبة ، وينهضها بروح التضحية وانكار الذات. فعلى المؤمنين أن يحفظوا هذه الوحدانية من كل تحزب، وشقاق، ومن روح الأنانية ، وحب السيادة.

ثانياً : الروح الذى به تؤدى هذا الواجب على أتم وجه : «مجتهدين» الكلمة المترجمة «مجتهدين» هى فى اليونانية أقوى منها فى العربية، فهى تعنى «مقدمين كل اجتهاد» أو «باذلين كل اهتمام». فالكلمة العربية «مجتهدين» قد تفيد أن المحافظة على الوحدانية عمل اجتهادى ، لا عمل جدي، أو هو كما يقال: «فرض كفاية» لا «فرض عين»، لكنه في الواقع فرض حتمي"، علينا أن نبذل فى سبيله كل مرتخص وغال. فكل مجهود فى سبيله، هين وإن عز".

ثالثاً : الوسيلة التى بها تتمم هذا الواجب : «برباط السلام» . هذه العبارة كما وردت فى الأصل، قد تعنى أمراً من اثنين — أولهما : السلام الذى

السلام. ٤ جسد

هو رباط الوحدانية . وثانيهما : الرباط الذى يضمن السلام — أعنى المحبة، باعتبار أن المحبة هى رباط السلام. هذا الرأى الثانى، هو رأى العلامة بنجال. ولكن برجوعنا إلى الأصحاح الثانى من هذه الرسالة، يتبين لنا ، أن المسيح «هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً» (٢: ١٤). هذا هو رباط الوحدانية — المسيح الذى هو سلامنا. فهى إذاً وحدانية مقدسة: الروح منشئها، والمسيح رباطها.

عدد ٤ و ٥ و ٦ | (٤) الأعمدة السبعة التى يبنى عليها هيكل الوحدانية (٤: ٤ و٥ و٦) . «جسد واحد، وروح واحد ، كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد، إيمان واحد ، معمودية واحدة ، إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم».

هذه سهام سباعية من جعبة الوحدانية المقدسة. وهى تبتدئ بالجسد الواحد الذى يحييه الروح الواحد ، فيتقدم نحو جمالة الرجاء الواحد. وهذا الجسد الواحد يستمد كيانه من الرب الواحد الذى هو رأسه الأوحد، فاتحد به بواسطة الإيمان الواحد والمعمودية الواحدة . على أن كمال هذه الوحدانية يتحقق فى الإله الواحد ، الذى هو آب لجميع المؤمنين ، وهو إله للكل ، وسيد على الكل، ومتمم إرادته بالكل، ولكنه حال فقط فى كل المؤمنين.

«جسد واحد . . . اله وآب واحد» . مما يلفت نظرنا ، أن الرسول ، عندما أراد تبيان أوجه هذه الوحدانية المقدسة ، بدأها بأقربها إلى العيان : «جسد واحد»، واختتمها بالإله الأوحد الذى هو غايتنا القصوى وإليه مآلنا —

واحد

«إله وآب واحد». ومهما تعددت أوجه هذه الوحدانية فإن عمادها الأوحد هو الثالوث الأقدس: «روح واحد»: هذا هو الأقنوم الثالث. «رب واحد»: هذا هو الأقنوم الثاني. «إله وآب واحد»: هذا هو الأقنوم الأول. هذا هو الإله الواحد، موجد هذه الوحدانية ومحييها.

فإلى الذين لا يفهمون مسيحيتنا على حقيقتها، ويتهموننا بالشرك، ظانين أننا نعبد ثلاثة آلهة، إليهم نسوق الحديث بكل حب، ومودة، وعطف، قائلين: تعالوا إلى معابدنا تجدونا نعبد إلهاً واحداً، وندين بمعمودية واحدة، ونتمسك بإيمان واحد، ونضع نصب عيوننا الرجاء الواحد. ثم افتقدوا في منازلنا، تجدوها منازل الزوجة الواحدة، والمحبة الواحدة، والوفاء الواحد، ثم جربونا في معاملاتنا، تجدونا أصحاب اللسان الواحد، والكلمة الواحدة، والوجه الواحد، والذمة الواحدة. وإن وجدتم في أحدنا — أو في بعضنا — غير ذلك، فالعيب ليس في ديننا بل فينا، فإن لم نكن نحن ذلك، وجب أن نكون كذلك.

قديماً حدثنا الحكيم عن الحكمة قائلاً: «الحكمة بنت بيتها. نحتت أعمدتها السبعة» (أمثال ٩:١). ومهما تكن ماهية الحكمة التي تحدث عنها الحكيم، فلسنا نرى ما يمنعنا من تطبيق كلمات العهد القديم على كلمات رسول العهد الجديد. فالوحدانية المقدسة بنت بيتها ونحتت أعمدتها السبعة. وهذه الأعمدة السبعة، هي المبادئ السبعة التي نظمت الكنيسة بموجبها.

ويهمنا أن نذكر، أن الرسول لا يتحدث هنا عن الوحدانية باعتبار ما يجب أن نكون عليه، بل على اعتبار أنها حقيقة واقعة. فعناصرها السبعة

وروح واحد

المذكورة هنا ليست مثلاً نسعى إليها ، لكنها أعمدة نبنى عليها .

أما السبعة الأعمدة التى ذكرها الرسول لهذه الوحدانية المقدسة فهى :

« جسد واحد ، روح واحد ، رجاء واحد ، رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة ، إله وآب واحد » . ويجوز أن نجمع بين هذه الأعمدة ، فنكون منها ثلاثة أركان رئيسية :

الركن الأول : جسد واحد : هذا يتناول الحياة الروحية الداخلية والرجاء الوطيد الممتد إلى الأمام .

الركن الثانى : رأس واحد : هذا هو رأس الجسد وهو يتضمن العاملين اللذين يتحدانه بالجسد — الإيمان والمعمودية .

الركن الثالث : إله وآب واحد : هذا هو رأس الكل الذى منه الكل وبه الكل ، وله الكل ، وإليه الكل .

عدد ٤ | الركن الأول : الجسد الواحد : « جسد واحد ، روح واحد ، رجاء واحد » . هذ « الجسد الواحد » هو كنيسة المسيح الغير المنظورة على الأرض ، الواحدة ، الجامعة (١ : ٢٢) . و « الروح الواحد » هو الروح القدس الذى هو مصدر حياتها الروحية ومنشئها . و « الرجاء الواحد » هو مبعث نشاطها الخارجى . فالكنيسة الواحدة التى هى جسد المسيح على الأرض ، قائمة على عاملين — أحدهما داخلى ، وهو الروح الواحد القدوس الذى استقر فيها منذ يوم ميلادها المشهود (أعمال ٢) ، وهو المحرك الدائم لعوامل الحياة فيها .

كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد

وثانيهما : خارجى : هو الرجاء الواحد الوطيد الموضوع أمامها، وهو خير محرّض لها على الخدمة، والمثابرة، والجهاد. فالروح المحيي يدفعها من الداخل، والرجاء الحي يرفعها من الخارج : وهى كنيسة واحدة وإن انقسمت مذاهب، وتفرقت شيعاً، وتفرّعت شُعَباً.

الروح الواحد : ذكر « الروح الواحد » بعد « الجسد الواحد »، لأن الروح القدس للكنيسة، كالروح للجسد. فالروح للجسد، قوة محيية، وحافظة، وموحّدة. فهو علة حياة الجسد، وهو حافظه من الاضمحلال، وهو موحّد جميع أعضائه. فعلى رغم اختلاف كل عضو فى الجسد عن الآخر، ترى كل الأعضاء مرتبطة معاً بالروح الواحد. كذلك الروح القدس هو علة حياة الكنيسة، وهو القوة المؤلفة بين جميع عناصرها المختلفة. لأنه يتحد كل الأعضاء معاً فى الرأس الواحد.

الرجاء الواحد : « كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد». يذكرنا كلام الرسول هنا عن «رجاء الدعوة» بكلامه فى غرة الرسالة : «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ماهو رجاء دعوته». فالمؤمنون مدعوون فى الرجاء، فيملأهم الرجاء ويمتلكهم. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة عينها، ولكن بصيغة أخرى، فى رسالة معاصرة لهذه: « من أجل الرجاء الموضوع لكم فى السموات الذى سمعتم به قبلاً فى كلمة حقّ الإنجيل» (كولوسى ١ : ٤).

هذا الرجاء واحد لجميع المؤمنين. وغايته أن يجعل كل المؤمنين رعية واحدة فى بيت الله.

٥ رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة

| عدد ٥ | الركن الثانى : الرأس الواحد : رب واحد : هذا هو رأس الكنيسة الجامعة، التى هى جسده على الأرض. فهو ملكها ومالكها، ومالئها. وهو رب واحد لجميع المؤمنين. فكلهم فيه متحدون، وكلهم فيه متساوون.

إيمان واحد : هل كلمة « إيمان » كما وردت هنا، تعنى خلاصة العقيدة المسيحية المشتركة بين جميع المؤمنين؟ أم هى تعنى ثقة الاعتماد والاتكال والتسليم التى تربط النفس بمخلصها، فتعرف بالإيمان الخلاصى ؟ أم هى تعنى كلا الأمرين؟ غالباً يقصد الرسول المعنى الثانى، لأن كلامه عن « الإيمان الواحد » بعد قوله « الرب الواحد »، يدل على أنه يقصد « الإيمان الواحد » الذى هو الوسيلة الروحية المشتركة، والوحيدة، التى تتحد جميع المؤمنين بالرب الواحد. فالكل يُقبلون إليه كخطاة، ويَقبلون خلاصه المجانى.

معمودية واحدة : إذا كان الإيمان هو الوسيلة الداخلية الروحية المشتركة التى تربط المؤمنين جمعاً بالمسيح الأوحد، فإن المعمودية هى العلامة الظاهرة الوحيدة لهذه الرابطة . فالإيمان فعل داخلى، والمعمودية ختم خارجى. الإيمان صلة خفية ، والمعمودية رمز علنىّ. بالمعمودية الواحدة، يعترف كل مؤمن بخطاياه ، ويُعلن قبوله المسيح فادياً ومخلصاً.

قد تتنوع الكيفيات التى بها تمارس المعمودية: فالبعض يعتمد بالتغطيس، والبعض بالرش. لكن المعمودية ذاتها واحدة ، والاسم الذى يعتمد عليه الجميع هو اسم الإله الواحد — « الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨:١٩)

٦ إله وآب واحد للكل الذى على الكل

| عدد ٦ | الركن الثالث: « إله وآب واحد » : هذا هو النبع الأعلى للوحدانية الروحية المقدسة، وهو مرجعها النهائى. فالمعمودية تختم الإيمان، والإيمان يتحدنا بالمسيح، والمسيح يرينا أن الآب هو « الإله الحقيقى وحده ». إن هذا الإله الواحد الحقيقى، هو آب لجميع المؤمنين، وهو رب متسلط على الكل، ومتمم إرادته بالكل، فيستخدم كل واحد بحسب استعداده ومؤهلاته وظروفه، ليجرى به قصده الأزلى، فى ذاته وفى الآخرين، ليأتى ملكوته على الأرض. وهو حال فى كل المؤمنين.

يعتقد كثير من المفسرين، وعلى رأسهم بعض الآباء الأولين، أن الثلاث العبارات الأولى فى هذا العدد، تشير إلى الثالوث الأقدس. فالله على الكل فى شخص الآب. والله بالكل — فى شخص الابن. والله فى الكل — فى شخص الروح القدس. وقد لا يخلو هذا الرأى من تحميل الكلمات معانى فوق طاقتها، سيما وأن الرسول سبق فأشار صراحة إلى الروح القدس باعتبار كونه محيى كنيسة المسيح، التى هى جسده على الأرض (عدد ٤)، وإلى الإبن باعتبار كونه رأس الكنيسة ورئيسها (عدد ٥)، فمن الطبيعى أن نراه فى هذا العدد السادس مخصصاً الكلام عن الله الآب، الذى إليه مآب الكل، وكل مآب. وهو الذى حدثنا عنه الرسول عند ختام الأصحاح السابق قائلا : « لذلك أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض ».

و بالكل وفى كلكم. ٧ ولكن

هذه هى الوحدانية المسيحية المقدسة التى جعل منها الرسول موضوعاً لحديثه فى هذا الفصل، وهى وحدانية غريبة فى مظهرها، لأنها تجمع بين المتناقضات — فهى تؤلف بين اليونانى واليهودى، الختان والغرلة، البربرى والسكيثى، العبد والحر. لأن المسيح رأس هذه الوحدانية وأصلها، هو الكل فى الكل (كولوسى ٣: ١١).

على أن هذه الوحدانية، وإن تكن متباينة المظهر، إلا أنها موحدة الجوهر. فهى مؤسسة على هذه الدعائم السبع التى مرت بنا — وحدة الجسد، وحدة الروح، وحدة الرجاء، وحدة الرأس، وحدة الإيمان، وحدة المعمودية، وحدة الأبوة العلوية المقدسة.

هذا ما أبانه الرسول فى الأعداد سالفة الذكر. غير أن هذه الحقيقة لها جانب آخر — هو الأساس الثانى لهذه الوحدانية. فإذا كان أساسها الأول وحدانية الجوهر، فإن أساسها الثانى هو تنوع المواهب. هذا ما ينبئنا عنه الرسول فى الأعداد الآتية (٤: ٧—١٦). فإذا كان موضوع الأعداد السابقة (٤: ٣—٦) وحدانية الجسد، فإن موضوع الأعداد التالية (٤: ٧—١٦) هو تنوع وظائف الأعضاء فى الجسد الواحد. فهى وحدانية فى تنوع، وتنوع فى وحدانية

عدد ٧ (٥) تنوع فى وحدانية، ووحدانية من تنوع

(٤: ٧—١٦). هذا باعث آخر على الاتحاد، مبنى على تنوّع الهبات. وكلام

لكل واحد منا

الرسول عنه في هذا الفصل، مشابه لكلامه في رو ١٢: ٣—٨، ١ كو ١٢: ٤—٣٠ ومطابق لكلام بطرس الرسول في ١ بط ٤: ١٠ و ١١.

إن الموضوعات التي تناولها الرسول في هذا المدد هي —ا— النعمة الموهوبة —ب— الأشخاص الموهوبون —ج— قياس الهبة

—ا— النعمة الموهوبة: «ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة» هذه نعمة معطاة من المسيح لكل واحد من المؤمنين. فما هي هذه النعمة؟

يقول الدكتور أرمتاج روبنسون: إن «النعمة» المقصودة هنا هي تلك التي تحدث عنها الرسول في الأصحاح الثالث من هذه الرسالة: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم» (٣: ٢)، «الإنجيل الذي صرت أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوته» (٣: ٧)، «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يستقصى» (٣: ٨).

غير أننا بمراجعة ما كتبه بولس عن «النعمة» في الثلاثة الأصحاحات الواردة ضمن هذه الرسالة — الثاني، والثالث، والرابع، يتبين لنا أن ما أراده الرسول بـ «النعمة» في كل من هذه الأصحاحات، يختلف عما قصده بها في الآخر. فالنعمة المذكورة في الأصحاح الثاني، هي النعمة التي يخلص بها الإنسان الخاطئ: «بالنعمة أنتم مخلصون» (٢: ٥ و ٨). والنعمة التي تحدث عنها الرسول في الأصحاح الثالث، هي النعمة التي بها أؤتمن الرسول على غنى المسيح الذي لا يستقصى، والكرازة به للأمم: «لي أعطيت هذه النعمة أن

أعطيت النعمة حسب قياس

أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى» (٣: ٨). والنعمة الواردة فى هذا الأصحاح (٤: ٧) هى نعمة حلول الروح القدس فى قلب كل مؤمن فيصبح بها كل المؤمنين واحداً . فالأولى مخلِّصة ، والثانية مؤهلة، والثالثة موحدة

هذا مؤيد لما جاء فى الأعداد التالية : « إذ صعد إلى العلاء ... أعطى الناس عطايا ... لكى يملأ الكل» . وهو مطابق لكلام بطرس الرسول فى عظته الخمسينية : «فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أعمال ٢: ٣٢ و٣٣) . والمواهب التى يصفها الرسول بولس فى هذه الرسالة - وفى رسائله الأخرى: كرومية وكورنثوس — هى مواهب الروح القدس.

— ب — الأشخاص الموهوبون: «لكل واحد منا أعطيت». إن نعمة حلول الروح القدس فى القلب ، هى من حق كل مؤمن ، بل هى بكورية كل مؤمن : « إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (رومية ٨: ٩). «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أولاد الله » (رومية ٨: ١٤) . ان أصغر المؤمنين له حق فى هذه النعمة كأكبر مؤمن فيأخذ كل مؤمن حقه من هذه الهبة ، على قدر طاقته واستعداده.

— ج — قياس هذه الهبة : « حسب قياس هبة المسيح». إن المسيح، رأس الكنيسة الأوحد، قد رتب لكل عضو فى كنيسته عملاً معيناً، ووضع عليه مسئولية خاصة. لكن كل مسئولية مصحوبة بتعزية، وكل واجب يحمل

هبة المسيح . ٨ لذلك يقول . إذ صعد

معه وعداً بعمونة تتكافأ معه . لذلك وزّع المسيح هبات روحه الأقدس على كل عضو في كنيسته الحية الغير المنظورة ، كلّ بحسب المطاليب المطلوبة منه، وعلى قياس المسئوليات الملقاة على عاتقه من قِبَل ربّ الكنيسة وغير خافٍ أن الإنسان لا ينال من ملء الروح إلا على قدر إيمانه ، وطاعته ، وتسليمه ، وأمانته في إستخدام المواهب التي عنده: « كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير ». على هذا المبدأ ينتفيَ الحسد ، لأن كل إنسان يغترف من بحر المواهب الروحية بقدر إيمانه: « افغر فاك فاملأه ». ولما نفدت الأوعية « وقف الزيت ».

هذه هي هبات المسيح الملك الذي يُعطي بوفرة ، ولا يُسأل عن مقدار ما يعطي.

عدد ٢ | شهادة العهد القديم لهذه الحقيقة (٤: ٨)

اقتبس الرسول هذا القول من العهد القديم — وهو عبارة عن كل الكتاب المقدس المسلَّم به في أيام بولس ، وإليه يشير الرسول في كلمة: «يقول» — أي أن الكتاب المقدس هو القائل (مزمور ٦٨: ١٨). ويجوز أن نفهم أن القائل هو الله أو هو الروح القدس . هذه نبوة متعلقة بالمسيح ، مبينة العلاقة التي بين صعوده وهباته.

يرسم هذا القول أمامنا صورة ملك ظافر ، استولى على قلعة منيعة فغزا منها غزواً ، وغنم منها غنماً. ثم عاد بموكبه الظافر متبوعاً بما غنم، محفوفاً

إلى العلاءسبى سبباً وأعطى الناس

بمن كسب . وتتمة هذه النبوة — كما وردت على لسان داود فى قوله: «قبلت عطايا بين الناس» — تفيد أن الإشارة منصرفة إلى الجزية التى تقدّم للملك الظافر ممن ظفر بهم فعلاً ، أو إلى الهدايا التى توضع عند موطىء قدميه ، ممن يترضون وجهه (١ كو ١٥: ٢٥ و٢ كو ١٠: ٣ — ٥).

استطاع الرسول بولس بنور الوحى والإلهام ، أن يطبق هذه النبوة القديمة على صعود المسيح ونواله موعد الروح القدس، وإيها به هبة الروح لكل مؤمن متحد به اتحاداً حيوياً . ومع أننا نلاحظ أن بين هذه النبوة القديمة وبين التطبيق الرسولى لها، شيئاً من التباين ، إلا أنه لا يتعدى التفصيلات العرضية، وأما جوهر الشبه فهو واحد: إن المسيح ملك ظافر كسر شوكة الموت وارتفع إلى السماء ظافراً بالرؤساء والسلاطين، وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب ، سكب من روحه الأقدس على كل عضو من أعضاء كنيسته، نصيباً فعالاً حسب قياس مشيئته الحرة المطلقة، حال كونها صالحة ومرضية وكاملة .

قد يلاحظ الباحث شيئاً من التباين اللفظى بين الصيغة التى وردت بها هذه الحقيقة فى العهد القديم (مزمور ٦٨: ١٨)، والصيغة التى أفرغها فيها بولس فى هذه الرسالة — فمثلاً جاء فى المزمور : « قبلتَ عطايا بين الناس » مقابل قول الرسول: «أعطى الناس عطايا». فحاول المفسرون أن يوفقوا بين الصيغتين ولعل أفضل ما قيل بهذا الصدد : إن المرنم ذكر الأمر الواقع — وهو قبول العطايا. وأن الرسول ذكر غاية هذا الأخذ — وهو إعطاء الناس. لأن العطايا

عطايا . ٩ وأما أنه صعد فما هو إلا إنه

لا تؤخذ إلا لتعطى ، ولا تكسب إلا لتوهب. فالملك الظافر يوزع الغنائم التي يأخذها . فهو إنما يأخذ ليعطى.

ولا يغرب عن البال ، أن كلام الرسول هنا يصف المسيح في عمله الفدائي كوسيط ، لا في لاهوته . إذ في هذه الصورة يرتسم الفادي أمامنا ملكاً كاهناً ، وكاهناً ملكياً. وعلى هذه الصورة الجيدة أراق الرسول نوراً باهراً في العددين التاليين.

عدد ٩و١٠ المسيح واهب العطايا ، هو الباسط نفوذه على جميع العالمين : كل صعود يفترض النزول أولاً . فصعود المسيح يفترض نزوله . وعلى قدر الصعود تكون درجة النزول السابق له. فكما أن المسيح في ارتفاعه ، قد ارتقى فوق السموات، فهو أيضاً في اتضاعه قد نزل إلى أقسام الأرض السفلى ، فهو إذاً باسط نفوذه على كل العالمين ، فلا يخلو من حضوره مكان مهما تكن درجة سموه ، ولا يبرح نفوذه مكاناً، مهما يكن درك تنازله. هذا هو المسيح الملك الجليل الصفات، الذي تنازل في اتضاعه حتى بلغ «أقسام الأرض السفلى»، وارتقى في صعوده إلى ما «فوق جميع السموات». فالأرض وما دونها، والسموات وما فوقها ، وكل ما هو كائن بين هاتين المسافتين الشاسعتين، داخل ضمن دائرة نفوذ هذا الملك العظيم . فهو ليس رأس الكنيسة وكفى ، بل هو أيضاً مالىء كل العالمين، ومالك إياها، وملك عليها . هذه خلاصة الإنجيل

نزل أيضاً أولا إلى أقسام الأرض السفلي . ١٠ الذى نزل هو الذى صعد أيضاً

—ا—مبلغ اتضاع المسيح : « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » .

تباينت أقوال المفسرين فى معنى هذه العبارة: فبيرسون يعتقد أن العبارة فى وضعها اليونانى تعنى حرفياً : الأقسام السفلى — أى الأرض . بمعنى أنه الأرض هى بالذات الأقسام السفلى، بالقياس إلى السماء التى هى الأقسام العليا. ويستند فى رأيه هذا إلى ما جاء فى إشعياء ٤٤: ٢٣ «ترنمى أيتها السموات... اهتفى يا أسافل الأرض». ولكن أصحاب هذا الرأى قليلون، لأنه مبنى على تحميل الكلمات معانى فوق احتمالها.

ويعتقد بعض المفسرين أن «أقسام الأرض السفلى» تعنى القبر ، بدليل ما جاء فى مزمور ٦٢: ٩ «أما الذين هم للتهلكة يطلبون نفسى فيدخلون فى أسافل الأرض» — أى فى القبر. فالإشارة منصرفة إلى موت المسيح ودفنه فى القبر . هذا آخر درك تنازل إليه المسيح فى اتضاعه: «وأطاع حتى الموت»، « لن تترك نفسى فى الهاوية ».

ذهب كثير من المفسرين ، وعلى رأسهم الآباء الأولون ، إلى أن هذه العبارة . « نزل إلى أقسام الأرض السفلى » تشير إلى عمل معين قام به المسيح فى «العالم الأسفل»، منقذاً أرواح قديسى العهد القديم من سجن الأرواح «المبوس»، الذى كانوا فيه محروسين، فى انتظار اتمام الفداء . وفى اعتقادنا أنه الرأى الثانى هو أقربها إلى الصواب ، ويليه الأول . وأبعدها الأخير .

فوق جميع السموات لكي يملأ الكل . ١١ وهو

—ب— أوج ارتفاعه: «فوق جميع (*) السموات» — هذه العبارة تعني أرفع مكان وأسمى مكان «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة» (١ : ٢١) «وفوق كل اسم» (فيلبي ٢ : ٩)، فوق كل البرايا المنظورة والغير المنظورة «سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين» (كولوسي ١ : ١٦)

—ج— غاية اتضاع المسيح وارتفاعه : «لكي يملأ الكل». تحتمل هذه العبارة معنيين : أولهما: لكي يملأ المسيح كل حيز بحضوره، وسلطانه، ومجده. وثانيهما : لكي يتم قصد الله ومشيئته في كل الأشخاص وبهم، وفي جميع الأشياء وبها. هذا رأي الدكتور ارمتاج روبنسون. لكن أغلب المفسرين يميلون إلى الرأي الأول، على اعتبار أن المسيح يملأ الكل بحضوره روحياً لا جسدياً.

تنوع المواهب ووحدة الغاية (٤ : ١١ — ١٦).

بعد أن عالج الرسول ذلك الاقتباس المأخوذ من سفر المزامير، الذي يعتبر إنجيلاً مركزاً، شاهداً بكلمات قوية موجزة، لصلب المسيح وآلامه، وموته، ودفنه، وقيامه، وصعوده، وإرساله الروح القدس، عاد إلى كلامه الذي تركه في العدد الثامن، مستأنفاً الحديث عن تنوع هبات المسيح الملك الظافر.

ينقسم هذا الفصل إلى أربعة أقسام رئيسية :

* تحدث معلمو اليهود قديماً في تلمودهم عن سمائين، وسبع سموات. وحدثنا بولس نفسه عن ثلاث سموات (٢ كو ١٢ : ٢)، إشارة إلى محضر الله. والمراد بقوله : «فوق جميع السموات» ان المسيح استوى على العرش فوق كل الكائنات

أعطى

أولا تنوع هذه المواهب (٤:١١)

(١) الرسولية (٤:١١ أ)
(٢) التنبؤ (٤:١١ب)
(٣) التبشير (١١:٣ ج)
(٤) الرعاية والتعليم(٤ ١١ د)

ثانياً القصد من هذه المواهب (٤:١٢)

(١) تكميل القديسين (٤:١٢ أ)
(٢) عمل الخدمة (:١٢ب)
(٣) بنيان جسد المسيح (٤:١٢ج)

ثالثاً : الغاية القصوى من هذه المواهب (٤:١٣)

(١) الإيمان الكامل : « وحدانية الايمان » (٤:١٣ أ)
(٢) المعرفة الشاملة : « معرفة ابن الله » (٤:١٣ب)
(٣) الينبوع : « إلى إنسان كامل » (٤:١٣ ج)
(٤) القياس الأعلى : « قياس قامة ملء المسيح » (٤:١٣ د)

رابعاً : كيفية البلوغ إلى هذه الغاية (٤:١٤—١٦)

(١) سلباً :
- ا ـ عدم الاضطراب : «لا نكون أطفالا مضطربين » (٤:١٤ ا)
- ب ـ عدم الانصياع : « محمولين بكل ريح تعليم» (٤:١٤ب)
- جـ عدم الانخداع : « بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة » (٤:١٤ ج)

(٢) إيجاباً :
- ا ـ الصدق فى المحبة (٤:١٥ ا)
- ب ـ النمو المتكامل (٤:١٥ب)
- جـ التعاون المتبادل (٤:١٦)

البعض

عدد ١١ أولاً : تنوع هذه المواهب الروحية (٤:١١)

(١) الرسولية : «رسلاً» — (٤:١١ أ)
(٢) التنبؤ : «أنبياء» — (٤:١١ ب)
(٣) التبشير : «مبشرين» — (٤:١١ جـ)
(٤) الرعاية والتعليم : «رعاة ومعلمين» (٤:١١ د)

من الجائز أن نعتبر الفصل المبتدىء بالعدد التاسع والمنتهى بالعدد السادس عشر مفسراً وموضحاً للعدد الثامن. وبالرجوع إلى ذلك العدد، يتبين لنا أنه يتضمن شطرين — أولهما : عن صعود المسيح : « إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً» .والثانى عن هبات المسيح : « وأعطى الناس عطايا».فالشطر الأول المتعلق بصعود المسيح قد شرحه الرسول وأوضحه فى العددين :التاسع والعاشر. وها نحن نرى الرسول يشرح الشطر الثانى المتعلق بهبات المسيح، فى هذا الفصل الذى أمامنا (٤:١١-١٦) . فالمسيح هو الذى صعد، والمسيح هو الذى أعطى . فالملك الظافر هو الملك الواهب.

وجدير بالملاحظة، أن هبات المسيح ليست مذكورة هنا مجرَّدةً فى ذاتها، بل متصلة بالأشخاص الذين تقلدوها ولبسوها بعد أن لبستهم هى: «رسلاً أنبياء ، مبشرين، رعاة ومعلمين».مع أن الرسول نفسه ذكر مثل هذه الهبات مجرَّدة بذاتها فى رسالته إلى رومية : « نبوة ، خدمة ، تعليم ، وعظ » (رو١٢: ٦-٨) . لأن فكر الرسول فى رسالة أفسس كان متجهاً إلى الأعضاء

أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء

الذين تمثلت فيهم الهبات، لكنه في رسالته إلى رومية كان متجهاً إلى الهبات التي تزين الأعضاء. كذلك أيضاً في ١كو ١٢: ٢٨ ذكر الصفات متمثلة في الأعضاء، «وضع الله أناساً في الكنيسة: أولاً رسلاً. ثانياً أنبياء. ثالثاً معلمين»

(١) **الرسولية**: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً». الرسل هم تلك الطغمة الخاصة التي أهلها الله بمؤهلات خاصة، لتضع بناء الكنيسة على الأساس الأوحد — يسوع المسيح. فصاروا هم، على نوع ما، أساساً للكنيسة في خدمتهم، ورسائلهم، وتعليمهم. «والرسول» بحصر اللفظ، هو شخص عاين المسيح بعد القيامة، وشهد لقيامته، وتعين لهذه الوظفة منه رأساً، وأعطى قوة على إتيان معجزات. هذه وظيفة خاصة لم يسمح الله لكل إنسان بأن يتقلدها، بل ميّز بها «البعض». وهي رتبة ذهبت بذهاب العصر الرسولي. غير أن بعضاً ممن حملوا رسالة الإنجيل إلى بلاد نائية قاحلة، فاقتحموا في سبيلها الأهوال، مستعذبين العذاب، مستطيبين الاضطهاد، أمثال لفنستون، وتشالمرس، وهنري مارتن، هؤلاء يحملون «الرسالة» في العصور الحديثة.

(٢) **التنبؤ**: «والبعض أنبياء» (٤: ١١ب). هؤلاء قوم ذوو بصائر نيرة يعلن لهم الله إرادته بإلهام خاص، ليعلنوها هم للآخرين. والنبوة — في العهدين — لا تعني بالضرورة التنبؤ بالمستقبل، بل قد تكون مقصورة على التعليم بحكمة وسلطان. وقد جاء في كتاب أثري جليل، عنوانه: «تعاليم الإثني عشر»: أن الأنبياء في العهد الجديد، كانوا متجولين يفتقدون بعض الكنائس في تجوالهم ويبلغون كل كنيسة رسالتها في حينها. وكان بعضهم مستقراً في بعض

والبعض مبشرين

الكنائس يعيشون من تقدماتها. وكانوا يرأسون خدمات الكنيسة الخاصة بالشكر، بسلطان خاص، غير موهوب لسواهم من بعد الرسل. وكانوا في أيام يوستنيان الشهيد يلقبون بـ «رؤساء الكهنة». وكانت أشخاصهم مرفوعة فوق كل اعتبار حتى أن من تصدى لهم بنقد أو حكم، يعتبر كمن أخطأ إلى الروح القدس. وجاء في كتاب: «راعي هرماس» أن من أهم مؤهلات هؤلاء الأنبياء أن يكونوا متصفين بالوداعة التامة، منزهين عن حب المال، يترفعون عن أن يتنبأوا إجابة لإستشارة أو رداً على سؤال. وكان النبي معتبراً مماؤاً «بملاك روح النبوة». والظاهر أن هذه الرتبة انقرضت بعد انقراض رتبة الرسولية. وهي تليها مباشرة في المقام.

(٣) التبشير: «والبعض مبشرين» (٤: ١١ج). الظاهر أن الرسول ذكر هذه المواهب بحسب ترتيبها في الدرجة والمقام. فالرسول أولاً، ثم النبي، ثم المبشر، ثم الراعي المعلم. هذا الترتيب يخالف العرف المصطلح عليه في أيامنا، الذي به يُحسب المبشر أدنى من الراعي مرتبة، وأحط منه مقاماً، لدرجة أن هذه الوظيفة أضحت موقوفة على من لم تقدم له دعوة، رعوية، أو على من كان راعياً فأخفق. لكن ليس هذا عرف الكتاب. فالمبشر أولاً ثم الراعي. المبشر يقطع الحجر والمعلم يصقله. المبشر يضع الأساس، والراعي يقيم البناء

المبشر هو المنادي بالأخبار الطيبة المفرحة. فهو في عمله حامل رسالة كدت أقول رسولا. هو فاتح الطريق أمام الراعي. هو سفير المسيح في البلاد النائية. قد لا يخاطب الجماهير كبطرس، لكنه يأتي بالأفراد كما فعل

والبعض رعاة

اندراوس . هو صوت الكنيسة صارخاً فى قلب العالم . هو المنادى الناس بضرورة المصالحة مع الله.

بالرجوع إلى الأصل اليونانى لكلمة «مبشر» ، يتضح لنا أن هذه الكلمة وردت ثلاث مرات فى العهد الجديد — هنا ، وفى أعمال ٢١ : ٨ ، ٢ تيموثاوس ٤ : ٥. ولعل أقرب كلمة إليها فى الوقت الحاضر — هى كلمة: «مُرسل» وهى ليست وظيفة محلية ، لكنها خدمة عامة. فالرسول الحقيقى مبشر ، والنبى الحق مبشر ، والراعى الأمين مبشر . وإلى هذا السبب غالباً يُعزى حذفها من قائمة الوظائف والرتب الواردة فى ١ كورنثوس ١٢ .

(٤) الرعاية والتعليم : «والبعض رعاة ومعلمين» (٤ : ١١ د). غالباً تعبر هاتان الكلمتان عن وظيفة واحدة تقلدها شخص واحد ، كما يُستفاد من صيغة العبارة فى الأصل اليونانى: إن عمل المبشر لازم للكنيسة ، وربما كان ألزم من عمل الراعى . إذ يسهل على المرء أن يذهب فى رحلة تبشيرية وينادى برسالة الإنجيل فى بضع ليال ، ثم يمضى إلى حال سبيله. ولكن من الصعب على المرء أن يستمر فى مكان واحد مقابلاً ذات الوجوه الواحدة ، والعقول الواحدة ، والقلوب الواحدة ، وينادى لها بكلمة الله الواحدة. فما لم يكن هو نامياً فى العقل ، وفى القلب ، وفى الروح ، فإن رسالته تصبح جافة جامدة ، لأن عقول الآخرين تنمو باضطراد ، ونفوسهم تتسامى باستمرار ، فهى فى حاجة إلى معلم يُخرج من كنزه جُدداً وعتقاء لأبناء الملكوت. سهل على المرء أن يخطب فى الجماهير ثم ينصرف . لكن من الصعب على المرء أن يواجه الناس فرداً فرداً فيعرف

ومعلمين ١٢ لأجل تكميل القديسين

ظرف كل فرد على حدة، ويعالجه بمبضع الطبيب، وحنو الأم، وعطف الأب، وصداقة الأخ، وتضحية الصديق الحبيب - هذا هو عمل الراعي الصبور. قد يكون عمل المبشر شبيهاً بإطلاق الشهب في الأعياد، لكن عمل الراعي هو حمل مصباح صغير، والسير به في الزوايا والطرقات مفتشاً عن العقول المظلمة لينيرها، والقلوب الضالة ليهديها، والأيادي المرتعشة ليعضدها، والركب المخلعة ليسندها ويقويها. «ومتى ظهر رئيس الرعاة تنال اكليل المجد الذي لا يبلى»

عبثاً تنتظر الكنيسة اجتماع كل هذه المواهب في شخص واحد. فمع أن شخصاً كبولس جمعها معاً، إلا أنه لم يوجد سوى بولس واحد في تاريخ الكنيسة (أعمال ٢٠: ٢٨). (اطلب يوحنا ٢١: ١٦، ١ بطرس ٥: ٢و٣ لوقا ١٧: ٧، متى ٢٥: ٣٢، ٢٦: ٣١، يوحنا ١٠: ١١، عبرانيين ١٣: ٢٠، ١ بطرس ٢: ٢٥، ٥: ٤، متى ٢: ٦، أعمال ١٣: ١، ١٥. ٣٥، رومية ١٢: ٧، ١ كورنثوس ١٢: ٢٨و٢٩، ١ تيموثاوس ٣: ٢، ٢ تيموثاوس ٢: ٢٤)

عدد ١٢ | ثانياً: القصد من هذه المواهب (٤: ١٢)

هذه جملة مؤلفة من ثلاثة مقاطع: «لأجل تكميل القديسين» «لعمل الخدمة»، «لبنيان جسد المسيح». المقطع الأول ممهد للثاني، والثاني إعدادي للثالث. فالقصد الأسمى هو بنيان جسد المسيح عن طريق عمل الخدمة التي يتجهز لها كل مؤمن بالمواهب العلوية: الكلمة المترجمة «تكميل» وردت هنا فقط بصيغة المصدر. لكن الفعل المشتق منها، ورد في

لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح ١٣ إلى أن

متى ٤: ٢١ ومرقس ١: ١٩ بمعنى « إصلاح » و« ترميم » الشباك. وفى غلاطية ٦ : ١ بمعنى «إصلاح» المرتد. وفى عبرانيين ١٣: ٢١ بمعنى « يكمل » فى كل عمل صالح ، وفى ٢ كورنثوس ١٣: ١١ و١ بطرس ٥: ١٠ بمعنى «التكميل» بوجه عام . والمراد بها فى العدد الذى نحن بصدده : إعداد القديسين — أى المؤمنين — وتجهيزهم لعمل الخدمة . فإذاً عمل الخدمة ، هو من نصيب كل مؤمن . وكل مؤمن يقصر فى هذا الباب يُحسب ناقصاً . ان « الكمال » المقصود هنا هو كمال البلوغ ، أو إكتمال النمو الناتج عن الامتلاء بالمواهب.

إن القصد الأسنى من تكميل القديسين لعمل الخدمة هو « بنيان جسد المسيح » . كنا نتوقع أن يقول الرسول : إن الغاية القصوى هى «خلاص النفوس الهالكة» ، أو « ربح العالم للمسيح» ، لكن فكر الرسول منصرف فى هذه الرسالة إلى الكنيسة لا إلى العالم . ومما يلذ ذكره أن الرسول استعمل فى هذه العبارة مجازاً مركباً فقال « بنيان جسد المسيح » بدلاً من قوله « نمو جسد المسيح » . فكأنه نظر إلى جسد المسيح نظرته إلى هيكل . وهكذا فعل عندما قال فى مناسبة سابقة « ينمو هيكلاً » (٢-٢١) إذ نظر إلى الهيكل كأنه جسد حى نام . فالجسد بناء وكل عضو فيه حجر حى ، والهيكل جسد حى وكل حجر فيه عضو عامل ! هذه هى كنيسة المسيح .

عدد ١٣ ثالثاً : الغاية القصوى من هذه المواهب (٤: ١٣)

فى غمرة هذا الأصحاح ، تكلم الرسول عن الوحدانية باعتبار كونها هبة

ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان

ثمينة يجب أن نحرص عليها : مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح» (٤:٣) لكنه يتكلم هنا عنها باعتبار كونها غاية يجب أن ننتهي إليها: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ». هنالك تكلم عن «وحدانية الروح» ، وهنا يتكلم عن «وحدانية الإيمان» . فالوحدانية التي علينا أن نحرص عليها هي وحدانية روحية، قائمة بين المؤمنين ، ما داموا هم مقيمين معاً في الروح الواحد : لكن الوحدانية التي يجب أن نسعى إليها كهدف مقدس، لا تتحقق لنا إلا بمعرفة ابن الله والنمو المضطرد في معرفته . فإن كنا الآن واحداً في الروح ، فسوف نعرف في النهاية ، معرفة يقينية اختبارية : أننا في المسيح.

هذا عدد غزير بالمعاني — كالبحر الطامي ، تعج أمواجه بعضها فوق بعض ، وكمنجم غني تتجمع كنوزه بعضها فوق بعض ، وكجبل عال أشم ترتفع قممه المسنمة بعضها فوق بعض : « إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله» — هذه قمة عالية تعقبها قمة أخرى رفيعة : « إلى إنسان كامل» — وفوقهما تمتد أعلى القمم وأسماها: « إلى قياس قامة ملء المسيح ».

ما أقوى ساعديك يا رسول الأمم ، وما أثبت قدميك ! فلقد بلغت قمماً على جبال المعلنات الإلهية ، لم يبلغ مثلها المستكشفون في عالم الطبيعة ! أولئك عجزوا عن أن يرتقوا قمة «افرست»، وأنت قد بلغت في معلناتك درجة سامية رفيعة ، فأسمعتنا شيئاً عن « قياس قامة ملء المسيح ».

القمة الأولى : وحدانية الإيمان بابن الله ومعرفته : «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله». من هذا يتبين لنا أن المواهب

ومعرفة ابن الله

الروحية والوظائف الكنسية ، ليست غاية فى ذاتها ، لكنها وسيلة لغاية ، ومتى تحققت الغاية ، بطلت الوسيلة — هذه الغاية هى البلوغ إلى وحدانية الإيمان بابن الله ومعرفته .

قد يرى لنا لأول وهلة ، أن فى كلام الرسول هنا شيئاً من الغرابة — إذ كيف يكون الإيمان والمعرفة غاية الغايات ، حال كونهما من بسائط الأوليات فى المسيحية ؟ أليسا هما أول باب في هيكل المسيحية ؟ فكيف يحسبهما الرسول غاية قصوى ؟ على أن هذه الغرابة تزول وتنتفى متى ذكرنا أن الايمان على درجات ، وكذلك المعرفة . فالإيمان المقصود ، هو إيمان الثقة التامة اليقينية المسلمة . والمعرفة المقصودة هنا هى المعرفة الاختبارية الكاملة ، الشاملة ، الملمة بالدقائق هذا الايمان الوطيد الوثيق ، وهذه المعرفة الروحية الشاملة الكاملة هما الهدف الأسمى أمام الكنيسة ، وهما غاية الغايات فى « الوحدانية الروحية المقدسة » . أما الإيمان الضعيف المبتور ، والمعرفة الناقصة الموتورة ، فهما فى الغالب علة الإنقسام وبلبلة الأفكار (اطلب رومية ١٤ : ١ — ١٥ : ٧) . فكما أن الثمرة الناضجة تكون لذيذة للفم مغذية للجسم ، والثمرة الفجة مرة المذاق مؤذية للجسم ، كذلك الإيمان الوطيد والمعرفة الناضجة ، هما غاية الوحدانية ، والإيمان الناقص والمعرفة الضئيلة هما علة الإنشقاق . الإيمان الضعيف كالنبتة الضعيفة تميل مع كل ريح . والمعرفة الناقصة ترى جانباً واحداً فقط وتستمسك به فتخطىء كل من يرى غير ما ترى . ومن هنا ينشأ الإنقسام .

موضوع هذا الإيمان الكامل وهذه المعرفة الشاملة : « ابن الله » .

إلى إنسان كامل

حرىٌّ بالاعتبار، أن هذه هي المرة الوحيدة، التي ذُكر فيها فادينا بهذا اللقب الممتاز في هذه الرسالة. فلابد أن يكون لدى الرسول قصد معين من ذكره هذا اللقب الجليل، سيما وأنه ذكر كلمة «المسيح» مرتين في هذه المناسبة — الأولى في آخر عدد ١٢ والثانية في آخر عدد ١٣. كذلك فعل بولس في رسالته إلى غلاطية ٢: ٢٠ «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان — إيمان ابن الله الذي احبني وأسلم نفسه لأجلي». فالذي صلب لأجل بولس، والذي يحيا في بولس، هو المسيح. لكن موضوع إيمان بولس ومحبته هو «إبن الله». فقد استعمل لقب «ابن الله» إظهاراً لجلال شخص المسيح واجلالاً لتضحيته وعظمة مجده (يو ١٧: ٥). وكذلك في هذا العدد الذي نحن بصدده، حين أراد الرسول أن يبين صلة الفادي بالكنيسة، وصفه بقوله: «المسيح». ولكن حين أراد أن يتكلم عنه باعتبار كونه موضوع معرفة المؤمنين وإيمانهم، وصفه بقوله: «ابن الله»، تعبيراً عن جلال مجده وسمو صلته بالآب، وعظمة شخصه الذي جعل المؤمنين واحداً في العائلة الواحدة المقدسة التي يرأسها الآب.

القمة الثانية: البلوغ: «إلى إنسان كامل». يراد بهذا التعبير أن جميع المؤمنين ينمون معاً في الإيمان والمعرفة، كأعضاء حية في جسم حيّ نامٍ، فيكوّنون كلهم معاً — في النهاية — إنساناً واحداً بالغاً حد الرجولة الكاملة. فعلى كل مؤمن حي أن يخرج من دائرة ذاته الضيقة الناقصة، متوجهاً في نموه

إلى قياس قامة ملء المسيح .

نحو الآخرين، ليكونوا إياهم رجلاً واحداً، على اعتبار أن دور الطفولة قد مضى وانقضى . والملاحظ، أن الرسول، في هذا العدد، شبه جسد المسيح — الذي هو كنيسته — بجسم بشري ينمو من الطفولة إلى الرجولة .

القمة الثالثة : القياس الأعلى : «إلى قياس قامة ملء المسيح». هذا هو أعلى قياس موضوع أمام الكنيسة تسعى إليه أبد الدهر. فهو يرتقي فوقها وهي تسعى إليه، فيكون لها أقوى حافز على النمو، وأشد باعث على التقدم، وافعل منشط على الارتقاء : « قياس قامة ملء المسيح ».

لا يفوتنا أن الرسول ذكر في موضع سابق من هذه الرسالة: أن الكنيسة هي « ملء المسيح »، إذ قال فيها أنها : « ملء الذي يملأ الكل »(١: ٢٣). لكن « ملء المسيح » هنا هو أكثر من الكنيسة وأعلى منها وأوفى، بمقدار تفوق الرأس على الجسد، وعلوه فوقه، وسيادته عليه . هو مجد المسيح الغني الكامل الذي سيعلن عند إتمام آخر مرحلة في برنامج الفداء . فهو إذاً اكتمال غنى مجد المسيح العتيد.

ان هذا التعبير « ملء المسيح » يذكرنا بتعبيرين آخرين ذكرهما الرسول في رسالتين أخريين — أحدهما . «ملؤ الأمم» (رومية ١١: ٢٥). والثاني : « ملء الزمان » (غلاطية ٤: ٤). ويلاحظ الدكتور مولية أن ملء المسيح هو ملؤ الرأس والجسد معاً (١ كورنثوس ١٢: ١٢) . فملؤ الرأس، في كمال الجسد، وملؤ الجسد، في كمال الرأس (أطلب شرح ١: ٢٣) .

١٤ كى لا نكون فى ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين

رابعاً : كيفية البلوغ الى هذه الغاية : (٤: ١٤–١٦)

عدد ١٤ | (١) سلباً عدم التصاغر (٤: ١٤)

ثار شيء من الجدل بين بعض المفسرين حول الكلام الذى يُعتبر هذا العدد مكملاً له. وفى اعتقادنا أنه يتصل رأساً بالعدد الحادى عشر: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ... » ... « كى لا نكون فى ما بعد أطفالاً ». هذا هو الجانب السلبى من القصد الإلهى بهذه العطايا. فى رسالة أخرى نصح الرسول المؤمنين «أن لا يكونوا أولاداً فى أذهانهم بل أولاداً فى الشر» (١ كو ١٤: ٢٠). إذاً من الجائز للمؤمنين، بل من الواجب عليهم، أن يكونوا أطفالا — ولكن في الشر والمكر والخداع. ولكن لا يليق بهم أن يكونوا أولاداً فى عدم النضوج، والانصياع، والانخداع فإن كان من الواجب عليهم أن لا يخدعوا أحداً، فمن أوجب الواجبات عليهم أن لا ينخدعوا بأحد. وقد انتقى الرسول إستعارتين فى وصف الأطفال وسرعة تقلبهم : الاستعارة الأولى : قوله «مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» — وفيها يتمثل الأطفال كسفينة تعبث بها الأمواج وتتقاذفها الرياح — وهى مماثلة للاستعارة الواردة في رسالة يعقوب : «المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه» (يعقوب ١: ٦). والاستعارة الثانية مبيّنة فى قوله : « بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال» — وفيها نتمثل بعض لاعبى النرد، الذين يحتالون على زهر النرد فيمسكونه بطريقة احتيالية ليضربوا به أرقاماً معينة.

بكل ريح تعليم بحيلة الناس

فالمؤمنون الناضجون، يجب أن يكونوا رجالاً بالغين راسخين، لا أطفالا كثيري التقلب: رجالا أقوياء التأثير، لا صبيانيين سريعي التأثر. يجب أن يكونوا أعمدة راسخة لا ريشة طائرة في مهب الريح. حكماء يزنون الحقائق ويمتحنون الأرواح، فيستميتون في سبيل الحق، لا جهلاء يستميلهم خداع الناس بمكر يفضي بهم إلى مكيدة الضلال.

فما أقوى الشرير وما أوسع حيل أعوانه وجنوده! . لأنهم يطلقون «التعاليم» المفسدة في الجو، كأنها «إنجيل آخر»، ليستميلوا بها صغار العقول وضعاف البصائر، محتالين عليهم بكل خداع ممكن، بقصد إيقاعهم في مكيدة الضلال.

«التعليم» المقصود هو عقيدة منحرفة عن جادة الحق، يراد بها إغراء العقول، والعبث بالأفهام، وإفساد القلوب، وتدنيس الحياة. إن هذا «التعليم» الذي هو غالباً مزيج من الحق والباطل — وشر الكذب ما كان ظاهره صدقاً — هو الذي يحمل ضعاف العقول وهزيلي القلوب، مثلما تحمل الرياح السفينة. ومتى لاحظنا أن الكلمة المترجمة «محمولين» هي من ذات اشتقاق الكلمة التي وصف بها لوقا الطبيب أحد الاختبارات التي اجتازها بولس الرسول في إحدى رحلاته: «ونحن نحمل تائهين» (أعمال ٢٧: ٢٧)، اتضح لنا أن بولس يتكلم هنا في عالم الروحيات، مستعيراً اختباراً مر به في عالم الماديات. وهكذا ينتفع الرسول بكل ما مر به، ويسخر لخدمة الإنجيل كل اختباراته.

بمكر إلى مكيدة الضلال . ١٥ بل صادقين

الكلمة المترجمة : « حيلة » كانت تستعمل عند الإغريق فى ألعابهم وتسلياتهم غير البريئة، ثم نقلها عنهم اليهود الرابيون واستعاروها فى آدابهم. ويقول إليكوت إنها تحمل معها جواً مفسداً مفعماً بتيارات التعاليم الشريرة.

وكلمة «مكر» تنطوى على التحفز لعمل أى شىء ، بصرف النظر عن المبدأ القويم ، وبغير اعتبار للحلال أو الحرام، مادام يؤدى إلى بلوغ الغرض الغير الشريف ، الموضوع نصب عينى الخادع ، المفترى ، المضل .

أما قوله : « مكيدة الضلال »، فلم يرد فى العهد الجديد سوى مرة غير هذه (٦: ١١)، وقد تُرجم هنالك إلى : «مكايد ابليس». وهو يصور لنا ذلك المجرب وأساليبه فى حبك الحيل، ونصب الفخاخ، علّه يوقع فيها أبناء النور، إذا استطاع ذلك سبيلا ، وهيهات ! !

وواضح أن الرسول لم يقصر همه على الضلال الفكرى ، بل تعداه إلى الانحراف الخلقى أيضاً .

(٢) إيجابا : النمو التصاعدى المنسجم | عدد ١٥و١٦

«فى المحبة» — بهذه العبارة يستهل هذا الفصل الغزير الشامل ، وبها أيضاً يختتم . وماذا — بل ومن — غير المحبة يصلح لأن يكون مطلع استهلال ، وحسن اختتام ؟ ! « بل صادقين فى المحبة ننمو » ... « يحصّل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة ».

يتراءى لنا ، من دراسة هذين العددين ، أن النمو الروحى شبيه بهيكل

حي ، له مقاييس وأبعاد ، وعلى هذا الاعتبار تقسم هذين العددين إلى :

ـ ا ـ عمق النمو	:	« صادقين في المحبة »
ـ ب ـ عرض النمو	:	« ننمو في كل شيء »
ـ جـ علو النمو	:	« إلى ذاك الذي هو الرأس ، المسيح »
ـ د ـ ناموس النمو	:	« الذي منه كل الجسد مركباً معاً »
ـ هـ درجة النمو	:	« حسب عمل ـ على قياس كل جزء »
ـ و ـ وحدانية النمو	:	« يحصّل نمو الجسد »
ـ ز ـ تاج النمو	:	« لبنيانه في المحبة »

ـ ا ـ عمق النمو : « صادقين في المحبة ». الكلمة اليونانية المترجمة «صادقين» تعني « حقّيّين » أي متمسكين بالحق ، ومتبعين إياه ، ومعترفين به وعاملين بموجبه . وللمفسرين رأيان في تفسير العبارة : «صادقين في المحبة ».

فالفريق الأول يرى أنها تعني التكلم بالحق بروح المحبة ، أي في حالة ما إذا شجر خلاف في الرأي بين شخصين — أو فريقين — من المؤمنين ، وكان كل منهما يعتقد أن الحق في جانبه ، فليعبر عن وجهة نظره بصراحة ، ولكن بروح المحبة . ليقل الحق مجرداً عن كل تمويه ، ولكن ممتزجاً بروح المحبة (*) . لأن النطق بالحق بروح البغضاء والعدوان ، يشوّه الحق ويشوّش على المناداة بالحق ، ويجعل الحق ثقيلا ، مكروهاً ، فينصرف الناس

(*) هذا هو المعنى الذي اتخذه المشيخيون الأمريكيون شعاراً لهم عندما انقسموا إلى « مشيخيين » ، و «مشيخيين متحدين » .

ننمو فى كل شىء

عنه بدلا من أن يقبلوا إليه . إذ من الصعب جداً ، بل من المحال، أن نحاول إقناع شخص بما نعتقده حقاً، ما لم نقنعه أولا بأننا نحترم رأيه و نحب شخصه. فلا ننس أن الذى قال : « مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم »، قد مهد لهذه العبارة بقوله : « قدسوا الرب الإله فى قلوبكم » وأردفها بالقول : « بوداعة وخوف » (١ بطرس ٣: ١٥).

ويرى الفريق الثانى أنها تعنى : « الصدق فى المحبة »، أى أن تكون محبة المؤمن لأخيه صادقة ، لا ريب فيها ، ولا رياء ، ولا مواربة . فبحسب رأى الفريق الأول ، تعتبر المحبة وصفاً للصدق . وبحسب رأى الفريق الثانى يحسب الصدق وصفاً للمحبة — وهو الرأى المتفق والترجمة العربية. ولكن لماذا لا يكون الحق وصفاً للمحبة، والمحبة وصفاً للحق، فنحب الحق ونكون فى محبتنا صادقين ؟ على أن حب الحق ليس مقصوراً على العلم بالحق ولا على التعليم بالحق ، بل يتعداهما إلى العمل بالحق، والتطبع بالحق، فيكون الحق طبعاً ثانياً فينا . ويجمل بنا أن نذكر كلمة قالها الأسقف هويتلى : « كل إنسان منا يود أن يكون الحق فى جانبه ولكن كم واحد منا يسعى بإخلاص ويهتم من كل قلبه ، بأن يكون هو فى جانب الحق ؟ يتمسك بعض الناس بالمحبة ، والبعض الآخر بالحق ، لكن المسيحى الحق يتمسك بهما كليهما.

وردت فى كتابات يوحنا الرسول عبارات عدة تلقى ضوءاً على هذه العبارة التى أوردها رسول الأمم ، نذكر منها : « كل من هو من الحق »

إلى ذاك الذى هو الرأس

(يوحنا ١٨ : ٣٧)؛ «تعلمون الحق» (١ يوحنا٢: ٢١)، «نعرف أننا من الحق» (١ يوحنا ٣: ١٩) ، « يثبت فى الحق » (يوحنا٨: ٤٤) ، « الحق فينا » (١ يوحنا ١ : ٨) ، « يعمل الحق» (يوحنا٣: ٢١) ، « سالكين فى الحق» (٢ يوحنا٤) ، يسلكون بالحق » (٣يوحنا٤).

و إذا كانت كلمة «فى المحبة » تصف ما قبلها فهى تصف أيضاً مابعدها

— ب — عرض النمو: « ننمو في كل شيء ». بما أننا أعضاء أحياء فى جسد حى — هو كنيسة المسيح، فلابد من أن ننمو ، لأن النمو علامة الحياة، والحياة تتطلب النمو . ولكى يكون هذا النمو متماثلاً ، يجب أن يشمل كل ما فينا : جسداً ، و نفساً ، وروحاً (١ تسالونيكى ٥: ٢٣)، فننمو فى كل الفضائل بحيث لا تنمو فضيلة ما على حساب الأخرى، فنكون تامين غير ناقصين فى شيء . فلا المحبة تعطل الحق ولا الحق ينتقص من المحبة. لا الوداعة تنال من عزة النفس ، ولا التسامح يطغى على الكرامة.

— ج — علو النمو : «إلى ذاك الذى هو الرأس — المسيح». هذا الرأس المقدس يعيّن اتجاه النمو : أنه سائر إلى أعلى. وهو أيضاً ضامن النمو وموحده. فما من خطر يبتلى به جسم حى ، يعادل خطر انحصار النمو فى عضو دون الآخر — هذا شر مرض يصيب الجسم ، لأنه تضخم وتورم ، لا نمو وتقدم. فكما أن جدار الهيكل المقدس ينمو متجهاً إلى تكوين القبة الوسطى الرئيسية التى تعتبر «مجمعاً» و «ملتقى» لهذه الجدران، كذلك كل عضو حى فى كنيسة المسيح الحية ، ينمو منصرفاً عن ذاته ومصلحته، منصرفاً إلى الرأس

المسيح ١٦ الذى منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة

الأوحد — المسيح. فالمسيح هو رأس كل عضو على حدة ، كما أنه رأس كل الجسد مجتمعاً معاً (١ كورنثوس ١١: ٣).

على أن الرسول ، إذا كان قد أبان هنا أن المسيح هو الرأس، فقد أظهر أيضاً أن المسيح هو كل الجسد ، مثله مثل الكرمة : فهى تتضمن الأصل والأغصان معاً (١ كورنثوس ١٢ ، ١٢ ، كولوسى ٣: ١١ ورومية ١٢: ٥).

عدد ١٦ | — د — ناموس النمو : «الذى منه كل الجسد مركباً ...»

رجع الرسول فى هذا العدد إلى الاستعارة المركبة التى تمثل فيها الكنيسة جسداً وهيكلا فى آنٍ واحد . فقوله : « مركباً معاً » ... « لبنيانه » ، مستعار من لغة البناء. وقوله : «موازرة كل مفصل ... ينمو»، مستعار من لغة الطب . وهو مماثل لقوله فى رسالة معاصرة لهذه: «الذى منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله» (كولوسى ٢: ١٩) . ولعل بولس استقصى هذه التعبيرات الطبية من لغة « لوقا الطبيب الحبيب» الذى كان على مقربة منه وقت كتابة هاتين الرسالتين، فذكره عند ختام ثانيتهما: « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب» (كولوسى ٤: ١٤) . أما لغة البناء فليست بأجنبية عنه ، لأنه يهوى الأصل ملمّ بتفصيلات الهيكل المقدس . وليس بغريب على شخص كان فى صناعة خيامياً، أن يكون ملماً بلغة البناء ، لأن الخيمة نوع من المسكن.

إن الفكرة الرئيسية التى أمام الرسول فى هذا العدد ، هى :وحدانية فى

كل مفصل حسب على قياس كل جزء

تنوّع، وتنوّع في وحدانية. فالجسد واحد والأعضاء مختلفة، ووظائفها مختلفة. ويمكننا أن نتبين قصد الرسول، متى ذكرنا الحقائق الآتية:

ان أعضاء الجسد كثيرة: ولكنها في تباينها مرتبطة بعضها ببعض بمفاصل وربط: وهي مستمدة حياتها وروح نموها من رأسها الأوحد: فهي إذاً متضامنة معاً في النمو: فكل منها يقوم بنصيبه من هذا النمو حسب طاقته: لكن كل عضو فيها لا ينمو لذاته، بل تنمو كلها معاً في اتجاه واحد علوي إلى الرأس: ولذلك فنموها هذا هو نمو الجسد الواحد المطبوع بطابع المحبة أولاً وآخراً.

—هـ— درجة النمو: «حسب عمل على قياس كل جزء». إن لكل عضو في الجسد مكانته، وهو يستمد من الرأس قوة على تأدية وظيفته. ولكل عضو قوة تقاس بمقدار العمل الذي عليه أن يقوم به نحو سائر أعضاء الجسد، وبالتالي نحو الرأس. وليس في هذا ما يميز عضواً عن آخر، مادام كل عضو يقوم بنصيبه من العمل المشترك.

الكلمة اليونانية المترجمة: «عمل» يجوز ان تترجم حرفياً إلى «فعل قوة». وقد وردت في العهد الجديد في كتابات بولس الرسول وحده (أفسس ١: ١٩، ٣: ٧، ٤: ١٦، فيلبي ٣: ٢١، كولوسي ١: ٢٩، ٢: ١٢، ٢ تسالونيكي ٢: ٩) وترجمها ألفورد إلى «قوة محركة» أو «قوة فعالة».

أما «قياس» كل عضو فهو طاقته، وقابليته، واستعداده، وامكانيته

يحصل نمو الجسد لبنيانه

وهو بالقياس إلى المؤمنين يختلف باختلاف أعمارهم، ومراتبهم، واستعدادهم العقلي، وقواهم الروحية.

—و— وحدانية النمو ونتيجته: « يحصّل نمو الجسد ». لقد مرّ بنا، أن أعضاء الجسد مرتبطة معاً بنظام إلهي محكم، وأنها تستمد حياتها من الرأس، وأنها تحتفظ بنسبتها إلى بعضها البعض، على قدر احتفاظها بنسبتها إلى الرأس. فكل عضو ينمو إذاً: لا بذاته ولا لذاته، بل بقوة الحياة المستمدة من الرأس، وبنسبته إلى سائر الأعضاء. فالعضو السليم لا ينمو على حساب سائر الأعضاء بل معها وبالنسبة لها، ونتيجة نمو كل عضو على حدة: هي نمو الجسد الواحد وبنيانه.

—ز— تاج النمو: « لبنيانه في المحبة ». المحبة هي الأساس، والمحبة هي التاج. فلا يمكننا أن نشرع في النمو إلا إذا كنا متأسسين ومتأصلين في المحبة. والظاهر أن الرسول إذ حاول أن يجيد التعبير عن الحقائق الجميلة، الغزيرة، السامية. التي ازدحم بها فكره النيّر الملهم، التجأ إلى لغة البناء مستعيراً منها بعض التعبيرات. لكنها لم تسعفه في البلوغ إلى قصده، فمضى إلى لغة الطب مستعيراً منها بعض الألفاظ لكنها هي أيضاً خانته، فلم يجد أمامه متسعاً إلا في لغة المحبة، فمضى إلى هذا البحر الزاخر الفياض — بحر المحبة، فوجد ما أراد وزاد. فبالمحبة بدأ هذا الفصل، وبالمحبة اختتمه.

وكما أنه ذكر في بدء هذين العددين أن المسيح هو الغاية التي نتوجه إليها في نمونا، أوضح عند الختام أن المسيح هو النبع الذي منه نستمد نمونا. فهو

في المحبة ١٧ فأقول

الأصل وهو المآب. كذلك المحبة هي الأول وهي الختام. أليست المحبة هي المسيح متجسداً أو ليس المسيح هو المحبة متكاملة، بأفصح لسان، وأبدع بيان؟

يجمل بنا في نهاية هذا الفصل أن نستجمع أمام ذهن القارىء الحقائق الرئيسية الثلاث التي مرت بنا في هذه الرسالة:

الحقيقة الأولى: قصد الله الأزلي أن يجمع كل شيء في المسيح (١: ١٠، ٢: ١٥، ٣: ٤).

الحقيقة الثانية: سر المسيح قد أعلن بالصليب، وبه يصير اليهودي والأممي إنساناً واحداً (٤: ٣)

الحقيقة الثانية: وحدانية في تنوع، وتنوع في وحدانية، بهما تبنى كنيسة المسيح إلى قياس قامة ملئه (٤: ١٤).

---

(٢) المسيحي في حياته الجديدة (٤: ١٧ — ٦: ٣٤)

أولاً: المسيحي في حياته الشخصية (٤: ١٧ — ٢٣)

(١) مبادىء الحياة العتيقة، ومبادىء الحياة الجديد (٤: ١٧ — ٢٤)

عدد ١٧ — ١٩	١ ـ الجانب السلبي، خلع الإنسان العتيق

رأينا أن نثبت هنا ترجمة الآباء اليسوعيين للعددين ١٥ و١٦ لعلها تلقي ضوءاً على شرحهما « بل نصدق بالمحبة فننمو في كل شيء للذي هو الرأس للمسيح الذي منه كل الجسد يتسق ويتلاءم بكل المفاصل المتعاونة. فبحسب العمل الذي يناسب كل عضو ينشىء لنفسه نمواً لبنيانه في المحبة »

هذا

(٤:١٧ — ٢٢). ما أكثر التوازن والطباق فى كتابات بولس الرسول! فتارةً يصور البشرية فى صورة قاتمة كالغروب، حالكة كالليل. وطوراً يرسمها صورةً مشرقة. كالشمس، مشرقة كالصباح — وهو فى كلا الحالين، مصيب كبد الحقيقة. فالبشرية فى سقوطها قد هوت إلى أسفل هوّة لدرجة، لم يبق دونها مكان تهوى اليه، ولكن لما افتداها مخلصها الفريد، قد رفعها إلى أوج القداسة، ليسمو بها إلى قياس قامة ملئه السامى المجيد

ما أعظم التباين بين صورة البشرية كما رسمها بولس فى الأصحاح الأول وبين هذه التى نراها مرتسمةً أمامنا فى هذا الأصحاح! فى الاصحاح الأول، نلمح البشرية المفتداة محلّقة فى جو الأعالى حتى «أجلست مع المسيح فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمّى» لكننا فى هذا الاصحاح نراها فى حالتها الطبيعية، متمرغة فى حمأة الآثام والشرور، مولعة بآثامها إلى حد التهوّر والفجور: «أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع»

تُستهل هذه الأعداد بحرف الفاء: «فأقول» دليلاً على أن الرسول عاد إلى استئناف حديثه الذى بدأه فى العدد الأول من هذا الأصحاح: «فأطلب اليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة»، فعاد إلى اتمامه قائلا: «فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً» (عدد ١ و١٧). والظاهر أن الرسول، بعد أن شرع فى بدء هذا الأصحاح فى الإدلاء بالواجبات العملية، عرّج على هيكل الوحدانية

المقدس، وأرانا ما فيه من وحدانية فى تنوع، وتنوع فى وحدانية، ثم عاد إلى اتمام حديثه عن: واجبات المسيحى فى حياته الجديدة (٤: ١٧ — ٦: ٢٤)

وهذه تتناول أربع نواح: أولا: واجبات المسيحى فى حياته الخاصة (٤: ١٧ — ٣٢). ثانياً: واجبات المسيحى فى حياته الاجتماعية (٥: ١ — ٢١): ثالثاً: واجبات المسيحى فى حياته البيتية (٥: ٢٢ — ٦: ٩)

رابعاً: واجبات المسيحى فى جهاده الروحى (٦: ١٠ — ٢٠)

أولا: واجبات المسيحى فى حياته الخاصة (٤: ١٧ — ٣٢).

أرانا الرسول هذه الواجبات فى جانبين:

أولهما: سلبى، يستهل بقوله: «أن لا تسلكوا» (٤: ١٧ — ٢٢)

والثانى: إيجابى، يستهل بقوله: «وتتجددوا بروح...» (٤: ٢٣ و ٢٤)

عدد ١٧ الجانب السلبى (٤: ١٧ — ٢٢) « ... فأقول هذا واشهد فى الرب أن لا تسلكوا». فى الأعداد السابقة، وصف الرسول كنيسة المسيح وصفاً مزدوجاً، فأرانا إياها واحدة فى رأسها وروحها، منوعة فى عدد أعضائها والوظائف التى يقومون بها. غير أن هذه الكنيسة ليست قائمة فى السماء ممجدة، لكنها كائنة على الأرض مجاهدة. فهى محاطة بالعالم من كل صوب، فمن المحتم أن يكون مسلك أعضائها مخالفاً لمسلك أهل العالم، منافياً لتصرف رجال هذا الدهر. ولم يكن بولس فى حاجة إلى أن يمضى بهم بعيداً لكى يريهم مسلك أهل العالم، إذ يكفيه أن يوجه نظرهم إلى مسلك الأمميين المحيطين

فى الرب

بهم . وغير خاف أنهم هم كانوا ضمن الأمم الوثنية التى عاشت فى الأرض فساداً ، عائشة بحسب شهوات الفجور . هذا هو الخطر الأصفر الذى حذرهم منه فى الستة الأعداد الآتية . التى يتألف منها هذا الجانب السلبي ، فناشدهم «فى الرب» ، كمسيحى يخاطب مسيحيين ، أن لا يعودوا إلى المسلك الشائن الذى سلكوه قبلاً . وكان فى إشارته هذه حكيماً لبقاً ، فلم يسمح لنفسه بأن يذكرهم بسلوكهم — مع أن له كل الحق فى ذلك ، لأن رسالة الانجيل لا تحابى بالوجوه — لكنه اكتفى بأن حذرهم من مسالك سائر الأمم ، كأنه أراد أن يسمو بهم فوق مستوى هذه الزمرة ، حاسباً إياهم من زمرة إسرائيل الروحى (غلاطية ٦:‏١٦). فالناس فى عرف الرسول على ثلاث فرق: «يهود» «ويونانيون» ، «وكنيسة الله» (١ كو ١٠:‏٣٢). وقد بنى الرسول كلامه فى هذه الأعداد (٤:‏١٧—٢٢) على كلمتين رئيسيتين — أولاهما : «هم»[1] (٤:‏١٧—١٩) . والثانية : «أنتم» (٤:‏٢٠ و٢١).

الكلمة الأولى فى الجانب السلبي — «هم» (٤:‏١٧—١٩)

أهمية الطلب الذى تقدم به بولس إلى المكتوب إليهم: «فأقول هذا واشهد فى الرب» — هذه العبارة مفعمة قوة وسلطاناً ، ووقاراً ، وتخشعاً ،

(١) إن كلة «هم» غير مقصورة على الأمميين الذين لم يعترفوا بالمسيح علانية بل تشير أيضا إلى قوم هم مسيحيون اسما لكنهم وثنيون فعلا . كما يستفاد من قول الرسول فى عدد ٢٠ «وأما أنتم فلم تتعلموا هكذا» . قابل هذا بما جاء فى رسالة فيلبى ٣:‏١٨ .

أن لا تسلكوا

دليلا على أن الطلب الذى تقدم به الرسول إلى المكتوب إليهم، هو غاية فى الأهمية والخطورة. وهل من أمر يحاكى فى دقته وخطورته، مسلك المؤمن فى حياته العملية؟ أليس السلوك عنوان الحياة، والحياة مترجمة عن العقيدة، والعقيدة رمز الإيمان؟! إننا نتخيل الرسول الجليل الذى «احنى ركبته لدى أبى ربنا يسوع المسيح» مصلياً لأجل المكتوب اليهم، وإذا هو الآن يبسط يديه — وسلسلة السجن مطوّقة معصمه — موصياً ومناشداً هؤلاء الأمميين، كما فى حضرة الرب يسوع المسيح ديان الأحياء والأموات — «أن لا يسلكوا كما يسلك سائر الأمم . . . بل يتجددوا بروح ذهنهم». هذه أبلغ لغة يكتبها مسيحى إلى مسيحيين. فلقد عرفهم الرسول أن المسيح هو رأس الكنيسة، وبالتالى هو رأس كل عضو على حدة، ورأس جميع الأعضاء متحدة معاً. فالمسيح إذاً هو أبلغ حجة يستخدمها عضو مع عضو آخر. لأن الرسول إذ يناشدهم «فى الرب»، يعلن لهم «فكر المسيح»

الكلمة المترجمة: «اشهد» لم ترد فى العهد الجديد إلا فى كتابات بولس الرسول وخطاباته (غلاطية ٥:٣، وأعمال ٢٢:٢٦). وهى تنم عن عظمة الشعور، وجلال التقدير.

وقوله «فى الرب» ورد ٤٥ مرة فى العهد الجديد فى كتابات بولس، والظاهر أن الرسول وجد فى هذه العبارة الجليلة: «فى الرب» منجماً غنياً بلآلىء المعانى، فكان يستخرج منه الحجة بعد الحجة، والبرهان تلو البرهان، ليؤيد بها كلامه فى جلّ المناسبات (غلاطية ٥:١٠، أفسس ٦:١).

فى ما بعد

ومن فرط حبه للفادى المجيد ، كرر العبارة : «فى المسيح » — وما يماثلها، ٨٠ مرة فى كتاباته وخطاباته.

ماهية الطلب الذى تقدم به الرسول إلى المكتوب إليهم :

السلوك فى جدة الحياة: « إن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً» يفترض الرسول فى كلامه هذا ، إن المكتوب اليهم قد ولدوا ثانية وأنهم منذ ولادتهم الجديدة قد أصبحوا خليقة جديدة. « فالأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً » (٢ كورنثوس ٥ :١٧). فأرادهم الرسول أن يجعلوا هذا المبدأ النظرى ، حقيقة اختبارية عملية فى حياتهم بالسلوك : (اطلب شرح كلمة «تسلكوا» فى ٢ :٢، ١٠ من هذه الرسالة).

لاحاجة بنا إلى القول إن الرسول لم يطلب من المكتوب اليهم شيئاً مادياً يعود عليه أو على كنيسة من كنائسه، لكنه طلب منهم سلوكاً شريفاً يعود بالخير عليهم، ويمجد اسم الله . إنه « لم يطلب مالهم ، بل إياهم »

ولكى يجيد الرسول وصف جلال الحياة الجديدة فى كمال جمالها، عرج على وصف الحياة العتيقة ، مجرداً إياها عن كل تمويه كاذب ، إذ خلع عنها البرقع الخادع الذى طالما احتجبت به ، فأرانا إياها فى شناعتها الخاطئة. وإذا كان وصف الرسول للحياة العتيقة مرتكزاً على كلمة : «هم» (عدد ١٨) ، وإذا كان وصفه للحياة الجديدة مرتكزاً على كلمة : «أنتم» (عدد ٢٠)، فان الفاصل بين هذين الوصفين، هو قوله: « فيما بعد» — وهو ليس مجرد فاصل تاريخى ، لكنه فاصل روحى — كذلك الذى يفصل بين الجحيم والنعيم!

كما يسلك سائر الأمم أيضاً

الجانب السلبي — الحياة العتيقة — سلوك الأمم: (هم) : « . كما يسلك سائر الأمم أيضا ببطل ذهنهم. إذهم». في هذا الجانب السلبي، وصف الرسول حالة الأمم في سلوكهم ، وصفاً عاماً مجملا في قوله : « يسلك . . . الأمم ببطل ذهنهم » (عدد١٧) ، ثم فصَّل هذا الوصف في سبع عبارات تصف علل هذه الحالة و نتائجها: « مظلمو الفكر » ، « متجنبون عن حياة الله » : « لسبب الجهل الذي فيهم » ، « بسبب غلاظة قلوبهم » (عدد١٨) ، «قد فقدوا الحس» ، « أسلموا نفوسهم للدعارة » ، ليعملوا كل نجاسة في الطمع » (عدد ١٩) . وكلها عبارات مركزة ترسم أمامنا صورة مظلمة قاتمة تحاكي تلك الصورة الحالكة السواد، التي رسمها الرسول في الأصحاح الأول من رسالة رومية . ويغلب على اعتقادنا أنهما ليستا صورتين منفصلتين بل هما لوحتان مكملتان لصورة واحدة — فاللوحة الأولى المرتسمة في هذه الرسالة (افسس٤:١٧ — ٢٠) ترينا المسلك الفاسد ، الذي تؤول إليه حالة البشر عند ما يسلمون أنفسهم للدعارة(أفسس٤:٢٠) .والصورة الثانية المبيَّنة في رومية١ :١٨ —٣٢، ترينا المسلك الشائن الذي تنتهي إليه حياة البشر عند مايسلمهم الله إلى أهواء الهوان — بدليل تكرار العبارة: «أسلمهم الله ثلاث مرات في «الخطوط» التي تكوّن تلك الصورة (رومية١:٢٤و٢٦و٢٨) فلا سبيل لله مع من يسلمون أنفسهم للدعارة، إلا أن يسلمهم هو إلى أهواء الهوان . ومن الملاحظ أن النقطة المركزية في كل من اللوحتين واحدة :

ببطل ذهنهم ١٨ اذهم

« مظلمو الفكر » (أفسس ٤ : ١٨)... « اظلم قلبهم » (رومية ١ : ٢١) . والصبغة النهائية فى كل منهما تكاد تكون واحدة : « ببطل ذهنهم » (أفسس ٤ : ١٧) ، « ذهن مرفوض » (رومية ١ : ٢٨).

الوصف العام المجمل : « ببطل ذهنهم » . الكلمة اليونانية المترجمة « بُطل » ، لا تعنى الذهن المنتفخ ببطل الكبرياء ، لكنها تعنى الذهن الأجوف ، العاطل ، الخالى من « كل ما هو حق ، وجليل ، وعادل ، وطاهر » ، لا شيء فيه من ماء نبع العلم أو المعرفة . بل كل ما فيه وهْم خادع وسراب خلاَّب كاذب . وقد وردت الكلمة عينها فى رومية ٨ : ٢٠ « إذ أُخضعت الخليقة للبطل » — تعبيراً عن الشر الذى ينتهى دائماً بالفشل و « قبض الريح » . وإن شئت قل هو ذهن بغير اتجاه ، كسفينة بغير دفة ولا بوصلة

والكلمة المترجمة « ذهن » لا تعنى العقل فقط ، لكنها تتناول القوى المميزة للحق . وقد تُترجم إلى « البصيرة » وهى وردت فى كولوسى ٢ : ١٨ لتفيد القوى العقلية بوجه عام سواء فى الإنسان المتجدد ، أم فى الغير المتجدد .

عدد ١٨ | الأوصاف التفصيلية السبعة (٤ : ١٨ و ١٩) . فى هذين العددين فصَّل الرسول ذلك الوصف الذى أجمله فى العدد السابق : « ببطل ذهنهم » ، فذكر سبعة أوصاف أربعة منها فى العدد الثامن عشر ، وثلاثة فى العدد التاسع عشر : (١) ظلام فكرى : « إذ هم مظلمو الفكر » (٢) موت روحى : « متجنبون عن حياة الله » . (٣) « جهل مستقر » :

مظلمو

« لسبب الجهل الذى فيهم » . (٤) جحود قلبى : « بسبب غلاظة قلوبهم » . (٥) جمود فى الإحساس : « إذ هم قد فقدوا الحس » . (٦) تدهور فى الإرادة « أسلموا نفوسهم للدعارة » . (٧) تهوّر خُلُقى : « ليعملوا كل نجاسة فى الطمع » .

هذه أوصاف جامعة ، شاملة لكل قوى الإنسان وملكاته — « كل الرأس مريض وكل القلب سقيم . من أسفل القدم إلى الرأس ، ليس فيه صحة » (إشعياء ١ : ٥ و٦) فالفكر مظلم ، والحياة الروحية منقطعة ، والنفس الباطنة عمياء . والقلب غليظ ، والعاطفة جامدة ، والإرادة منعدمة ، والخلق متهدم . أو عبارة أخرى ، الحياة مفسدة فى كل أركانها ومظاهرها — من عقلية ، وروحية ، وأدبية ، وجسدية .

يلوح لنا أن الوصف الأساسى فى هذه الأوصاف السبعة ، هو الوصف الرابع ، الكائن فى الوسط — كأنه مركز الدائرة — وهو : غلظ القلب : « لسبب غلاظة قلوبهم » . فبسبب غلاظة قلوبهم تحكّم الجهل فيهم ، وبسبب الجهل الذى فيهم ، صاروا متجنبين عن حياة الله ، فأظلمت أفكارهم ، وأدرك البطل ذهنهم . عندئذ فقدوا الحس ، فاستسلموا للدعارة ، فتهوّروا فى ارتكاب النجاسة بفرط الطمع .

إذا تتبعنا الترتيب المنطقى لهذه الأوصاف كمن يتتبع مجرى نهر ليعرف منبعه ومصبه ، وجدنا المنبع فى الوصف الرابع : غلظ القلب « بسبب غلاظة قلوبهم » والمجرى ، فى ذلك الوصف المجمل الشامل : « بطل ذهنهم » ، والمصب

الفكر

في الوصف السابع: التهور الأخلاقي : «ليعملوا كل نجاسة في الطمع »

وإذا نظرنا إلى هذه الأوصاف نظرتنا إلى شجرة مثمرة — وما أمر ثمارها — وجدنا البزرة في الوصف الرابع : «غلاظة قلوبهم » ، والساق في الوصف المجمل الشامل: « بطل ذهنهم»، والثمار في الوصف السابع النهائي : «ليعملوا كل نجاسة في الطمع»

الآن وقد ألقينا نظرة عامة على هذه الأوصاف مجتمعة، يجمل بنا أن نتقدم لتلقي لمحة عاجلة على كل وصف منها على حدة .

(١) ظلام فكري : « إذ هم مظلمو الفكر » . الكلمة اليونانية المترجمة «فكر » (نوس) تعني الذهن في حالة النشاط والتفكير. وإذا كان الذهن الذي هو أداة التفكير والتمييز مظلماً ، فكل الأفكار الصادرة عنه «ظلام في ظلام. لأن الثمرة مشتقة من الشجرة.

عجيب أن بولس يصف الذهن الوثني بأنه «مظلم»، في وقت قد بلغت فيه فلسفة اليونان والرومان مبلغاً عظيماً بفضل ماجادت به قرائح جبابرة العقول أمثال بركايس،وفدياس،وسوفوكايس ، وأفلاطون،وأرسطاطيس، لكن فلسفتهم كانت جوفاء، وحكمتهم غبياء لاتؤدي إلى نتيجة ،ولا توجه إلى غاية معينة . فبعد أن تعمق بلاطيس في دراستها هز كتفيه في وجه مخلصنا وفادينا قائلاً: «وما هو الحق؟» .ولما تغلغلت هذه الفلسفة في أهل أثينا صاروا «لا يتفرغون لشيء آخر إلا لأن يتكلموا أو يسمعوا شيئاً حديثاً» —

ومتجنبون عن

ولكن من غير أن يصلوا إلى نتيجة ! «فبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» . فاذا كان النور الذى فيهم ظلاماً ، فالظلام كم يكون ؟»

يُكنى «بالظلام» فى العهد الجديد ، عن العمى، والخطية والاشارة هنا منصرفة إلى المعنى الأول . (انظر متى ٦:٢٣ ويوحنا ٣:١٩ ، ٨:١٢ ، ١٢ : ٣٥ و٤٦ وأعمال ٢٦:١٨ وكولوسى ١:١٣ و ١ تسالونيكى ٥:٤،٥ ، ١ يوحنا ١:٥ ، ٦ ، ٢:٨ ، ٩ ، ١١ وأفسس ٥:٨ و١١ و ٦:١٢) . هذا الظلام عكس «الانارة» التى طلبها الرسول للمكتوب إليهم (أفسس ١:١٨)

(٢) **موت روحى** : «متجنبون عن حياة الله» — الكلمة المترجمة «متجنبون» تفترض أنهم كانوا متمتعين ، أوعلى الأقل لهم حق التمتع بحياة الله ، ولكنهم تغربوا عن هذه الحياة إذ أبعدوها عنهم بإغلاق قلوبهم المظلمة دونها . إذ من المسلم به أن الله خلق الإنسان ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فمن حق الإنسان أن يحظى بهذه الحياة . ولكن فى طاقة الإنسان أن يبطل مشورة الله من جهة نفسه ، إذا «تجنب» الطريق الذى رسمه له الله ، فيصبح متغرباً عن هذه الحياة الإلهية و«أجنبياً» عنها . فى مناسبة سابقة ، استعمل الرسول نفس هذه الكلمة ، وصفاً لحرمان الأمميين الوثنيين من رعوية إسرائيل : «أجنبيين عن رعوية إسرائيل» (٢:١١و١٢). ولكن الحرمان من المزايا الاجتماعية ، لايعادل شيئاً بالقياس إلى الحرمان من حياة الله.

وجدير بالملاحظة ، أن الرسول لم يقل « أجنبيين » — كأن الحرمان حالة أصلية لهم — بل قال : « متجنبين » دليلاً على أن النفس البشرية ،

حيوة الله

بوجه عام ، كانت قبل السقوط متمتعة بحياة الله ، لكنها بسبب السقوط — الأصلي والفعلي — أضاعت نصيبها من حياة الله فأمست « متجنبة » عنها. فكأن النفوس البشرية تبتدىء مرحلتها في الوجود متمتعة بحياة الله(١) — كالياً ، ومتجنبة عن هذه الحياة — اختيارياً ، بسبب عمى البصيرة وغلظ القلب.

«متجنبين عن حياة الله» . الكلمة المترجمة «حياة» وردت هنا فقط في هذه الرسالة . وهي تعني الكيان الروحي المعطى للنفس البشرية باتصالها بالله . وقد أودع الله هذه الحياة في ابنه يسوع المسيح الذي قدمه لنا هبة مجانية . «وهذه هي الشهادة. أن الله أعطانا حياة أبدية. وهذه الحياة هي في ابنه» (١ يوحنا ٥:١١) . لقد كشف لنا المسيح عن «مفتاح» سر هذه الحياة، إذ قال في صلاته التشفعية : «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته».وأوضح الرسول بولس طريق نوالها بقوله «فاذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة» وعبر عنها يوحنا

---

(١) يعتقد الدكتور كانديليش ان «حياة الله» في هذه القرينة لا تعني بالضرورة الحياة الروحية التي ينالها المؤمنون المتجددون، لكنها تعني الحياة العامة التي قصدها يوحنا بقوله عن المسيح «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١:٤) وهي التي قصدها بولس بقوله: «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أعمال ١٧:٢٨). ولكننا نعتقد أن هذه الحياة العامة لا يمكن أن يصير الإنسان متجنباً عنها .

لسبب الجهل الذى فيهم

الرسول فى كمالها بـ«الحياة الأبدية» . «وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» (١يو ٣ : ١٥)، وهى حق لنا ، نتمتع به و نحظى فى هذه الحياة «كتبت إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية» (١يو ٥:١٣) . فالأبدية ليست مقصورة على وصف طول هذه الحياة لكنها تصفها أيضاً فى عمقها وسموها .

(٣) جهل مستقرٌ : «لسبب الجهل الذى فيهم». هذه علة «تجنبهم عن حياة الله» . فقد أضاعوا نصيبهم من حياة الله ، وظلوا على هذه الحال ، بسبب جهلهم الحقائق الأبدية عن الله وقداسته . وبسبب هذا الجهل تصبح النفس غير مقدِّرة قيمة حياة الله ، و تُمسى متباعدة عنها ، هاربة منها . قال المسيح فى هذا الصدد لمقاوميه من اليهود : «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى . لا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة» (يوحنا ٥:٣٩و٤٠)

وصف الرسول هذا الجهل بعبارة قوية : «الجهل الذى فيهم». فليس هو جهلاً يقعون فيه بين حين وحين ، لكنه جهل مستمر ومستقر فى قرارة نفوسهم ، ومستحكم على كل مشاعرهم .

ليس بعجيب أن يرينا الرسول أن الجهل هو علة الموت الروحى ، قد علمنا المسيح من قبل ، أن الجهل زميل لأقبح الخطايا : «لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنى ، فسق ، قتل ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل »

(مرقس ٧:٢١-٢٢) . ولعل في ذكر الجهل في آخر هذه القائمة ، دليلا على أنه ليس فقط مساوياً لهذه الخطايا و موازياً لها ، بل هو أيضاً علتها. إن نسبته إلى هذا التيار الجارف من الخطايا و الآثام ، كنسبة النبع إلى مجرى النهر. ولا يقلل من أهميته أنه ذُكر في آخرها لأن لسعة العقرب في ذنبها ! !

إن الجهل الموصوف هنا ليس صفة سلبية قاصرة على العجز عن الإدراك لكنه صفة إيجابية تقوم بالتسلح بنية معينة ، وإرادة ثابتة ، للترحيب بالظلام ورفض النور : «لا تريدون أن تأتوا إليّ ...» ، «كم مرة أردت... وأنت لم تريدي» ، «شعبي لا يعرف. اسرائيل لا يفهم... وشعبي هكذا أحب» .

كان في إمكانهم أن يستنيروا لو أرادوا ، لكنهم سدوا نوافذ قلوبهم ضد أشعة أنوار هذه المحبة : «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات: قدرته السرمدية ولاهوته . حتى أنهم بلا عذر . لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله ، بل حمقوا في أفكارهم ، وأظلم قلبهم الغبي» . غير أن الجهل الذي يُعتبر علة ، يحسب أيضاً نتيجة. فهو البزرة، وهو الثمرة ، لأن إطاعة النور تؤدي إلى النهار المتزايد، واختيار الظلام يقود حتماً إلى الليل المدلهم.

(٤) جحود قلبي : «بسبب غلاظة قلوبهم» — هذا الوصف علة الوصف السابق ، كما أن الوصف السابق علة ما سبقه من أوصاف: «لسبب الجهل الذي فيهم لسبب غلاظة قلوبهم» .

« القلب » كما عرفه الإغريق ، ليس مقصوراً على مركز العاطفة في

قلوبهم ١٩ الذين إذ هم فقدوا الحس

الإنسان لكنه يتناول أيضاً لعقل، والعاطفة، والإرادة والضمير (مرقس ٣: ٥ ، ٦: ٢٥ ، ٨: ١٧ ، يوحنا ١٢: ٤٠ ، ٢ كو ٣: ١٤).

الكلمة المترجمة « غلاظة » هي تعبير طبي يفيد التحجر والكتب

لا عجب إذا كان غلظ القلب علة هلاك الأمم ، فهو أيضاً علة هلاك اليهود منذ القديم ، كما يحدثنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الأسخاط يوم التجربة في القفر حيث جربني آباؤكم . . . لذلك قلت انهم دائماً يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي» (عب ٣: ٧—١١).

عدد ١٩ | (٥) جحود الإحساس: « الذين إذ هم فقدوا الحس » . في الأربعة الأوصاف التي مرت بنا ، عالج الرسول العلل التي تنتهي ببطل الذهن ، وفي الثلاثة الأوصاف التالية عالج النتائج التي ينتهي إليها بطل الذهن. وهي سائرة في نظام تدرجي — فمن تحجر في الشعور ، إلى استسلام للشرور ، إلى تهتك في الفجور !

«فقدوا الحس» — هذا وصف دمغ به قوم تخطوا منطقة الإحساس كأنهم أصيبوا بشلل . ولو كان تخطيهم هذا أفقياً — من اليمين إلى اليسار — أو عمودياً — من أسفل إلى فوق — لهان الأمر ، لكنه تخط إلى أسفل. لأنهم هبطوا إلى الدرك الذي لن يدركهم فيه الشعور والإحساس ، ولن تصل إليهم فيه وخزات الضمير ، إذ أصبحوا «بلا ضمير». مثلهم مثل مريض تخطى النقطة

أسلموا نفوسهم للدعارة

الفاصلة فى مرضه ، فانتقل إلى ظلمة القبر لا إلى الصحة والنور. هذه حال بالغة حداً كبيراً من الشقاوة والتعاسة.

يحدثنا بعض الروّاد عن نوع من النبات السامّ ، الذى إذا أكله المرء انطلق فى الضحك مقهقهاً ، حتى يموت على هذه الحال ! ويتحدث علماء الجيولوجيا عن أشجار تحجرت أخشابها بفعل العوامل الطبيعية، فأضحت كأنها قُدّت من الصخر . هذا هو التحجر الذى يتكون فى القلب نتيجة الخطية ، ومنه يحذرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين : «بل عظوا أنفسكم كل يوم مادام الوقت يُدعى اليوم لكى لا يُقسّى أحد منكم بغرور الخطية»

إن «فقدان الحس» تعبير مرادف «للموت الأدبى»

(٦) تدهور فى الإرادة : «أسلموا نفوسهم للدعارة»، الكلمة المترجمة «أسلموا» تنمّ عن خيانة كبرى، كتلك التى ارتكبها يهوذا عندما أسلم سيده لرؤساء الكهنة. والإنسان الخائن هنا ، هو الإنسان الذى باع نفسه وأسلمها للشر . وإذا ما قلنا «الإنسان» قصدنا إرادته الشريرة التى بيدها زمام حياته فخانته فى أعز ما لديه . لأن واجب الإرادة أن تسهر على النفس ، فتصد عنها وعيد الخطية ، وترفض مواعيدها الخلابة بأن تقول للخطية «لا». لكنها إذ تستسلم للخطية ، تسلّم لها النفس خيانة ، وغدراً ، وعدواناً.

وردت كلمة « دعارة » — فى اليونانية إحدى عشر مرة فى العهد الجديد . وهى فى اشتقاقها الأصلى تعنى الخروج عن حدود الاتزان ، والتمرد على قانون التعقل ، وضبط النفس .

ليعملوا كل نجاسة

(٧) تهور في الشر : « ليعملوا كل نجاسة في الطمع » . وردت كلمة «يعملوا» في العهد الجديد ضمن كتابات لوقا الطبيب وبولس الرسول وحدهما — في لوقا ١٢: ٥٨ بمعنى : « بذل الجهد » وفي أعمال ١٦: ١٦، ١٩، ١٩: ٢٤ بمعنى : « يكسب » ، وفي أعمال ١٩: ٢٥ بمعنى : « صناعة » أو « حرفة » . فهي إذاً تنطوي على معنى الكد ، والاحتراف ، والمهارة ، والتفنن . وهل من حالة أسوأ من هذه التي يهوي إليها الإنسان ، إذ يبذل جهده في الشر ، ويتفنن فيه فيصبح مهنته الخاصة وصناعته التي منها يعيش ، ولها يحيا ويتحرك ؟

إن قوله « في "طمع » يصف درجة توغلهم في النجاسة ، أي أنهم يرتكبون كل نجاسة بفرط الطمع ؛ فلا يتركون فيها باباً إلا ويطرقونه حتى لا يفوتهم لون من ألوانها ، ولا صورة من صورها . فعوامل النجاسة قد طغت فيهم على كل شيء آخر ، والجسد قد طمع على العقل والنفس ، فسلبهما حقوقهما ، وسخرها كلها لذاته ولذاته . لأن الكلمة المترجمة : « طمع » تعني حرفياً « تخطي حدود النصيب المعين » . فالانسان الطماع هو الذي يتخطى حدود النصيب المرتب له من الله ، ويتعدى على حقوق الغير ، لأنه لا يرى أمامه غير مصلحته الذاتية ، فلا يراعي سوى لذاته الخاصة . وهو لا يبالي بحقوق الآخرين إلا بقدر ما يستطيع أن يغتصبه منها ، ويستلبه لنفسه .

إن من يقرأ ما سطره المؤرخون عن حالة الرومان واليونان وقت كتابة هذه الرسالة ، يتبين له أن أولئك القوم سخروا أكلهم وشرابهم ، ونومهم ويقظتهم ، ومحال لهوهم وأمكنة عبادتهم ، وجدهم وهزلهم ، لتغذي فيهم عوامل

فى الطمع

الإثم والفجور : فلم تكن حكومتهم تبيح ارتكاب النجاسة فحسب ، بل كانت تشجع على ارتكابها ، وتبتكر للشعب منها أصنافاً وألواناً. فالنجاسة كانت وحي شعرائهم ، وإلهام ممثليهم وهدف مثاليهم.

على أن هذه ليست حال الأمميين الوثنيين وحدهم ، وإنما هى حال كل انسان غير متجدد (رومية ٣ : ١٠ — ١٨) . فهى حالنا كلنا — لولا نعمة الله!

لم ترد كلمة «طمع» فى العهد الجديد مقصورة على المال ، لكنها استعملت فى مواضع كثيرة — سيما فى رسائل بولس المكتوبة إلى الأمم — مقترنة بكلامه عن النجاسة (١ كو ٥ : ١١ ، ١ تس ٤ : ٦ ؛ أفسس ٥ : ٣ و ٥ ، كولوسى ٣ : ٥) . ويلوح لنا أن الرسول قرن كلمة «طمع» بكلمة «نجاسة» فى هذه القرينة وسواها ، لأن النجاسة والطمع مشتقان من مصدر واحد — هو حب الذات فالنجس والطماع يعبدان ذاتهمـــا ولذاتهما . وقد لوحظ بعد البحث والاستقراء أن النجاسة تقود الى الطمع ، فالإنسان الذى ينفق شبابه على النجاسة ، يكرس شيخوخته للطمع ! !

«النجاسة» .. «الطمع» . إن مرضاً واحداً من هذين الاثنين كاف لأن يقتل أكبر الجبابرة . فكيف بها اذا اجتمعا فى انسان واحد ؟! فالطامع لا يكتفى بضرب من ضروب النجاسة ، بل يريد أن يتمرغ فى كل حمأة ، والنجاسة تضع على المرء تكاليف باهظة فينفق فيها وينفق ، ولفرط إفلاسه يطمع فى حقوق الآخرين .

٢٠ وأما أنتم

| عدد ٢٠ | الكلمة الثانية فى الجانب السلبى : «أنتم» (٤: ١٧ ــ ١٩) |

«وأما أنتم» — وصف الرسول حياة الأمميين الوثنيين فى الأعداد الماضية، وفى نفسه غصاضة مرّة ، كتلك التى يشعر بها المصور الحساس عندما يُقضى عليه بأن يرسم صورة بشعة، أو كذلك الشعور الذى يخامر قلب حفار القبور، عندما يتحتم عليه أن يفتح قبراً أُغلق حديثاً فتنبعث منه روائح كريهة. فما كاد الرسول يتمّ تصوير الوثنيين فى حياتهم الفكرية ، والروحية والأدبية، حتى تنفس الصعداء وانتقل بسرعة إلى رسم هذه الصورة الجليلة الجميلة التى تمثل المسيحيين فى حياتهم الجديدة، فقال بنغمة الشاكر المشجع: «وأما أنتم»

إن موقف الرسول هنا ، يماثل موقف كاتب الرسالة إلى العبرانيين — ولعله بولس نفسه — عندما وصف المرتدين بكلمات مريرة، متكلماً من «اللعنة التى نهايتها للحريق» — ولعله خاف لئلا يتطرق إلى ذهن المكتوب إليهم شك من جهة موقفهم هم ، لذلك انتقل بهم حالاً إلى الجانب المنير ، مشجعاً إياهم ومواسياً «ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل» (عب ٧:٨ و ٩)

فى هذين العددين (٤: ٢٠ و ٢١) وصف الرسول موقف المؤمنين إزاء حياتهم العتيقة ، مبتكراً استعارة جديدة ، ترينا تلاميذ يتلقون الدرس فى مدرسة عالية. فالمكتوب إليهم هم «تلاميذ: «وأما أنتم». والمسيح هو الدرس والاستاذ ، والمدرسة : «لم تتعلموا المسيح هكذا إن كنتم قد سمعتموه».

فلم تتعلموا المسيح هكذا

ـــ ا ـــ التلاميذ : «وأما أنتم». وردت كلمة «أنتم» بصيغة التوكيد مقابل كلمة « هم » (عدد١٨)

ـــ ب ـــ الدرس والأستاذ والمدرسة ــ هذه كلها مجتمعة ومركزة في شخص المسيح. فالمسيح هو الدرس : «وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا». في البشائر الأربع، عرفنا المسيح معلماً، لكن بولس عرفنا إياه هنا أنه هو الدرس الذي يبتدىء الإنسان بتعلمه منذ وقت التجديد ، ويظل متفقهاً فيه حتى يدخل الأبدية، وهناك أيضاً يستمر متلقناً هذا الدرس البسيط جداً لدرجة يفهمه فيها الأطفال ، والعويص جداً لدرجة يعجز فيها العلماء عن سبر غوره . إن أهم درس هو معرفة «معنى المسيح». فالمسيح إذاً هو خلاصة التعاليم اللاهوتية، وهو جوهر كل المبادىء المسيحية، لأن المسيح هو المسيحية. فهو لم ينشر ديناً ، لكنه عرفنا عن شخصه ، فإن تعلمنا العقائد والعلوم اللاهوتية ولم نتعلمه هو ، فلا نكون قد تعلمنا شيئاً

أراد الرسول بكلمة «هكذا» تلك الصورة التي رسمها في الأعداد السابقة (١٧ ـــ ١٩). ويستنتج بعض المفسرين ، من هذه الكلمة ، أن الرسول يشير ضمناً إلى جماعة ممن دُعى عليهم اسم المسيح ، لكنهم ظلوا على حياتهم الأولى الفاسدة ، نظير أولئك الذين أشار إليهم بولس في رسالة معاصرة لهذه: «لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح فيلبي (٣: ١٨).

٢١ إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه

عدد ٢١ — ج — المسيح هو الاستاذ: «إن كنتم قد سمعتموه».

كلمة «إن»، فى هذا الوضع، ليست شرطيَّة، بل تحقيقيَّة يقينية. فهى لا تشترط أمراً لم يحدث بعد: لكنها تفترض وقوعه فعلاً وحقاً. فقوله: «إن كنتم قد سمعتموه» يُعتبر موازياً للقول: مادمتم قد سمعتموه حقاً ويقيناً، والظاهر أن الرسول التجأ إلى هذا الأسلوب الإنكارى — كما فى ٣: ٢ — ليجعل العمليات مؤيدة للنظريات.

ورد ضمير «الهاء» المتصل بالفعل: «سمعتموه» — فى الأصل — سابقاً للفعل لا لاحقاً له، على سبيل التوكيد: اياه «سمعتم». فمع أن المكتوب إليهم لم يحظوا بأن تتملى عيونهم من مرأى سناه، ولا بأن تتشنَّف آذانهم بسمع طيب حديثه ونجواه، الا أنهم سمعوه فى رسله الذين بعثهم بروحه الأقدس — وفى مقدمتهم بولس (يوحنا ١٠: ٢٧، أعمال ١: ١). وفوق ذلك، فأن المسيح هو الحق الذى سمعوه، وهو الرسالة التى بُلغت إليهم، وهو موضوع الكرازة التى انتهت إليهم. فهو لم يعلن لنا حقاً، بل هو الحق. ولم يرنا طريقاً، بل هو الطريق: ولم يدلنا إلى سبيل الحياة، بل هو الحياة

— د — المسيح هو المدرسة: «وعُلِّمتم فيه». هذه العبارة مكملة لسابقتها، كما أن سابقتها مفسرة لها. والمراد بها: أن المؤمنين إذ عرفوا المسيح وهم فى روح المسيح متحدون به إتحاداً حيوياً. فصار فكر المسيح فكرهم، واضحت لغة المسيح لسانهم، وأمست إرادة المسيح عزيمتهم، وبات حب

كما هو حق فى يسوع

المسيح غذاء عاطفتهم ووجدانهم: «وأما نحن فلنا فكر المسيح» (١ كو ٢: ١٦)

هـ — منهج التعليم : « كما هو حق فى يسوع » . هذه هى المرة الوحيدة التى ذكر فيها الرسول اسم المخلص : «يسوع» مجرداً ، فى هذه الرسالة. وهو يعنى بهذا الاسم المجيد، شخص يسوع التاريخى ، الذى صُلب، ومات ، وقام، وصعد ، فجلس عن يمين العظمة فى الأعالى ، وسوف يأتى ليدين الأحياء والأموات

« كما هو حق فى يسوع » — غالباً لاحظ الرسول أن قوله : « تعلمتم المسيح » لا يخلو من الغموض والابهام ، سيما لدى عقلية قوم انتقلوا حديثاً من الوثنية الجوفاء، فأراد أن يزيل هذا الابهام بعبارة تجلو غامضه، فقال: «ما هو حق فى يسوع» — أعنى أن الذى تعلمتموه هو الحق الذى أُعلن لهم فى يسوع الناصرى . فكل كنوز العلم والمعرفة المذخرة فى المسيح السرمدى ، قد انكشفت لنا فى يسوع الناصرى الذى رأيناه ولمسناه وسمعناه، وفيه أُعلنت لنا إرادة الله ، وتجلى لنا معنى الحياة

فى هذه القرينة ، ركّز الرسول محور كلامه على «الحق» ومشتقاته : في عدد ١٥ أوصى المؤمنين بأن يكونوا «صادقين فى المحبة»، وفى عدد ٢٤ ناشدهم بأن يلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة «الحق». وفى عدد ٢٥ طلب إليهم أن يطرحوا الكذب ويتكلموا « بالصدق » كل واحد مع قريبه . فإذا ما رغب أحدهم فى ترديد سؤال بيلاطس : «وما

٢٢ أن تخلعوا

هو الحق» فالجواب عليه صريح واضح : هو ما أعلن لنا فى مسيح الله، الذى رأيناه ولمسناه فى شخص يسوع الناصرى .

الجانب الايجابى — خلاصة الحق الذى فى يسوع : خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد (٤: ٢٢ — ٢٤).

عدد ٢٢ - ٢ كل عبارات الرسول المركّزة فى هذا الفصل، كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضها بعضاً . فالسابقة منها ممهدة للاّحقة، واللاحقة موضحة، مفسرة للسابقة . فالعبارة : «ما هو حق فى يسوع» مفسرة للعبارة السابقة لها : « إن كنتم قد سمعتموه و عُلمتم فيه»، وممهدة للعبارات التالية لها : «أن تخلعوا...» ، كما أن هذه العبارات مفسرة للعبارة السالفة

إن ما تعلمه المؤمنون من المسيح، وما سمعوه وعُلّموه فيه، هو . «ما هو حق فى يسوع» . فما هو إذاً هذا الحق الذى فى يسوع ؟ هو : «إن يخلعوا الانسان العتيق ويلبسوا الجديد» . فهو إذاً حق عملى، لأنه يتناول التصرف

ذكر الرسول فى هـــذه الأعداد، الواردة ضمن ٤ : ٢٢ — ٢٤، ثلاث كلمات رئيسية، بنى عليها مطاليب الحياة الجديدة : الكلمة الأولى : «أن تخلعوا» (عدد ٢٢) ، والثانية : «تتجددوا» (عدد ٢٣) والثالثة : «تلبسوا» (عدد ٢٤) . وكل كلمـــة منها مطلع استهلاك للآية القائمة على رأسها . «الخلع» : فعل يتم دفعة واحدة . «والتجديد» : عملية تتكرر مراراً « واللبس » : فعل يتم دفعة واحدة . « بالخلع » نتخلص من العتيق ،

من جهة التصرف السابق

و « بالتجديد » نتهيأ للجديد ، وباللبس نتمتع بالجديد. هذه كلها تتم في وقت واحد، لا يسبق أحدها الآخر ، لأن الإنسان لا يمكنه أن يخلع العتيق ما لم يتجدد ولا يمكنه أن يتجدد من غير أن يكون قد لبس الجديد. فالشجرة لا تخلع أوراقها الصفراء الذابلة إلا إذا تولدت فيها الحياة الجديدة، فألبستها ثوباً قشيباً . فهذه الخطوات الثلاث: الخلع، والتجديد ، واللبس، تتم اختبارياً في آن واحداً، وإن كنا نتكلم عنها منطقياً كأنها تحدث في أدوار متعاقبة : الخلع ، فالجديد ، ثم اللبس

قد يستنتج القارىء الساذج من الكلمة الأولى : « تخلعوا »، والثالثة: « تلبسوا » ، فكرة غير صائبة ، فيخيل إليه أن الحياة المسيحية رداء يلبس في الظاهر ، لكن الكلمة الوسطى « تتجددوا » كافية لإزالة هذا الوهم ، لأنها ترينا بجلاء ووضوح ، أن المسيحية روح تتناول الجوهر ، وتصل إلى العمق ، فتجدد القلب ، وتنير اللب ، وتغير الروح.

في هذه الثلاثة الأعداد ، انتهى الرسول إلى عمق الطلبات التي أرادها من المكتوب إليهم. في بدء هذا الأصحاح تقدم إليهم بطلب عام يكاد يكون مبهماً: « اطلب إليكم أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها » (٤ : ١)، ثم انتقل من التعميم إلى التخصيص، فناشدهم أن لا يشاطروا الأمم مسلكهم (٤ : ١٧). وهنا تقدم إليهم، وفي يده مشرط الجراح فوضع مبضعه على موضع الداء ، طالباً إليهم أن يقلعوا عن تصرفاتهم السابقة ، بأن يخلعوا الإنسان

الانسان العتيق

العتيق ، ويتجددوا بروح ذهنهم ، ويلبسوا الإنسان الجديد. فكلامه فى هذه الأعداد ، يتناول الإجابة على ثلاثة أسئلة :

أولاً : ماذا يخلعون؟ «الانسان العتيق الفاسد، بحسب شهوات الغرور»

ثانياً : بماذا يتجددون ؟ «بروح ذهنكم» .

ثالثاً : ماذا يلبسون ؟ « الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله ...» .

وجدير بالملاحظة ، أن الأوصاف التى خلعها الرسول على «الانسان». الذى يجب أن يُخلع ، تتعارض مع الأوصاف التى خلعها على « الأنسان » الذى يجب أن يلبس ! .

ماذا نخلع : الإنسان « العتيق »	ماذا نلبس : « الإنسان الجديد »
تاريخه . « العتيق »	تاريخه « الجديد »
طبيعته : « الفاسد »	طبيعته : « المخلوق بحسب الله »
أسلوبه . «بحسب شهوات الغرور»	أسلوبه : « فى البر وقداسة الحق »

فالرسول يصف كلا منهما :

— ا — وصفاً يتناول تاريخه: فأولهما : «عتيق». والثانى : « جديد»

— ب — وصفاً يتناول طبيعته فأولهما «فاسد». والثانى: «مخلوق حسب الله»

— ج — وصفاً يتناول أسلوبه : فأولهما: « حسب شهوات الغرور » .

والثانى : « فى البر وقداسة الحق »

ماذا نخلع ؟ : «الإنسان العتيق» . وردت كلمة « تخلعوا » فى الأصل اليونانى بصيغة المصدرية — فى الماضى، على اعتبار أن هذا هو الحق الذى تعلموه

الفاسد بحسب شهوات الغرور

فى يسوع منذ التجديد : خلع الإنسان العتيق ، وهو فعل مفروض أنه تم فى الماضى دفعة واحدة ، وقت أن قبلوا المسيح مخلصاً وفادياً.

فما هو « الإنسان العتيق » ؟ وماهو « الانسان الجديد » ؟ استعمل الرسول هاتين العبارتين فى رومية ٦:٦ وكولوسى ٣:٩ . فى رومية أرانا هذا الإنسان العتيق «وقد صُلب مع المسيح» . وفى كولوسى ارانا أياه «وقد خلعه المؤمنون مع أعماله» . فالانسان العتيق هو الحالة العتيقة التى كان عليها المؤمن قبل أن يعرف المسيح ، وهى تتناول موقفه الأول باعتبار كونه وليد آدم الأول ، وذاته الأولى بسريرتها وسيرتها ، وحياته الأولى بجوهرها ومظهرها. وهو يختلف نوعاً عن الطبيعة القديمة التى تظل فى المؤمن حتى بعد تجديده.

والانسان الجديد هو المؤمن بعد تجديده — بما فى ذلك القلب الجديد الذى خُلق فيه وقت التجديد ، والروح الجديدة التى انشأها الله فى داخله ، والموقف الجديد الذى يقفه أمام الله باعتباره منتسباً إلى المسيح — آدم الثانى ، والحياة الجديدة التى يحياها بعد الإيمان — بسريرتها وسيرتها ، والذات التى خلقها الله فيه بروحه .

وفى اعتقادنا أن «الإنسان العتيق » ، « والإنسان الجديد » تعبيران يتمشيان فى نسبة أحدهما إلى الآخر ، مع التعبيرين اللذين استعملهما بولس: «آدم الأول» و«آدم الثانى» . (رومية ٥: ١٢ — ١٩ و ١ كو ١٥: ٢١ — ٥٨) . ولكننا لا نستطيع أن نقول أن الإنسان العتيق هو آدم الأول ، ولا أن « الإنسان

٢٣ وتتجددوا بروح ذهنكم ٢٤ وتلبسوا الإنسان الجديد

الجديد» هو المسيح ، لأن الإنسان الجديد مخلوق. لكن المسيح غير مخلوق، وكلاهما يتناول موقف الإنسان شرعياً وعملياً

— ب — أما طبيعة « الإنسان العتيق» . فقد وصفها الرسول بكلمة جامعة: «الفاسد» . وقد وردت بصيغة الاستمرار المتجدد. أي أنه يتدرج من فساد إلى فساد ، حتى يستهلك نفسه بالانحلال ، فينتهي إلى العدم .

وطبيعة الإنسان الجديد ظاهرة في قوله : «المخلوق بحسب الله» — أى على صورة الله الأدبية والروحية

— ج — إن أسلوب «الإنسان العتيق» هو : «حسب شهوات الغرور» . فالغرور يستهوى بالمواعيد الخلابة الخادعة — والشهوات لها خداع كالسراب. لكنها تودى بالمرء إلى الموت الروحي

أما أسلوب الإنسان «الجديد» فهو «في البر وقداسة الحق» . فـ«الحق» ضد «الغرور» . و «القداسة» ضد الشهوات . «البر» يعيّن صلة الإنسان بالناس ، و«القداسة» تعيّن صلته بالله.

كلمة «بحسب» — تعني أن الفساد والانحلال هما نتيجة طبيعية لشهوات الغرور (٢بط ٢:١٨) . وقول الرسول : «شهوات الغرور» يتضمن إشارة خفية إلى الغرور الذي انخدع به آدم الأول فأضاع الفردوس وحكم عليه بالموت. ومن الطبيعي جداً بأن نعتقد أن قصة آدم كانت ماثلة في ذهن الرسول وقت كتابة هذا الفصل . فمن آدم الأول ، رفع فكره وفكرهم إلى آدم الثاني.

— ب — بماذا نتجدد : «وتتجددوا بروح ذهنكم» . وردت كلمة

المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق

«تتجددوا» بالصيغة الحالية المستمرة لتفيد التقدم والنمو. فهى مماثلة للصيغة التى وردت بها كلمة : «الفاسد» ، فإذا كان الفساد يتزايد حتى يصل إلى الانحلال والعدم ، فإن التجديد يتكرر ، وينمو ، ويتقدم . هذه هى عملية «التقديس» التى يتقدم فيها المؤمن فينال نعمة فوق نعمة (يوحنا ١: ١٦). وفى هذا يقول بولس : «لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو ٤: ١٦)

أما موطن التجديد فهو «روح الذهن» — الذى هو مقر الحياة الروحية فى الإنسان هو خلاصة الملكات العقلية والاتجاهات النفسية التى هى جوهر الإنسان الباطن . هذا هو موطن عمل الروح القدس ومقره فى الإنسان عند التجديد وبعد التجديد. هذا يوافق قول الرسول فى رسالة سابقة. «فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ... عبادتكم العقلية (رومية ١٢: ١و٢) . إن حرف الباء فى قوله «بروح» ، يعنى «فيما يختص» بروح ذهنكم . أو «من جهة» روح ذهنكم . أو «فى» روح ذهنكم.

يجوز أن نلخص حجة الرسول فى الثلاثة الأعداد التى مرت بنا ، فى عبارة أخرى ، ها قد قطعتم كل صلة تربطكم بآدم الأول . ودخلتم فى عهد جديد مع آدم الثانى. فقد أمسى كل منكم شخصاً جديداً ، بعد أن طوى تلك الشخصية القديمة ، وصارت فى خبر كان.

ثانياً : تصرفات عتيقة ،وتصرفات جديدة (٤: ٢٥—٣٢).

تابع الرسول فى الأعداد التالية ، كلامه الذى انتهى إليه فى الثلاثة

٢٥ لذلك اطرحوا عنكم الكذب

الأعداد السالفة ، فتقدم من المبادئ العامة إلى الحقائق الخاصة ، وانتقل من أصل الشجرة إلى الثمر ، ومن الأساس إلى البناء ، ومن الحياة إلى التصرف ، فذكر التصرفات العتيقة التي يريدهم أن يقلعوا عنها ويخلعوها، والتصرفات الجديدة التي يريدهم أن يمارسوها . لأن الكلمة المترجمة: «اطرحوا» في غرة عدد ٢٥ ، هي من اشتقاق الكلمة التي ترجمت «تخلعوا» في مطلع عدد ٢٢

ولدى التأمل ، يتبين لنا أن الرسول ، ذكر في الثمانية الأعداد الآتية (٤:٢٥—٣٢) خمس رذائل ، محرضاً المؤمنين على نبذها ، وخمس فضائل حاضاً إياهم على الاستمساك بها ، قارناً كل تحريض وحض، بباعث جوهري . ويلوح لنا أنه سردها في شكل خمس ثلاثيات — كل ثلاثيه منها تتضمن :

—ا— الرذيلة التي حملهم على نبذها —ب— **الفضيلة** التي يرغب إليهم أن يستمسكوا بها — ج — **الباعث** على النبذ والاستمساك

عدد ٢٥ | الثلاثة الاولى: الكذب، والصدق، والباعث (٤:٢٥)

—ا— الزيلة « اطرحوا الكذب » —ب— **الفضيلة** «تكلموا بالصدق » —ج— «**الباعث** : لأننا بعضنا أعضاء البعض»

الرذيلة : «لذلك اطرحوا عنكم الكذب» . هذا مماثل لقول الرسول في رسالة معاصرة لهذه : «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفه حسب صورة خالقه» (كولوسي ٣:٩و١٠) . ولعل الرسول استهل كلامه في هاتين الرسالتين

وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه

بالتنديد برذيلة الكذب ، لأنها كانت فاشية فى الأوساط اليونانية ، وفى بعض البيئات الشرقية . والمراد « طرح الكذب » ، نبذه نبذ النواة ، وإلقاؤه جانباً بكل غضاضة ، مثلما يلقى الإنسان ثوبه العتيق « البالى » (كولوسى ٣:٨ ، عبرانيين ١٢ : ١ ويعقوب ١ : ٢١ و١ بطرس ٢ : ١)

يقول تقليد قديم : إن بين الكلمات التى فاه بها فادينا المجيد ، مدة أيامه فى الجسد ، قوله : « من كان قريباً منى ، فهو قريب من النار والنور » . فهو النور ، وهو الحق . وكل من عرفه لا يمكن أن يعيش فى الكذب ، ولا أن يعيش الكذب فيه . فكما أن الخفاش لا يطيق الوجود فى النور ، كذلك الكذب لا يطيق أن يحيا فى الحياة الجديدة .

ب — **الفضيلة** : « تكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه » . الصدق مشتق من الحق ، والحق نور لا ظلمة فيه البتة . وكما أن النور هو أول شىء خُلق فى أول يوم للخليقة الأولى ، كذلك يجب أن يكون الصدق غرة حياة الخليقة الجديدة . ومن المهم أن نذكر ، أن الانسان مسئول عن التأثير الذى يُلقيه كلامه فى ذهن السامع ، فلا يليق به أن يذكر كلمات تحمل على معانٍ مختلفة ، ويلتمس لنفسه العذر بأنه أراد غير ما فهمه السامع . وسر الكذب ما كان مموَّهاً بصيغة الصدق أو ممزوجاً بعنصر من الصدق .

« القريب » المشار إليه هنا ، هو الأخ المسيحى الذى تربطنا به روابط الشركة والخدمة (رو ١٢ : ٥ ، ١ كو ١٢ : ١٢ — ٢٧).

ج — **الباعث** : « لأننا بعضنا أعضاء بعض » — أو « لأننا أعضاء بعضنا

لأننا بعضنا أعضاء البعض

البعض» . إن كل عضو فى الجسد مرتبط رأساً بالرأس وعن طريق الرأس مرتبط بسائر الأعضاء. وإذا كان كل عضو فى الجسم الطبيعى يقوم بوظيفته نحو العضو الآخر ، بكل ولاء وإخلاص، من غير مخادعة ولا مواربة ، فكم بالحرى يجب على كل عضو فى جسد المسيح الحى ، أن يظهر كل ولاء نحو العضو الآخر ! فالكذب — والحالة هذه — يعتبر جريمة على الرأس ، لأنه يكلفه كثيراً، وفوق ذلك فهو بمثابة إدخال عضو غريب على الجسد . فان هجم مرض على أحد الأعضاء تنبهت له سائر الأعضاء وتكاتفت معاً على طرده . فالكذب يُحسب خيانة كبرى ، وفى نهاية الأمر ، يعود بالوبال على العضو الذى أخفى الحقيقة، لأنه مرتبط بالعضو الآخر ارتباطاً حيوياً مكيناً لا تنفصم عراه.

غالباً استقصى الرسول بولس هذا الباعث من نبوة قديمة : «ليتكلم كل إنسان قريبه بالحق . اقضوا بالحق. وقضاء السلام فى أبوابكم (زكريا ٨:١٦) وأضاف إلى هذه النبوة القديمة عنصراً جديداً: «لأننا بعضنا أعضاء البعض» لأن هذا العنصر الأخير لم يعلن إلا فى المسيح .

يقول علماء النفس المعاصرين : الكذب جريمة على الثقة المتبادلة بين المجموع . ولكن ماينادى به علماء النفس لأن قد سبقهم إليه رسول الأمم ، منذ ألفى عام ، لأنه استنار «بنور المشرق من العلاء».

الثلاثية الثانية: الغضب الخاطىء . والغضب البرىء (٤: ٢٦و٢٧)

—ا— الرذيلة : الغضب الخاطىء : «اغضبوا . . . » — ب —

٢٦ اغضبوا ولا تخطئوا

الفضيلة. الغضب البرىء : « اغضبوا ولا تخطئوا » — جـ — الباعث : التحوط ضد ابليس : « لا تعطوا إبليس ».

| عدد ٢٦ | — ا — الرذيلة: الغضب الخاطىء : « اغضبوا » .

من المسلم به ، أن الغضب انفعال طبيعى . وليس هو شراً فى ذاته ولا هو بالخير . فهو كالكأس التى قد يسكب فيها الماء الزلال، وقد يصب فيها سم الاصلال . وينبغى أن نعترف بأن الغضب الطبيعى من شر العادات ، لأن المرء يغضب عادة متى شعر بأن كرامته الشخصية امتهنت. هذا هو الغضب الخاطىء ، لأنه يدل على أن الذات . المسيطرة على الإنسان ، وأنها معبوده الأعلى ، وفوق ذلك ، فإن الكلمات الجارحة التى يتفوه بها المرء وقت الغضب ، هى شر قتال ، وهى أقوى دليل على أنه غضب خاطىء .

— ب — الفضيلة. الغضب البرىء — « . . . ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم » . الغضب البرىء هو الانفعال انتصاراً لحق مهضوم، وإنصافاً لضعيف مغلوب على أمره ، أو وقوفاً فى جانب الله فى وجه أنبياء البعل وما أكثرهم فى كل عصر ومصر . فى مثل هذه الأحوال، لا يكون الغضب أمراً مباحاً فقط ، بل أمراً واجباً ، لأن السكوت على المظالم جريمة، وملاقاة الجبان بوجه بسام لهو جرم أثيم ، والرضى بإهانة القدير على مسمع منا، لهو أكبر تجديف على الله . إن شر مظهر للخطية هو ذلك الذى وصفه بولس فى ختام الاصحاح الأول من رومية — وهو لا يقل عن الشرور الملطخة وجه

لا تغرب الشمس

ذلك الأصحاح: « الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت. لا يفعلونها فقط بل يسرّون بالذين يفعلونها» (رومية ١ : ٣٢)

هذا هو السر في غضبة المسيح على الحق، ولأجل الحق، و باسم الحق: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون»، «اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب»، إن من لا يعرف غضب المسيح لأجل الحق، لا يعرف معنى قداسته، لأن القداسة هي المحبة ملتهبة بنار الغيرة على الحق

غير أن الرسول يحتاط كثيراً في الأمر، فلا يجعل الغضب أمراً مباحاً على الإطلاق، لأن طبيعتنا الفاسدة غدارة خادعة، تريد أن تغضب لنفسها ولكرامتها، تحت ستار الغضب لأجل الحق، وتريد أن تدافع عن كرامتها بحجة دفاعها عن كرامة الله. لذلك يجوز أن نحمل كلام الرسول على هذا المعنى: «أن الغضب أمر خطير. فلا تجعلوه شعار حياتكم. ولا تتخذوه سلاحكم في وقت مناسب وغير مناسب. ولكن إذ غضبتم فليكن غضبكم شريفاً بريئاً وليكن غضبكم خالياً من روح الغيظ والحقد، وإن انسقتم في هذا النوع الأخير، فاسمحوا واستسمحوا قبل أن تغرب الشمس عليكم».

إن التمادي في ما نسميه بـ «الغضب البريء» ليس محمود العواقب. فقد ينزلق الإنسان من «الغضب المقدس» إلى «الغضب النجس» وهو لا يدري. لأن الذات خبيثة، تتسلل من كل نافذة مفتوحة أو شبه مفتوحة، لتبسط نفوذها وسلطانها.

إن قول الرسول: «اغضبوا ولا تخطئوا» مقتبس من مزمور ٤:٤، وفق

على غيظكم ٢٧ ولا تعطوا

الترجمة السبعينية. وفي الترجمة العربية: «ارتعدوا ولا تخطئوا» — والغضب والارتجاف من مصدر واحد: هو اهتزاز الأعصاب، من شدة الانفعال

وقوله: «لا تغرب الشمس على غيظكم» يعيد إلى فكرنا قول موسى بأن «لا تغرب الشمس على رهن الفقير في بيت الغني»، ولا تغرب الشمس على الجثة المعلقة على الصليب» (تثنية ٢٤: ١٣ و١٥، ٢١: ٢٣). على أنه لا يجب أن يؤخذ كلام الرسول حرفياً، وإلا جاز لسكان جرينلند أن يحتفظوا بالغيظ في قلوبهم مدة تقرب من نصف عام — لأن هذا هو طول النهار عندهم! إن قصد الرسول هو أن نسارع إلى السماح والاستسماح.

ويقول بلوطارخوس — أحد أعلام التاريخ القديم — إن فيثاغورس الفيلسوف علم أتباعه بأنهم إذا وقعوا في خطية الغضب فليصالحوا بعضهم بعضاً قبل غروب الشمس.

ا عدد ٢٧ | — جـ — الباعث — التحوط ضد مكايد ابليس: «ولا تعطوا إبليس مكاناً». إن إبليس خداع مكير، قضى في مهنته آلاف السنين فأتقن أساليبها وحذق أفانينها. فهو يريد أن يتدخل بين المؤمنين ملتمساً أحلى المعاذير وأعذبها. فراراً يتدخل بحجة حسم النزاع، وإقامة الصلح. لأنه أحياناً يتخذ شكل ملاك نور، وما غايته إلا توسيع الثغرة، فيجعل من الحبة قبة، ويقيم من النافذة باباً. لأنه حكيم في فن تأويل الكلام، ليوغر به الصدور، وهو يرحب بالأشواك الصغيرة أمام أبواب قلوب المحبين، فيسقيها بعصارة

سمومه ، ويغذيها من حمأة قلبه ، ليسد بها أبواب القلوب إلى الأبد

لاغرو إذا استعمل إبليس كل وسيلة فى إمكانه ، ليضرب بين المؤمنين بسهم من الجفاء ، لأنه يجد لذة خاصة فى أن يشكو كل مؤمن لدى أخيه المؤمن، فهو العدو «المشتكى» إسماً ومسمًّى، كما يدل عليه اسمه ـ فى اليونانية ـ «ديابولوس» . يقول الدكتور مونود: «حيثما يجد الشيطان قلباً مغلقاً ، يوجد لنفسه باباً مفتوحاً» . ويقول أحد الآباء الأولين : «لا تسارع إلى الغضب لأنه كثيراً ما يولدُ القتل» . و مَثل الفرد فى هذا ، مثل الجماعات والهيئات

عدد ٢٨ | الثلاثية الثالثة: السرقة ، والكد الصالح :(٤ : ٢٨)

ا ـ الرذيلة ـ السرقة : « لا يسرق السارق فيما بعد »

ب ـ الفضيلة ـ الكد الصالح: « بل يتعب ... » ج ـ الباعث ـ الإحسان : « ليكون ... أن يعطى ».

ا ـ الرذيلة: السرقة : « لا يسرق السارق فيما بعد » . إن من يعرف الحالة الأدبية التى كان عليها الأمميون سيما فى كورنثوس وأفسس لا يتعجب إذا وجد الرسول يستعمل الصيغة الحالية : «السارق». فليس من المستبعد أن تكون أهداب هذه الخطية الذميمة قد علقت ببعض منهم . ويميل بعضهم إلى ترجمة هذه العبارة بصيغة الماضى: «من كان سارقاً» ـ أى قبل الإيمان على أنه يجب علينا أن نتنبه كثيراً إلى الصور المنوعة التى تتخذها هذه الخطية ـ فثلم الصيت ، وعدم إعطاء الأجير أجراً متناسباً مع عمله

بل بالحرى يتعب عاملا الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من

وحاجياته ، وعدم تكريس العشور لله ، وكف اليد عن مساعدة المسكين ، وإهمال المؤمن واجباته نحو المحتاجين من أهله وذويه ؛ وفضلا الإنسان العائش على لحم غيره — كل هذه مظاهر مختلفة لجوهر واحد : هو السرقة

—ب— الفضيلة: الكد الشريف : « بل يتعب عاملاً ... بيديه »

لم يذكر الرسول هنا شيئاً عن رد المسروق مثلما أشار فى رسالة معاصرة لهذه (فليمون ١٨). ولعل كلامه هنا منصرف إلى الواجب على المؤمن من جهة المستقبل على اعتبار أن رد المسلوب أمر مسلم به . إذ ليس الكد الشريف مجرد فضيلة تقابل رذيلة السرقة ، لكنه علاج لذلك المرض . فاذا كان رأس الكسلان معملاً للشيطان ، فان الكد الشريف يسد الثغرة التى يدخل منها الشيطان إلى قلب الإنسان . هذا هو مبدأ «التسامى» الذى ينادى به علماء النفس فى وقتنا الحاضر ، وقد نادى به بولس قبلهم بألفى عام — وهو يقوم بتوجيه قوى الإنسان التى كانت منصرفة إلى الشر ، والتسامى بها لتتصرف إلى الخير . فاليدان اللتان كان يسرق بهما السارق قبل الإيمان ، يجب أن يكرسهما للعمل الصالح المنتج .

—ج— الباعث— الإحسان : « ليكون له أن يُعطى ... »

ليس هذا مجرد إصلاح ، لكنه انقلاب عظيم — من الظلام الحالك إلى النور الباهر . من الإنسان العتيق الفاسد ، إلى الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله . قبل الإيمان ، كان الإنسان يفكر فى الطرق التى ينهب بها ويسلب ، وبعد الإيمان يجب أن يفكر فى الطرق التى يعطى بها ويهب . قبلاً كان يقف

له إحتياج . ٢٩ لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم

من الناس موقف المحتاج إلى مالهم ، و بعد الإيمان يجب أن يقف منهم موقف المعين والمساعد . كانت حياته قبل الإيمان حياة البحر الميت الذى يأخذ على الدوام ولكنها أضحت بعد الإيمان حياة بحر بطرية الذى يجود بما فيه بالتمام!

الثلاثية الرابعة ـ الكلام الهادم ، والكلام البانى (٤: ٢٩ و ٣٠)

ـ ا ـ الرذيلة. الكلام الهادم: «لا تخرج كلمة ردية» ـ ب ـ الفضيلة ـ الكلام البانى : «بل. البنيان» (ج) الباعث: «كى يعطى» .. «لا تحزنوا»

عدد ٢٩ ـ ا ـ الرذيلة ـ الكلام الهادم: «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم». الكلمة «الردية» هى الكلمة «الفاسدة» المجردة عن النعمة، والخالية من «الملح» كما قال بولس فى رسالة معاصرة: «ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح» (كولوسى ٤: ٦). وبما أن الملح يكسب الطعام مذاقاً صالحاً ، ويحفظه من الفساد والتعفن، فالكلمة «الخالية من الملح» هى الكلمة العاطلة الخالية من كل طعم ومذاق، وهى أيضاً الكلمة الباطلة المفعمة فساداً فتخرج من الفم كما تخرج الرائحة الكريهة من قبر مفتوح (رومية ٣: ١٣). وقد وردت كلمة «ردية» فى البشائر ، وصفاً للشجرة الردية، وللسمك الردىء (متى ٧: ١٧ ، ١٢: ٣٣ ، ١٣: ٤٨). فهى ليست مقصورة على الأشياء التى لا خير فيها، لكنها تتناول الأشياء المفعمة شراً وفساداً. وهى ليست سلبية كما لو كانت غير بانية وكفى ، لكنها هادمة . وإن من لا خير فيه ، لا يمكن أن يكون خلواً من الشر .

بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين ٣٠ ولا تحزنوا

ـ ب ـ الفضيلة: الكلام البانى : «بل كل ما كان صالحاً للبنيان»

إن استعارة البناء التى استعملها الرسول فى ٢ : ٢١ و ٤ : ١٦ ما زالت فى ذهنه عند كتابة هذه العبارة : «صالحاً للبنيان» . وقد أوصى وصية مماثلة لهذه فى رسالة سابقة «فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض» (رومية ١٤ : ١٩)

وصف الرسول الكلام الصالح فى هذا العدد وصفاً رباعياً ـ ا ـ فى طبيعته: «صالحاً» ـ وهو الكلام المصلح بملح ـ ب ـ فى عمله : «للبنيان» أى لازدياد الأعضاء فى النعمة والصلاح . ولقد شهد الأسقف برنت عن رئيس أساقفة ليتون أنه لم يوجد يوماً فى حضرته إلا وسمع من فمه كلاماً جعله أحسن حالاً مما كان قبل أن يراه ـ ج ـ فى مناسبته : «حسب الحاجة» إن كثرة الكلام لا تخلو من المعصية. وليس فى الوجود أبدع من كلمة مقولة فى وقتها وحسب الحاجة إليها . فليعلمنا الرب متى نتكلم ومتى نصمت «حسب الحاجة» ـ د ـ فى خدمته: «كى يعطى نعمة للسامعين» . فالكلام الصالح يكون خادماً للنعمة. لأن روح الله يستخدمه أداة لإيصال النعمة إلى قلوب السامعين. الكلمة المترجمة «نعمة» يجوز أن تترجم أيضاً إلى: «لذة، وهناء، وسرور» . هذا هو الكلام الذى وصفه بولس فى كولوسى ٤ : ٦ «ليكن كلامكم... بنعمة»

عدد ٣٠ ـ ج ـ الباعث : تقديس شعور الروح القدس :

روح الله القدوس الذى به ختمتم

فى العدد السابق ، أشار الرسول إلى باعث أقل من هـذا خطراً ، هو «إعطاء نعمة للسامعين» . ولـكن الباعث المذكور فى هذا العدد ، غاية فى الأهمية والخطورة : «لاتحزنوا روح الله» . فالروح القدس الحالّ فى جماعة المؤمنين، وفى قلوبهم ، يستمع لـكل كلمة تخرج من أفواههم، فيحزن لـكل كلمة رديئة يتلفظون بها.

فى يوم الخمسين،ظهر الروح القدس للمؤمنين «بألسنة منقسمة كأنها من نار فاستقرت على كل واحد منهم» (أعمال ٢ : ٣) . فلاغرو إذا كان الروح القدس رقيباً على الألسنة ، فـكل كلمة رديئة تحزنه . لأنها دليل على أن الألسنة التى تنطق بها مضرَمة من نار سفلى (يعقوب ٣ : ٦) .

فى الخطاب العظيم الذى ألقاه اسطفانوس ، قال : «لاتقاوموا الروح» (أعمال ٧ : ٥١). وفى رسالة سابقة لهذه ، قال بولس : «لا تطفئوا الروح» (١ تس ٥ : ١٩).وهنا يقول: «لاتحزنوا الروح» . وفى الاصحاح الخامس من هذه الرسالة يقول : «امتلئوا بالروح» (٥ : ١٨) . فالثلاثة العبارات الأولى تحذرنا من عمل سلبى تأتيه ضد الروح . والعبارة الرابعة (٥ : ١٨) توصينا بواجب إيجابى نقوم به إزاءه . إن «مقاومة» الروح تدل على أن الروح يُرمز إليه بـ« قوة» . وإطفاء الروح يدل على أنه يُرمز إليه بـ« نار» ، وإحزان الروح يدل على أن الروح القدس شخص — أو أقنوم — له عواطف وإحساسات والامتلاء بالروح يدل على أن الروح يُرمز إليه بـ«ماء»، والإنسان بـ«إناء» يمتلىء بالماء وفى الماء .

ليوم الفداء. ٣١ ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب

إن هذا الباعث الذى نحن بصدده : «لا تحزنوا الروح» لهو أشرف البواعث لدى المؤمنين الذين يقدرون شعور هذا الروح الأقدس الذى هم له مدينون : «بختمه إياهم ليوم الفداء» . والختم يرمز إليه هنا بالضمان ، والحفظ (أطلب شرح هذه الكلمة فى ١: ٣ من هذه الرسالة. إن «يوم الفداء» المقصود هنا هو يوم تمجيد المؤمنين، حين يكمل فداء الجسد والروح معاً عند ظهور ربنا يسوع المسيح — هذا هو الرجاء الذى وضعه بولس نصب أعين أهل رومية «متوقعين التبنى فداء أجسادنا» (رومية ٨: ٢٣) .

الثلاثية الخامسة : الانفعالات الردية والشعور الطيب (٤: ٣١و٣٢)

ا — الرذيلة — الانفعالات الردية: «ليرفع من بينكم»

ب — الفضيلة — الشعور الطيب : «وكونوا لطفاء . . .»

ج — الباعث — الصفح الإلهى : «كما سامحكم الله»

عدد ٣١ — ا — الرذيلة : الانفعالات الردية : «ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث» .

هذه الأخوات الست : «المرارة ، والسخط ، والغضب ، والصياح ، والتجديف ، والخبث» قد تتفاوت فى شدتها وشناعتها — حسب الظاهر — لكنها كلها مظاهر منوعة لجوهر واحد — هو الإنسان العتيق الغير المتجدد

المرارة : «هى شراسة الأخلاق التى تجعل الإنسان سريع الغضب ، بطىء الرضى» .

وصياح وتجديف مع كل خبث . **٣٢** وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين

السخط والغضب : يتميز السخط عن الغضب فى أن أولهما : مرض حاد ، والثانى : مرض مزمن . وقيل إن السخط لا يصدر إلا عن الكبراء والعظماء نحو من هم دونهم ، والغضب مطلق . ولعل المراد بالسخط ما يشعر به الانسان عند التجربة المباغتة . والمراد بالغضب ما هو أعمق من السخط فى القلب ، ويحمل على الانتقام من المغضوب عليه ، ولا يشفى إلا به .

الصياح : هو إظهار الغضب بالصوت فيهيج بذلك غضب الغير

التجديف : هو ما ينتج عن الغضب مقصوداً به إيلام الغير . وأصله فى اليونانية يفيد اللعنة والنميمة . ولعنة الإنسان لمثله لا تخلو من التجديف على خالقه

الخبث : هو أصلٌ فى القلب وكل ما ذكر آنفاً ، هو من فروعه . ورفع الفروع حتى لا تظهر أبداً ، يستلزم قلع الأصل وغرس عكسه — وهو المحبة التى قيل فيها إنها : تتأنى وترفق . لا تحسد ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق » (١كو١٣ : ٥و٦)

عدد ٣٢ — ب — الفضيلة — الشعور الطيب : «وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين» وردت كلمة « اللطف » فى لوقا٦ : ٣٥ ورومية ٢ : ٤ ، ١١ : ٢٢ بمعنى «الطيبة والصلاح» . وهى فى أساس استعمالها تعنى «النفع» — ثم «المساعدة والمعونة» — ثم اللطف فى الشعور والكلام ، وهى نفس الكلمة التى وُصف بها نير المسيح ، أنه «خفيف» (متى ١١ : ٣٠) .

كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح

الشفقة : عاطفة قلبية ، وردت فى ١ بطرس ٣: ٨ ولم ترد فى العهد الجديد سوى فى هاتين المرتين . وهى تنطوى على معنى من معانى العطف .

التسامح : جميل أن نذكر أن هذه عبارات وردت فى الأصل : «متسامحين نحو أنفسكم» . فهى تعتبر جسد المسيح كتلة واحدة ـ وما يمس العضو الواحد يمس الآخر ـ وهى تنطوى على معنى التبادل ، فان من يغتفر اليوم قد يكون غداً مسيئاً ، فيحتاج إلى من يصفح عنه كما صفح هو بالأمس

ـ جـ ـ الباعث : «كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح» ـ يرجع بنا هذا القول إلى ما علمنا المسيح إياه فى الصلاة الربانية : «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» ، «فى المسيح» ـ هذا هو مجلى ظهور صفح الله عنا ـ ان الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه (٢ كو ٥ : ١٩) .

«فى المسيح» هذا هو ضمان صفح الله عنا ـ إذ قدم الله نفسه
ذبيحة عنا ، ووفى الدين الذى كان علينا . « فى
المسيح » ـ هذا هو حجة صفح الله عنا
لأن الله رآنا متبررين فى المسيح
فصالحنا فيه وصفح عنا

الأصحاح الخامس

فى هذا الأصحاح ، استأنف الرسول كلامه الذى اختتم به الأصحاح السابق : « كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح » . فاتخذ من كلامه هذا ، باعثاً إيجابياً ، يحمل المكتوب إليهم على السلوك فى جدة الحياة ، باعتبار كونهم « أولاداً أحباء لله » الذى « سامحهم أيضاً فى المسيح » .

إن هذه المحبة القدسية المضحية التى وجهها إلينا الآب السماوى ، فى شخص المسيح المصلوب لأجل خطايانا ، والمقام لأجل تبريرنا ، هى مبعث التسامح بين المؤمنين ، وهى أقدس حافز لهم على قداسة الحياة : وحياة القداسة هى النار التى تلهب قلوبهم فى الخدمة ، إذا هم أعيوا فى مسالكها الوعرة ، وهى النور الذى يلهم بصائرهم فيهديهم فى جهاد الحياة المحفوف بالمكاره . هى « همزة الوصل » بين المؤمنين إذا انقطعت بينهم صلات المودة ، وهى « همزة القطع » بينهم وبين « إنسانهم » العتيق الفاسد !

فى نهاية الأصحاح السابق ، ناشد الرسول المكتوب إليهم ، أن يخلعوا الإنسان العتيق ، ويقلعوا عن أعماله . فكان كلامه منصباً بنوع خاص ، على الخطايا التى تثير عوامل الشحناء والبغضاء بين المؤمنين ، فتفسد عليهم تضامنهم ، وتعبث بوحدانيتهم المقدسة التى هى مركز الدائرة فى هذه الرسالة .

لكنه فى هذا الأصحاح ، حضهم على نبذ الخطايا التى تدنس دعوتهم المقدسة ، وتمتهن الإسم الشريف المقدس الذى دُعى عليهم باعتبار كونهم

١ فكونوا متمثلين

أبناء الله القدوس . فمن أقدس واجباتهم ، أن يكونوا قديسين «كما أن أباهم الذي في السموات هو قدوس» ، فذكرنا الرسول بتلك الكلمة الخالدة التي فاه بها مخلصنا المجيد : «فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٥ : ٤٨) .

فكأنه في ختام الأصحاح السابق ، حضهم على نبذ الخطايا التي تؤثر في صلتهم ببعضهم البعض كمؤمنين . وفي مطلع هذا الأصحاح حرضهم على ترك الخطايا التي تمس سمعتهم ومقامهم ، لدى العالم الخارجي ، مردداً جوهر كلمة قالها في مناسبة أخرى «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج» .

(٢) المسيحي في حياته الاجتماعية (٥ : ١ — ٢١)

— ا — اسلكوا في المحبة ، فينتزع الفساد (٥ : ١ — ٥)

— ب — اسلكوا في النور ، فيطرد الظلام (٥ : ٦ — ١٤)

— جـ — اسلكوا بحكمة ، فتبعد الجهالة (٥ : ١٥ — ٢١)

عدد ١ | (١) خير باعث على السلوك في المحبة (٥ : ١)

في الفصل السابق ، بدأ الرسول كلامه ، بذكر الرذائل التي حض المؤمنين على نبذها ، وأردفها بالفضائل التي أرادهم أن يستمسكوا بها ، ثم توج كلامه بذكر الباعث على الترك والتمسك . لكنه في هذا الأصحاح استهل كلامه بذكر الباعث الرئيسي الذي يرفعهم عن الدنايا ، ويدفعهم إلى الفضائل العليا ، وهو التمثل بالله في محبته المتسامحة المضحية التي ظهرت في المسيح

بالله كأولاد أحباء

المصلوب: «فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء . واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة». إن خير باعث على المحبة ، هو المحبة نفسها . لأن كل شيء يلد نظيره .

«كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء» — تعتبر هذه الكلمات حلقة اتصال بين ختام الأصحاح السابق ، ومطلع هذا الاصحاح. لأن الاقتداء بالله في محبته المتسامحة المضحية ، هو الطابع الخاص الذي يجب أن تتميز به حياة أولاد الله» فيحيا كل منهم، في دائرته الضيقة، حياة تحاكى - على نوع ما - حياة الله المتجلية في دائرة النعمة ، فيبرهنون بذلك على أنهم أبناء الله الكلى المحبة، بل الذي هو حبه، لأن من أقدس واجباتهم أن يقتدوا بأبيهم السماوى. وبما أن لكل صوت صدى من جنسه ، فمن الطبيعى أن يظهر المسيحيون نحو الآخرين ، نفس الشعور الذى أظهره الله نحوهم — المحبة، فيكونوا محبين لغيرهم. بقدر ما صاروا هم محبوبين من الله، فيصبحوا كأنهم محاصرون بالمحبة من كل صوب : من خلف ومن قدام ومن فوق ومن أسفل — فتكون المحبة جواً مقدساً فيه يحيون ، ويتحركون ، و يوجدون ، لأن حبهم للآخرين هو وليد حب الله لهم .

«كأولاد أحباء» — هذا باعث سام شريف ، بل هو أسمى البواعث وأشرفها : «كأولاد أحباء» — لا كعبيد يملكهم الرعب كلما لحوا سيدهم ، ولا كجبناء يبغون الفرار من عذابات الجحيم، ولا كنفعيين يسعون وراء ثواب النعيم ، بل «كأولاد أحباء» ملأت المحبة قلوبهم ، فأضحت لأقدامهم

٢ واسلكوا فى المحبة

قوة دافعة إلى الأمام ، ولأشخاصهم أجنحة رافعة إلى العلى ، فى سبيل التضحية ، والرحمة والمحبة ، فيسلكون بروح البنين ، ودالة البنين ، وحرية البنين .

عدد ٢ | (١) أعلى قياس للسلوك فى المحبة (٥ : ٢)

إن محبة الله لنا ، قد تجلت بأسمى مظاهرها في محبة المسيح لنا ، إذ «أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » . فقدَّم لنا بذلك خير باعث ، وأعلى قياس لسلوكنا فى المحبة

وكما أن كلام الرسول فى العدد الأول مستمد من كلام المسيح في الموعظة على الجبل (متى ٥ : ٤٨) ، كذلك كلامه فى هذا العدد الثانى يعتبر ترديداً لصدى كلام المسيح فى خطابه الوداعى لتلاميذه: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » .. «هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم» ... «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» ... «أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به» (يوحنا ١٣ : ٣٤، ١٥ : ١٢ — ١٤).

استهل الرسول هذا العدد ، موجهاً الخطاب إلى المكتوب إليهم : «واسلكوا ...» . لكنه ما كاد يصل إلى الكلام عن محبة المسيح حتى بدَّل ضمير المخاطب بضمير المتكلم : «كما أحبنا المسيح» ، لأنه لم يطق أن يذكر شيئاً عن محبة المسيح ويظل هو بعيداً عن دائرتها القدسية المجيدة .

كما أحبنا المسيح أيضاً

هذه الدائرة التي تعاظمت فيها مطامع بولس الرسول لدرجة أنه احتكرها مرة لنفسه إذ قال: «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غلاطية ٢: ٢٠).
وفي هذا فليتنافس المتنافسون، لأنه «حسنة هي الغيرة في الحسنى».
في هذا الصدد حدثنا الرسول عن عمل المسيح الكفاري في جانبيه:

أولهما في كونه ثمناً لحبه للإنسان: «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا ...». في هذا الجانب يتجلى لنا العنصر المستقل الاختياري في هذه المحبة: «... كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه»، هذا دليل على أن محبة المسيح لنا لم تكن مجرد تعبير عن محبة الله لنا، لكنها محبة شخص له عاطفة مستقلة نحونا. إلا أن محبة الله لنا، هي بعينها محبة المسيح لنا، وما محبة الله ومحبة المسيح سوى وصفين جامعين للمحبة الإلهية الواحدة: الأول، يصفها في جوهرها، والثاني يصفها في مظهرها. (١ بط ٤: ٢ و٣، ٥: ٥)

هذه محبة - ا - تطوعية اختيارية: «أسلم نفسه». إن كلمة «أسلم» تفيد التسليم التام التطوعي، الاختياري، ليس فقط بغير إكراه ولا مقاومة، بل بروح حر منتدب، كأنه مقدم على عمل يريده هو، بل يتوق إليه، لا كأنه أريد عليه، فهو أحبنا لأنه أراد. نعم لا جدال في أنه قدم نفسه للصلب إتماماً لبرنامج الفداء العجيب الذي دبره الآب منذ الأزل، إلا أن هذا البرنامج لم يفرض على المسيح فرضاً، لكنه مستمد من روحه الأزلي الذي به قد قدم نفسه ذبيحة عنا، لأنه أحب، وأحب لأنه أراد.

- ب - هذه أيضاً محبة فدائية، مضحية: «لأجلنا» أو بدلاً منا،

وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً

أو عوضاً عنا . ومتى ذكرنا ماللمسيح من سمو ، وقداسة ، وإكبار ، وما نحن فيه من انحطاط ، ونجاسة ، وصغار ، تبينت لنا التضحية الكبرى التى تكبدها السيد فى سبيل افتدائنا من آثامنا . ناهيك عن كونه قد أحبنا ونحن أعداء ، غير مستحقين لشيء من هذا الحب العجيب (رومية ٥ : ٥ و ٨ ، غلاطية ٢ : ٢٠ ، يوحنا ١٥ : ١٣ ، غلاطية ٣ : ١٣) .

الجانب الثانى : عمل المسيح الكفارى فى صلته بالآب : « قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة » . هذا دليل على أن عمل المسيح الكفارى وافق رغبة قوية فى قلب الله ، ووفى مطلباً جليلا أوحت به عدالته ، وصادف رضى ممتازاً فى نفسه تعالى .

« قرباناً ، ذبيحة ، رائحة طيبة » ـ تذكرنا هذه الكلمات بأخرى مماثلة لها ، سطرها الرسول فى رسالة معاصرة لهذه : « قبلت من أبفرودتس الأشياء التى من عندكم نسيم رائحة طيبة مقبولة ذبيحة مرضية عند الله » (فيلبى ٤ : ١٨) . وبما أن بولس يهودى الأصل والثقافة ، فمن الطبيعى أن يكون قد استقى هذه التعبيرات من سفر اللاويين (الأحبار) . وبرجوعنا إلى هذا السفر ، يتضح لنا إن العبارة « رائحة طيبة » — ריח ניחוח « رائحة ارتياح » استعملت وصفاً لثلاثة أنواع من التقدمات . — ١ — القربان קָרְבָּן (لاويين ٢ : ٢) وهى تعنى أصلا الذبيحة الغير الدموية ، ولكنها قد تشمل الذبيحة الدموية لأنها مكملة لها ، وقد أريد « بالقربان » التكفير الذى به يُرد الشعب إلى رضى الله

والتقرب منه — ب — المحرقة — « הָעֹלָה » (لاويين ١ : ٩) — وهى تعنى حرفياً الذبيحة الصاعدة بتمامها إلى السماء ، فلا يأكل منها الكاهن شيئاً . وهى رمز إلى تكريس النفس بتمامها لله — ج — ذبيحة السلامة — « זֶבַח שְׁלָמִים » (لاويين ٣ : ١ و ٥) ، وهى رمز إلى الشركة المقدسة مع الله المعبَّر عنها من جانب الإنسان ، بالحمد والشكر .

ومتى ذكرنا أن هذه الثلاثة الأنواع من الذبائح لم تكن سوى رموز للمسيح ذبيحنا الأعظم ، تبيَّن لنا أن المسيح قدم نفسه لله عنا ، قرباناً ليكفر عن آثامنا وليجاب علينا رضى الله . ومحرقة ، دليلاً على تكريسه التام للغرض الأسمى الذى تجسد لأجله : « لأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق » (يوحنا ١٧ : ١٩) ، وذبيحة سلامة ، لأنه وهو الاله الكامل ، والإنسان الكامل ، قد صنع سلاماً بين الله والناس بشخصه الممتاز .

هذه هى محبة المسيح الفدائية ، الكفارية ، التطوعية ، وبها قدم لنا أعلى قياس للمحبة التى ينبغى أن نحب بها بعضنا البعض . لأنه أحبنا حتى الموت ، بل قدم لنا أشرف باعث لهذه المحبة ، إذ قدَّم نفسه ذبيحة اختيارية : « والمعطى المسرور يحبه الرب » . ومتى كان حبنا لبعضنا البعض سامياً ، شريفاً ، خالصاً ، فان حبنا هذا يُحسَب ذبيحة تعبدية لله فاليتقبلها منا نسيم رائحة طيبة .

إن طاعة المسيح التى أظهرها بتقديم نفسه كفارة عنا ، قد تقبلها منه

رائحة طيبة

الآب « نسيم رائحة طيبة » . فليس الله محباً للذبائح ، ولا لسفك الدماء، ولا لرائحة المحرقات — كما توهم باطلاً أحد الكتاب العصريين — تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً ! لكنه يحب الطاعة ، ويريد الرحمة لا الذبيحة .

(٣) فلول الظلام تولى الأدبار أمام جيوش المحبة (٥ : ٣ و ٤)

كرس الرسول العددين الأولين من هذا الأصحاح للمحبة الإلهية ، التي يكنها قلب الآب نحونا منذ الأزل، وأظهرها لنا في ملء الزمان بتقديم المسيح نفسه ذبيحة عنا . هذه هي أشعة أنوار محبة المسيح التي انبعثت نحونا من فوق الصليب . وهي التي تولد في قلوبنا حباً من جنسها نحو بعضنا البعض.

غير خاف أن النور متى سطع في مكان ما ، طرد الحشرات الكامنة فيه . ولدى التأمل ، يتضح أن الرسول ، بعد أن أماط اللثام عن شدة أنوار المحبة الهية(عدد١) ، وبعد أن أظهر لنا قوة أضواء المحبة الأخوية المسيحية، لم يبق أمامه سوى أن يكشف الغطاء عن فلول الظلام التي تطاردها جيوش أنوار المحبة ، حتى تطردها . هذا موضوع كلام الرسول في العددين التاليين (عدد٣ و ٤) . وبين جيوش المحبة وفول الظلام ، تقف كلمة :«وأما» كسد قائم بين مياه عذبة ومياه آسنة ، وكحد فاصل بين أنوار الحياة الجديدة وظلمات الحياة العتيقة في سجل الخليقة الجديدة . مثلما كان اليوم الأول في سجل الخليقة الأولى ، فاصلاً بين ظلمات الأرض الخربة المغمورة ، وأنوار الأرض الجديدة المعمورة ! !

٣ وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسمّ بينكم

صفّ الرسول جيوش الظلام في فيلقين — كل منهما فيلق ثلاثي

| عدد ٣ | الفيلق الأول: «الزنا، النجاسة، الطمع» — هذه مرة أخرى ، فيها يقرن الرسول خطية النجاسة بخطية الطمع (راجع ٤ : ١٩) . والظاهر أن الكلمة اليونانية المترجمة «طمع» تنطوي على معنى أعم من الطمع وأوسع. فهي تعيّن إتجاه حياة الإنسان الذي يعيش لذاته ، لأن من عاش لذاته اليوم ، عاش للذاته غداً . فإن حياته تصبح بلا ضابط سوى ميوله الخاصة التي لا تعرف حداً للشبع . فيتخطى المرء حقوقه متعدياً على حقوق الآخرين ، وفي النهاية يبلغ حد الطمع الأشعبي . وغير خاف أن هاتين الخطيتين — النجاسة والطمع — مشتقان من مصدر واحد : هو عدم الاكتفاء ، وهو وليد حب الذات . وما من شك في أن هذا الحافز الذي يدفع إنساناً ما إلى النجاسة ، هو بعينه الذي يدفع إنساناً آخر إلى الطمع (١ تس ٤ : ٣ — ٦) .

ولقد أحاط الكاتب هذا المثلث الفاسد : « الزنا ، النجاسة ، الطمع » بإطار أسود قاتم ، محذراً المكتوب إليهم من الخطايا المكوّنة لأضلاعه ، فلا يذكرُ ولا اسمها فيما بينهم كقديسين ، لأنها والقداسة على طرفي نقيض — والقداسة والقديسون من مصدر واحد وقد لوحظ مراراً أن التمادي في ذكر هذه الخطايا بأسمائها ، ولو على سبيل التنديد بها ، كثيراً ما يوقظ كوامنها الدفينة في الطبيعة البشرية ، ويفتح أمام الأصاغر أبواباً جديدة في سبل ارتكابها ، لذلك قال عنها الرسول في موضع آخر « ذكرها أيضاً قبيح »

كما يليق بقديسين ٤ ولا القباحة ولا كلام السفاهة

(١٢:٥) . فالتلميح فى هذا الباب قد يكون أفعل من التصريح. والإيجاز خير إعجاز ، والصمت أبلغ من الكلام .

فليكن المؤمن نقىّ الحياة ، عفّ اللسان ، مصلياً على الدوام أن يجعل الرب حارساً على باب شفتيه . لأن عدم التحفظ فى التكلم عن هذه الخطايا يُعتبر تحريضاً للتجربة على أن تجرّبنا. وتحرشاً بهذه الخطايا لتقوم وتتحرش لنا.

فمن أوجب الواجبات على القديسين بالدعوة السماوية ، أن يكونوا قديسين فى حياتهم العملية على الأرض ، بذلك يصبحون قديسين نظرياً ، وعملياً .

| عدد ٤ | الفيلق الثانى — «القباحة، كلام السفاهة، الهزل». غير خاف أن الرسول وضع الخطايا الكلامية فى مستوى واحد مع خطايا الحياة العملية، لأن الكلام يسوق إلى الفعال، فكم من خطايا تحاول الدخول إلى مدينة نفس الإنسان، وإذ يتعذر عليها الدخول من أبواب الفعال، تلج باب الأقوال فتجده مفتوحاً على مصراعيه. وكم من كلمات قبيحة جرّت إلى أفعال ذكرها أيضاً قبيح.

الكلمة الأصلية المترجمة : «القباحة» لم ترد فى العهد الجديد سوى هذه المرة . وهى فى اللغة اليونانية القديمة (كلاسيك) من ذات المصدر الذى تُشتق منه شرّ الأفعال وأقبحها .

وكذلك العبارة المترجمة : «كلام السفاهة» لم ترد فى العهد الجديد سوى هذه المرة ، وهى تعنى التكلم عن الخطية بلسان «الجاهل» وروح الغبى المستخف بخطاياه وخطايا الآخرين .

والهزل التى لاتليق

أما الكلمة المترجمة: «الهزل» فهى تعنى المزاح الثقيل والسخرية والسمجة التى يحاول بها المرء أن يدخل السرور على نفسه ونفوس سامعيه بالنيل من مقام الآخرين والحط من أقدارهم. والظاهر أن هذه العادة كانت شائعة بين سكان أفسس فى ولائمهم وسهراتهم، وهى أيضاً فاشية بين أقوام كثيرين فى عصرنا الحاضر، ومنهم حذرنا كاتب المزمور الأول فى غرة المزامير «طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار، وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس». ومن المحقق أن من يستمد سروره من إيلام الآخرين هو مطبوع بطابع حب الذات الذى هو «نبع كل نجاسة وطمع»، ولئن تنوعت الثمار، فالبزرة واحدة. ويقول المؤرخون إن أهل آسيا كانوا متفننين فى ضروب السخرية لأن الفيلسوف أرسطاطاليس كان يحسب المجون ضرباً من الفنون الجميلة! وغالى أحياناً فحسبه فضيلة! وقد استنتج أوليمبيودورس أن بولس الرسول شجب الهزل لدرجة لم يترك فيها مجالاً لكلام التفكهة الذى قد يكون أحياناً بريئاً، لأنه كان حريصاً على أن يبعدنا عن الشر، وشبه الشر. فكم من مجلس يبدأ بكلام «الهزل البرىء»، فيختتم بالكلام المبتذل*.

(*) قال القديس برنارد: «الهزل بين أهل العالم، يحسب مزاحاً. لكنه بين المؤمنين يحسب تجديفاً».

وقيل عن جونسون الأديب الكبير إنه كان جالسا يوما مع أحد رفاقه فسمع على مقربة منه جماعة من خدام الدين يمزحون ويهزلون آملين أنهم بمزاحهم يكسبون إعجاب ذلك الأديب الكبير، لكن الرجل التفت إلى زميله وقال: «إن مزاح هؤلاء الخدام من أكثر العثرات لى فى الحياة».

بل بالحرى الشكر

ويعتقد بعض المفسرين أن كلمة : « لاتليق » تصف خطية الهزل وحدها لا كل الخطايا سالفة الذكر

القوة الطاردة لكلام الظلام : بل بالحرى الشكر » . إن الحياة المسيحية الحقة لاتكتفي بالأعمال السلبية ، لأنها لاترضى بالأعمال الإيجابية بديلا . فهي لاتقف عند حد الاقلاع عن كلمات القباحة ، والسفاهة ، والهزل ، التي لاتليق ، بل تتسامى بلغة الكلام فترتقي بها من الابتذال إلى الشكر . فتجعل من كلامنا عبادة مقدسة مرضية لله . فلا شيء يطرد الظلام ، سوى النور ، ولاقوة تذيب الثلج مثل قوة أنوار الشمس المشرقة . فبدل أن يكون كلامنا متجها اتجاهاً أفقياً عن الناس وإلى الناس ، بنغمة التحقير والتشهير ، يجب أن يتجه اتجاهاً عمودياً إلى الله بنغمة الحمد والتمجيد .

الكلمة اليونانية المترجمة « الشكر » (يوركارستيا) مجانسة فى اللفظ والاشتقاق للكلمة « كارس » التي ترجمتها « نعمة » هذا هو كلام الشكر المشبع بنعمة ، الذي يليق بأناس عرفوا الله ، بل عرفوا منه وصاروا له أبناء .

ولا يفوتنا أن نذكر أن قوله : «لاتليق » يحمل ضمناً زجراً شديداً لايقدره إلا عارفوه : «أسلكوا بلياقة» . فاللياقة لمن يقدرونها ويتذوقونها ، هي من أشرف البواعث وأقواها . فهي فى عرف المؤمنين ، لاتقل عن كلمة «حرام» ، فى لغة الغير المؤمنين . وهي تفيد التكافؤ ، والتوافق ، والتوازن — بمعنى أن حياة المؤمنين العملية على الأرض يجب أن تكون متكافئة ومطابقة لدعوتهم السماوية فى الأعالي .

٥ فانكم تعلمون هذا أن كل زان

عدد ٥ الحرمان العظيم الواقع على أهل الظلام (٥: ٥)

هذا كلام يقيني واضح ، لا شيء فيه من الغموض والإبهام . ولا يأتيه اللبس من إحدى نواحيه ، فلا مجال فيه للجدال أو المساومة : «فانكم تعلمون هذا» . ويجوز أن تترجم أيضاً إلى : «فانكم تعلمون وتفهمون» فان كنتم فى شك من جهة حقائق أخرى ، فلا مجال للشك فى هذه الحقيقة لأنها واضحة كالنهار .

فى العدد الحادى عشر من الأصحاح الأول ، عرّف الرسول المكتوب إليهم «أنهم فى المسيح نالوا نصيباً» وفى العددين الثالث عشر والرابع عشر من ذات الأصحاح ، قرر أنهم «خُتموا بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثهم» ، فمن الطبيعى أن يعرّفهم هنا أن من يقع فى الخطايا سالفة الذكر (٣:٥ و ٤) يحكم على نفسه بالحرمان من هذا الميراث المجيـــد . لا لأنه كان له فأضاعه ، بل لكونه غير أهل له من البداءة : «لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ، وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن . وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان» (٢ كو ٦: ١٤-١٦) ..... «عابد الأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح» .

(١) الخطايا : هذه هى الحقيقة . المرة اللاذعة — والحق بطبيعته مرّ — «إن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له نصيب فى ملكوت المسيح والله» . فى هذه الكلمات ، وضع الرسول خطية الطمع فى مقامها اللائق بها ، إذ أحاطها بخطيتين شنيعتين : النجاسة عن يمينها ، وعبادة

أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان

الاوثان عن يسارها: «نجس ..طماع...عابدالأوثان». فالطمع وليدالنجاسة وشريكها، وهو والد عبادة الأوثان. وأم الجميع هى محبة الذات.

قال ليتفوث فى هذا الصدد: الرجل الطماع يضع نصب عينيه معبوداً آخر شريكاً لله» — أو بعبارة أدقّ — «معبوداً آخر بديل الله».

إن من يقع في منطقة هذا المثلث الفاسد. «النجاسة، الطمع، عبادة الأوثان» يحكم على نفسه بأنه لم ينتقل بعد من ملكوت الظلمة. فهو إذاً متغرب عن إسرائيل الروحىّ، لأنه باق فى ظلام أمميته الوثنية: وهو بحكم الطمع «أجنبى عن رعوية اسرائيل غريب عن عهود الموعد»، لأنه بطبيعته من «أبناء الغضب». وأنىّ لابن الغضب أن يكون له «ميراث فى ملكوت المسيح والله؟»

(٢) الحرمان: عبرّ الرسول عن النصيب الذى يُحرم منه كل نجس أو طماع، بكلمة: «ميراث»، وهى تعبير مجازىّ يُكنى به عن نيل الحياة الأبدية فى الحال، والتمتع بكمال مجدها، ومجد كمالها، فى الاستقبال (مرقس ١١:١٧ ومتى ٢٥:٣٤، يعقوب ٢:٥، ١ كو ١٥:٢٠).

الكلمة اليونانية: «كليرونوموس» المترجمة «ميراث» تعنى النصيب الذى يتمتع به الإنسان فى الحال بحكم الامتلاك، أو النصيب الذى يكون من حقه أن يتمتع به فى الاستقبال. فالمعنى الأول يعيّن «ميراث» المؤمن فى ملكوت النعمة، والمعنى الثانى يعين «ميراثه» فى ملكوت المجد.

ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله .

أما ماهية هذا «الميراث» فقد أشار إليها الرسول بقوله : «ملكوت المسيح والله» . هذا تعبير فذ لم يرد فى الكتاب سوى هذه المرة . وهو يفيد أن الملكوت واحد لا إثنان . ولكنه نسب إلى المسيح باعتبار كونه الفادى الوسيط الذى تسلم هذا الملك من الآب لينفذ فيه برنامج الفداء ، ومتى أتم عملية الفداء يسلم الملك لله الآب (١ كو ١٥ : ٢٧ و٢٨) . ونسب هذا الملكوت إلى الله باعتبار كونه الملك النهائى على هذا الملكوت . ويغلب على اعتقادنا — والحالة هذه — أن الرسول أراد «بملكوت المسيح» ، «ملكوت النعمة» ، «بملكوت الله» ، «ملكوت المجد» . فالعبارة الأولى تعنى «الكنيسة المجاهدة على الأرض والثانية تعنى «الكنيسة الممجدة» فى السماء . فيكون معنى العبارة : «ليس له نصيب فى ملكوت المسيح والله» . أن ليس له نصيب فى الحياة الأبدية — لا فى الحال ولا فى الاستقبال لا بالتمتع ولا بحق الامتلاك . مع العلم أن المسيح ملك على ملكوت المجد أيضاً . والله ملك على ملكوت النعمة أيضاً (رؤيا ١١ : ١٥ ، كو ١ : ١٣) إن فى قوله «ملكوت المسيح والله» برهاناً ضمنياً على أن المسيح إله تام . وإلا فهل كان الرسول يجسر أن يضع إسم المسيح جنباً إلى جنب مع اسم الله فى السيادة على هذا الملكوت؟ وإن لم يكن المسيح إلهاً ، فما بولس إلا مشركاً !؟ وحاشاك من هذا يارسول الأمم — حاشاك !! ولم لا تعتبر الواو فى كلمة «والله» واواً وصفية لا عطفية ، فتفسر هذه العبارة على هذه الصورة : «ملكوت المسيح الذى هو الله؟» — هذا رأى الدكتور هودج ، وهو فى عرفنا أقرب الآراء إلى الصواب .

٦ لا يغركم

موقف أبناء النور تجاه الظلام وأعوانه (٥ : ٦ — ١٤)

أولاً : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام (٥ : ٦ (أ))

(١) الموقف : لاتغتروا بكلامهم الباطل (٥ : ٦ (أ))

— ا - الباعث : «لأنه بسبب هذه الأمور» (٥ : ٦ (ب))

(٢) الموقف : لاتشاطروهم حالهم ولا مآلهم (٥ : ٧)

— ب — الباعث : لأنكم كنتم قبلاً .. والآن» (٥ : ٨ (أ))

ثانياً : موقف أبناء النور إزاء دعوتهم (٥ : ٨ (ب) — ١٠)

(ا) الموقف : «أسلكوا كأولاد نور» (٥ : ٨ (ب))

— ب — ثمر النور : «لأن ثمر الروح هو فى كل صلاح ...» (٥ : ٩)

— ج — الباعث على السلوك فى النور : «مختبرين ...» (٥ : ١٠)

ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة (٥ : ١١ — ١٣)

— ا — الموقف : (١) سلبياً : «لاتشتركوا» (٥ : ١١ (ا))

(٢) إيجابياً : «بل وبخوا» (٥ : ١١ (ب))

— ب — الباعث : (١) لأن الأمور الحادثة سراً ... قبيح (٥ : ١٢)

— ج — تأثير النور على الظلام «لأن الكل إذا توبخ يظهر ...» (٥ : ١٣)

كلمة ختامية : معدن النور الذى يجابه الظلام — نور المسيح (٥ : ١٤)

موقف أهل النور تجاه الظلام وأعوانه

(٥ : ٦ — ١٤)

ركّز الرسول فى هذه الأعداد ، الأوامر والنواهى التى ذكرها فى الأعداد

أحد بكلام باطل

السابقة (٥ : ١ — ٥) ، مفرغاً إياها في قالب مجازي عن النور والظلام ؛ أو بعبارة أخرى : عن موقف أبناء النور تجاه الظلام وأعوانه . وعلى هذا الاعتبار نقسم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

أولا : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام (٥:٦ — ٨ (١))

ثانياً : موقف أبناء النور إزاء دعوتهم هم (٥:٨ (ب) - ١٠)

ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة (٥ : ١١ — ١٤)

أولا : موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام (٥ : ٦ — ٨ (١))

أوضح الرسول موقف أبناء النور تجاه أهل الظلام في عبارتين سلبيتين ، معقباً على كل منهما بباعث خاص . فهو إذاً موقف مزدوج :

عدد ٦ | (١) الجانب الأول من هذا الموقف : عدم الاغترار بالكلام الباطل الذي يذيعه أهل الظلام : « لا يغركم أحد بكلام باطل » .

كانت أفسس في ذلك العصر مرتعاً للآراء الفلسفية ووكراً للشيع الدينية المتباينة — بينها شيعة الغنوسيين التي كانت تذيع تعاليم سفسطية ، مفادها أن الحياة العملية مستقلة تمام الاستقلال عن الحياة النفسية ، فيحق المرء ، والحالة هذه ، أن يتصرف كما يحلو له في دائرة الجسد ، من غير أن يؤثر هذا التصرف الأدبي في موقفه الروحي — فيشاطر أهل الظلام تصرفاتهم ، ويشاطر أبناء النور عقيدتهم ، فيصبح من أبناء الله في النهاية ، ويمسى مع أبناء بليعال في الظلام . هذا هو « الكلام الباطل » الذي كانت تذيعه تلك الفئة العجيبة محاولة أن

لأنه بسبب هذه الأمور

تستميل به بسطاء العقول، ضعاف الإيمان. هذا هو الكلام الملق، المعسول، الخادع الغرار، الذي يفيض لطفاً، وحقاً، وصلاحاً — في ظاهره، ويضمر القسوة والبطل والمفاسد في باطنه. هذا هو الكذب الملبس بالصدق، والباطل المقنّع بالحق، والسم المختفي في الدسم. وإن وُجدت في الباطل دركات، فإن أحطها هو ذلك الدرك الذي يهوي إليه الإنسان فيخفي خنجره بين باقة الرياحين، ويدس سهامه الملتهبة بين كئوس الورود. وشر الأعداء من استعار وجه الصديق!!

« بكلام باطل » — استعمل الرسول هذه العبارة عينها في كولوسي ٢: ١٨ وصفاً للحجج الكفرية التي تقود إلى الإلحاد، وهي مبرقعة ببرقع التواضع.

ولعل الرسول أشار في رسالة سابقة إلى هذا « الكلام الباطل » الذي أفرغ في ذلك القالب المأثور: « الجوف للأطعمة والأطعمة للجوف » (١ كورنثوس ٦: ١٢).

- ا — الباعث على هذا الموقف — وقوع غضب الله على أبناء المعصية

« بسبب هذه... يأتي غضب الله ». تتجلى هذه الكلمات عن ثلاث حقائق:

(١) علة العقاب: « بسبب هذه الأمور » — أعني بسبب تلك الخطايا الصادرة عن الجسد، المذكورة في العدد الخامس. فهي ليست معفاة من العقاب كما ظنت شيعة الغنوسيين باطلاً. لكنها تجلب غضب الله على أبناء المعصية. ويظن بعضهم أن « هذه الأمور » هي الكلام الباطل، لكن المعنى الأول هو الأصوب.

(٢) أهل العقاب: « أبناء المعصية ». هذه هي المرة الثانية التي تصادفنا

يأتى غضب الله على أبناء المعصية . ٧ فلا

فيها هذه العبارة فى هذه الرسالة — فتصدمنا. فقد سبقنا والتقينا بها فى العدد الثانى من الأصحاح الثانى ، فاطلب تفسيرها هناك .

(٣) ماهية العقاب : « يأتى غضب الله » فى تلك المناسبة السابقة (٢ : ٢و٣) أشار الرسول إلى عقاب أبناء المعصية بكلمة مركزة: «وكنا بالطبيعة أبناء الغضب» . فاطلب تفسيرها فى موضعها .

ويكفى أن نذكر هنا أن هذا الغضب ليس ناتجاً عن حقد شخصى موجه إلى الأشرار من قبل الله جل وعلا — تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً ! لكنه غضب عقابى منشأه عدم رضاه تعالى عن تصرفاتهم ، على رغم كونه يحب أشخاصهم ، لكنهم جعلوا أنفسهم مستحقين هذا العقاب برفضهم كفارة المسيح ، فصاروا أهلاً للغضب — بل من أبنائه .

إنه عقاب منصب عليهم فى العالم الحاضر (رومية ١ : ٢٧) . وهو لهم بالمرصاد فى العالم العتيد (رؤيا ٢١ : ٨) . ونسبة الغضب الحاضر إلى الغضب العتيد ، كنسبة الزهرة إلى الثمرة أو كنسبة العربون إلى الثمن الكامل . أو كنسبة النعمة إلى المجد — مع الفارق ! !

| عدد ٧ | (٢) الجانب الثانى من الموقف: «فلا تكونوا شركاءهم» — أى لا تكونوا شركاءهم فى تصرفاتهم لئلا تصبحوا شركاءهم فى عقابهم . إن فى هذا تذكيراً لطيفاً للمؤمنين من أهل أفسس ، بعيشتهم السالفة التى كانوا لعيها قبل إيمانهم بالمسيح ، وحضاً قوياً لهم على الاتجاه إلى الأمام فى

تكونوا شركاءهم. ٨ لأنكم كنتم قبلا ظلمة

مسلكهم، وتحذيراً فعالاً ضد الارتداد إلى الوراء.

وغير خافٍ أن المشاركة تتخذ مظاهر كثيرة وإن توحدت في جوهرها فقد تتخذ المشاركة شكل التضامن التام سراً وجهراً. وقد تتخفى فتكتفي بالتحريض من وراء الستار وقد تقنع بمجرد المصادقة القلبية وابتسامات الرضى، ترسل عن بعد. هذا في الواقع أشر أنواع المشاركة. وهو ما ختم به الرسول قائمة الشرور التي اسودت بها «غرة» رسالته إلى رومية: «الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسرون بالذين يفعلون (رومية ١: ٣٢).

| عدد ٨ | ثانياً: موقف أبناء النور إزاء دعوتهم — في الماضي، والحاضر، والمستقبل (٥: ٨)

مرة أخرى أوقف بولس أهل كنيسة أفسس بين ماض محمل بالآثام ومثقل بالأوزار، وحاضر يشع منه نور الأنوار، ومستقبل مفعم برجاء الظفر والانتصار: «لأنكم كنتم قبلا...» هذا موقفهم الماضي. «وأما الآن فنور في الرب» — هذا موقفهم الحاضر. اسلكوا كأولاد نور» — هذا مسلكهم في المستقبل.

موقف في الماضي والحاضر: «كنتم قبلاً ظلمة... أما الآن فنور».

هذا خير باعث يفصل المكتوب إليهم عن ماضيهم الذي كان ظلاماً في ظلام، وعن حاضرهم الذي هو نور في نور. فهو شبيه بسيف ذي حدين — حده الأول

وأما الآن فنور فى الرب .

يقطع الطريق من خلفهم كيلا يرجعوا إلى الوراء، ويقطع أمامهم الأشواك والمعاثر التى تعترض طريقهم فى المستقبل .

« كنتم ظلمة ... وأما الآن فنور » — هذه تعبيرات قوية مركزة ، فلم يقل الرسول : « كنتم سالكين فى الظلمة »، بل : « كنتم ظلمة » أى أنهم كانوا « الظلمة مجسمة » . ولم يقل: «وأما الآن فأنتم فى النور»، ولا «أنتم تابعون للنور » ، بل : « وأما الآن فنور » .

وغير خاف أن الرسول وصفهم فى ماضيهم وصفاً مطلقاً : فقال « كنتم ظلمة » —أى أنهم كانوا فى أنفسهم ظلاماً فى ظلام. لكنه حين أراد أن يصفهم فى حاضرهم خلع عليهم وصفاً نسبياً، قائلاً : « وأما الآن فنور فى الرب ». أى أنهم ليسوا نوراً في أنفسهم، لكنهم « نور فى الرب». فالظلام منا وفينا ، ولكن النور من الرب . أن نور المؤمنين ليس نور الشمس بل نور القمر، هو نور اكتسابى لاذاتى . فاذا كان المسيح قد قال للتلاميذ: «أنتم نور العالم » ، فما ذلك الا بحكم نسبتهم اليه هو، الذى قال عن نفسه : أنا هو نور العالم ».فالإنسان يستنير أولاً ثم ينير . مَثَله مثَل قطعة من حديد يجتذبها المغناطيس ، فيكسبها قوة مغناطيسية تجذب اليها سائر المعدن .

موقفهم فى مستقبلهم : « اسلكوا كأولاد نور » أن مستقبلهم مشتق من حاضرهم ،كما تشتق الزهرة من البزرة، والثمرة من الزهرة. فالحياة الروحية أساس السلوك العملى . والسلوك العملى مترجم عن الحياة الروحية .

إن قول الرسول : «اسلكوا كأولاد نور» ،يذكرنا بكلام المسيح:

اسلكوا كأولاد نور. ٩ لأن ثمر الروح

«النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا فى النور مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام... مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور» (يو ١٢: ٣٥و٣٦) وبمقابلة هذين القولين معاً، يتضح لنا أنهما يصفان وجهين متكاملين لحقيقة واحدة. فكلام المسيح يرينا أن الطاعة العملية هى السبيل إلى الشركة مع الله، وكلام الرسول يعرفنا أن السلوك العملى هو برهان صحة شركتنا مع الله.

إن «أولاد النور» هم الذين يسلكون فى النور مبتهجين فرحين، لأنهم فى الجو الذى يناسب طبيعتهم، وفى البيئة التى تنمى ملكاتهم، وفى الوطن الروحى الذى يغذى حياتهم. فيدخلون ويخرجون بكل حرية وسلام. فلا النور يؤذى عيونهم الرمداء، ولا هو يزعج ضمائرهم العوجاء.

«النور» هنا، تعبير مجازى يكنى به عن الشركة مع الله الذى هو النور — نور الحياة ونور الخلود. فأبناء النور هم أبناء الله الذين صاروا بالميلاد الثانى «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بطرس ١: ٤، ١تسالونيكى ٥: ٤).

وقد لاحظ الأسقف وستكوت أن الكلمة المترجمة «أولاد» نور، نادرة الورود في العهد الجديد، وقد وردت فيه بصيغة الجمع فقط (لو ٧: ٣٥ و١ بطرس ١: ١٤ و٢ بطرس ٢: ١٤ وغلاطية ٤: ٢٨ ورومية ٩: ٨).

| عدد ٩ | — ب — ثمر النور: «لأن ثمر النور هو فى كل صلاح، وبر، وحق». الكلمة المترجمة: «الروح» وردت فى أغلب النسخ: «النور». وهذه تتمشى مع سياق الكلام فى هذا الفصل. لأن الرسول تكلم

هو فى كل صلاح

فى العدد السابق عن طبيعة المؤمن المتجدد. فقال إنها: «نور»، فمن الطبيعى أن يبين لهم ثمر هذا النور بسلوكهم العملى فى جدة الحياة. وقد شبه الرسول هذا النور بشجرة حية مثمرة، ولعله اقتبس هذه الاستعارة من المزامير: «نور قد زُرع للصديق» (مزمور ٩٧ : ١١). والفكرة التى ينطوى عليها قول الرسول فى هذا العدد، هى أن النور الداخلى لا يلبث أن تشع أنواره فتظهر فى الحياة العملية وإلا فهو نور صناعى زائف. لأن بزرة النور متى زُرعت فى القلب، لابد أنها تثمر ثماراً تنبثق منها انبثاقاً طبيعياً. وهى ليست ثماراً على وتيرة واحدة، لكنها تتجلى فى كل نواحى حياة الإنسان الشخصية، والاجتماعية، والروحية: «فى كل صلاح وبر وحق».

«فالصلاح» يشير إلى صفات الإنسان الشخصية (رومية ٥: ٧ (أ))

«والبر» يعيّن صلة الإنسان فى معاملاته مع الآخرين (رومية ٥: ٧ (ب))

«والحق» يشير إلى مبدأ حياة الإنسان فى صلته بالله (يوحنا ١٤: ٦)

هذا هو مثلث الحياة الكاملة، الذى يتجلى فيه ثمر نور الطبيعة الجديدة

الكلمة المترجمة: «صلاح» وردت أيضاً فى رومية ١٥ : ١٤ وغلاطية ٥: ٢٢، ٢ تسالونيكى ١: ١١، وهى فى معناها الأصلى مضادة لكل رزيلة، كأنها الفضيلة مجسّمة. فـ«الصالح» بهذا المعنى هو «الفاضل» حقاً وفعلاً، لا لقباً وقولاً. ويعتقد يوحنا الذهبى الفم أنها مضادة للغضب. لكنها أوسع من ذلك وأعم.

ولا يبرح ذهننا أن الرسول، فى كلامه عن ثمر نور الحياة الجديدة، استعمل كلمة المفرد: «ثمر» لا الجمع: «ثمار»، لأن الحياة الروحية وحدة كاملة

وبر وحق . ١٠ مختبرين

لاتتجزأ ، فمن الواجب أن يظهر ثمرها فى كل مناحى الحياة، من غير إفراط ولا تفريط فى إحدى نواحيها (غلاطية ٥ : ٢٢و٢٣) .

والـكلمة المترجمة : « بر » وردت أيضاً فى ٤:٢٤ وتيطس ٢:١٢ — وهى تعنى المحافظة على حقوق الآخرين ، كعنصر لازم لحفظ الشريعة الإلهية .

والـكلمة المترجمة « حق » تعنى الجوهر الحقيقى المضاد لـكل مظهر خادع والمنافى لـكل صفة زائفة ، وادعاء باطل .

يميل الدكتور ديفد سميث إلى تفسير هذا العدد على هذه الصورة: «لأن ثمر النور ينمو فى تربة الصلاح والبر والحق» . والفرق بين قوله وبين ما ذهبنا اليه ، ليس ببعيد .

عدد ١٠ — جـ — الباعث على السلوك فى النور — اختبار مرضاة الله : « و مختبرين ماهو مرضى عند الرب » .

إن كلام الرسول فى هذا العدد متمم لقوله فى العدد الثامن ، على اعتبار أن العدد التاسع جملة تفسيرية . على هذا الاعتبار، يتمشى سياق الـكلام على هذا النمط: «اسلـكوا فى النور... مختبرين ماهو مرضى عند الرب» . فبعد أن يسمع المرء كلام الرسول القائل: اسلـكوا كأولاد نور» يقف متسائلا: «ولـكن ماهو المحك الذى به نميز بين النور والظلام ؟ فيأتيه الجواب من ثنايا هذا العدد العاشر : « مختبرين ما هو مرضى عند الرب » . فمرضاة الله هى « حجر المحك» الذى به نميز النور من الظلام . وليس بغريب أن تـكون

ما هو مرضى

هذه الإرادة القدسية « حجر محك » وهى التى نقشت أولا باصبع الله على لوحين من « حجر » ! ! . ثم أعلنت لنا بصورة ملموسة فى المسيح المتجسد الذى قيل فيه : « هأنذا أؤسس فى صهيون حجراً — حجر امتحان » (إشعياء ٢٨: ١٦) . وقد وردت الكلمة عينها : « مختبرين » فى رومية ١: ٢٨ فترجمت « استحسنوا » ، وفى رومية ١٢ : ٢ فى عبارة موازية لهذه « لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » .

وربَّ سائل : ولكن كيف نميز بين ما هو مرضى عند الرب وما هو غير مرضىّ ؟ الجواب فى العدد الثامن : « اسلكوا فى النور ... فتختبروا ما هو مرضى عند الرب » فكأن السلوك فى النور ، واختبار مرضاة الله ، يتبادلان التأثير والتأثر ، والفاعلية والمفعولية . فإرادة الله تميز النور من الظلام ، والسلوك فى النور يميز بين ما هو مرضى لدى الرب ، وما هو غير مرضى .

فعلينا أن نحرص ، فى سلوكنا ، على اختيار السبيل الذى يجلب علينا رضى الله . هذا هو الرضى الذى يميزه ويتذوقه الضمير المستنير المتجدد . فهو ابتسامة الله يرسلها إلى المؤمن فتخترق حجب الظلام وتنزل على نفسه الواهنة ، كقطر الندى الذى ينعش الزهور الذابلة ، أو كأشعة الشمس المرسلة على أكمام الأزهار المتفتحة ، فتحييها وتنعشها وتحييها : « نعماً أيها العبد الصالح والأمين » .

إن كل خطوة فى الحياة الروحية العملية تطلب عناية خاصة وتدقيقاً فائقاً ، إذ لا يمكننا أن نخلى أنفسنا من مسئولية الدينونة على كل فعل نأتيه .

عند الرب . ١١ ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة

فمن الواجب أن نستخدم ماوهبنا الله من ذوق روحي لنختبر ماهو مرضى عند الرب ، موقنين أن حكم «الرب» يسوع هو حكم الله نفسه .

وقد وردت كلمة «مرضى» فى العهد الجديد وصفاً للأشخاص العاقلين فى ٢كو ٥: ٩ ورومية ١٤: ١٨ وتيطس ٢: ٩ « ونعتاً للأشياء» غير العاقلة فى فيلبي ٤ : ١٨ ورومية ١٢ : ١ و٢ كولوسي ٣ : ٢٠ وعبرانيين ١٣ : ٢١ .

عدد ١١ | ثالثاً : موقف أبناء النور تجاه أعمال الظلمة (٥: ١١ — ١٣)

— ١ — الموقف : «ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة ... بل وبخوها» (٥: ١١)

هذا موقف ذو جانبين : أحدهما — سلبي : « لا تشتركوا . . . »

والثاني — إيجابي: « بل . . . وبخوها »

الجانب السلبي: « لا تشتركوا ... ». تنطوى هذه العبارة على حقيقتين:

الحقيقة الأولى: ماهية موقفنا : « لا تشتركوا ... » . وردت هذه الكلمة فى فيلبي ٤: ١٤ ورؤيا ١٨ : ٤ وأفسس ٥: ٣ — وهى تعنى الصلة الشخصية الخفية أكثر منها الصلة الخارجية الظاهرة لدى العيون . فكثيرون يشتركون فى الجوهر لكنهم يتهربون من المظهر . كثيرون يشتركون في المؤامرة ويختفون وقت المظاهرة . لكنها شركة على كل حال، والمتآمر شر من المنفذ.

هين علينا أن لا نشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، متى ذكرنا أننا صرنا شركاء المسيح الذى قد اشترك وإيانا « فى اللحم والدم» (عب ٢: ١٤)

الحقيقة الثانية: ماهية الأشياء التى نقف منها هذا الموقف : « أعمال

غير المثمرة بل بالحرى وبخوها

الظلمة غير المثمرة » فى رسالة معاصره لهذه، تكلم الرسول عن «أعمال الجسد وثمر الروح» (غلاطية ٥: ١٩ — ٢٤) . وفي هذه الرسالة تكلم عن « ثمر النور وأعمال الظلمة» (أفسس ٥: ٩ — ١١). والمستفاد من هذين الفصلين مجتمعين معاً، أن الروح والنور لهما ثمر، لكن الجسد والظلمة لهما أعمال، لأن الروح حى وكذلك النور، ولابد للحى من ثمر . لكن الجسد ميت ، أو هو حى فى عالم الموت — وكذلك الظلمة — والميت عديم الثمر . نعم أن للجسد والظلمة أعمالاً ، لكنها أعمال غير مثمرة . وأن لهما آمالاً لكنها خلابة كالسراب . فهى كشجرة مورقة لكنها بغير ثمر . وكسحب خريفية، بغير مطر . فمع أن لأعمال الظلمة عواقب خطيرة ، بل أخطر العواقب ، إلا أنها أعمال غير مثمرة ، لأنها تعد الشرير بالخيرات الكثيرة، وفى النهاية لا يحصد سوى الريح افـ عخان نال الرداء الشنعارى ، لكنه نال معه قبراً ، فلم يتمتع بالرداء . لأن ظلمة القبر صيرته له كفناً، لا رداء . فأعمال الظلمة إذاً غير مثمرة فى عُرف الإصلاح والبناء ، لأنها شريرة هادمة . لا حساب لها فى سجل أعمال الصلاح الخالدة ، لأنها ضارة لا نفع فيها .

الجانب الايجابى : « بل بالحرى وبخوها » . ليس واجب المسيحى مقصوراً على نيل النور والتمتع به، بل عليه أن ينشر النور، لكونه هو نوراً لأن النور من طبعه أن ينتشر ، فلا يكفيه أن لا يشترك فى الشر، بل عليه أن يوبخه، بأن يكشف القناع عنه، فيبرزه فى حقيقته، مجرداً إياه عن ثوب الرياء، ورداء الادعاء . لا بروح التشفى والانتقام، بل بروح الاصلاح، لأن التستر

١٢ لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح .
١٣ ولكن الكل إذ توبخ يظهر بالنور .

على الجريمة ، هو اشتراك فى الجريمة عينها . (متى١٨ : ١٥ويوحنا ٣: ٢٠ و١٦ : ٨و١ كورنثوس ١٤ : ٢٤) .

عدد ١٢ —ب— الباعث على هذا الموقف : « لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح » . هذا تحوُّط ضد الاسترسال فى وصف خطايا الآخرين، والتمادى فى تعقبها ، والتعقبُ عليها . لأن الإفراط فى هذا الباب يوقعنا فى خطية التلذذ بذكر هذه الخطايا ، التى يعتبر ذكرها أيضاً قبيحاً ، فلا داع لذكرها ولو بأسمائها .

ومتى ذكرنا أن الأربعة الأعداد (٨—١١) جُمَل تفسيرية،وأن كلام الرسول في عدد١٢مكمل لكلامه في عدد٧، تحقق لدينا « إن الأمور الحادثة منهم سراً »هى نفس تلك «الأمور التى بسببها يأتى غضب الله على أبناء المعصية»

عدد ١٣ —جـ— تأثير النور على الظلام : « الكل إذا توبخ يظهر بالنور . لأن كل ما أظهر فهو نور » . إن للنور تأثيراً مثلثاً على الظلام:

(١) النور طارد للظلام. فتى انكشف الظلام من مخابئه أمام أشعة النور، طار أمامه وتلاشى . وكذلك فتى أظهرت تلك الأمور الحادثة منهم سراً ،وأخرجت من «أوجرتها» ، ولّت الأدبار أمام قوة الصلاح ، كما يولى الظلام مدْبراً أمام النور .

(٢) النور مشجع للنور الضئيل الذى يتخلله الظلام : فهو يُحقّ

لأن كل ما أظهر فهو نور ١٤ لذلك يقول

الحق ويزهق الباطل . وغير خافٍ أن رذائل كثيرة كانت فضائل فمسخت بالافراط أو التفريط. فالكبرياء هي عزة نفس زادت عن حدها. والشيء متى زاد عن حده انقلب إلى ضده. والبخل هو اقتصاد مسخ شحاً. والتبذير كرم أفرط فيه. والمحبة النجسة محبة مشروعة تعدت حدودها ، وتجاوزت حقوقها . فمتى سلط النور على الأعمال المشتبه في أمرها ، فحصها ومحصها وحللها إلى عناصرها ، وأظهر منها ما هو صالح للبقاء في حضرة النور ، وطرد منها كل ما هو شرير فالشرير يطير ، والخير يظهر « وكل ما أظهر فهو نور » (يوحنا ٣: ٢٠).

(٣) النور يحول الظلام إلى نور . هذا ما تفعله الشمس بأشعتها النورانية الشافية . ولطالما تحدث راسكن وغيره من رجال الفن عن هذه الأشعة المجيدة وعن فعلها الممتاز في تحويل فضلات الأرض، ونفاية المستنقعات إلى معجزات في عالم الفن والجمال والإبداع. وما أكبر دين البحر الميت لهذه الأشعة السحرية ، التي حولت فقره المدقع إلى غنى جزيل، وخلقت من مخلفاته الآسنة ، عقاقير للشفاء هذا معنى كلمة «أظهر» — أي « تجلى » و « استنار ». فكل من يستنير لا يلبث أن ينير . وكل من يستضيء لا بد أن يضيء .

النور قوة مظهرة لأنه قوة مطهرة ، فلا يجسر على البقاء أمامه ، إلا ما كان مثله نوراً .

عدد ١٤ | معدن النور الذي يجابه الظلام — نور المسيح :

« لذلك يقول . . » . تكلم الرسول في الأعداد السابقة عن تأثير النور على

استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء

الظلام ، فكان من الطبيعي أن يدلنا على معدن هذا النور . إن معدنه هو المسيح ، بدليل القول : « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح » .

ولكن من هو هذا « القائل » ؟ يعتقد بعض المفسرين — سيما المعاصرين — أن هذا الاقتباس شطر من ترنيمة كانت معروفة بين المسيحيين الأولين ، يرنمونها وقت العماد ، وهي مجانسة لقول الرسول نفسه في ١ تيمو ٣ : ١٦ . ولعلها نظم لقول المسيح الوارد في يوحنا ٥ : ٢٥ . ويقول أصحاب هذا الرأي إن ما ذكره الرسول عن « الترانيم الروحية » في الأعداد التالية يؤيد ما ذهبوا اليه : أن هذا الاقتباس شطر من ترنيمة ويعتقد توما لأكويني أن الرسول اقتبس ذلك النداء البليغ من إشعياء ٦٠ : ١ « قومي استنيري لأنه قد جاء نورك » . ويقول ايرونيموس إن بولس فاه بهذا النداء بوحي من الروح

(*) ويقول تشندروف إنه قرأ عبارة في كتابات يوحنا الدمشقي مؤداها : « لقد تسلمنا من السلف الصالح هذا النداء الذي يذيعه بوق رئيس الملائكة لأولئك الذين رقدوا منذ بدء الخليقة إلى الآن » .

ويحدثنا مصدر آخر عن ايرونيموس أنه سمع مرة واعظا يتكلم عن هذه الآية في الكنيسة وإذا أراد أن يبهت سامعيه بخيال طريف ، قال إن هذا الاقتباس وجه أولا كخطاب إلى آدم الذي دفن في الجلجثة — حسبما تخيل هو ! — ، لذلك سمى ذلك المكان « جمجمة » نسبة إلى جمجمة الإنسان الأول الذي دفن فيه . ولما دقت الساعة ورفع المسيح على الصليب ، فوق تلك البقعة عينها ، عندئذ أطلق هذا النداء : « استيقظ يا آدم — يا أيها النائم — وقم من الأموات فيضيء لك المسيح » — وفي قراءة أخرى : « فيلمسك المسيح » — بدمه المنسكب فوق الجلجثة !! .

لك المسيح ١٥ فانظروا

مباشرة . ف « القائل » هنا هو الروح القدس الناطق بالأنبياء .

ويظن الدكتور كاى أن لآلىء هذا الاقتباس ليست مأخوذة من مصدر واحد فى الكتاب ، بل من مصادر كثيرة : إشعياء ٦٠: ١ وإشعياء ٥١: ١٧ واشعياء ٥١: ١و٢ .

كان الغير المؤمنين فى أفسس ، سالكين فى عالم الموت الروحى — وكانه ظلام فى ظلام . لكن الفادى أشرق عليهم بروحه الأقدس ليهبهم حياة ونوراً ، فما عليهم إلا أن يستيقظوا من نوم الموت ليتمتعوا بالحياة ويستقبلوا النور ، عندئذ يستنيرون وينيرون .

أما الرب المتنبىء عنه إشعياء فى قوله : « مجد الرب » ، فهو المسيح الذى نسب إليه الرسول هذه القوة الحية المحيية . هذا هو المسيح الذى رآه إشعياء فى رؤياه التاريخية (إشعياء ٦: ١ ، ويوحنا ٢٢: ٤١)

ويقول ايدرشيم إن الرسول يشير هنا إلى نداء للتوبة كان اليهود يذيعونه بالأبواق فى عيد المظال . ولكن هذا لا يخالف الرأى القائل أن النداء مشتق أصلاً من نبوات إشعياء .

السلوك بحكمة لا بجهالة

(٥: ١٥ — ٢١)

فى تلك البيئة الأسوية الوثنية ، التى عاش فيها أهل أفسس ، كان من الصعب جداً على المسيحيين أن يعيشوا عيشة نقية صالحة . لكن لم يكن هذا

كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء

من المستحيل فالصعب شيء والمستحيل شيء آخر. بل الصعب يصير ممكناً متى تسلح الإنسان بنيّه التدقيق والحذر.

عدد ١٥ (١) حكمة التدقيق لا جهالة التفريط : « فانظروا كيف تسلكون .. » هذه هي المرة السابعة والأخيرة التي وردت فيها كلمة «يسلكون» في هذه الرسالة، فالمسيحي المستنير هو الرجل المفتوح العينين: «انظروا .. »، وهو الرجل المفتوح القلب: « لا كجهلاء بل كحكماء ». فالحكيم يسلك بحذر كي يتقي الخطر، لكن الجاهل يغمض عينيه عن كل النتائج فلا ينتبه إلا بعد وقوعه في مخالب الشر والحكيم الحقيقي لا يتخذ الحذر من الخطايا الكبرى وحدها، بل يوجه همه نحو اتقاء شر الخطايا الصغرى. فالثعالب التي تفسد الكروم، هي الثعالب الصغيرة. فضلا عن ذلك، فان الخطايا الكبرى ظاهرة، فيسهل على المرء أن يتقيها، لكن الخطايا الصغرى تتخفى بكل سهولة، وتستتر وراء أعمال صالحة — هنا موطن الضرر.

إن قوله: «تسلكون بالتدقيق» يصور لنا إنساناً سائراً في بقعة منبثة فيها الأسلاك الشائكة، أو رُبان سفينة عليه أن يقود سفينته بين الصخور والألغام، فيتحتم على كل منهما أن يتسلح بنية الحذر، ليس فقط عند مناطق الخطر بل عند المناطق التي يظن فيها أنه في مأمن من كل خطر. فقد يقع الحكيم في خطية الغضب، وقد يسقط القديس في خطية النجاسة، وقد يجد الوديع نفسه «متلبساً» بخطية الكبرياء. فعلى كل من هو قائم بيننا، أن ينظر

بل كحكماء ١٦ مفتدين الوقت لأن

إلى نفسه لئلا يسقط هو أيضاً . ولعلّ قوله : « لا كجهلاء بل كحكماء » مأخوذ عن مثل العذارى الحكيمات اللواتى انتهزن الفرصة فى حينها ، بخلاف العذارى الجاهلات اللواتى ضاعت عليهنّ الفرصة ، فضاعت معها الحياة . ورب فرصة هى فرصة الحياة بأسرها !

عدد ١٦ (٢) حكمة افتداء الوقت لا جهالة إضاعة الفُرَص (٥ : ١٦) . نبهنا الرسول فى هذا العدد إلى أمرين :

أولهما : واجبنا كحكماء — اغتنام الفرص : «مفتدين الوقت» — هذا تعبير مستعار من لغة التجارة، ويجوز أن يُترجم إلى: «اغتنموا الفرصة ولو بطريق البدل». وقد وردت هذه العبارة عينها باللغة اليونانيه فى الترجمة السبعينية فى دانيال ٢ : ٨ ، فترجمت فى العربية إلى « تكتسبون وقتاً». وهى تنطوى على معنى اقتناص الفرص من يد عدوّ الخير. وفى هذا اشارة ضمنيّة إلى التضحية والحذر فى سبيل كسب الوقت . لأن من أراد كسب شيء ما ، فلا بد له من أن يخسر فى غيره . ولن يُتاح للإنسان أن يكسب الوقت إلا متى سلك بحذر وتدقيق ، حتى يستطع أن يفتدى الأيام الشريرة من قبضة الظلام ليجعلها خادمة للخير والنور، وأن يستخدمها خير استخدام.

ثانيهما : الباعث : عسر الأيام : «لأن الأيام شريرة »: إن كلمة شريرة يجوز أن تترجم إلى: «عسيرة». هذا مما يجعل فُرص الكسب نادرة جداً ، لأن سوق الفضيلة فى كساد ، وسوق الرذيلة فى رواجٍ ، والعالم كله قد

الأيام شريرة . ١٧ من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء

وضع فى الشرير ، والخطية ملازمة لهذه الأيام. وعدو الخير يريد اقتناص كل فرصة لمصلحته ، فلا يرى باباً للخير مفتوحاً إلا ويسعى فى اغلاقه. وإذا كان هذا مبلغ نشاط عدو الخير ، فكم بالأولى يكون نشاط رجال الخير

إننا إذا مااجتهدنا فى سبيل الخير اجتهادَ أهل الشرفى سبل الشر لنجحنا وإذا ما سعى أهل النور فى سبل البر ، سعيَ أهل الظلام فى سبل الظلام لأصابنا التوفيق والنجاح . ولكن من المؤسف أن أبناء الظلام أحكم من أبناء النور فى جيلهم .

غير أن قول الرسول: «الأيام شريرة» وإن انطبق بنوع خاص على عصر خاص — عصر كتابة الرسالة — فانه ينطبق بمعنى أعم على كل عصر ومصر

من بين نصائح النازنيازى المأثورة : «إنه لمن أخطر الأمور أن نهمل أمراً ثم نحاول بعد ذلك أن نساوم الأيام كى تستردَّه » .

عدد ١٧ (٣) حكمة الفهم لا غباوة عدم التمييز : « من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ماهى مشيئة الرب » .

إن الحكماء المستنيرين بنور الله، يميزون علامات الأزمنة، ويتذوقون كل ماهو مرضى لدى الرب ، فيسهل عليهم أن يفهموا ماهى مشيئة الرب. أما الأغبياء ، فان الأيام تتسرَّب من بين أيديهم كما يتسرب الماءمن بين أيدى التماثيل الرخامية ، وهى لا تحس ولا تشعر .

وغير خافٍ أن كلام الرسول عن « الأيام الشريرة » ينصبُّ بنوع

بل فاهمين ماهى مشيئة الرب ١٨ ولا تسكروا بالخمر

خاص على « الأزمنة الصعبة » التى تتجمع فيها كل قوات الشر ، وتتركز فى « كتيبة » واحدة لمهاجمة تدبير الله الحكيم الخيّر (١ يوحنا٢: ١٨ ومرقس١٣) فالحكماء هم الذين يميزون إرادة الرب فى الأيام العسيرة. فلتكن إذاً أعصابنا متنبهة، وعيوننا مفتوحة، ورؤوسنا مرفوعة، ووجوهنا ممتدة إلى قدام — كما لو كنا واقفين على أطارف الأقدام ، لنميز كل علامة تلوح فى الجو الروحى عن إرادة الرب في كل صغيرة وكبيرة ، سيما عندما تتشعب المسالك وتتعقد المشكلات ، وتسد نوافذ الرجاء . عندئذ يحلو لنا الانتظار بسكون طالبين أن يعلن لنا الرب مشيئته .

عدد ١٨ | (٤) حكمة الامتلاء بالروح لا جهالة سكر الخلاعة

إن عسر الأيام قد يقود الجهلاء إلى أن « يغرقوا » همومهم فى كؤوس الخمر ، فينسوا متاعبهم ولو إلى حين . لكن هذه ليست وسيلة الحكماء فى التغلب على متاعب الأيام الشريرة .

غالباً هذه هى إحدى العادات التى لاحظها بولس على أهل تلك المقاطعة مدة إقامته بين ظهرانيهم — عادة السكر الذميمة ، التى كانوا يتوسلون بها إلى رفع أنفسهم فوق مستوى ظروفهم الصعبة . وفى الوقت نفسه كانت الديانات القديمة تعلق أهمية كبرى على الحركات الانفعالية « والدروشة » المعبّرة عن « انجذاب » النفس. ولقد كانوا يستعينون على هذه الانفعالات « بروح الخمر » الذى فيه الخلاعة . هذه طريقة شيطانية لإغراق الهموم ، وللبلوغ إلى العالم

الذى فيه الخلاعة بل امتلأوا بالروح

«الروحانى» . لكن الرسول أرانا « طريقاً أفضل » فى الامتلاء بالروح القدس . هذا هو الروح الذى إذا امتلأ به المؤمنون يوم الخمسين، رآهم العالم الخارجى كأنهم «سكارى» . وشتان بين طريقهم وطريقه ! !

إن روح الخمر نجسة ومنجسة ، لكن الروح القدس، قدوس ومقدس

إن روح الخمر مخربة هادمة، كما يدل لنا المعنى الحرفى لكلمة « خلاعة » فهى تعنى الخرب الذى لا يعمر . لكن الروح قدس محيى، ومجدد، وبانٍ

روح الخمر ترفع السكير لحظة ، لتخفضه بعد حين إلى أسفل السافلين لكن الروح القدس يرفع المؤمن إلى أعلى عليين ، إلى أبد الآبدين

خلاعة روح الخمر غاية ، لكن الامتلاء بالروح وسيلة لتمجيد الله

« لا تسكروا بالخمر... بل... امتلئوا بالروح» هذان: نهى وأمر، تفصل بينهما كلمة « بل » . فهما متماثلان فى القوة والسلطان . فاذا كان السكر بالخمر خطية ،فان عدم الامتلاء بالروح، خطية أيضاً . الأولى خطية غير المؤمن، والثانية خطية المؤمن، فكل مؤمن لا يمتلىء بالروح، يعتبر مستهيناً ببكوريته.

إن حرف الباء المتصل بكلمة « بالروح » يجوز أن يترجم إلى: « فى الروح » فالروح هو الجو الذى فيه نحيا، وفيه نمتلىء، وفيه نخدم ،فكما يوضع الإناء فى الماء ليمتلىء ، كذلك نكون نحن فى الروح لنمتلىء. على أنه الامتلاء إلا بعد تفريغ، ولا امتلاء إلا بقدر التفريغ . فعلى قدر ما نفرغ أنفسنا من أنفسنا، وشرورنا، وبرنا الذاتى، والأشياء المحبوبة لدينا، بهذا القدر عينه نمتلىء بالروح ولن يتاح لنا أن نمتلىء بالروح تماماً إلا بالطاعة الكاملة، والإيمان الوطيد

١٩ مكلمين بعضكم بعضاً

| عدد ١٩ - ٢١ | جو الحياة الممتلئة بالروح (٥ : ١٩ — ٢١)

«مكلمين» . . . «شاكرين» . . . «خاضعين» .

فى كلمات ثلاث عبر الرسول عن الجو الذى يجب أن يسود حياة الامتلاء بالروح - ا - **الفرح المتبادل** : «مكلمين . . . » - ب - **الشكر المسيحى** : «شاكرين . . .» - جـ - **الخضوع المتبادل** : «خاضعين»

| عدد ١٩ | - ا - **الفرح المتبادل** : « مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير . . . . » . إن الشعور الحى الراقى يرحب بكل فرصة شريفة ليعبر بها عن وجوده وحقيقته . وإلا قضى عليه فى مهده . ومن المهم أن نذكر أن روح الانقباض والعبوس ليس روح المسيح ، بل روح العالم . لكن روح المسيح هو روح الانشراح ، لأنه روح الظفر — والظافر فرح . ألم يقل بولس فى رسالة معاصرة لهذه : «إن ثمر الروح . . فرح؟» (غلاطية ٥ : ٢٢) .

شعر لوثير مرة بأن الشيطان يهاجمه بشدة ، ففتح نافذة غرفته ، وحدق ببصره نحو السماء المتألقة بالنجوم من فوق ، ثم التفت إلى الأحراش الكثيفة المظلمة من حوله ، وأخيراً اتجه بقلبه و ببصره إلى الله قائلا : «يا إلهى ! إنى أرى السموات ثابتة وهى ليست ثابتة على أعمدة ، لأنها قائمة بقوتك الضابطة الكل» . ثم أغلق نافذة غرفته وترنم قائلا : « إن الشيطان متجهم الوجه لأنه يكره الموسيقى التى يحبها الله . لأن الموسيقى نور ، والشيطان ظلام»

- ١ - **قيمة الفرح المتبادل** : « مكلمين بعضكم بعضاً » إن أيام

بمزامير وتسابيح وأغانى روحية

الابتهاج المقدس هى أيام الظفر . فأسوار أريحا سقطت بعد هتاف الظفر . والعلامة المميزة لخيام الصديقين هى «صوت الترنم والهتاف» . والنهضات السياسية القوية قامت على الأناشيد الوطنية الحماسية . والانتعاشات الدينية الفعّالة، كانت تغذّيها الترنيمات المنعشة الشجية . وميلاد المسيح كان مصحوباً بترنيم جند السماء . وأمنيته لكنيسته هى : «ليكون فرحى كاملا فيهم» . و«فرح الرب هو قوتنا» . (أعمال ٢:٤١ و ٤٦ ، ٥:٤١ ، ٨:٨ ، ٩:٣٠ ، ٤:٤١)

إن قوله : «مكلمين بعضكم بعضاً» ليس مقصوراً بالضرورة على اجتماعات المؤمنين للعبادة العامة ، لكنه يتناول أيضاً اجتماعات المحبة والصفاء ، التى كان يعقدها المؤمنون للسمر والإيناس، لتمكين روابط المودة والأخاء بين بعضهم البعض، وهى التى حلت محل أعيادهم الوثنية التى كانوا يعبدونها قبلا . فطالب إليهم الرسول أنهم متى اجتمعوا لهذه الأغراض الشريفة، فليبدأ أحدهم بمزمور ويجاوبه الآخر بتسبيحة، فيرد عليهما الثالث بترنيمة روحية ، فترتفع أصواتهم المعبرة عن عواطفهم المتبادلة، فى ذلك الجو الموسيقى البديع ، وتتصاعد فى الفضاء، فتتجاوب معها أصوات تسبيحات أرواح الأبرار المكملين فى السماء، وتبلغ محضر الله القدوس الساكن وسط تسبيحات القديسين !!

ب — أداة الفرح المتبادل : «بمزامير وتسابيح ، وأغانى روحية»

مزامير : هذه كلمة عبرية الأصل ، من مصدر « زمَر » وهى تعنى الترتيل المصحوب بآلة موسيقية ، كالمزمار وسائر الآلات الموسيقية — أمثال مزامير داود ، وآساف ، وسائر الترنيمات الموحىَ بها .

مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب

تسابيح : هذه تعني الترنيمة المرفوعة إلى الله حمداً وتسبيحاً وتمجيداً وهي قطعة مقتطفة من مزمور ، أو منظومة من سائر أجزاء الوحي . والتسبحة بنوع خاص موجهة إلى الله رأساً .

أغاني روحية : هذه أناشيد مُعبرة عن قوة الإحساس الروحي الذي يملك على الإنسان مشاعره ، عند امتلائه بالروح القدس ، فيندفق منه الكلام كما يتدفق الماء من النبع الفياض . وهي ليست بالضرورة وحياً .

«مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب » — هذه العبارة تصف طريقة التعبير عن الأغاني الروحية . فالمزامير والتسابيح ترنم عادة بصوت مسموع ، أما الأغاني الروحية التي هي تعبير عن الإحساس الشخصي ، فمن المستحسن أن يترنم بها الإنسان في قلبه بصوت غير مسموع إلا لنفسه ، وبعاطفة عميقة قلبية يقدرها الله وحده ، لأن مآلها إلى الله وحده .

ويجوز أن نعتبر هذه العبارة : «مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب» وصفاً لتعبير الإنسان عن شعوره الروحي الخاص ، متى كان في عزلة عن العالم الخارجي ، أو فيما إذا كان موجوداً مع قوم لا يلذ لهم أن يشاطروه هذا الإحساس ، فليترنم في قلبه . ويكفيه مشجعاً أن الرب يرى ويسمع . لأن مآل ترنيمه — سواء أكان سراً أم جهراً — ليس للناس بل للرب . فالترنيم ليس مجرد لذة روحية شخصية ، لكنه عبادة . وكما تكون الصلاة تارة جهرية ، وطوراً سرية كذلك الترنيم : قد يكون تارة جهرياً «مكلمين بعضكم بعضاً » وطوراً سرياً : « مترنمين في قلوبكم للرب » .

٢٠ شاكرين كل حين

عدد ٢٠ | ب — الشكر المسيحى : « شاكرين كل حين »

(١) قيمة الشكر : إذا كان الترنيم خير معبّر عن الفرح الذى يغمر القلب المتجدد ، فان الشكر من أظهر الأدلة على أن الإنسان مؤمن حقاً . لأن « الكافر » هو الإنسان الذى يلقى ستاراً من الجحود على نعم الله عليه ، والمؤمن هو المرء الواثق بالهه . الذى ينسب إليه تعالى كل النعم والخيرات

الشكر موجود فى دائرة الطبيعة . فالسحاب يأخذ مياهه من البحر عن طريق التبخر ، ليروى بها القفر . لكنه يعبّر عن امتنانه للبحر ، بكلمات شكر يرسلها إلى البحر فى شكل قطرات المطر !

والشكر من مزايا النفوس الشريفة الراقية . فالأمم المتبدية لا تعرف معنى الشكر ، لأن كلمة « شكر » غير موجودة فى معجم آدابها ، حتى جاءت المسيحية وأدخلت هذه الكلمة على لغة تلك الأمم ، بفضل ذبيحة المسيح الكفارية التى أصبح البشر مدينين لها بحياتهم . هذا هو المعنى الأساسى الذى ترمز إليه فريضة العشاء الربانى المعروفة بـ « الافخارستيا » — أى خدمة « الشكر » .

والشكر طابع خاص امتازت به حياة المسيح وخدمته . فأمام قبر لعازر وقف المسيح شاكراً ، ولعازر لم يزل بعد ميتاً فى قبره . وقبيل رفعه على الصليب « أخذ الكأس وشكر » . فاذا كان فادينا قد شكر على الموت ، أفلا نشكر نحن على الحياة ؟ . وإذا كان قد شكر هو على كأس الآلام ، أفلا نشكر نحن على كأس الخلاص ؟!

على كل شيء

(٢) أوان الشكر : «كل حين» . إن أوان الشكر هو أنه لا يعرف أواناً خاصاً ، لأنه في كل أوان — «في وقت مناسب وغير مناسب» . في السراء والضراء . نشكره في ظلمة الليل ولو كنا في السجن مع بولس وسيلا . ونحمده في نور النهار ، ونحن نخدم في باحة العالم الفسيح الأرجاء .

(٣) موضوع الشكر : «على كل شيء» . من واجبنا أن نشكر الله على أشواك الحياة ، كما نشكره على ورودها . أن نحمده على دموع اليأس ، كما على ابتسام الرجاء . أن نمجده على أوراق الخريف الصفراء ، كما على أوراق الربيع الخضراء . أن نعظمه على البرية القاحلة ، كما على الروض النضير . أن نحمد اسمه على الصلبان التي يرفعنا عليها ، كما على التيجان التي ترفعها رؤوسنا . لأن كل هذه الأشياء لنا ، لا علينا : « فان كل شيء لكم . أبولس أم أبلوس أم صفا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبلة ؟ كل شيء لكم » (١ كو٣: ٢٢) . وفوق الكل ، لنشكره على عطية المسيح ، التي لا يعبر عنها !

من واجبنا ، لا بل من أفضل امتياز لنا ، أن نشكر الله على كل شيء لأن ما يختاره لنا الله ، خير مما نختاره نحن لأنفسنا . بل إن نقمة يختارها الله لنا — سبحانه لا يختار لنا النقمات — خير من نعمة نختارها نحن لأنفسنا . « وكم نعمة في نقمة طويت فلم تفطن لها الأنام »

نشكره «على كل شيء» ، لأن أقل خير نناله منه ، هو فوق استحقاقنا الطبيعي . لأننا لا نستحق منه إلا الموت ، فأقل نصيب لنا في الحياة هو

في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب.

خير كسب . وهل من حق لمجرم مقضى عليه بالإعدام ، أن يلوم ملكا جاد عليه بالعفو ، بحجة أن الملك لم يهبه مزرعة واسعة ينعم فيها هو وأولاده، بعد أن نجا من حكم الإعدام ؟ !

فلنشكره ما دام في عروقنا دم يجرى ، وفى قلوبنا نبض يدق ، وفى أفواهنا لسان يستطيع أن يقول : « أشكرك أيها الآب » !

(٤) وسيط الشكر : « في اسم ربنا يسوع المسيح » . « الإسم » هو الذات . فالشكر في اسم المسيح ، هو الشكر الذى نرفعه إلى الآب ونحن متحدون بالمسيح ، وثابتون فيه ، وهو ثابت فينا . « فى اسم ربنا يسوع المسيح » ، بشر الرسل ، و « فى اسمه »، صنعوا المعجزات، و « فى اسمه » يجب أن نقدم الشكر للاب . وكل شيء نعمله « فى اسم المسيح » إنما نعمله بسلطانه ، وقوة شفاعته ، وحق كفارته ، لأننا « فى المسيح » وحده نستطيع أن نتقدم إلى الآب فى روح واحد عن يقين وثقة . فالمسيح هو ضامن عهدنا ، وهو رأس «الجسد» الذى صرنا فيه أعضاء .

(٥) المال النهائى للشكر : «لله والآب» — أى لله الذى أعلن لنا فى المسيح ، أنه أبونا السماوى . ولولا المسيح لغابت عنا هذه الحقيقة المجيدة، وحرمنا هذا الحق الجليل . فهو وحده الذى علمنا بحياته ، وموته ، وقيامته ، وصعوده ، أن نقول « يا أبانا » !! بهذا وحده ينتفى الخوف ، وتزول عنا رهبة العبيد ، و نتوشح بدالة البنين الحقيقيين .

٢١ خاضعين بعضكم لبعض

عدد ٢١ — ج — الخضوع المتبادل : « خاضعين ... »

يميل كثير من المفسرين إلى اعتبار هذا العدد مطلع استهلال للفصل الآتى . ولكننا نعتقد أنه حلقة اتصال بين الفصل السابق ، والفصل اللاحق . ما أشبهه بشهر يناير — ذى الوجهين — الذى يودع العام القديم ، ويستقبل العام الجديد ! فالخضوع ليس مجرد واجب مفروض على المرأة نحو الرجل ، لكنه شارة جميلة يتحلى بها جميع المؤمنين فيما بينهم .

حدثنا الرسول فى هذا العدد عن **حقيقتين** :

(١) نوع الخضوع — «خاضعين بعضكم لبعض» فهو إذاً خضوع متبادل ، هو خضوع الندّ للندّ ، لا خضوع العبد للسيد . هو خضوع العضو للعضو فى الجسد الواحد ، لأن روحاً واحداً يتحدهما معاً ، وناموساً واحداً يربطهما — هو ناموس المحبة — والمحبة الحقة لا تتنافى مع النظام .

قد يظن من يقرأ الأعداد السابقة التى تكلم فيها الرسول عن «المزامير والتسابيح والأغانى الروحية » أن حياة النهضة والانتعاش مناقضة للنظام والترتيب . لكن هذا خطأ كبير . لأن الحماس الروحى الحقيقى ليس خصماً للنظام ، لكنه صديق له . فللكل أن يفرحوا . ولكن ضمن حدود اللياقة والترتيب . فالحرية الروحية مقترنة فى كتابات بولس الرسول بالنظام الروحى وفى هذا الباب يجوز القول : « ما جمعه الله لا يفرقه إنسان» لأن إله الحرية هو إله النظام . ورسول الحرية هو رسول النظام . هذا ظاهر من كون الرسول

فى خوف الله

قد استعمل كلمة: «اخضعوا» ٢٣ مرة فى رسائله. والنظام المطلوب هنا، هو نظام الخضوع المتبادل، إذ لا نظام بغير سلطان، ولا سلطان بغير خضوع تام.

هذا نظام مستمد من طبيعة الواقع. لأننا أعضاء في جسد حي واحد. فمهما عظم شأن أحد الأعضاء في الجسد، وكانت سائر الأعضاء خاضعة له، فإن عليه هو أيضاً واجباً نحو سائر الأعضاء فالعظيم خاضع للحقير إلى حدٍّ ما. والكبير مدين للصغير على نوعٍ ما. فليخضع بعضنا لبعض. لأن هذا هو ناموس المحبة.

فى الكنيسة الواحدة، تخضع الرعية للراعي، فتؤدّي خضوعها في شكل ولاء. ويخضع الراعي للرعية، فيؤدي خضوعه في شكل وفاء.

(٢) روح الخضوع: خضوع فى خوف الله: «فى خوف الله».

إن الروح الذى يجب أن يسود هذا الخضوع، ليس خوف العقاب، ولا هو ابتغاء الثواب، بل هو خوف الله أبينا (عد ٢٠). فالعضو يخضع للعضو الآخر، لأنه يخشى أن تمرّده يجرح قلب الله المحب، «الذى سامحنا فى المسيح» (٤: ٣٢). فكأن خضوع المؤمن لأخيه المؤمن — وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء — هو عنصر لازم لتعبدنا لله. فإن كنا لا نحب أخانا الذى نراه فكيف نحب الله الذى لا نراه، وإذا كنا لا نخضع لأخينا فى الرب، فكيف نظهر ولاءنا للرب نفسه !!؟

إن خوف الرب يسوع المسيح الذى سوف نقف أمامه لنعطى حساباً يوم الدين، هو خير باعث على الخضوع لمن يستحق الخضوع — أو لا يستحق — لأننا إنما نقدم بهذا الواجب إكرامنا للمسيح.

٢٢ أيها

ثانياً : المسيحى فى البيت

(٥:٢٢ — ٦:٩)

ما أشبه حياة المؤمن بهيكل سليمان ! فى كل منهما دار خارجية ، وقدس ، وقدس أقداس . ففى الفصل الذى مرّ بنا (٥:١—٢١) ، تكلم الرسول عن موقف المؤمن ازاء العالم الخارجى ، فأرانا إياه فى الدار الخارجية من حياته — واقفاً تجاه الظلام الخارجى ، موقف النور من الظلام ، موبخاً ومنيراً . وفى الفصل الآتى (٥:٢٢—٦:٩) ، سنرى المؤمن فى قدس حياته — فى البيت . وفيما بعد (٦:١٠—٢٠) ، سيرينا إياه فى قدس أقداس حياته — فى جهاده الروحى . وأكبر مجاهدة هى مجاهدة النفس !

وها قد أرانا الرسول ثلاث دوائر متماسة ضمن دائرة البيت : فى الدائرة الأولى نرى الرجل فى جانب ، والمرأة فى جانب آخر (٥:٢٢—٣٣) . وفى الدائرة الثانية نشهد الرجل والمرأة فى جانب ، والأولاد فى جانب آخر (٦:١ — ٤) . وفى الدائرة الثالثة نلحظ الرجل والمرأة والأولاد فى جانب ، والعبيد فى جانب آخر (٦.٥ — ٩) .

وليس بخاف أن الرسول استمد من خاتمة الفصل السابق مطلع استهلال للفصل الذى نحن بصدده . فلقد اتخذ من ذلك المبدأ الجليل — الخضوع المتبادل — نبراساً وضعه أمام المؤمنين فى حياتهم العامة والخاصة فهو الخيط القرمزى — والقرمز رمز التضحية — الذى يربط المؤمن بأخيه المؤمن ، والزوجة بالزوج . والأولاد بالوالدين ، والعبيد برب البيت (٥:٢١و٢٢، ٦:١و٥)

وجدير بالاعتبار ، أن الرسول لم يتكلم فى هذه الفصول الممتعة عن الحقوق بل عن الواجبات. وفى كل فصل منها ، ابتدأ بالواجبات المطلوبة من الجانب الأضعف — **النساء** (٥:٢٢) ، **الأولاد** (٦:١) ، **العبيد** (٦:٥)

الدائرة الأولى : النساء والرجال (٥:٢٣—٣٣).

إن صلة الأزواج بالزوجات، رمز لصلة المسيح بالكنيسة. وهاتان الصلتان — إحداهما فى الدائرة الاجتماعية الظاهرة ، والثانية فى الدائرة الروحية السرية — كانتا متماثلتين لدى ذهن الرسول وهو يكتب هذا الفصل، ومنهما نسج بردته ، متخذاً من إحداهما السَّدى ومن الأخرى اللحمة ! !

أولاً : واجب المرأة — الخضوع (٥:٢٢ — ٢٤)
— ا — ما هية هذا الواجب (٥:٢٢(ا)
— ب — الباعث على هذا الواجب (٥:٢٢ (ب)
— ج — أساس هذا الواجب (٥ : ٢٣)
— د — دائرة هذا الواجب (٥:٢٤)

ثانياً : واجب الرجل — المحبة (٥:٢٥—٢٧)
— ا — قياس هذه المحبة (٥:٢٥—٢٧)
— ب — أساس هذه المحبة (٥:٢٨—٣٠)
— ج — شدة هذه المحبة (٥:٣٠و٣١)

كلمة مجملة : عن الصلة المتبادلة الكائنة بين المسيح والكنيسة(٥:٣٢)
كلمة مجملة : عن الصلة المتبادلة الكائنة بين الرجل والمرأة (٥ ٣٣)

إخضعن لرجالكن

عدد ٢٢ واجب المرأة والباعث عليه : « أيها النساء إخضعن لرجالكن كما للرب » . البيت هو ميزان الحرارة، الذى به تقاس درجة تدين الإنسان . فكم من رجل يكون حملاً وديعاً فى الخارج ، ووحشاً مفترساً فى البيت . فديانة هذا باطلة وقد يكون البيت أقدس هيكل على الأرض بعد هيكل العبادة، وقد يكون أنجس بقاع الأرض، وانحس من السجون !!

يقول يوحنا بنيان إنه رأى على مقربة من باب السماء باباً صغيراً يؤدى إلى الهاوية — ولعله باب البيت الذى يكون وكراً لأهل الرياء والادعاء .

غير أنه من المسلم به لدى رجال الدين والاجتماع، أن محور البيت الحقيقى هو المرأة . فهى بلطفها وخضوعها، تستطيع أن تخلق منه خير نعيم، وهى بشدتها وعنادها تستطيع أن تخلق منه شر جحيم !!

واجب المرأة نحو الرجل — ماهية هذا الواجب والباعث عليه :

— ا — **ماهية هذا الواجب** : «إخضعن» . من الخضوع المتبادل المذكور فى العدد السابق ، انتقل الرسول إلى الكلام عن خضوع المرأة للرجل . وهو ليس خضوع العبد للسيد — ولو أن المرأة الفاضلة تقتدى بسارة فتدعو بعلها سيدها — لكنه خضوع الألفة ، والمودة ، والمحبة . ما أشبهه بخضوع العود الرطب للنسيم ، فيتمايل معه فى اتجاه واحد، بخلاف العود اليابس ، الذى يقف فى وجه الرياح فيتحطم .

— ب — **الباعث عليه** : « كما للرب » . ليس المراد بهذه العبارة أن

كما للرب. ٢٣ لأن الرجل هو رأس المرأة

تقدم المرأة للرجل نفس الخضوع المطلوب منها للرب ، بل أن تخضع للرجل معتبرة أن هذا واجب يمليه عليها خضوعها للرب، سيما في الحالات التي يكون فيها الرجل غير أهل لهذا الخضوع، فتعتبر خضوعها لبعلها عنصراً مكملا لولائها وطاعتها للرب . وإذا كان أعداء الإنجيل يضطهدون أبناء العليّ ويقتلونهم ظانين أنهم يقدّمون خدمةً لله (يوحنا ١٦: ١)، فكم بالحرى يجب على السيدة المؤمنة أن تخضع لزوجها، وهي موقنة أنها بخضوعها هذا تقدم خدمة للرب !!

على أن هذه العبارة : « كما للرب » وإن كانت تفرض على المرأة أن تطيع رجلها ، إلا أنها تقيم حدود هذه الطاعة وتنظمها — أن تكون ضمن حدود وصايا الرب ومخافته. فليست المرأة المؤمنة مكلفة بأن تطيع بعلها في أمر يخالف إرادة الرب مخالفة صريحة. إذ يحق لها في هذه الحال أن تتسلح بهذه النية المقدسة « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس» (أعمال ٥: ٢٩).

عدد ٢٣ | أساس هذا الخضوع : « لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد». في رسالة سابقة ، أوضح الرسول هذا الباعث بكلمات مماثلة لهذه: «ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل» (١كو ١١: ٣). في تلك الرسالة عرّفنا الرسول أن السلطان الذي للرجل على المرأة ، يترتب عليه خضوع من جانب الرجل للمسيح . ولكنه أرانا في هذه الرسالة أن المسيح هو رأس الكنيسة ، لا باعتبار كونه متسلطاً عليها وكفى، بل باعتبار

كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة

كونه نبع حياتها ، وضابط كيانها ، حارساً لكل أعضائها . فمن الطبيعي أن يكون الجسد خاضعاً للرأس الذى منه تنحدر كل القوى وتنبث فى الجسد وتنتشر فيه . فهو إذاً خضوع طبيعى منطقى ، لاقهرى تعسفى .

كذلك خضوع المرأة للرجل ، ليس « تقليداً » شرقياً تسربت عدواه فى ذهن رسول شرقى ، لكنه خضوع يوحى به الحق ويتطلبه المنطق ، وينادى به الوحى المقدس الذى هبط على الرسول فأراق نوراً جديداً على هذه الرابطة الجليلة . بل هو خضوع يفرضه جمال أنوثة المرأة ، وهو تاج الكمال الذى خلعته عليها العناية . وليس فى الوجود أبغض على النفس من المرأة المتسلطة سوى الرجل المطواع ، الذى ينقاد لوحى المرأة انقياداً أعمى .

هذه حقيقة يقررها الكتاب رغم مايقال فى بعض الأوساط الغربية عن ميول ومحاولات ترمى إلى ابدال كلمة : « تخضع » بكلمة : « تواسى » أو : « تعتنى » « فالى الشريعة وإلى الشهادة وإن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر » . هذا هو الخضوع الذى كانت تدين به فكتوريا الملكة لبعلها البرنس ألبرت . فكانت تعتبره رأساً لها فى البيت ، على رغم كونها هى رأسه فى المجتمع .

إن مفاد قوله : « وهو مخلص الجسد » ، هو أن المسيح للكنيسة ، كالرأس للجسد . ومن المسلم به ، أن الرأس بما فيه من عقل مفكر ، وعينين مبصرتين ، وأذنين واعيتين ، يحمى الجسد ، ويقيه شر الصدمات ، ويدبر مايلزم لصيانته فيخلصه مما يصادفه من هجمات . فالطاعة المطلوبة من أعضاء الجسد نحو الرأس ، إنما هى طاعة مستحقة على الجسد تلقاء عناية الرأس به

وهو مخلص الجسد . ٢٤ ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح

واهتمامه بصالحه. فاذا كان الرأس يضحى بالكثير فى سبيل حفظ الجسد وتخليصه من المخاطر، فليس بكثير على الجسد أن يخضع للرأس . وإذا وجب على الرجل أن يحمى المرأة، حق على المرأة أن تطيع الرجل .

غير أن «الخلاص» الذى يقوم به الرأس الطبيعى نحو الجسد الطبيعى، لا يوازى فتيلاً أمام الخلاص العظيم الذى أكمله المسيح للكنيسة — لأجلها عاش، ومات، وقام، ولأجلها يحيا الآن مخلصاً وشفيعاً (أفسس ٥: ٢٥—٢٧)

عدد ٢٤ | منطقة خضوع المرأة للرجل : « فى كل شىء » .

الحياة الزوجية وحدة لا تتجزأ . فليس للمرأة أن تخضع للرجل فى ما يروقها، وتعصاه فى ما لا يروق . بل عليها أن تخضع له فى جميع الأشياء — صغيرها وكبيرها. ولا يفوتنا أن نذكر: أن الكلمة الأصلية المترجمة «تخضع» تحمل ضمناً، معنى من معانى التطوع الاختيارى، الذى توحى به المحبة، وتوصى به الألفة. لأن المرأة مرتبطة بالرجل برباط المحبة، الذى يجمع نظيرين متساويين فى قران ميمون —والقران من مصدر قرَن — ومنه القرين أى الند المساوى والمعادل . فاذا حق على المرأة أن تعترف أنها بسبب ضعفها الطبيعى تعجز عن القيام ببعض الأعمال التى يقوم بها الرجل بفضل ما أوتى من قوة، فمن الواجب على الرجل أن يعترف من جانبه، بأنه عاجز عن القيام ببعض الأعمال التى تقوى عليها المرأة بفضل ما أوتيت هى من صبر ورقة وحنو. فاذا كانت العناية قد أهلت الرجل لأن يقطع الأحجار، التى يُبنى منها الهيكل

كذلك النساء لرجالهن فى كل شىء . ٢٥ أيها الرجال

المسيحي ، بقوة ساعديه ، فقد وضعت على المرأة أن تصقل هذه الأحجار وتجملها .

حدود ومنطقة خضوع المرأة : إن هذا الـ « كل شىء » الذى تخضع فيه المرأة للرجل ، محدود بحكم صلة الرجل بالمرأة ، فهو ليس ربها الأعلى ، ولا هو سيدها الحاكم بأمره . فهى لم تخلق من رجله لئلا يدوسها ولا من رأسه لئلا تسوده ، بل من جنبه لتكون وإياه على قدم المساواة .

ويقيناً أن جل النزاع الذى يفسد السعادة البيتية ، ينشأ عن اهتمام كل من الجنسين بما له من حقوق ، لا بما عليه من واجبات . وفى هذا يحلو القول : « اعكس تصب » ! فلو اهتم كل فريق منهما بما عليه من واجبات ، وبما للآخر من حقوق ، لأصبحت الأرض نعيماً مقيماً ! !

| عدد ٢٥ | واجب الرجل نحو المرأة : « كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم » . إن الرابطة الكائنة بين الرجل والمرأة ، قائمة على صلة متبادلة ، فهى تفترض حقوقاً متبادلة ، وواجبات متبادلة . فالخضوع من جانب المرأة ، يجب أن تقابله المحبة من جانب الرجل . وفى هذا يقول يوحنا الذهبي الفم « أرأيت أيها الرجل قياس الطاعة ، فاسمع إذاً قياس المحبة ؟ ! »

قياس هذا الواجب : « كما أحب المسيح الكنيسة أيضاً وأسلم نفسه لأجلها » . أرأيت أن الرسول جعل المسيح نصب عينيه فى كل موضوع يطرقه ؟ فالمسيح فى نظره هو النبع الفياض الذى منه تتدفق كل البواعث الشريفة ، وهو الغرض الأسمى الذى يتوج كل الغايات النبيلة ، وهو القوة

احبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة

الحية المحيية التي تدفع كل العوامل السامية . وإذا كان الرسول قد وجد في المسيح الدائرة المركزية لكل نواحي الحياة، فان النقطة المركزية في المسيح، هي محبته الكفارية الفدائية المضحية. هذه هي المحبة المجيدة الفائقة، التي ملكت على الرسول كل مشاعره، وسلبت لبه، فبينما نراه قاصداً بحرها الطامي ليستقي منه، قطرات تروي غليله في موضوع محبة الرجل لزوجته ، إذا به قد نسي نفسه وسبح في بحرها الطامي، فطرح الموضوع الذي أمامه جانباً، وأفاض في وصف هذه المحبة في: (ا) قياسها (عدد٢٥) . (ب) غايتها (عدد ٢٦و٢٧)

—ا—قياس حب المسيح للكنيسة : « كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة ... » . يتضح من كلمة « كما » أن محبة المسيح للكنيسة هي :

(١) علة حب الزوج لزوجته: لأن الرابطة القائمة بين الزوج والزوجة مشتقة من الرابطة القائمة بين المسيح والكنيسة ، ومستمدة كيانها منها.

(٢) دستور حب الزوج لزوجته : ليس هو حباً جسدياً مؤسساً على صلة كائنة بين جسـد وجسد ، لكنه حب روحي مؤسس على رابطة قدسية قائمة بين روح وروح، « والروح بالروح تتلاقى »، فالزواج الحقيقي هو تلك الجامعة الراقية التي ترتقي فيها نفس إلى نفس لتعانقها ، ويسمو فيها قلب إلى قلب ليؤآخيه ، فيكون الفؤاد للفؤاد مرآة أكثر صفاءً من الدرّ ، وأغلى قيمة من الجوهر ، وأبهى لمعاناً من ضياء البدر.

(٣) قياس حب الزوج لزوجته: «أسلم نفسه لأجلها»—محبة حتى الموت . هذا قياس حب المسيح للكنيسة ، وهو أيضاً قياس حب الزوج

وأسلم نفسه

لزوجته. هذا قياس المحبة في عمقها ، وعلوها ، وقوتها — لا في طولها. فلا يكفي أن يحب الرجل امرأته حباً يمتد به إلى الموت ، بل يجب عليه أن يحب امرأته حباً عالياً، عميقاً، قوياً، لدرجة فيها يسهل عليه أن يموت لأجلها. وهو أيضاً قياس للمحبة في طبيعتها — فهي محبة تنظر إلى ماهو لآخرين لا إلى ماهو لنفسها . فلا يفكر الزوج في ماينتفع به من زوجته ، بل في مايقدر أن يقوم هو به من النفع والخير لها. ولا في الطاعة التي ينتظرها منها ، بل في المحبة الواجبة عليه نحوها. هذا هو المثل الأعلى للمحبة التي « لا تطلب ما لنفسها » ، بل تجود بما عندها حتى تجود بنفسها. « والجود بالنفس أسمى غاية الجود »

ولا يغرب عن أذهاننا ، أن هذا الواجب يتناول صغائر الأمور في الحياة الزوجية كما يلم أيضاً بكبائرها لأن الحياة كلها وحدة لا تتجزأ. فكم من رجل تراه مستعداً لأن يموت لأجل زوجته في ساعة شدة ، لكنه لا يرعى جانبها في صغائر الأمور ، فينشأ بينهما خلاف تستحكم حلقاته . وجل الخلاف ينشأ عن تافه الأسباب !! فليس بكاف أن يكون الرجل مستعداً لأن يموت لأجل زوجته، بل عليه أن يكون على الدوام متهيئاً لأن يحيا لأجلها ، وربما كان ثاني الأمرين أمرّ من أولهما ، لأن موته لأجلها يتطلب تضحية نفسه مرة واحدة، لكن حياته لأجلها، تستلزم تضحية مستمرة تتجدد كل يوم، وكل اليوم !!

ومهما يقل الرسول ، إن حب المسيح للكنيسة هو قياس حب الزوج لزوجته، فلا يمكن بحال أن يسمو حب الزوج لزوجته إلى ذلك المستوى الراقي النقي الذي بلغه حب المسيح للكنيسة. فالزوج والزوجة شخصان متكافئان

لأجلها ٢٦ . لكى يقدسها

لأن الزواج الحق لايقوم إلا بين نظيرين ، ولكن أين التكافؤ بين المسيح والكنيسة ، بل بين النور والظلام !!(١)

ناهيك عن كون محبة الزوج لزوجته لاتحمل معها تضحية حقة ، لأنها مهما سمت لاتخلو من عنصر حب الذات . لكن المسيح أحب الكنيسة وهو لاينتظر منها صدى لمحبته . فكل الغرم عليه ، وكل الغنم لها .

عدد ٢٦ غاية حب المسيح للكنيسة : « لكى يقدسها ... »

سبق الرسول فتكلم فى موضع آخر من هذه الرسالة عن محبة المسيح لنا، فقال: «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا»(٥: ٢). هناك تكلم عن محبة المسيح لنا فى جانبها الكفارى المقبول في نظر الله: «قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» لكنه أرانا إياها هنا فى جانبها الفدائى المتعلق بقصده الأسمى فى كنيسته. وقد بان لنا هذا القصد في كلمتين رئيسيتين: إحداهما — مطلع العدد السادس والعشرين: «لكى يقدسها»، والثانية — مطلع العدد السابع والعشرين: «لكى يحضرها»

الكلمة الأولى : « لكى يقدّسها » لا جدال فى أن المسيح أحب الكنيسة وهى خاطئة، لكنه لن يرضى لها أن تبقى فى الخطية بعد أن أحبها، لأنه أحبها من الخطية . فمن المحتم أن ينتزعها من أوحال الخطية انتزاعاً .

(١) الصلة الكائنة بين المسيح والكنيسة كعريس وعروس، ترجع إلى فكرة نشأت فى العهد القديم عن صلة «يهوه» بشعبه اسرائيل. فلما أراد هوشع أن يصور الأمة الإسرائيلية فى انحرافها عن عبادة الله، تمثلها فى امرأة خانت بعلها . ثم انتقلت هذه الفكرة إلى العهد الجديد فتغلغلت فيه ، وبها اختتم سفر الرؤيا .

مطهراً إياها

« لكي يقدسها » — تنطوي هذه العبارة على معنيين — أحدهما خارجي — يُراد به التكريس والتخصص لخدمته وذاته، وثانيهما داخلي يُقصد به التطهير والتنقية . المعنى الأول يوافق قول المسيح: « ولأجلهم أقدس أنا ذاتي » (يوحنا ١٧: ١٩) . والمعنى الثاني يوافق قول الرسول: « لا تضلوا. لا زناة. ولا عبدة أوثان ..... يرثون ملكوت الله . وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع » (١ كو ٦: ١٩ — ١١).

تسلط الشمس أشعتها الذهبية النورانية على فضلات المستنقعات، فتخلق من أقذارها جواهر ، وتحوّل ترابها تبراً . هذا بعض ما تعمله محبة المسيح في الكنيسة التي أحبها واختارها من بين أقذار العالم، من المحتقر والمزدري والغير الموجود، فهي تخلق من النجسين « قديسين » (١:١) ، وتجعل من المحتقرين « معتبرين » (غلاطية ٢:٢)، وتقيم من الغير الموجودين « ملوكاً » (رؤيا ١: ٦).

أداة تقديسها : « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة ». هذه العبارة ترجع بأفكارنا إلى ما جاء في حزقيال ١٦: ٨ و ٩ « دخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي . فحممتك بالماء .. ومسحتك بالزيت » ، وفي حزقيال ٣٦: ٢٥ « وأرش عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من كل نجاستكم ومن أصنامكم أطهركم ». وهو يذكرنا أيضاً بكلام كاتب الرسالة إلى العبرانيين : « لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (عب ١٠: ٢٢) .

ولكن ماذا يقصد الرسول بقوله : « بغسل الماء بالكلمة » ؟ هل يشير إلى

بغسل الماء

تطهير الكنيسة «بالكلمة المقدسة» الموحى بها في الكتاب؟ أم يرمي إلى طقس معين ؟ يكاد جمهور المفسرين يجمعون على أن الإشارة هنا منصرفة إلى المعمودية . فـ «غسل الماء» يشير إلى عملية العماد . و «الكلمة» هي الصيغة التي يفوه بها المتعمد وقت العماد، دليلا على اعترافه العلني بتركه خطاياه وقبوله المسيح فاديًا ومخلصًا وملكًا . أو هي «الكلمة» التي ينطق بها مُجري فريضة العماد — كقوله مثلا : «أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس» . لعلها تشير إلى العبارتين معًا — أي ما يعبر به المعتمد عن إيمانه ، وما يفوه به مجرى العماد عند إتمام الفريضة .

ولعل أفضل ما قيل بهذا الصدد ، ما جاء في تفسير هودج : « إن «الكلمة» هنا هي ذات الكلمة المقدسة الموحى بها، التي قال فيها بطرس الرسول : «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية» (١ بط ١:٢٣) إنَّ في هذا إشارة ضمنية إلى أن المعمودية في حد ذاتها لن تكفي لإيجاد اختبار روحي ، مالم تكن مصحوبة بالكلمة المقدسة. لأن السر في «الكلمة» لا في المعمودية : «الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية . لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١ بط ٣ ٢١). «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه» (يعقوب ١:١٨) . وإن «غسل الماء» تعبير رمزي يشير إلى الميلاد الجديد» . ويجمل بنا أن نقرر هنا :

(١) أن المعمودية في حدّ ذاتها لا تنطوي على تأثير خفي سحري.

بالكلمة ٢٧ لكى يحضرها لنفسه

(٢) إن الروح القدس لا يرافقها بالضرورة، وفى كل مرة، بتأثيرات روحية خاصة. (٣) أنها ليست الوسيلة الوحيدة لتمتع الانسان بالفداء. وإنما:

(ا) هى رسم إلهى. (ب) هى أحد شروط قبول الخلاص، لأنها تتيح للمعتمد البالغ، فرصة يعلن فيها اعترافه الجهرى بخطاياه، وقبوله المسيح مخلصاً وفادياً. (ح) فرصة يظهر فيها الوالدون استعدادهم لقبول التزامات علنية بشأن تربية صغارهم المعمدين، فى مخافة الرب وإنذاره، حتى يشبوا على الصلاح والتقوى.

ويعتقد بعضهم أن «غسل الماء» يشير إلى عملية خارجية. و «الكلمة» تشير إلى فعل داخلى. ويعتقد آخرون أن المسيح يقدس الكنيسة «بالكلمة» إذ طهرها بغسل الماء — أى أن الكلمة وسيلة التقديس.

عدد ٢٧ تقديس الكنيسة وتمجيدها : «لكى يحضرها ...»

لعل الكلام فى العدد السابق منصرف إلى التبرير: إلى الجانب الخارجى الذى يقوم بفرز الكنيسة من العالم. وهذا العدد متعلق بالتقديس والتمجيد.

يتضمن هذا العدد وصفاً مزدوجاً للكنيسة:

أولا: وصفاً مجملاً للكنيسة كما يعدّها المسيح لنفسه: «لكى يحضرها»

ثانياً: وصفاً تفصيلياً للوصف السابق المجمل — وهو ذو جانبين:

— ا — أحدهما سلبى: «لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك»

— ب — الثانى إيجابى: «بل تكون مقدسة وبلا عيب»

أولا: الوصف العام المجمل: «لكى يحضرها لنفسه». تذكرنا

كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك

هذه الكلمة بقول الرسول فى رسالة سابقة : «فإنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢ كو ١١:٢). والفرق بين كلام الرسول فى تلك الرسالة ، وكلامه هنا ، هو أنه فى تلك ، تكلم عن نفسه باعتبار كونه أحد العوامل الثانوية فى إعداد الكنيسة للمسيح. لكنه فى هذه الرسالة أرانا أن المسيح هو الذى يقوم باعداد الكنيسة بنفسه ولنفسه ، أمام محضر السماء والأرضيين (أفسس ٣ : ١٠) . فهو الرأس والرئيس فى محفل العهاد ، وفى مجمع القديسين ، وفى كل خدمة تعمل على إعداد الكنيسة لعريسها العظيم . والظاهر أن الرسول ، كان واضعاً فى ذهنه إحدى الحفلات اليهودية الشرقية التى تزف فيها العروس إلى عريسها .

ومع أن الكنيسة المجاهدة على الأرض ، هى فى نظر المسيح «مقدسة وبلا عيب» — لأن عين المحب تتغاضى عن عيوب الحبيب — كما قيل : «كلك جميلة ياحبيبتى ليس فيك عيب» (نشيد ٤:٧) ، إلا أنها لن تبلغ هذه الدرجة الكاملة من القداسة ، إلا متى ارتفعت إلى المجد (رؤيا ٢١:٢،١٩ :٧—٩).

الجانب السلبى : «لا دنس فيها ولا غضن» . «الدنس» هو الفساد ومشتقاته . و«الغضن» هو تجعدات الشيب والهرم. وقوله: «أو أى شىء من مثل ذلك» يفيد خلو الكنيسة من كل عيب يشوّه جمالها . فخلوها من «الدنس» يشير إلى كمال طهرها . وخلوها من «الغضن» يفيد دوام شبابها وصباها. وخلوها من «أى شىء مثل ذلك» يدل على كمال جمالها . هذا مطابق لوصف الملاك الذى كان عند قبر الفادى يوم قيامته : « شاباً عن اليمين

بل تكون مقدسة و بلا عيب ٢٨ كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم

لابساً حلة بيضاء » (مرقس ١٦: ٥) . بل هذه الصورة التي ظهر بها المسيح على جبل التجلي ، فكانت مثار إعجاب التلاميذ، وتعجبهم، وخوفهم لا بل هي الصورة التي سنكون عليها حينما نراه في مجيئه (١ يو ١ : ٢) .

« مقدسة و بلاعيب » — هذان الوصفان مطابقان للوصفين السلبيين الذين مرّا بنا. فالكلمة : «مقدسة» هي تعبير إيجابي معادل للعبارة : « بلا دنس » . وقوله : « بلا عيب» موازٍ للعبارة : « لاغضن فيها أو أي شيء من مثل ذلك » .

« بلا دنس ... و بلاعيب » — هذان الوصفان أطلقا على المسيح نفسه « كما من حمل بلا عيب ولا دنس » (١ بط ١ : ١٩) .

٢٨ — ٣٠ محبة الرجل للمرأة أمر طبيعي لأنهما واحد — هي محبة الرأس للجسد.

يظهر لدى القاء لمحة عاجلة على هذه الآيات ، أن الرسول رجع القهقرى في حججه ،فتوّجها بحجة ضعيفة مبنية على حب الذات ، سيما عند قوله : « من يحب امرأته يحب نفسه » (عدد ٢٨) .

ولكن لدى امعان النظر ، يتضح لنا جلياً، أن الرسول يتقدم بنا خطوة جديدة في حججه، مبيّناً أن الرجل والمرأة ليسا شخصين منفصلين، لكنهما إنسان واحد. لأنه وإن يكن الرجل رأس المرأة — كما أن المسيح رأس الكنيسة، إلا أن الرأس ليس منفصلاً عن الجسد، ولا هو بمستقل عنه، لكنه يكوّن مع

من يحب امرأته يحب نفسه ٢٩ فإنه لم يبغض أحد جسده قط

سائر أعضاء الجسد، جسماً واحداً، فالحب المطلوب من الرجل لإمرأته، ليس حباً متكلفاً، لكنه حب طبيعي. هو حب الرأس فى الجسم الواحد لسائر أعضاء الجسد، أو بالحرى هو حب الإنسان لنفسه.

على أنه لا يستفاد من هذا، أنه حب نفسانى نفعى، لكنه حب طبيعى تطوعى، ينبعث من الإنسان بغير تكلف، مثلما ينبعث النور من قرص الشمس، من غير مجهود ولا عناء، أو كما ينبعث أريج الزهرة منها فيعطر الأرجاء.

عدد ٢٩ معقولية هذا الواجب: «فإنه لم يبغض أحد جسده قط»

إن واجب الحب المطلوب من الرجل نحو امرأته ليس من الواجبات العسيرة، لكنه سهل هين. لأن العقل السليم يوحى به وطبيعة الحال توحى به، فما من رجل فى كمال عقله يمزق جسده أو يسىء اليه، بل يقوته ويربيه «كما الرب أيضاً للكنيسة». إن هذه الوحدانية الكائنة بين الرجل والمرأة، مشتقة من الوحدانية الكائنة بين المسيح والكنيسة. وهذا الواجب الذى يقوم به الرجل نحو امرأته، إنما يتمتع به هو، باعتبار كونه أحد أعضاء كنيسة المسيح. فلا فضل إذاً للرجل فى حبه لزوجته، لأنه ليس محسناً عليها بهذا الحب، ولا هو يتفضل به عليها، كلا. فانه فى حبه لها إنما يحب نفسه، وهو بذلك ليس إلا موفياً لدين عليه نحو المسيح، لأنه سبق فتمتع بهذا الحب العجيب: «كما الرب أيضاً للكنيسة» فكما أن المسيح هو رأسه الأعلى، الذى أغدق عليه هذا الحب، كذلك عليه هو باعتبار كونه رأس

بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة . ٣٠ لأننا أعضاء

المرأة ، أن يوفى لها بعض هذا الدين الذى عليه نحو المسيح .

فاذاً كل من يقصر فى محبته لزوجته يُحسب مسيئاً إلى نفسه ، ويحكم على ذاته بالخروج عن طور الإنسانية ، لأنه يسىء إلى جسده إلا من أصيب بمسّ فى عقله ، أو من أقدم على تضحية فذّة (لوقا ١٤ : ٢٦) .

وفوق ذلك ، فإن من يقصر فى محبته لزوجته ، يُحسب مقصراً فى حق المسيح عليه ، فهو الذى أحبه وافتداه . إذاً لا فضل لرجل فى محبته لزوجته ، إلا كفضل السحاب الذى يجود على الأرض بالمطر . والمطر ليس منه ، بل من البحر أو « كالبحر يمطره السحاب وما له * مَنٌّ عليه لأنه من مائه » .

إن قوله : « أن يحبوا نساءهم كأجسادهم » معناه أن « يحبوا نساءهم باعتبار كونهن أجسادهم » ، لا أن يحبوهن كما يحبون أجسادهم .

عدد ٣٠ | متانة الوحدانية بين المسيح والكنيسة : « لأننا أعضاء »

تقديراً لمتانة الوحدانية الكائنة بين المسيح والكنيسة ، اقتبس الرسول عبارة وردت أصلاً فى سفر التكوين عن متانة الوحدانية الكائنة بين الرجل والمرأة : فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى » (تك ٢ : ٢٣) .

ويقول يوحنا الذهبى الفم ، فى تفسيرها : « كما أن حواء أخذت جسدياً من آدم الأول . كذلك الكنيسة : أخذت روحياً من آدم الثانى — المسيح »

ويقول كالف : كما أن حواء صوّرت من جوهر جسم آدم ، كذلك صوّرت الكنيسة من جوهر جسم المسيح الذى « تشارك وإيانا فى اللحم والدم »

جسمه من لحمه ومن عظامه . ٣١ من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته

ويقول هودج : « كما أن حواء استمدت كيانها من جسم آدم، كذلك نستمد نحن كياننا من جسد المسيح ، وكما أن حواء صارت شريكة فى حياة آدم ، كذلك أصبحنا نحن شركاء فى حياة المسيح » .

وفى اعتقادنا أن الرأى الأخير يلمّ بالمعنى الماماً شاملاً، وهو أقربها إلى الصواب . سيما وأن كلمة « مِن » تفيد « الاشتقاق » التام !

|عدد ٣١| متانة الصلة التي بين الرجل وامرأته : « من أجل هذا »

بعد أن اقتبس الرسول تكوين ٢ : ٢٣ ، مستدلاً على متانة الصلة القوية المكينة الكائنة بين المسيح والكنيسة: «عظم من عظمه ولحم من لحمه» أردفها بالآية التى تليها (تكوين ٢ : ٢٤) مبيناً الواجب الذى تفرضه هذه الصلة على الرجل : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً ». فهى إذاً صلة روحية أقوى من صلة الرَّحِم. على أنه لا يستفاد من قوله : «يترك أباه وأمه» أن يتغاضى الرجل عن واجبه المقدس نحو والديه ، لأن الذى لا يعتنى بخاصته ، ولا سيما أهل بيته هو شر من غير المؤمن » .

هذه نفس العبارة التى اتخذها المسيح سلاحاً له ، فى محاربة بدعة الطلاق التى كانت فاشية بين اليهود منذ أيام موسى، إذا كان الرجل يطلق امرأته إذا وضعت فى الطعام ملحاً أكثر مما يجب ! أو إذا لم تحسن وضع الغطاء

ويكون الإثنان جسداً واحداً . ٣٢ هذا السر عظيم ولكنني

على رأسها ، أو إذا لبست ثوباً لا يروقه لونه . فأوصى الله موسى بأن يعطى الرجل امرأته كتاب طلاق، عله يعدل عن فكرة الطلاق قبل أن ينتهي من استيفاء الإجراآت التي يستلزمها كتاب الطلاق . لذلك جابههم الفادي المجيد بهذه الحقيقة الخالدة : «من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذاً ليسا بعد إثنين بل جسد واحد . والذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مرقس ١٠ : ٦ — ٩) .

عدد ٣٢ ذلك السر العظيم: «هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول»

هذه آية عسرة الفهم ، فلا غرابة إذا تباينت فيها آراء المفسرين. ولكي نتبين بعض ما فيها من معانٍ ، يجمل بنا أن نسأل هذين السؤالين :

أولا: ما المراد بكلمة « سر » كما استُعملت هنا ؟

إن كلمة «سر» كما وردت في هذه الرسالة (١: ٩، ٣: ٣و٤و٩، ٦: ١٩) ، قد تعني أمراً من ثلاثة — أو تعني ثلاثتها معاً :

(١) قد تعنى أمراً مخفياً عن العامة ، فلا تفهمه سوى الخاصة .

(٢) قد تشير إلى حق روحي يظل مستوراً عن البشر حتى يأتي وقت إعلانه بالروح (٣ : ٩) .

(٣) قد ترمي إلى حقيقة عويصة عسرة الفهم، تحتمل تأويلات كثيرة، وتنطوي على معانٍ أكثر مما يرى منها ظاهرياً .

أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة

ثانياً : ما هو هذا « السر » العظيم ؟ إنه لواضح من قول الرسول : « ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » إن هذا « السر » العظيم هو تلك الرابطة الروحية ، السرية ، الخفية ، الكائنة بين المسيح والكنيسة ، لدرجة تحسب فيها الكنيسة « عروساً للمسيح » ويحسب أعضاؤها « لحماً من لحمه وعظماً من عظمه » .

ويعتقد بعض المفسرين أن « هذا السر العظيم » هو ذلك الرمز الكائن بين الرابطة الزوجية الجسدية ، وبين الصلة الروحية الخفية التي بين المسيح والكنيسة .

ويميل البعض الآخر ، إلى اعتبار هذا « السر » أمراً عسر الفهم ، يحتمل تأويلات أكثر كثيراً مما يرى من ظاهره ، وأن الرسول قال رأيه فيه بصرف النظر عن القصد الأصلي الذي كان أمام آدم عند نطقه بهذه العبارة . هذا الرأي يؤيده قول الرسول : « ولكنني أنا أقول » .

وغير خاف ، أن بعض الطوائف اتخذت من هذه الآية أساساً لاعتبار الزواج سراً من الأسرار الكنسية المقدسة . ويكفي أن نقول بهذا الصدد أن ترجمة الآباء اليسوعيين — وهي حجة الكنيسة الكاثوليكية — ترجمت هذه الآية هكذا : « أقول هذا بالنسبة إلى المسيح والكنيسة » . وأن كلمة « سر » لم تطلق على الفرائض المقدسة إلا بعد القرن الخامس للميلاد . وأن ابن العسال وضع « الزواج » في باب المعاملات الاجتماعية . ولعل العناية سمحت بتضارب الآراء حول هذا « السر » . والسر في ذلك ، أن العناية أرادته أن يظل « سراً » حتى يأتي اليوم الذي فيه يعلن الله « الأسرار » !

٣٣ وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها

عدد ٣٣ كلمة مجملة — مسك الختام : «وأما أنتم الأفراد ...

« وأما » — هذه كلمة استدراك ، تصرف ذهن السامع عن البحث فى «السر» النظرى ، إلى العمل بالجوهر . والظاهر أن الرسول شعر بأن كلمته الأخيرة « هذا السر عظيم » ستكون مثاراً للجدل والبحث بين قارئيه على مر الأجيال ، لذلك قصد أن يصرف أذهانهم عن البحث فى «السر» موجهاً إياها إلى الجانب العملى — كأن يقول لهم : ومهما يكن من أمر هذا السر ، يكفيكم أن تعرفوا منه هذا الواجب العملى المزدوج المطلوب من الرجال والنساء .

على الرجل أن يحب امرأته ، وعلى المرأة أن تهاب رجلها

فالمحبة هى المهابة خادمة ، والمهابة هى المحبة محتشمة .

المحبة هى رمز أمانة الرجل ، والمهابة هى رمز طاعة المرأة.

ومن الأهمية بمكان ، أن نذكر أن الكلمة : «المترجمة»

«تهب » ، تعنى حرفياً «تخف» وهى نفس

الكلمة المعبرة عن مخافة

الله وتقواه

الاصحاح السادس
المسيحى فى البيت
(٢) الأولاد والوالدون
(٦ : ١—٤)

أولا : واجبات الأولاد (٦:١—٣)

(١) الواجب الأول : الطاعة (٦:١)

— ا — ما هية هذا الواجب « أطيعوا » (٦:١ (ا))

— ب — الروح الذى يؤدى به هذا الواجب « فى الرب » (٦:١ (ب))

— ج — الباعث على هذا الواجب « هذا حق » (٦:١ (ج))

(٢) الواجب الثانى : الإكرام (٦:٢ و ٣)

— ا — ما هية هذا الواجب « اكرم » (٦:١ (ا))

— ب — أهمية هذا الواجب : « أول وصية بوعد » (٦:٢ (ب))

— ج — المكافأة على هذا الواجب : « لكى يكون لكم خير » (٦:٣)

ثانياً : واجب الوالدين (٦ : ٤)

— ا — سلبا : « لاتغيظوهم » (٦:٤ (ا))

الباعث عليه (٦:٤ (ب))

— ب — إيجابا : « بل ربوهم بتأديب الرب » (٦:٤ (ج))

(٣) العبيد والسادة
(٦:٥ — ٩)

أولا : واجب العبيد نحو السادة (٦:٥ — ٨)

ـــ ا ـــ الواجب نفسه : «أطيعوا»	(٦:٥ (ا))
ـــ ب ـــ الروح الذى يؤدى به هذا الواجب	(٦:٥(ب))
ـــ جـ ـــ الباعث على هذا الواجب	(٦:٦)
(١) سلبا : «لا إرضاء الناس»	(٦:٦ (ا))
(٢) إيجابا : «بل إرضاء الله»	(٦:٦ (ب))
ـــ د ـــ النية التى يؤدى بها هذا الواجب «نية صالحة»	(٦:٧)
(١) إيجابا «كما للرب»	(٦:٧ (ا))
(٢) سلبا «ليس للناس»	(٦:٧ (ب))
ـــ هـ ـــ المكافأة على هذا الواجب : «عالمين»	(٦:٨)

ثانياً : واجب السادة نحو العبيد (٦ : ٩)

ـــ ا ـــ الواجب نفسه	(٦:٩(ا و ب))
(١) إيجابا «افعلوا هذه الأمور»	(٦:٩ (ا))
(٢) سلبا «تاركين التهديد»	(٦:٩ (ب))
ـــ ب ـــ الباعث : «عالمين أن سيدكم»	(٦:٩(جـ))

(١) الأولاد والوالدون

(٦:١ــ٤)

من الكلام عن الشجرة ، انتقل الرسول إلى الكلام عن الثمرة. فبعد أن خص القسم الأخير من الأصحاح السابق ، بالواجبات المتبادلة بين الزوجات والأزواج ، انتقل إلى الكلام عن الواجبات المتبادلة بين الأولاد والوالدين.

ومثلما استهل الكلام فى الفصل الماضى ، بالواجبات المطلوبة من الجانب الأضعف ـــ واجب المرأة نحو الرجل ، وضع على رأس هذا الفصل ـــ واجب الأولاد نحو الوالدين ـــ وهو واجب مزدوج :

١ أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب

عدد ١ العنصر الأول فى هذا الواجب : « أطيعوا والديكم »

— ا — ماهية هذا الواجب: الطاعة . الطاعة البنوية من أهم أركان الحياة . فعندما تنعدم الطاعة من قلوب الأولاد نحو والديهم ، ينهدم أهم ركن من أركان الحياة — فى قلب الفرد ، وفى الكنيسة ، وفى المجتمع .

يتضح هذا جلياً ، متى ذكرنا أن بولس وضع خطية « عدم إطاعة الوالدين فى صف أشنع الخطايا التى لطخت جبين الأمم الوثنية »(رو١ : ٣٠) وفى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ، أنبأنا بالأمراض الوبيلة التى تتفشى فى الأزمنة الأخيرة ، ذاكراً فى مقدمة أعراضها « عدم إطاعة الوالدين » (٢ تى ٣ : ٢) . وإذا كان عصيان الوالدين من أسوأ أعراض مرض الكفر بالله ، فان إطاعتهم ، من أظهر علائم التقوى والتعبد .

هذا هو الدرس العملى الذى ألقاه المسيح على الشباب فى جميع الأجيال: « نزل معهما إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما » (لو ٢ : ٥١) .

يراد بـ« الوالدين » ، الآباء والأمهات على حد سواء (امثال ١ : ٨، ٦ : ٢٠)

وجدير بالملاحظة ، أن الكلمة المترجمة : « أطيعوا » هى ذات الكلمة التى مرت بنا فى ٥ : ٢٢ عن « خضوع » الزوجات لأزواجهن ، وهى عين الكلمة التى سنلتقى بها فى العدد الخامس من هذا الأصحاح عن « طاعة » العبيد لسادتهم !

— ب — الروح الذى يؤدى به هذا الواجب : « فى الرب » . هذا

لأن هذا حق. ٢ أكرم أباك وأمك

هو الروح الطيب الذى به يؤدّى الأولاد واجب الطاعة لوالديهم، فيحسبون أن طاعتهم لوالديهم عنصر لازم من عناصر مسيحيتهم الحقة، وجزء لا يتجزأ من تعبدهم للرب . وهو واجب يقومون به فى اتحادهم بالمسيح، الذى منه يستمدون خير باعث ، وأفعل قوة، وأجمل مكافأة .

ولا ننس أن هذه العبارة. «فى الرب» تحدد المنطقة التى يبسط الآباء فيها نفوذهم على أولادهم — « فى الرب» . أى أن الأولاد مكلفون بإطاعة والديهم فى الأوامر التى تتفق ومشيئة الرب. لكنهم فى حل من إطاعة الأوامر التى تخالف هذه الإرادة الصالحة المرضية الكاملة ، مخالفة صريحة .

— ج — **الباعث على هذا الواجب** : « لأن هذا حقّ » . ليست الطاعة واجباً يقوم به الأبناء نحو والديهم على سبيل الاستحسان، كأنه أمر كمالى ، بل عليهم أن يقوموا بهذا الواجب لأنه **حق طبيعى بل، حق إلهى،** رسمه الله فى شريعته الأدبية المتفقة والطبيعة الإلهية التى صرنا شركاء الله فيها بالتجديد . هذا « فرض عين » ، لا « فرض كفاية » ! !

عدد ٢ | العنصر الثانى فى هذا الواجب : الإكرام

— ١ — **مظهر هذا الواجب — الإكرام: «اكرم أباك وأمك»**

الكلمة اليونانية المترجمة : «اكرم» هى ذات الكلمة التى وردت فى الترجمة السبعينية للتوراة العبرية عن خروج ٢٠: ١٢ وتثنية ٥: ١٦ وقد وردت أيضاً فى الإنجيل فى متى ١٩: ١٩ ، مرقس ٧: ١٠ ، ١٠: ١٩ ، لوقا ١٨: ٢٠ .

التى هى أول وصية بوعد. ٣ لكى يكون

و«الاكرام» المقصود هنا، ليس مقصوراً على المظاهر الخارجية التى يفرضها الخوف، لكنه يتضمن الشعور القلبى الذى يمليه الواجب، وتقدسه المحبة. وخير إيضاح لهذا، ما قاله المسيح فى متى ١٥: ٤—٨.

ب— أهمية هذا الواجب : «أول وصية بوعد» . إن الوصايا العشر، هى عنوان سفر الشريعة، لأنها خلاصة الشريعة الأدبية. فهى بالتالى غرّة سجلّ الشريعة. ووصية اكرام الوالدين هى أول وصية مقرونة بوعد فى سجل الشريعة الأدبية . ومع أن البعض اعترض على هذا : بأن الوصية الثانية فى الشريعة الأدبية. مقرونة هى الأخرى بوعد : أصنع إحساناً إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى»، إلا أن هذا ليس وعداً بالذات، لكنه تقدير لحقيقة أمانة الله لحافظى وصاياه. وإنما الوعد الصريح هو هذا الذى جاء مقترناً بهذه الوصية الخامسة : «لكى تطول أيامك» . ويعتقد فريق من المفسرين أن هذه أول وصية بوعد، فى اللوحة الثانية من الشريعة .

عدد ٣ | ج— المكافأة على هذا الواجب: «لكى يكون خير»

يتضمن هذا الوعد مكافأة مزدوجة: جانبها الأول: الهناء : «لكى يكون لكم خير». وجانبها الثانى: طول البقاء: «وتكونوا طوال الأعمار». الجانب الأول يتناول النوع، والثانى يشمل الكم .

هذا مبدأ عام، يقرره الكتاب المقدس، ويؤيده التاريخ . وهو ينطبق على الأفراد والأمم. ولقد تحقق فعلاً وحقاً لبنى ركاب : «قال إرميا لبيت

لكم خير وتكونوا

الركابيين هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم وحفظتم كل وصاياه، وعملتم حسب كل ما أوصاكم به، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : « لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام» (ارميا ٣٥: ١٨و١٩) .

ويحدثنا العلامة جيكى عن السنيور بيورتى أنه التقى بجماعة من بنى ركاب عام ١٨٦٢ على مقربة من البحر الميت. هذا أقوى دليل على أن هذا الوعد، قد تمّ لبنى ركاب بحذافيره، طوال هاتيك الأيام والسنين. ويقول المؤرخون إن السر فى بقاء روما مدة طويلة على عرش المجد والعظمة، يعزى إلى الطاعة التى كان أبناؤها يدينون بها لوالديهم. ويعتقد العلماء المعاصرون أن ثبات الصين أمام الهجمات الكثيرة، التى صوبت إليها على مر الزمان، يرجع إلى الطاعة البنوية التى دمغت بها حياة الصينيين .

ولا جدال فى أن إطاعة الوالدين كانت مقرونة باطالة العمر، لأن الشريعة الموسوية قضت على العاصى بالإعدام . وعلى هذا الاعتبار، كان عصيان الوالدين سبباً في «قصف» أعمار البنين. فمن الطبيعى إذاً، أن تكون إطاعة الوالدين سبباً فى إطالة العمر، لأنها تحفظ الفتى من خطر الوقوع تحت طائلة حكم الإعدام .

ولكن أهو مطابق للواقع أن كل شاب يعمّر طويلاً متى كان مطيعاً لوالديه؟ فما السر إذاً فى أن كثيرين من الشبان المطيعين لوالديهم يموتون فى

طوال الأعمار

منتصف أعمارهم؟» وجواباً على السؤال الأول نقول : إن الوعد باطالة عمر الشاب المطيع لوالديه، إنما يقرر قاعدة عامة ، ولا بد لكل قاعدة من شواذ. فكما أن القانون العام يقرر أن العقل السليم فى الجسم السليم، إلا أننا كثيراً ما نرى عقولاً سليمة فى أجسام سقيمة، وعقولاً سقيمة في أجسام سليمة .

أما جوابنا على السؤال الثانى ، فهو : أنه ليس حقاً مايقال عن الشبان الأتقياء أنهم يموتون فى منتصف أعمارهم ، لأنهم إنما يموتون بعد أن يتمموا رسالتهم على الأرض ، فلا يبرحون الأرض إلا بعد اكتمال أعمارهم . لأن الأعمار لا تقاس بطولها، بل بعمقها وسموها. الأعمار لا تقاس لكنها توزن! فكم من شيخ يعمر حتى يبلغ الثمانين، فيترك وراءه ثمانين من الخرائب المتهدمة، وكم من شاب لا يعدو العشرين فيترك وراءه عشرين قصراً آهلات بجلائل الأعمال وعظائم الخصال !! كم من شيخ يعمر حتى يدركه الهرم، فلا تكون حياته سوى ثمرة مرة المذاق لأنها غير ناضجة، وكم من فتى تنضج ثمرة حياته قبل بلوغه العشرين . فليس المهم فى : « كم نعيش » بل : « كيف نحيا » فالعبرة ليست بطول العيشة ، بل بسمو الحياة !!

فالى الذين يلومون العناية — أو على الأقل يعتبون عليها — لأنها لم تطل أعمار أبنائهم الأتقياء ، مثلما أطالت عمر حزقيا كما تقرأ عنه فى اشعياء، إليهم نسوق الحديث قائلين: إن عمر حزقيا أطيل اتماماً لعهد كان الرب قد قطعه على نفسه — بأن لا ينقرض من نسل داود من يجلس على كرسيه . ولو مات حزقيا فى هذا الوقت، لبطل هذا الوعد، لأن حزقيا كان وقتئذ بغير ولد

على الأرض

وفوق ذلك فلنسمع مايقول الكتاب: «فجاء إشعياء النبي إلى الملك حزقيا وقال له: هوذا تأتي أيام يُحمَل فيها كل ما في بيتك وماخزنه آباؤك إلى هذا اليوم إلى بابل. لا يُترَكَ شيء يقول الرب. ومن بنيك الذين يخرجون منك يؤخذون فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل» (اشعياء ٣٩: ٣—٧).

ياليت حزقيا قد مات بمرضه المعهود! وياليت تلك الخمس عشرة سنة لم تضف إلى عمره. لأنها كانت عليه، وعلى أولاده، ويلاً ووبالاً.

فالعمر القصير الذي يريده لنا الله، خير من العمر الطويل الذي نتمناه نحن لأنفسنا، ولو أتيح لنا أن نختار مايصيبنا، لاخترنا الواقع.

وهل يستطيع إنسان أن ينكر أن التقوى تصون للانسان قواه العقلية والجسدية، وتقيه شر الإسراف فيها، فيكون لديه «رصيد» من القوى في وقت الأمراض والأزمات، فيغالبها حتى يغلبها؟!

وهنا أمر لايليق أن نغفله، وهو أن بولس الرسول عند ما اقتبس هذا الوعد، ترك منه — تعمداً — هذه العبارة «التي يعطيك الرب إلهك» (خروج ٢٠: ١٢) وهي التي وردت في الوعد أصلا، وصفاً «للأرض». ألسنا نرى في هذا برهاناً ضمنياً على أن وعد العهد القديم كان مقصوراً على أرض الميعاد، ولكن وعد العهد الجديد يتناول كنعان السماوية؟ فاذاً الذين رحلوا عنا في شبابهم، وهم أتقياء، لم تنقطع أعمارهم بموتهم، لكنهم بهذا الموت قد دخلوا أرض البقاء، وتمتعوا بحياة الخلود: «لأنهم يبغون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة»

٤ وأنتم أيها الآباء

عدد ٤ | واجب الآباء نحو الأبناء: «لاتغيظوهم ... بل ربوهم»

كم من والد يشكو ابنه «الشاطر» لمعارفه وذويه، فيجلس هؤلاء على كرسي موسى، ويضعون كل اللوم على الولد، غير حاسبين أن فى حالات كثيرة — بل فى معظم الحالات — يقع النصيب الأكبر من اللوم على الوالدين: إما لأنهم كانوا فى البداية ألين من العود الرطب، أو لأنهم كانوا أقسى من العود اليابس. «وكلا هذين إن زاد قتل».

أشار الرسول إلى الوالدين بكلمة: «الآباء» وهو يريد الآباء والأمهات على حد سواء — وهو تعبير جائز على سبيل التغليب، باعتبار أن الأب رأس العائلة. بهذا جرى العرف فى لغة الاغريق القديمة (كلاسيك)، وفى لغة العهد الجديد: «بالإيمان موسى بعد ما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر» (عب ١١: ٢٣)، قاصداً بكلمة «أبواه». والد موسى ووالدته. بذا أيضاً قضت قواعد اللغة العربية، فأجازت استعمال كلمة «الوالدين» أو «الأبوين» عن الأب والأم. إن فى هذا برهاناً ضمنياً على التضامن الوثيق الواجب توفره بين الأب والأم في تربية أولادهما. ومتى انعدم هذا التضامن — أو تضاءل — انعدم معه أهم ركن من أركان التربيـة البيتية. فالشدة من جانب أحدهما، قد يفسدها اللين من جانب الآخر. وتهاون أحدهما، قد يضيع خيراً كبيراً كان من الممكن اجتناؤه، ويجلب شراً كبيراً كان من الواجب اجتنابه.

ومع أن الخطاب موجه إلى «الآباء» من باب التغليب، إلا أن أحداً

لاتغيظوا أولادكم

ما ، لاينكر أن مقام المرأة في هذا الباب ، لايستهان به . ولعله أهم من مقام الرجل . لأن المرأة تلازم أولادها بحكم بقائها معهم فى المنزل ، وبحكم قربها الدائم منهم ، فيتهيأ لها من الفرص مالا يتاح للرجل ، فيصبح من السهل على من أرضعت أولادها لبان التغذية صغاراً ، أن تغذيهم بطعام التربية كباراً

لسنا نريد بهذا أن نلتمس المعاذير للآباء الذين يبيعون أنفسهم لأعمالهم الكثيرة ، فيبيحون لها إهمال أمر أولادهم ، بحجة أنهم يعودون فى المساء في وقت يكون فيه الصغار قد ناموا ، ويستيقظون فى الصباح بعد أن يكون الفتيان قد قاموا ، وعلى وجوههم فى الدنيا العريضة قد هاموا ! !

ذكر الرسول واجب «الآباء» نحو أولادهم فى جانبين :

الجانب الأول — سلبى : « لاتغيظوا أولادكم ... »

الجانب الثانى — إيجابى «بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره»

الجانب السلبي : « لا تغيظوا ... » . وردت هذه الكلمة عينها فى كولوسى ٣: ٢١ مضافاً إليها هذا التحذير الخطير: « لئلا يفشلوا » . وقد مررنا بها فى هذه الرسالة (٤: ٢٦) . وهى استعملت أصلا — فى الترجمة السبعينية — عن إغاظة إسرائيل لله يوم التجربة فى القفر (مزمور ٩٥: ٧ وعبرانيين ٣: ٩)

قد يكون الوالد سبباً فى إغاظة ولده ، بإهماله حقوقه البنوية ، أو بعدم تفكيره فى مايؤول لصالحه ، أو بقصوره وتقصيره ، فى فهم نفسيته ، أو بمحاباته وتحيزه لولد دون آخر ، أو بقسوته عليه من غير ماسبب جوهرى ، أو باساءة الظن فيه ، أو بتجاهله إياه — تعمداً أو عن غير قصد . ومن المحزن ،

بل ربوهم

إن هذا «الغيظ» عندما يستولى على قلب الولد، يتخذ منه عدو الخير سلاحاً حاداً يمزق به نفسية الولد، ويقطع عليه سبل النجاح فى الحياة، ويشطره عن بيت أبيه، بل عن قلب أبيه، فيصبح الولد حساً ومعنى: «ولداً شاطراً» ولكن بمعنى عكس الذى يفهمه العوام من هذه الكلمة !!

ويقيننا أن أفضل صلة تجمع بين الوالد وولده، هى صلة الصداقة المتبادلة، المؤسسة على التفاهم التام، فيقدم الولد لوالده حباً مشبعاً بالخضوع والإكرام، ويقدم الوالد لولده حباً مشربا بالروية والاهتمام.

الجانب الايجابى: «بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره»

حقيقة لا مراء فيها، إن الخطر الذى يتهدد التربية فى الوقت الحاضر، لا يأتى من ناحية المبالغة فى التشديد على الأبناء. بل من جانب التهاون فى ضبطهم وكبح جماحهم. لأننا أصبحنا فى عصر، سيما بعد الحرب الكبرى، وقد انخلع عن كواهل الأبناء، نير طاعة الآباء، وسلخ الصغار مقاليد الحكم من يد الكبار، فأضحى الشيوخ محكومين بالشباب! وإذا قيل عنهم فى الماضى إنهم «رجال الغد» صار لزاماً أن يقال عنهم فى عصرنا الحاضر إنهم: «رجال اليوم»

ولكن من الواجب أن نعترف بأن هذه حالة شاذة، ضارة، وأن لا سبيل إلى إصلاحها إلا بالعود إلى الشريعة وإلى الشهادة. فمن المهم أن يرجع الآباء والأبناء إلى حكم الكتاب فى هذا الباب: «أن يربوا أولادهم بتأديب الرب وإنذاره».

فاذا وجد سبب واحد للخوف من أن يبالغ الآباء فى إرغام أولادهم على

بتأديب الرب

التمسك بالدين ، فهنالك ألف سبب وسبب للخوف من أن يهملوا تربيتهم الدينية على الاطلاق . وهنا يجمل بالآباء أن يتذرعوا بالشجاعة، فلا يكونوا حكماء أكثر مما يجب ، فيدركوا أن التربية الدينية التي نفعتهم صغاراً، على رغم ماقد عانوا من مرارتهم ، هي بعينها التي تنفع أولادهم اليوم برغم ماقد يشعرون به من غضاضة !

الكلمة المترجمة «ربوهم» تحمل معنى التعهد الدائم، بالتعب والكد والعناية كما يتولى البستاني نبتة صغيرة ، ويتعهدها بالتنقية، والتغذية بالطعام، والماء، والنور ، والهواء . وهي نفس الكلمة التي وردت في العدد التاسع والعشرين من الاصحاح السابق : « فانه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه». «وإذا كان العشب الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور » ، يحتاج إلى تربية وعناية ، فما أحوج الإنسان الذي هو وليد الأزل ، ووارث الأبد، إلى تربية بكل عناية ودقة — كدت أقول بكل شدة — لأن الكلمة اليونانية المترجمة : «تأديب» استعملت أصلا وصفاً لقصاص الجلد الروماني! «فأنا أؤدبه واطلقه» (لوقا ٢٣: ١٦و٢٢). هذا هو التأديب الرادع، الزاجر، الذي أغفل أمره في هذه الأيام ، فحصد الآباء والأبناء ميعة في الأخلاق، ورخاوة في الآداب وإذا كان الأولاد في الماضي ، قد تربوا في الدين كواجب — وان يكن بغيضاً ، فمن الواجب أن يتربى الأولاد في عصرنا الحاضر ، على الدين كميزة من المزايا الجميلة ، وكواجب من الواجبات الجليلة .

«الانذار» هو التحذير ، والتقويم بطريق المنـــع (١ كو ١٠ : ١١

واندارة. ٥ أيها العبيد

تيطس ٣ : ١٠ ، أعمال ٢٠ : ٣١ ، رومية ١٥ : ١٤ ، ١ كو ٤ : ١٤ ، كولوسى ١ : ٢٨ ، ٣ : ١٦ ، ١ تس ٥ : ١٢ و١٤ ، ٢ تس ٣ : ١٥) .

الروح الذى يؤدَّى به هذا الواجب : « بتأديب الرب » — أى يجب أن يتربى الأولاد وينذروا بروح المسيح ، وعلى مبادئ المسيح ، وفى نور إرشاد المسيح ، لكى يشبوا رجالا ، على اعتبار أن المسيح هو المتعهد الأعلى للبيت المسيحى . فهو المستمع المتخفى لكل حديث ، وهو الجالس المستتر حول كل مائدة ، وهو الرأس الأعلى للبيت . وهو الروح الذى يسود كل شئ فى البيت .

(٣) العبيد والسادة

(٦ : ٥ — ٩)

من الكلام عن الأولاد ، انتقل الرسول إلى الكلام عن العبيد : إن فى هذا نبوة ضمنية بامكانية تحرير العبيد بقوة حق الإنجيل ، لأن الرسول ذكرهم كأعضاء فى البيت المسيحى ، وفرض على سادتهم واجبات من نحوهم ، دليلاً على أن الرسول لم يحسبهم كتلة مهملة — كأنهم من سقط المتاع — مثلما كانوا يُحسبون فى نظر الرومان ، بل نظر إليهم كعنصر مكمل للبيت المسيحى الحقيقى .

قديماً نظر فلاسفة اليونان إلى العبودية كأنها ضرورة لازمة ، لاغنى للتمدين عنها . فكانوا ينادون بأن لامانع من أن يستعبد نفر قليل ، كى

أطيعوا

يعيش سائر البشر أحراراً . كأن عبودية الأقلية ، ثمن لحرية الأكثرية !
ومن أقوال أرسطاطيس المأثورة: «العبد آلة متحركة، والآلة عبد جامد!!»
وفى أزهى عصور الرومان واليونان، كان العبيد محرومين كل الحقوق الدينية والسياسية ، حتى حقهم فى الحياة نفسها ، وكانت شرائع أثينا تقول بأنه يكفى لقبول شهادة الحر فى المحكمة ، أن يحلف اليمين. أما شهادة العبد فلا تقبل إلا على شرط واحد — أن يجلد ويعذب ! وقضت قوانين الرومان بأنه إذا أعدم سيد فى بيته ، فلا مفر من أن يعدم كل العبيد الذين فى بيتـه ، ولو بلغ عددهم مئتين — من غير تحقيق!!» . ولقد كانت قيمة العبد زهيدة لدرجة أنه إذا مرض عبد ، كان يترك تحت رحمة الأقدار بغير علاج ، لأن ثمن العبيد أقل من ثمن الدواء ! فلا عجب إذا غصت شوارع روما وأثينا بالعبيد لدرجة أن عدد عبيدها فاق عدد سادتها ، ولا غرو إذا حكمها فى النهاية العبيد ، فجلسوا على عروشها ! !

فى قلب ظلام هذا الليل المدلهم ، أشرق نور الإنجيل ، فقال بولس عن أنسيموس العبد « لا كعبد فيما بعد. بل أفضل من عبد أخاً محبوباً» (رسالته إلا فليمون ١٦) .

ورب سائل ولكن لم لم يناد الرسول أولئك العبيد بأن يتحرروا حالا من سادتهم، فيرفعوا عن أعناقهم نير العبودية دفعة واحدة؟ لم لم يقل للسادة: ما أنتم وعبيدكم إلا أخوة فى المسيح الواحد الذى لا يميز بين عبد وحر ؟ إذا كان هو يتير قد حسب العبودية «نظاماً جهنمياً» ، وإذا كان جون وسلى ،

سادتكم حسب الجسد

قد قال فى وصفها أنها «خلاصة الدنايا» ، فهل كان رسول الأمم أرأف عليها منهما أو من أحدهما ؟

حقيقة الواقع ، أن الرسول وضع مبدأ حرية العبيد ، وغرس بزرة الحرية . ولكن لابد للبزرة من وقت تنبت فيه وتنمو وتزدهر ! هذه خطة الله : إنه يزرع النور ، ولا بد للزرع من وقت هادىء لتكمل فيه عملية الازدهار والإثمار . واللوم فى هذا ليس على الوحى ، بل على البشرية ذات الضمير الجامد البليد ، الذى استنفذ قرونا كثيرة ، وهو غارق فى سبات هذه العادة الذميمة ، فلم ينتبه لقطع دابرها إلا منذ قرون قليلة ، بعد ما صاح ولبرفورس صيحته المأثورة فى انجلترا ، بعد ما خر ابراهام لنكولن صريعاً مدرجاً بدمائه فى أمريكا ! !

ولقد أجاد الدكتور جورج سميث إذ قال : «لست أرى دليلا على تنزّه الكتاب المقدس عن العنصر البشرى ، أكثر من ترفعه عن إثارة عوامل الثورات السياسية» ! تكلم الرسول فى هذا الفصل عن :

أولا : واجبات العبيد نحو السادة (٦:٥—٨)

ثانياً : واجبات السادة نحو العبيد (٦:٩)

عدد ٥ | ا — ماهية الواجب المطلوب من العبيد: «أطيعوا»

إن أول بزرة للنور فى هذه العبارة هى قوله : «سادتكم حسب الجسد» وهى كلمة تبعث فى «عروق» العبد دماً جديداً ، وتفهمه أن «ذاته» الحقيقية

بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم

التي هي «نفسه العليا» — ليست لسيده ، لكنها ملك له خاصة . هذه هي اللؤلؤة الحقيقية التي يملكها هو بالذات وأما الصدفة التي هي الجسد، فليحسبها خادمة لسيده الأرضي، لأنه «اشتراها». ومن الملاحظ أن الرسول ، لم يصف «السيد» بتلك الكلمة القوية الشديدة : «دسبوت» أي «الحاكم المطلق المستبد» . بل استعمل كلمة فيها شيء كثير من الحنو والرأفة والنعمة «كيريوس» وهي نفس الكلمة التي وصف بها «السيد» يسوع المسيح . كأنه أراد أن يفهم العبد أنه هو وسيده، عبدان لهذا «السيد» الأعظم يسوع المسيح ، كما قال في رسالة معاصرة لهذه: «لأنكم تخدمون الرب المسيح» (كولوسي ٣: ٢٤).

ولا يغرب عن بالنا ، أن بولس كان يتلذذ بأن يقول عن نفسه إنه «عبد» ليسوع المسيح . وهل يفوتنا أن نذكر أن رب المجد نفسه اتضع لدرجة أخذ فيها صورة «عبد» (فيلبي ٢: ٧) ؟ ألا يكفيكم كل هذا عزاء ، يا أيها العبيد ، على تسميتكم بال «عبيد» ؟!

أما الواجب المطلوب من العبيد ، فقد عبر عنه الرسول بكلمة «أطيعوا» وليس في هذا غضاضة على العبيد ، لأن هذه هي نفس الكلمة التي تعين واجب المرأة نحو الرجل، وواجب الأولاد نحو الوالدين (٥: ٢٢ و ٦: ١).

وبما أن عهد العبودية قد مضى ، فمن الواجب أن يراعى هذا الواجب من جانب الخدم في وقتنا الحاضر .

ب — الروح الذي يؤدى به هذا الواجب : «بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح» . هذا هو خوف الاحترام الذي تولده

المحبة خشية أن تخالف إرادة المحب بحال من الأحوال . وقد وردت العبارة الأولى : «خوف ورعدة» فى فيلبى ٢:١٢ ، وصفا للروح الذى به يتمم المؤمنون خلاصهم . و«للروح» الأخوية المسيحية التى بها استقبل الكورنثيون تيطس ورحبوا به (٢ كو ٧:١٥) .

أما «بساطة القلب» ، فهى الرغبة الصادقة فى عمل الصلاح حباً بالصلاح، ابتغاء مرضاة المسيح ، على عكس القيام به طمعاً فى كسب رضى إنسان ، أو استجداء لمديح أو ثناء ، أو استنداء لأكف الإحسان . «فالقلب البسيط» هو القلب الموحد الذى ينصرف عن كل الأشخاص ، لأنه متوجه إلى شخص واحد — هو المسيح . فلا يبالى إذا كشرت له الدنيا عن أنيابها، ما دام قد حاز ابتسامة المسيح . ولا يلهو بابتسامة الدنيا الخادعة ، إذا كان المسيح قد حول وجهه عنه (رو ١٤:٧—٩).

عدد ٦ — جـ — الباعث على هذا الواجب : « لا بخدمة العين ... بل كعبيد المسيح » .

هذا باعث ذو جانبين : أحدهما سلبي : « لا بخدمة العين ... »

والثانى إيجابى : « بل كعبيد المسيح » :

الجانب السلبي : لا بخدمة العين كمن يرضى الناس » .

«خدمة العين» — هاتان الكلمتان هما فى اللغة الأصلية كلمة واحدة مركبة،

بل كعبيد المسيح

لم ترد إلا هنا ، وفي رسالة كولوسى . والظاهر أن بولس صاغها خصيصاً ، لتؤدي الغرض الذي كان يرمي إليه : وهو أن « العبد » مجرَّب بأن لا يكون أميناً في عمله ، إلا متى تحقق أن عيني سيده ترقبانه . ومتى زالت رقابة السيد عنه ، انتفت معها أمانة العبد ! هذه أمانة زائفة ، لأن مبعثها إرضاء الناس — لامجال فيها لراحة الضمير ولا لرضى الله ، ويكفي أن يقال فيها : أنها « أمانة العبيد » !!

والعبارة المترجمة « يرضى الناس » هي أيضاً كلمة واحدة مركبة — في اللغة الأصلية — يقابلها قول الرسول نفسه في غلاطية ١ : ١٠ « أفأستعطف الآن الناس أم الله . أم أطلب أن أرضى الناس . فلو كنتُ بعد ارضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » . والفكرة المنطوية عليها هذه العبارة ، هي أن الناس « ترضيهم » الخدمة المموَّهة ، التي يقوم بها العبد غراراً . ولكن الذي يحاول أن يخدع غيره ، إنما يخدع نفسه .

الجانب الإيجابي : « بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب »

(١) **جوهر هذا الباعث** : « كعبيد المسيح » . ما أقوى ساعديك يارسول الأمم ، لأنك بهذه العبارة المحكمة قد سموت بالعبيد من مستوى حقير دنيء ، إلى أرفع مستوى . فمن « عبيد للناس » إلى « عبيد المسيح » !! وهل في الدنيا سيد مالك نفسه ، مثل ذاك الذي يستعبد نفسه طوعاً واختياراً للمسيح ؟ !

هذا ماقاله جورج ماثيسون : « صيرني يا ربي عبداً لك ، فأتحرر !! »

عاملين مشيئة الله من القلب

(٢) سمو هذا الباعث : « عاملين مشيئة الله » — هذه العبارة تخلع حلة من المجد والجلال على أحقر خدمة يقوم بها أصغر عبد، فتجعلها في مقام اجل خدمة يقوم بها أكبر سيد لأنها أدخلتها في منطقة « مشيئة الله »! فلا الملائكة بأجنحتهم النارية الملتهبة، ولا الملوك بتيجانهم المتألقة على رؤوسهم، بأعلى مقاماً من العبيد، لأن الكل متمم مشيئة الله! ألم يكن هذا شعار المسيح نفسه : «ماجئت لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» ؟!

فليس العبد وهو يكنس البيت، أو يغسل الأواني، إلا متمماً مشيئة الله. بهذا يجعل نفسه حراً وهو لا يدري، لأن استعبد للمسيح فقد تحرر من الناس

(٣) أما موطن هذا الباعث، فقد أفرغه الرسول في العبارة التي اختتم بها هذا العدد : «من القلب» — وفي اللغة اليونانية — من «النفس»، ولعلها أقرب الكلمات إلى قولنا : « بـنفس » — أي بهمة ونشاط، لأنه ملعون « من يعمل عمل الرب برخاء »

العبد الذليل يخدم « وعين جسده » حائرة من فرط تطلعها إلى عين مولاه الأرضي، ومتى أغمضت عنه عين سيده، ارتخت يداه. لكن العبد «المتسيد»، يخدم بقلب غيور، لأن «عين نفسه» مطمئنة إلى رضى مولاه في علاه. هذا هو الفرق بين العبد الأجير، ورب البيت. فالعبد يخدم وعينه متطلعة إلى الشمس يترقب غروبها، وإلى يد سيده تنقده الأجر. لكن رب البيت يعمل من كل قلبه، ونفسه، وفكره، وقدرته.

هذا هو الفرق بين تدين العبيد الذين يخدمون الله ويعبدونه، خوفاً من

٧ خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس

عذاب الجحيم ، أو ابتغاء التمتع بالنعيم . لكن أبناء الله يخدمون الله ، ويعبدونه لأنهم يحبونه من كل نفوسهم وقلوبهم .

| عدد ٧ | — د — النية التي يؤدَّى بها هذا الواجب : « خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس » . هذا العدد خير مفسر للعبارة التي اختُتم بها العدد السابق : « من القلب » فالقلب هو موطن النية . ومتى كان القلب طيباً ، أضحت النية صالحة . ولن تكون النية صالحة ، إلا متى كان القلب « بسيطاً » نيّراً (عدد ٥) .

ينظر الناس إلى الوجوه ، ويتطلع المراقبون إلى الأيادي العاملة . لكن الله ينظر إلى القلوب ، ويتطلب النية الصالحة . في هذا يصدق القول : « وإنّما الأعمال بالنيات وأن لكل امرئ مانوى » .

« كما للرب ليس للناس » . كان مفروضاً على العبد أن يقوم بأعماله إتماماً لمشيئة سيده ، لكن الرسول أعطى العبيد فرصة يحررون بها أنفسهم من الناس ، متى اعتبروا أنفسهم عبيداً للرب .

ويقول الدكتور جلوفر : إن من بين العادات الشرقية القديمة ، التي كان للعبيد أن يلجأوا إليها للتحرر من ساداتهم ، أن يذهبوا إلى هيكل هرقل ويكرسوا أنفسهم لخدمته — بذلك يصبحون أحراراً من كل سيد آخر . وكذلك كل من يستعبد نفسه طوعاً واختياراً للمسيح ، يتحرر من كل عبودية قهرية من البشر .

٨ عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً . ٩ وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور

عدد ٨ — هـ — أساس المكافأة على هذا الواجب :

«عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً» . فالمسيح إذاً ينظر إلى كل عمل فى قيمته الذاتية الحقيقية ، بصرف النظر عن الحالة الخارجية التى يكون عليها من يقوم بهذا العمل ، سواء أكان عبداً أم حراً . لأن المسيح لا يبالى بالروح الذى به تؤدى الأعمال. فكم من عبد يؤدى أعماله بروح حر تطوعى ، ورب سيد يقوم بعمله بروح العبد المسخر . فالأول حر فى جسم عبد ، والثانى عبد فى رسم حر . فالإنسان ينظر إلى المظهر ، لكن المسيح ينظر إلى الجوهر . الناس ينظرون إلى اليد العاملة، والمسيح ينظر إلى القلب المحرك. فرب أياد سوداء فى لونها، كانت «أيادى بيضاء» فى ثمارها. ورب أياد بيضاء فى مظهرها ، هى أسود من الفحم. الأولى تنال «النعمى» المقدرة للعبد الصالح والأمين، والثانية تلقى الصد والأعراض «ما أعرفكن» (متى ٢٥:١٢ و٢٣ وغلاطية ٦:٩ ، رومية ٢:٦ — ١٠ ، ٢ كو ٥:١٠ عب ١٠:٣٥ ، رؤيا ٢٢:١٢ ، متى ٥:١٢ ، ٦:١ و ٤)

عدد ٩ ثانياً :واجب السادة نحو العبيد : « وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم ... »

كلمة واحدة وجهها الرسول إلى كل من العبيد والسادة — هى كلمة : «عالمين»: فللعبيد قال: «عالمين أن مهما عمل كل واحد فذلك يناله من الرب»

تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات

(عدد٨). وللسادة قال: «عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات» (عدد٩) فكأنه وجه نظر العبيد والسادة على السواء، إلى ربهم الأوحد — يسوع المسيح. ومتى التقى العبد بسيده فى «محضر» المسيح، زالت عنه مرارة العبودية. ومتى نظر السيد إلى عبده فى نور المسيح، ذهبت عنه غطرسة السيادة!!

«وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور» — استهل الرسول كلامه للسادة بهذه العبارة التى تحمل جوهر ذلك القانون الذهبى الذى نادى به المسيح: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم». فالواجبات إن لم تكن متبادلة، انعدم معها أهم ركن من أركانها.

— ا — **ماهية الواجب المطلوب من السادة**: إكتفى الرسول فى هذا الباب بتحذير السادة من أمر كان مألوفاً عندهم — استعمال القسوة: «تاركين التهديد». هذه عبارة تنطوى على تعنيف لطيف، لأنها تحمل ضمناً اتهاماً لهم، بأنهم كانوا فيما مضى، يلجأون إلى التهديد، فأوصاهم بتركه. ولعل السادة المسيحيين، كانوا متأثرين بالبيئة الفكرية المحيطة بهم. فى استعمال التهديد، لأن الرأى الذى كان سائداً بين ظهرانيهم: أن العبد لا يقوّم إلا بقضيب من حديد. كأنه كتلة جامدة، لا تصلح فيها عوامل اللطف واللين والمحبة.

— ب — **أما الباعث الذى جعله الرسول نصب عيونهم**، فهو نفس الباعث الذى جعله نصب عيون العبيد — النظر إلى المسيح سيد العبيد

وليس عنده محاباة ١٠ أخيراً

والسادة على السواء : « عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات » . إن فوق العالى أعلى ، ويد الأعلى فوق الجميع ، وما ربك بظلام لا للسادة ولا للعبيد . فهو لا ينظر إلى السادة بعين غير التى ينظر بها إلى العبيد ، بل ينظر إلى الجميع نظرة واحدة . لأنه « صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون عن كل وجه الأرض » (أع ١٧: ٢٦) .

هذا هو الإله الذى «لا يحابى بالوجوه» ، «حيث ليس يونانى ويهودى ختان وغرلة . بربرى سكيثى ، عبد حر . بل المسيح الكل فى الكل » .

وفى اعتقادنا أن هذه العبارة الأخيرة هى النواة الحية لشجرة الحرية ، وهى أول معول عمل على هدم تجارة الرقيق . وإنما العيب على الأيادى البشرية التى تلكأت فى استخدام هذا المعول .

المسيحى فى الجهاد الروحى

(٦: ١٠ — ٢٠)

وقف الرسول بنا طويلا ، فى تلك البقعة الصغيرة ، المقدسة ، الجميلة — ولعلها أقدس بقاع الأرض وأجملها — التى يقال لها «البيت» . فأطرب نفوسنا بأعذب الأناشيد ، التى تعطر جوّ البيت المسيحى ، حين يسوده التفاهم ، وتظلله ، المحبة ويتخلله الصفاء .

وقد كنا نود أن يطول بنا المقام فى تلك البيئة المقدسة ، الجميلة ، لنتملى

يا أخوتى

برؤية أنوار المحبة الطاهرة، حين تهبط أشعتها من السماء على نفس المرأة فتنبعث منها إلى زوجها — وقد حالت إلى طاعة وولاء، وتنزل على قلب الرجل فتشع منه نحو زوجته — وقد استحالت إلى محبة ووفاء، فتجمع نيرانها الملتهبة المقدسة على قلبيهما معاً، فتكون عليهما برداً وسلاماً !!

وكم كان يحلو لنا الوقوف لنستمع لتغريد تلك « العاصفير » الملائكية، التى يقال لها الأطفال، وهى تخفض أجنحة الذل والطاعة فى محضر الوالدين إجلالاً واحتراماً، ونرى البشر يطفح على وجوه الوالدين وهم يحيطون بعطفهم وحنانهم « أكبادهم » الصغيرة وهى تتمشى أمامهم فى شكل فتيان وفتيات .

وما أبدع ذلك المنظر الذى يجمع الأولاد والوالدين فى تلك البيئة الأرضية المسماة « بالبيت »، وهم يتبادلون عواطف التقدير والمحبة، مع نفرٍ هم بيض القلوب ولو كانوا اسود الوجوه، لأن شمس الطبيعة لوّحت وجوههم فصيرت لونها أسود من فحمة الليل، لكن « شمس البر » أشرق فى قلوبهم، فصيّرها أبهى لمعاناً من ضياء القمر .

نعم كنا نود أن يطول بنا المقام ويطيب فى هذه البيئة الهادئة، الهادية إلى سواء السبيل . لكن الرسول انتقل بنا فجأة من هذا الجو المعطّرة أنفاسه بموسيقى السماء، إلى جوّ لا يعرف موسيقى سوى صليل السيوف، ولا تُرى فيه أضواء سوى بريق الخوذ النحاسية، ولعلعة أسنّة السيوف المرهفة، ولا نصغى لأصوات سوى تلك التى تحدثها « سهام الشرير الملتهبة » عندما تصطدم بالتروس والدروع .

تقووا

بذا أفهمنا الرسول، أن الحياة المسيحية لا تقضى كلها فى جو مفعم بالأمن والسلام ، لكن جلتها يصرف فى جو كله جهاد ، وحرب ، وصدام !!.

وما من شك فى أن الرسول استقى تعبيراته الحربية التى فى هذا الفصل ، بوحى من العهد القديم — سيما اشعياء ٥٩: ١٤ ، ١١: ٤ ، يشوع ٥: ١٣ ، وسفر الحكمة ١٥ : ١٧ ، وكلها أسلحة مجيدة تقلدها رب الجنود. إلا أنه من الطبيعى جداً أن يكون قد استمد بعض هذه التعبيرات من ظرفه الذى كان فيه وقت كتابة هذه الرسالة . فمن المسلم به أنه كان سجيناً فى روما يتناوب حراسته أربعة جنود طوال اليوم ، فتوثق يمناه فى يسرى الجندى بسلسلة من حديد. فمن المعقول أن بولس وهو يكتب هذه الرسالة، كان يتطلع إلى أسلحة الجندى الرومانى، مستلهماً بها فكره النير عن أسلحة الجندى المسيحى ، مقارناً « الماديات » « بالروحيات !! » .

فلنتقدم إلى درس هذا الفصل «الحربى» بروح «السلام» والاطمئنان :

أولا : الفريقان المتحاربان : (٦ : ١٠و١١)

— ا — جنود الرب : « يا أخوتى » (٦ : ١٠)

— ب — رب المكايد : « ابليس » (٦ : ١١)

ثانيا : طبيعة الحرب وطبيعة الخصم : (٦: ١٢ (او ب))

— ا — سلباً : « ليست مع دم ولحم » (٦ :١٢ (ا))

— ب — إيجاباً : « مع السلاطين ... » (٦ :١٢ (ج))

ثالثاً ميدان الحرب : « فى السماويات » (٦ : ١٢ (د))

في

رابعاً : أسلحة الحرب : (٦ :١٣—٢٠)

ا — أسلحة العدة الكاملة العادية: (٦ :١٣—١٥)

(١) للحقوين: « منطقة الحق » (٦ :١٤ (ا))

(٢) للصدر : «درع البر » (٦ :١٤ (ب))

(٣) للقدمين: «حذاء استعداد إنجيل السلام » (٦ : ١٥)

ب — أسلحة دفاعية : (٦ :١٦ و١٧)

(١) للقلب : « ترس الإيمان » (٦ : ١٦)

(٢) للرأس : « خوذة الخلاص » (٦ :١٧ (ا))

ج — سلاح هجومي : (٦ :١٧ (ب))

«سيف الروح » (٦ :١٧ (ب))

خامساً : سهر الجندي المحارب بالصلاة: (٦ :١٨—٢٠)

(١) الصلاة لأجل نفسه (٦ : ١٨)

(٢) الصلاة لأجل جميع القديسين (٦ : ١٩)

(٣) الصلاة لأجل الرسول الموثق (٦ : ٢٠)

أولاً : الفريقان المتحاربان (٦ : ١٠ و ١١)

عدد ١٠ | ا - جنود الرب وسر قوتهم « تقووا في الرب »

«أخيراً » — يخيل إلينا أن الرسول، بعد أن أفاض في الإفضاء بالمعلنات الجليلة التي مرت بنا ، شرع يطوي رداءه ، ويستجمع قواه ، ليقول كلمته

الرب

الأخيرة — وإن شئت قل ليضرب الضربة الأخيرة — قبل أن يختتم هذه الرسالة الخالدة .

وليس بغريب أن يختتم الرسول هذه الرسالة المجيدة التى حدثنا فيها كثيراً عن النعمة ، بهذه النغمة الشديدة القوية — نغمة الحرب ! أليست الحياة كلها حرباً وجهاداً ؟ هذا ما تنادى به الطبيعة ، فالقوى فيها يغالب الضعيف ويغلبه ، وفى النهاية يبتلعه . وهذا ما نشعر به فى العالم الإنسانى. فالبشر على الدوام فى صراع عنيف ، وما تاريخ البشرية إلا تاريخ مواقع حاسمة فى سجل الحروب . وما فترات السلام الكائنة بين حربٍ وحرب سوى فُرص استعداد لحرب أشد وأقوى. بل هذا ما تحدثنا به ضمائرنا فى عالمنا الداخلى المسمَّى بـ « النفس ». فالنفس الحية فى صراع مستديم ضد ميولها الداخلية أحياناً ، وضد التجارب الخارجية حيناً . عبثاً تحاول النفس أن تهرب من التجربة إلى أقصى الجبال ، أو أن تهبط إلى أسافل الوديان ، فالشر كامن فيها ، والتجربة توصوص لها من نوافذ « الإنسان الباطن » . فالتجربة التى وجدها القديس انطونيوس فى البرارى الواسعة، هى نفس التجربة التى كانت تواجهه في الإسكندرية ، وإن تراءت بأشكال مختلفة ، أو تلونت كما تتلون الحرباء !!

الكلمة المترجمة « أخيراً » يجوز أن تترجم حرفياً إلى : « فيما بعد » أو « فيما يأتى » أو « بقى لى أن أقول » . كأن ما مر بهم من الكلام يعوزه هذا الحق . فمع أن الخلاص بالنعمة، إلا أن هذا لا يعفى المؤمن من الجهاد الروحى،

وفى

ولأن ملكوت الله «يغصب» وإن كان البار «بالجهد» يخلص. فالخاطى والفاجر أين يظهران ؟ !

«ياإخوتى» — ماأحلى هذه الكلمة المنبعثة من قلب الرسول السجين، إلى أهل أفسس بمن فيهم من العبيد، وإلى سائر سكان مقاطعة آسيا الصغرى. لقد حجبته عنهم جدران سجن روما، لكن تلك الجدران لم تحجز قلبه عن أن يفيض بهذه الكلمة الحلوة العذبة «يا أخوتى» ! «ياأخوتى فى الإيمان، ويا أخوتى فى الجهاد ! ! فكما أننا في نعم الإنجيل أخوة، كذلك نحن أيضاً فى آلامه أخوة ولو أنكم تتمتعون بحرية العالم الفسيح، وأنا أقاسى عنكم ولأجلكم آلام السجون» ! (٣ : ١).

ما أوسع هذه الكلمة وما أرحب صدرها «يا أخوتى». إنها تضم إلى صدرها أقواماً لم يعرفهم بولس ولم تخطر أشخاصهم على باله — فهى تشمل كل النفوس المجربة، والمضطهدة، والمعذبة لأجل الإنجيل فى كل عصر ومصر. إنها تضم جيوش الشهداء الذين ماتوا لأجل الحق والمرسلين الشجعان الذين عاشوا لأجل الحق.

نعم كان سكان أفسس مجربين بالغنى والترف اللذين غمرا أفسس الفتية الغنية، ومحاربين بسلطان الآلهة ديانا التى تربعت حيناً من الدهر على قلب أفسس، ومغالبين بالقوات والعادات التى سادت تلك البقاع، إلا أن لكل عصر تجاربه، ولكل جيل آلهته، ولكل دهر مصارعته. فالشرور تتنوع، لكنّ الشرير واحد ! !

شدة

سر القوة : « تقووا فى الرب وفى شدة قوته »

هذا هو سر القوة : « الرب » ، هذا هو برجنا الحصين الذى نركض إليه وتتمتع : «فى الرب» . هو البدء وهو الختام، فلنتقو بقوته فينا لا بقوتنا لأن قوتنا ضعف ! فليست هذه قوة نخترعها ، وإنما هى قوة نكتشفها. ولا هى قوة نوجدها ، بل نجدها — لا بل هى تجدنا . فما علينا إلا أن نقبلها و نتقوى بها. ولا هى قوة نسعى إليها كأنها بعيدة المنال، لكنها فى متناول كل منا. فما علينا إلا أن نرحب بها فى قلوبنا، ونفوسنا: «ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم» . هى عطية من الله لأنها قوة الله نفسه . ولا سبيل إلى نيل قوة الرب ، إلا بأن نلبس الرب يسوع نفسه . لأن قوة الرب ملازمة للرب القوى . وكم من كثيرين يخطئون إذ يقعون فى خطيئة سيمون الذى تاق إلى قوة الرب من غير أن يطلب رب القوة . وكم من كثيرين يوقدون على مذابح حياتهم وخدمتهم نارا من حماسهم الشخصى ، فتستحيل إلى رماد لأنها « نار غريبة » عن روح الرب !! فلا يمكننا أن نتقوى فى شدة قوة الرب إلا إذا تقوينا فى الرب نفسه . هذا هو رأس جيشنا . فلسنا فى حاجة إلى أن نستميله ليحارب فى صفوفنا ، كأن الحرب حربنا نحن ، لكننا نحارب تحت لوائه ، لأن الحرب للرب ، فلنتقدم بقلوب واثقة ونفوس مطمئنة ، لأننا نحارب فى صف رئيس عظيم قد « خرج غالباً ولكى يغلب » فالنصر حليفنا مادمنا معه لأننا لا نغتصب الظفر ، بل نوهبه . فلنجعل قوة الرب قوتنا .

حسناً قال إيرونيموس : «إن من يقرأ هذا الفصل الجليل و يقابله بما يماثله

قوته

في الكتاب المقدس، لا مفرّ له من أن يخرج بهذه الحقيقة الواضحة، وهي: أن الرب يسوع هو المحارب، وأنه هو نفسه السلاح الكامل» .

الكلمة المترجمة «تقوّوا» مجانسة للمصدر المشتقة منه كلمة «عزاء». فلنكن في قوتنا مطمئنين وواثقين، متعزين : «ان لم تؤمنوا فلا تأمنوا» .. «بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (أشعياء ٣٠:١٥) . وقد استعملت في الأصل بالصيغة الحالية التي تفيد الاستمرار المتجدد. فهي إذاً تشير إلى حالة مستديمة نكون عليها، لا إلى درجة وقتية نسعى إلى إدراكها .

وقوله : «في الرب» ورد ٣٥ مرة في هذه الرسالة . هذا هو منبع القوة، ومصدرها، والمحرك لها . «في الرب» أصبحنا معافين من كل دينونة (رومية ٨:١) . «في الرب» نثبت فنحيا (يو ١٥:٤—٧) . «في الرب» نتقوى فننتصر نصراً مبيناً (يو ١٥:٥) .

أما العبارة : «شدة قوة الرب» ، فقد وردت في ١:١٩ من هذه الرسالة، وهي تفيد أن قوة المسيح نبعٌ تصدر عنه شدة متناهية . فالشدة تنبعث من القوة ، على اعتبار أنها نتيجة القوة . فنحن نتقوى في شدة قوة الرب، إذ نتشدد بالرب القوى . لأن شدة القوة التي أقامت الرب يسوع من الأموات ، هي ملك لنا في حربنا الروحية .

هذه هي «الشدة» اللازمة لنا لنتمكن بها من حمل السلاح ، ولولاها لأصبح السلاح الكامل ثقلاً علينا، فيقصم ظهورنا ونحن ضعاف، ويعرقل سيرنا.

١١ البسوا سلاح الله الكامل

عدد ١١ | نداء إلى الفريق الأول : «البسوا . لكى تقدروا»

(١) **كلمة مجملة** عن السلاح : « البسوا سلاح الله الكامل » . هذا سلاح كامل . فالكلمة المترجمة « السلاح الكامل » هى فى اليونانية كلمة واحدة ، ولم ترد فى العهد الجديد سوى مرة أخرى (لوقا ١١ : ٢٢) وقد استعملت هناك عن سلاح ابليس ، لكنها استعملت هنا عن سلاح المؤمن . هذا يدل على أن هذا السلاح كتلة واحدة لا تتجزأ . فمع أن له عناصر مختلفة ، لكن لا يحق للمؤمن أن يتسلح ببعض عناصره ويترك البعض الآخر ، لأن من يتهاون فى حمل جزء من هذا السلاح ، يأتيه الهجوم من هذه الناحية لمعرضة للخطر . «فأخيليس» غطسته أمه فى ماء سحرية آملة أن تصون جسمه من سهام الأعداء ، لكن لم يكن أمامها بد من أن تمسكه من كعب رجله ، وهى تدليه فى الماء . فأصابه السهم فى الموضع الذى أمسكته منه أمه — فى الكعب ! !

(٢) **مصدر السلاح : «الرب»**. لعل الإشارة هنا منصرفة إلى القوة الحربية التى تعدها الدولة للمتحاربين فيلبسونها . فما على المتجند إلا أن يتقدم ليلبس هذا السلاح ، لا أن يلبس رداء يحيكه هو لنفسه ، لأن هذا ليس سلاحا «ملكياً» يشتريه لنفسه ، لكنه سلاح معد من رئيس الجيش ، فما على المحارب إلا أن يتقدم ويتقلده .

ولقد سبق الرسول فأشار فى رسالتين سابقتين إلى «لبس السلاح»

لـكى تقدروا أن تثبتوا

كأنه رداء، إذ قال: «البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» (رومية ١٣: ١٤) .. «لابسين درع البر» (١تس ٥: ٨).

فكما أن الخلاص من الرب أولا وآخرا، كذلك النصرة من الرب — من ألفها إلى يائها. لأن الرب رئيس جندنا، وهو مـمـدّ سلاحنا، وهو المحارب عنا، وهو الظافر فينا. فإذا أردنا أن ننتصر في مصارعتنا مع إبليس (عدد ١٢) وجب أن ننتصر أولا في مصارعتنا مع الله (هوشع ١٢: ٢٤، تكوين ٣٢: ٢٤— ٢٩)

(٣) غاية حمل السلاح: «لـكى تثبتوا ضد مكايد إبليس».

يلوح لنا أن كلمة: «تثبتوا» هى «مفتاح» هذا الفصل. وقد وردت فيه ثلاث مرات— المرة الأولى حالما نلبس عدتنا الحربية: «البسوا سلاح الله الكامل لـكى تقدروا أن تثبتوا» (عدد ١١). المرة الثانية عندما نكمل لبس عدتنا الحربية: «بعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» (عدد ١٣)، المرة الثالثة، عندما نتمنطق بالمنطقة: «فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق» (عدد ١٤). والمستفاد من تكرار كلمة «اثبتوا» على هذه الكيفية. إن الصورة التي أمامنا، ترسم لنا حرباً دفاعية أكثر منها هجومية. والإشارة فيها ليست منصرفة إلى دك حصون الأعداء، بل إلى الثبات في وجه الخصم ونحن محتفظون بحصوننا

«ها المسيح الرب قادم فاحفظوا الحصون»

هذا يذكرنا بذلك الموقف التاريخى الذى وقفه لوثر عندما قال: «ها أنا أقف هنا. فليساعدني الرب!»

ب— الفريق الثاني— صاحب المكايد— إبليس «مكايد إبليس».

ضد مكايد إبليس

هذا هو إبليس الخداع صاحب «المكايد» الكلمة المترجمة «مكايد» تعنى حرفياً «طرق» أو «أساليب منظمة»، وهى التى مرت بنا فى ٤: ١٤. وكثيراً ما يحتال علينا عدو الخير بهذه «الطرق المنظمة»، فيجربنا أحياناً فى نقط ضعفنا عن طريق الخطايا المحيطة بنا بسهولة — كما جرب داود. ومراراً يجربنا فى نقط قوتنا كما جرب موسى الحليم، فأسقطه فى خطية الغضب، وبطرس الشجاع فأوقعه فى خطية الجبن. تارة يوجه إلينا سهماً مسموماً بمر الوعيد، وأخرى يصوب نحونا ريشة معسوله بعذب المواعيد. فما علينا تجاه تلوناته وألاعيبه، إلا أن نثبت فى المسيح واثقين، فلا يرعبنا الوعيد، ولا ترغبنا المواعيد، عالمين أن هذه كلها «طرق» وأساليب (اطلب ٢ كورنثوس ١١: ١٤).

طبيعى أن يبتدع إبليس كل هذه «الطرق» و «المكايد» المتلونة لأنه هو الخداع، المشتكى، العنيد، الذى لا يفشل قط. فمثلما جرب فادينا فى البرية متخذاً لكل تجربة شكلاً غير الذى أفرغت فيه التجربة الأخرى، ولم ييأس على رغم فشله «بل تركه إلى حين»، كذلك فى تجربة المؤمنين، لا تلين له قناة، ولا يهدأ له بال، حتى ينفث سمومه القتالة فى ضحاياه. وكم لك يا إبليس من ضحايا!! وليس بخاف أن إبليس ليس مجرد تأثير، لكنه شخص.

وإذا كان إبليس صاحب «مكايد» وطرق، فلا عجب إذا سموه فى العربية: «الحارث»!! (فى طلب المزيد، راجع شرح ٢: ٢، واطلب ٤: ٢٧، أعمال ١٣: ١٠، ١ تيموثاوس ٣: ٦ و ٧، ٢ تى ٢: ٢٦، عب ٢: ١٤، زكريا ٣: ١ و ٢)

١٢ فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم

عدد ١٢ | ثانياً : طبيعة الحرب: « لأن مصارعتنا . . . »

— ١ — طبيعة الحرب : روحية : «لأن مصارعتنا ليست مع دم» استنتج بعضهم من هذه العبارة ومثيلاتها (كما فى ٢ تى ٢:٤و٥) ، ان الرسول استعمل استعارة مركبة، فمزج الحرب بالمصارعة، لـكن الحرب كانت قديماً «حرب التحام»، كما تدل عليه الـكلمة العبرية التى يعبر بها اليهود عن الحرب: «ملخمة». وفى مثل تلك الحروب كان المجال متسعاً للمصارعة. فالرسول إذاً ملازم لنفس الاستعارة الواحدة — الحرب الروحية ! !

الـكلمة اليونانية المترجمة : « مصارعة » (بالى) لم ترد فى كل الآداب اليونانية سوى هذه المرة وحدها .

هذه حرب روحية ، لأن خصومنا فيها روحيون . وقد وصفهم بولس وصفين — أولهما : سلبي : « ليست مع دم ولحم » .

والثانى إيجابى : « بل مع الرؤساء . . . »

الوصف السلبي : «ليست مع دم ولحم». وردت هذه العبارة — مع تقديم وتأخير فى كلتيها — «لحم ودم» فى متى ١٦ : ١٧، ١ كو ١٥ : ٥٠ ، غلاطية ١ : ١٦ وعب ٢ : ١٤ — وهى تعنى الإنسان — أو البشر — فى حالته الجسدية الراهنة. «فاللحم والدم » لا يرثان ملـكوت الله (١ كو ١٥ : ٥٠) والإنسان الجسدى — « اللحم والدم » — لم يوح إلى بطرس بذلك الاعتراف الجليل . والإنسان الجسدى — «اللحم والدم» — لم يعلّم بولس حق الإنجيل (غلاطية ١ : ١٦)

بل مع الرؤساء مع السلاطين

فمراد الرسول إذاً : هو أن المصارعة التى نحن مجاهدون فيها، ليست مع البشر ، لأن حربنا ليست مع مجرد أناس عائشين فى هذا الجسد الهيولى ، الفانى، لكنها حرب روحية ضد «قوات منظمة فى عالم الروح» . هذه أمرّ وأدهى .

الوصف الإيجابى : «مع الرؤساء مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة»

هذه تعبيرات مركزة متجمعة تصف : — ا — أركان حرب جيوش الأعادى فى ثلاث كلمات : « رؤساء ، سلاطين ، ولاة » .

والمستفاد منها : (١) أن قوات الشرير منظمة تنظيماً محكماً . (٢) انها ليست مجرد تأثيرات وهواجس لكنها شخصيات معنوية، تعمل تحت قيادة رئيسها الأعلى — إبليس الذى يدبر «مكايدها» ويديرها (عدد ١١) . (٣) انها منظمة على درجات ورتب ، كأن هذه الطغمة التى كانت قبلاً ملائكة نورانية ، فسقطت ، قد اقتبست تلك الدرجات، من الحالة الجيدة التى كانت عليها قبل سقوطها (رو ٨ : ٣٨، ١ كو ١٥ : ٢٤ ، كو ١ : ١٦ ، أفسس ١ : ٢١، ٣ : ١٠ ٢ بط ٢ : ٤ ويهوذا ٦) . فلقبوا بـ «رؤساء وسلاطين» ، نظراً لسمو مقامهم، واختلاف بعضهم عن بعض فى زيادة القوة . و دعوا « ولاة العالم» بالقياس إلى سلطتهم على « البشر الساقطين » ، الذى يتخذون منهم أعواناً وجنوداً لتنفيذ « مكايدهم » .

ألا يتخذ أعوان الخير والنور ، درساً فى النظام والترتيب ، من أعوان الشر والظلام ؟ ؟ ! !

— ب — طبيعة سلطان هذه القوات : « على ظلمة هذا الدهر » .

مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية

هذه العبارة تصف الثلاث الكلمات التى مرت بنا: «رؤساء، سلاطين، ولاة» أى أن أركان حرب الشيطان تحكم — ولكن في عالم الظلام، لأن طبيعتها ظلام، وجوها ظلام، وأسلحتها ظلام، وأساليبها ظلام، والمحكومين بها، ظلام (٥ ٨)، فهى إذاً ظلام فى ظلام.

إن كلمة «هذا الدهر» تشير إلى «العالم الحاضر الشرير» الذى أحبه ديماس فترك خدمة مولاه، وإلى «الساعة الراهنة» الذاهبة — «الآن»، المضادة للابد والخلود: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو ٢٢: ٥٣) أو بعبارة أخرى هى «شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة».

طبيعة هذه القوات: «مع أجناد الشر الروحية»: إذا كانت الثلاث الكلمات التى مرت بنا فى غرة هذا العدد، تصف «أركان حرب» إبليس، فان هذه العبارة تصف «جنوده» الذين يتلقون أوامره، وينفذون مؤامراته. وإذا كانت العبارة الرابعة الواقعة فى قلب هذا العدد: «على ظلمة هذا الدهر» تصف طبيعة سلطان أعوان إبليس، فان هذه الكلمة الخامسة: «أجناد الشر الروحية» تصف جنود إبليس فى طبيعتهم الذاتية. فاجناد الشر هم أجناد أشرار، بل شر الأجناد. وكما أن الحرب روحية فى طبيعتها وفي أسلحتها، فان أجنادها هم أجناد الشر الروحية. والشرور التى يصيبوننا بها ليست شروراً مادية: كالمرض والفقر، والفشل، وإنما هى التذمر الذى يختفى وراء المرض، والمرارة التى تستتر وراء الفقر، واليأس الذى يولده الفشل.

ثالثاً: ميدان الحرب: «فى السماويات». هذه هى المرة الخامسة التى

فى السماويات

فيها وردت هذه العبارة فى هذه الرسالة (١: ٣ و ٢٠ و ٢: ٦ و ٣: ١٠) ، فاطلب تفسيرها في ١: ٣ . وقد وردت فى الإنجيل عبارات مجانسة لها (متى ١٨: ٣٥ يو ٣: ١٢ ، ١ كو ١٥: ٤٠ و ٤٨ و ٤٩ ، فيلبى ٢: ١٠ ، ٢ تى ٤: ١٨ ، عب ٣: ١ ، ٦: ٤ ، ٨: ٥ ، ٩: ٢٣ ، ١١: ١٦ ، ١٢: ١٢) . ولكى نعرف معنى هذه العبارة: «فى السماويات» ، علينا أن نذكر أنها هى «الدائرة» المقدسة التى تحيط « بالبركات الروحية التى باركنا الله بها في المسيح يسوع» (١: ٣) ، أو أنها هى المقام الذى أُجلس المسيح فيه بعد صعوده عن يمين العظمة «فى السماويات» (١: ٢٠) ، وأنها هى «المرتبة» الروحية الممتازة التى رُفعت إليها الكنيسة مع رأسها وربها وقاديها «فى السماويات» (١: ٢١) . فمن المعقول أن هذه العبارة « فى السماويات » تعنى « الميدان الروحى العلوى» الذى تلتقى فيه قوات الظلام بقوات النور ، محاولة — إذا أمكن — أن تنال من المختارين — وهيهات ! لأن المسيح رأسنا الأعلى قد ارتفع فوق السماويات ، وقد رفعنا معه إلى هذه الدرجة الروحية الممتازة (١: ٢١). فمادمنا ثابتين فى رأسنا الأعلى ، ومتمنعين فى حصننا الحصين ، فان سهامه الشريرة الملتهبة تنطفئ قبلما تصل إلينا وإن بلغتنا ، صارت علينا برداً وسلاماً ، مَثلها مَثل «رش» بارودة الصبى ، يطلقه على النسر المحلق فى الفضاء ، فينفضه عنه كما ينفض قطر المطر .

ولا نغفل ما جاء بهذا الصدد فى تفسير العلامة ايرونيموس لهذه العبارة: « إن السماء غير الأرض . فالسماويات هى كل ما هو غير أرضى ، وفوق الأرض ، وفوق قدرة البشر الطبيعية ، فى العالم العلوى الغير المنظور »

١٣ من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن

رابعاً : أسلحة محاربتنا (٦: ١٣ — ٢٠)

عدد ١٣ — أ — العدة الحربية الكاملة : «سلاح الله الكامل»

«من أجل ذلك» — أى إزاء هذه القوات «الجهنمية» المنظمة التى لا تنى عن قصدها وإن طال بها الأمد ؛ ليس لنا إلا أن نحمل السلاح الكامل الذى أعده الله لنا . فما أجلّ أفكار الله من جهتنا وما أجملها ! لأنه إذا كان إبليس يحيك لنا الحيل ويدبر «المكايد» للإيقاع بنا فى التهلكة ، فان الله من جانبه قد «دبر» لنا سلاحاً كاملا، وحبك لنا «بذلة عسكرية» كاملة العدد فما علينا إلا أن نتقدم فنحمل هذا السلاح الكامل . فلا نشغل أفكارنا بكيفية صنعه ، بل نتقدم بقلب صادق، وإرادة حازمة، إلى حمل هذا السلاح . فالكلمة المترجمة «احملوا» تعنى حرفياً «خذوا عليكم» ، أو «خذوا احملوا» أو «اتخذوا» فهذا «السلاح» على قاب قوسين منا أو أدنى. فليس لنا أن نقول «من يصعد إلى السماء ليحدره لنا أو من يهبط إلى الهاوية ليصعده لنا».

— ب — خطتنا بعد حمل السلاح : «أن تقاوموا ... أن تثبتوا»

مراراً يترتب علينا أن «لا نقاوم الشر» كما علمنا المسيح فى موعظته على الجبل (متى ٥: ٣٩) ، ومراراً أخرى يتحتم علينا أن «نقاوم فى اليوم الشرير» كما أوصانا الرسول هنا. وكلا الأمرين لازم فى وقته . فأمام قسوة عدو الخير، علينا أن نتسلح بنية الوداعة، وعدم المقاومة. ولكن أمام «مكايد» الشرير وحيله، وأساليبه الحربية ، لا يسعنا إلا أن نتسلح بنية المقاومة. لأن المقاومة

تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء

فى الحالة الأولى تحسب معاندة . وعدم المقاومة فى الحالة الثانية يحسب استسلاماً . وما أجمل الشيء متى وضع فى موضعه .

فوضع الندا فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندا

الكلمة المترجمة «تقاوموا» وردت أيضاً فى يعقوب ٥:٦، ١ بط ٥ : ٩ على أنه لا يتأتى لنا أن نقاوم، إلا إذا وطدنا موقعنا بالثبات فى المسيح.. «أن تثبتوا» ؛ فنثبت فى مقاومتنا ، و نقاوم فى ثباتنا .

ــجــ يوم الفصل فى حربنا : «فى اليوم الشرير» لا يكف الشرير عن مناوأتنا فى وقت مناسب وغير مناسب. فكل يوم يعتبر يومه، على نوع ما. لكن هذا العدو الخداع الذى أتقن أساليب الحرب منذ إستماطه أبوينا الأولين تعلم كيف يختار «أنسب الأيام» لمهاجمتنا، «وأنسب» يوم عنده هو «شر» يوم عندنا . هذا هو اليوم الشرير الذى يركز فيه الشيطان كل قواه موجهاً إياها نحو أضعف نقطة فينا ، لينال منا ، ويظفر بنصر حاسم. هذا هو «اليوم الفصل» ومن بعده تتزايد قوى الغالب ، وتتناقص قوة المغلوب. كأن قوة المغلوب تتسرب فى دم الغالب ، حالما يخر أمامه صريعاً !!

ومع أن فى الإنجيل أقوالا كثيرة تنبئنا بأنه قبيل مجىء المسيح ثانية تنشب حرب شديدة تتلظى نيرانها بين جنود الخير ، وأجناد الشر الروحية ، إلا أن الإشارة هنا منصرفة إلى مجاهدة المؤمن بوجه عام فى كل عصر ومصر

ــب ــ موقفنا فى حربنا : «وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» أى بعد أن تكملوا استعدادكم لحمل السلاح ، وتتحملوا مايصيبكم من هجمات

أن تثبتوا ١٤ فاثبتوا ممنطقين

الأعداء ، ليس أمامكم إلا أن تحتفظوا بموقفكم، لأن الهدف النهائي الذي يجعله عدو الخير نصب عينيه ، هو أن يزحزحكم عن موقفكم. فلا تلينوا أمام هجماته، وترجعوا القهقرى هاربين ، ولا تخدعكم حيله الحربية فتتركوا حصنكم المنيع ظناً منكم أنه هارب أمامكم ، لأنه إنما يستدرجكم لتتركوا امكانكم، وتدخلوا «أرضه» فيتمكن منكم ويضربكم الضربة القاضية . فاثبتوا بأقدام راسخة في صخر الدهور، ممسكين بالرجاء الموضوع أمامكم «الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ماوراء الحجاب . حيث دخل يسوع كسابق لنا» (عب ٦ : ٢٠) .

عدد ١٤ — ا — «البذلة الحربية» — سلاح مثلث للجسم : «المنطقة ، والدرع ، والحذاء» (٦ : ١٤ و ١٥)

من ختام العدد الماضي ، استمد الرسول مطلع استهلال لهذا العدد: «أن تثبتوا ... فاثبتوا» . فالثبات يستلزم فعلاً حاسماً تأتيه الإرادة، وهو يتجدد في كل مناسبة . فيترتب على الجندي ، بعد أن عرف أن موقفه الدائم هو الثبات في وجه العدو ، أن ينهض في ثباته ، وأن يتذرع «بالثبات» وهو يلبس «البذلة الحربية» التي تشتمل على سلاح مثلث للجسم :

(١) سلاح الحقوين — منطقة الحق : « ممنطقين أحقاءكم بالحق »

للعامل العادي منطقة تشد ملابسه حول حقويه ، كيلا تعرقل سيره، فيصبح بها خفيف الحركة ، متأهباً لكل خطوة يتطلبها عمله ، من غير عائق .

أحقاءكم بالحق

لكن «المنطقة» المذكورة هنا، هى منطقة الجندى الرومانى، التى كانت تصنع قديماً من جلد، عليها صفائح صغيرة من الحديد أو «الفولاذ» وبها يعلق السيف (٢صم ٢٠: ٨). وكان شدُّ المنطقة قديماً، أولَ علامة للتأهب للقتال، لأن المنطقة تثبّت سائر الأسلحة فى مواضعها، وتصون بعض أعضاء الجسد المعرضة للخطر. ولقد كانت المنطقة الحربية لازمة أشد اللزوم للجندى ولولاها لأضحت أسلحته ثقلا عليه يعرقل حركاته.

أما منطقة الجندى المسيحى فهى: «الحق». «والحق» هنا لا يعنى كلمة الله بالذات — هذه سيأتى دورها فى الكلام عن سيف الروح. لكنه يشير إلى صفة يتدرع بها المحارب من جانبه هو. فالحق المقصود، هو خلاصة الاخلاص، والبساطة، والأمانة، والصدق، فيكون الجندى مسيحياً حقاً لا غش فيه. وليس بغريب أن تجمع منطقة «الحق» كل هذه الخصال، لأن منطقة الجندى هى رباط الكمال لكل الأسلحة، وبما أن سيف «الحق» كان يعلّق بالمنطقة، فمن المعقول أن يكون «حق» هذه المنطقة هو الحق المعلن فى المسيح، أو هو «المسيح الحق» (٤: ٢١) الذى نلبسه و نتمنطق به — وفيه — كما تدل الكلمة الأصلية. فكما كانت منطقة الجندى محيطة به، كذلك يكون الجندى المسيحى محاطاً بالحق ومحوّطاً به، فلا تصيبه سهام الباطل من أية ناحية، لأنه يصبح متسلحاً بالعزم القوى الذى يستجمع به كل قواه، ويظل مستمسكاً بشدة اليقين فى الله وحقه، فيقال له حقاً: «البطل المتمنطق»

ولابسين درع

(٢) سلاح للصدر — الدرع : «لابسين درع البر» .

يتألف الدرع الروماني من جزءين — مقدم ومؤخر ، قدموصلا على الجانب . وكان القصد منه أن يغطي الصدر والظهر ، وأحياناً الرقبة والبطن، وكان وزن درع جليات ٥٠٠٠ شاقل من النحاس ، أي ٣٢ رطلا . ويرجح أنه كان مصنوعاً من صفائح نحاس مثل حراشف السمك . وكان يصنع أحياناً من قضبان صفصاف محاكة مثل السلال ، ومغطاة بصفيحة من النحاس. وربما صنع أيضاً من صفائح جلد ، أو قماش من كتان أو صوف، وكانت القطعة الصدرية مصنوعة غالباً من كتان مبطن. ولكون الدرع هو الجزء الرئيسي والأكمل في سلاح الدفاع ، فقد أشير به إلى تمام الدفاع والأمن (إشعياء ٥٩: ١٧) .

هذا درع الجندي الروماني . أما «درع» الجندي المسيحي فهو: «البر».

يعتقد الدكتور وستكوت أن « البر » الذي يتدرع به الجندي ، هو قبوله الحق الإلهي، وتطبيقه إياه، بالمحبة ، في علاقته بالناس. هذا يوافق قول الرسول في رسالة سابقة : « لابسين درع الإيمان والمحبة» (١تس ٥ : ٨) فبالإيمان نقبل الحق الإلهي ، وبالمحبة نطبقه على معاملاتنا مع الآخرين. ويمكننا أن نختصر الطريق ، فنقول إن «البر» المقصود هنا هو «بر المسيح» لأن السلاح المقدم لنا ، هو «سلاح الرب» لا سلاحنا نحن.

كما أنا لا برّ لي أدنو من الفادي العلي

ويعتقد الدكتور موليه ، أن هذا «البر» هو صفات المؤمن التي يتحلى

البر ١٥ وحاذين أرجلكم

بها نتيجة ولائه لله، ولإرادته الصالحة المرضية الكاملة . ولعله أراد أن يقول أن المؤمن بإيمانه بالمسيح، يقبل «بر» المسيح، فيلبسه هذا البر، ويصبح فيه صفات عملية جليلة، كأنها من عندياته . لأن «بر» المسيح لا «يحسب» لنا نظرياً وكفى، بل نختبره عملياً في حياتنا. في البداءة يكون لنا، ومن ثم يصبح فينا، فيحمى صدورنا ضد وساوس الشكوك في الله، ويقي أحشاءنا شر تحجر الشعور نحو الآخرين، ويحمي ظهورنا من ذئاب خطايا الماضي التي تتعقبنا ليل نهار لتفتك بنا.

هذا هو البر الذي نلبسه أولاً ثم يلبسنا هو، فيبدّل ضعفنا بقوة المسيح، وينتزع نجاستنا فتحل محلها طهارة المسيح، فنفتكر ـ ولكن بفكر المسيح، ونحب ونبغض ـ ولكن بقلب المسيح، إذ يصبح بر المسيح فينا، ونحن فيه .

عدد ١٥ | سلاح للقدمين — الحذاء : «حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام» . في هذا العدد أمران يدعوان إلى الغرابة :

أولهما : كيف يعتبر «الحذاء» سلاحاً ؟ وجواباً عليه نقول : ظهرت في إحدى المجلات الواسعة الانتشار كلمة بقلم مدرب عسكري ماهر، عنوانها: «الأحذية المتينة الجيدة تلعب دوراً حاسماً في الحروب» . ويقول العارفون أن من أهم أسباب اندحار الجنود الحبشية في ساحة القتال، أنهم كانوا حفاة الأقدام، لأن رواسب الغازات السامة لحست بطون أقدامهم !

فماذا يعمل الجنود المساكين الذين يسيرون أحياناً في مسالك وعرة ،

باستعداد إنجيل

تمزق بطون أقدامهم بأسنتها المتحجرة، وأحياناً أخرى يغوصون إلى أحقائهم في مستنقعات آسنة مليئة بالحشرات السامة والجراثيم الفتاكة، ومراراً يسيرون على طرق منتشرة فوقها قطع حديدية مدببة، وضعتها يد الأعداء !

هذه بعض المسالك التي كان على الجنود الرومان أن يسلكوها. فكانوا يسيرون تارة بين صخور ووديان تدمي الأقدام، وطوراً في مستنقعات وأوحال تغوص فيها السيقان. فكان من اللازم أن «يتسلح» بحذاء جيد يحفظ قدميه في كلا الحالين. وإذا كان المصارعون قد اهتموا قديماً بحالة أقدامهم، لتكون خفيفة كأقدام الأيائل، فما أحرى بالجندي المسيحي أن يهتم شديد الاهتمام بحالة قدميه اللتين عليهما يتوقف ثباته في هذه الحرب، سيما وأن كلمة «اثبتوا» هي مفتاح النصرة في هذه الحرب !!

ولكن ما هو «الحذاء» الذي يتسلح به المؤمن؟ هو «استعداد انجيل السلام» — هو التأهب الذي يولده الإنجيل في قلب من يسمعه ويقبله، فيصبح مستعداً و«جاهزاً» لتبليغ بشرى الإنجيل إلى العائشين في وادي الظلمات. لأن نور الإنجيل متى بلغ قلب إنسان ما، يُحيي فيه ناراً مضطرمة تدفعه إلى حمل شعلة الإنجيل في يده، إلى الواقعين في أسر الظلام، وإذ يلمحه أولئك الأسرى عن بُعد، يقومون مهللين لقدومه الميمون فيحيونه بتلك الأنشودة القديمة الخالدة : «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك» (اشعياء ٥٢: ٧) ، فتتجاوب معها أصداء تلك الأنشودة الجليلة: «هوذا على الجبال قدما مبشر مناد بالسلام

السلام . ١٦ حاملين فوق الكل

عيّدي يايهوذا أعيادك أوفِ نذورك . فانه لايعود يعبر فيك أيضاً المهلك» (ناحوم ١ : ١٥) .

أما الأمر الثاني الذي يدعو إلى الغرابة، فهو أن الرسول يتحدث عن استعداد «إنجيل السلام» ، كسلاح في الحرب الروحي — والسلام والحرب متناقضان!! ولكن هذا العجب يزول متى ذكرنا أن قدمي المبشر لاتثبتان في الحرب إلا متى كان متمتعاً بسلام الله الذي يحفظ قلبه وفكره في المسيح، وحاملاً سلام المسيح للواقعين في أسر الشر والفساد. فمع أننا نحارب في حرب روحية ، الا أننا ندخلها بقلب يفيض سلاماً مع الله ، ومع أنفسنا ، ومع الآخرين . هذا هو سلام الثقة واليقين، الذي به وقف بولس وقفة الشباب على رغم اهتزاز ركبتيه بحكم الشيخوخة ، فقال : «أنا عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي » فلا يكفي الجندي المسيحي أن يكون حاصلا على سلام مع الله ، بل عليه أن يكون متمتعاً بسلام الله نفسه .

عدد ١٦ — ب — أسلحة الدفاع . (١) سلاح يقي القلب : الترس

الترس، على الأرجح ، من أقدم أدوات الحرب . فان الإشارات اليه في كتابات الأقدمين عديدة (تكوين ١٥ : ١ ، مزمور ٥ : ١٢ و١٨ : ٢) . وكانت الأتراس مختلفة الحجم، وتصنع على الغالب من الخشب الخفيف، وتغطى بطبقات متعددة من الجلود السميكة التي كانت تمسح بالزيت وتصقل جيداً (إشعياء ٢١ : ٥) وكانت أكثرها تلون بألوان مختلفة على هيئة دوائر في النصف

ترس الإيمان الذي به

(ناحوم ٢ : ٣) . أما الجلد فكان يُمدّ أحياناً على مشبك من قصب أو فروع الصفصاف. وكثيراً ما كان يصنع بحجلة من الذهب أو النحاس ، أو كان يلبّس بصفائح سميكة من المعادن المذكورة (١ملوك ١٤ : ٢٦و٢٧) . وكان يُحفر على الأتراس المعدنية صور ونقوش مختلفة .

كان الترس يحمل على الذراع اليسرى ، وذلك بادخال اليد تحت سيرين من الجلد على مؤخره ، وقبض الأصابع على سير صغير عند حافته . واستعيض في الأزمنة المتأخرة عن السيور بقبضة من الخشب أو الجلد في وسطه . وأحياناً كان يعلق بسير في العنق عوضاً عن مسكه باليد . أما سطحه الخارجي فكان محدّباً ، وذلك لمنع الأسهم من اختراقه ، وكانت حوافيه ملبسة بصفائح من الحديد تمكيناً له ، ولوقايته من فعل الرطوبة إذا ألقي على الأرض وكانت الأتراس تُحمل أثناء الحرب فوق الرؤوس ، أو تُصف في خط مستقيم لتكون حاجزاً عمومياً .

هذا هو الترس الذي كان يتسلح به الجندي الروماني . فما هو الترس الذي يتسلح به المسيحي ؟ — هو ترس الإيمان . وليس يخاف أن الإيمان يُبدأ معرفة ، فيتطور تصديقاً ، فيصبح اتكالاً واعتماداً ، وثقة . أي أنه يُبدأ غالباً في دائرة العقل ، ويمر بالعاطفة ، ثم ينتهي بالإرادة . وهو العين المرفوعة على الدوام إلى ربها منتظرة منه العون : «معونتي من عند الرب . الرب ظل لك عن يدك اليمنى ... إليك رفعت عينيّ يا ساكناً في السموات . هوذا كما أن أعين العبيد نحو أيدي ساداتهم ، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها ،

تقدرون أن تطفئوا جميع

هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا» (مزمور ١٢١ : ١و٢ ، ١٢٣ : ١و٢)،وهو أيضاً اليد المفتوحة التي تتقبل بركات الله ، بالثقة واليقين والشكران .

والإيمان ، فضلا عن كونه يتحد النفس بالله ، فيحسب نصرته نصرتها فهو أيضاً يثبت النظر في المستقبل لأنه يرى مالا يُرى ومن لا يرى . فاذا انهزم في معركة ما ، لا يدركه الفشل لأنه واثق في النهاية من النصر المبين ، وهو يرى النصر قبل أن يأتي فيخصصه لذاته ، ويحسبه ملكاً له قبل أن يتمكن من الاستيلاء عليه فعلا. فهو يعيش في المستقبل وإن تكن قدماه سائرتين في العالم الحاضر . لأنه هو الثقة بما يُرجى » .

ومتى ذكرنا وعد الله لابرام : « لا تخف يا ابرام . أنا ترس لك » (تكوين ١٥ : ١) ،علمنا أن ترسنا هو الله نفسه،الذي به نحتمي بالإيمان .

أهمية هذا السلاح : « حاملين فوق الكل » — « أي زيادة على كل ما ذكر من الأسلحة ، أو ما يمكن أن يوضع فوق كل الأسلحة لوقاية الجسد . ويجوز أن تترجم إلى « وفي كل حال » أي في كل دور من أدوار الحرب ، وفي أي اتجاه تأتي منه السهام ،وضد كل هجوم يقوم به الخصوم — كل هذا لأن الترس يُحمل باحدى اليدين فيسهل تحريكه ذات اليمين وذات اليسار « في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار » .

قوة فعل هذا السلاح : « الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة » . هذا أول الأسلحة الدفاعية ، التي يلبسها المؤمن ليحتفظ بموقفه . وقد اعتاد المتحاربون قديماً أن يربطوا بالسهام مواد قابلة

سهام الشرير الملتهبة . ١٧ وخذوا خوذة

الاشتعال — كالقار وما اليه، يرمون بها العدو وهى مشتعلة. وإلى ذلك أشار المرنم بقوله : « يجعل سهامه ملتهبة » و « سهام جبار مسنونة مع جمر الرتم » (مزمور ٧ : ١٣ ، ١٢٠ : ٤) .

وقد كان الترس قوياً منيعاً ، يكفى لإطفاء سهام الشرير الملتهبة فلا تصيب قلب المسيحى المجاهد. ويُكنى « بالسهام الملتهبة » عن التجارب المحرقة التى كانت مالئة جو أفسس — أمثال خطية الغضب المتأججة نيرانه والميول الجنسية التى كانت تذكيها عبادة أرطاميس، و نيران المطامع المادية التى تلتهب فى القلب فتأكل الأخضر والهشيم ، أو سَـورة الفكر التى تزحزح ثقة الإنسان بالله . ناهيك عن نيران الجسد الآكلة .

هذه بعض سهام الشرير الملتهبة التى قد تأتينا مختبئة فى الغنى أو مغلفة بالفقر . تارة تأتينا مستورة بالورد والرياحين فى أيام نجاحنا، وأخرى تجيئنا محفوفة بالأشواك فى أيام فشلنا . لكن الخطر ليس فى الغنى أو الفقر، ولا فى النجاح أو الفشل ، بل فى الشر الذى يستتر وراء كل منها .

عدد ١٧ (٢) . السلاح الثانى الدفاعى : سلاح يقى الرأس

الخوذة : « وخذوا خوذة الخلاص » الخوذة هى غطاء الرأس. كانت تصنع أحياناً من جلد سميك ، وأخرى من نحاس (١صم ١٧ : ٣٨) وتزينت قمتها غالباً بعرف أو ريش. وفى الأزمنة المتأخرة، أضيفت إليها قطعة وجهية لوقاية الوجه وتتبين لنا أهمية الخوذة متى تحققنا أنها تحمى الرأس الذى هو مركز

الخلاص وسيف الروح

الدماغ . ووازن الجسد ، وموطن العينين . فكل سهم يصيب الرأس، يفقد الجسد قوة التوازن ، أو يصيب منه مقتلا .

أما «الخوذة» الروحية فهى «خوذة الخلاص ». وقد أشار اليها بولس نفسه فى رسالة سابقة بقوله : «وخوذة هي رجاء الخلاص» (١ تس ٥ :٨). فهى خوذة « الخلاص » على اعتبار أن الخلاص فعل تم منذ آمنـّا، وهى خوذة «رجاء الخلاص» على اعتبار أن الخلاص عملية لم تتم بعد . المعنى الأول يفيد خلاص التبرير، والثانى يشير إلى خلاص التقديس والتمجيد حين نتمتع بكمال فداء الأجساد . لأننا خلصنا فى الماضى (أعمال ١٦ :٣١) ، وها نحن متممون خلاصنا الحالى (فيلبى ٢ :١٢) ،وسنخلص كاملياً عند مجىء المسيح ثانية (عب ٩ :٢٨) . يتضح لنا ذلك متى ذكرنا أن الكلمة التى ترجمت إلى « خلاص » فى هذا العدد ليست هى « سوتيريا » التى استعملت فى ١ تسالونيكى ٥ :٨ ، بل «سوتيريون »الأولى تعنى الخلاص كعملية دبرها الله ، والثانية تعنى الخلاص كنعمة يقبلها الإنسان بالإيمان .

هذا هو الخلاص ، الذى يتقبله الإنسان من الله كعطية مجانية مقدمة منه . فالكلمة التى ترجمت: «خذوا »تعنى حرفياً «تقبلوا»، أو تسلموا كما من يد رئيس جيشكم الأعلى ، الذى أعد لكم هذا السلاح، كناية عن قبول الإنسان ذلك الخلاص العجيب الذى أكمله المسيح على الصليب .

وقد يحلو لنا أن نذكر أن إشعياء رأى فادينا ورئيس جيش خلاصنا «وخوذة الخلاص على رأسه » (إشعياء ٥٩ :١٧). فما علينا إلا أن نرفع عيوننا

الذى هو كلمة الله.

إليه بالإيمان فنكون فيه ظافرين. ومادام «الرأس» فى حمى أمين، فلا خوف علينا نحن أعضاء الجسد!! وإذا كانت الخوذة تحمى عيوننا أيضاً، فلنرفع عيوننا لأن نجاتنا تقترب » (لوقا ٢١ : ١٨) .

— جـ — سلاح الهجوم — سلاح لليد — السيف : «وسيف الروح الذى هو كلمة الله» . كان السيف غالباً قصيراً ذا حدين (قضاة ٣ : ١٦) ، وكان له غمد (ارميا ٤٧ : ٦) ، وعُلقّ بالمنطقة (٢صم ٢٠ : ٨) . وهو السلاح الهجومى الوحيد الذى ذكره الرسول هنا ، لأن الحرب التى نحن بصددها هى حرب دفاعية أكثر منها هجومية : «اثبتوا» .

أما سيف المؤمن فهو «كلمة الله» ، الموحى بها فى الكتاب المقدس ، وفى الكلمة «ريما» لا «لوجوس» . هذا هو السيف الماضى ذو الحدين الذى استخدمه المسيح حين صرع الشيطان بقوة «المكتوب» . بل هو السلاح الذى به تغلب بولس فى ساعات مجده ، وفى أوقات هوانه، إذ كان يرجع دائماً إلى المكتوب (قابل أعمال ١٤ : ١٤ و ١٥ بمزمور ١٤٥) . بل هذا هو السلاح الذى حمله لوثيرس طوال مدة الاصلاح، مستمسكاً بقوة المكتوب «البار بالإيمان يحيا» . لا بل هذا هو السلاح الذى به صرع يونان عدو الخير ، ووقف على قدميه ظافراً منصوراً ، حين جاءته «كلمة الرب ثانية» !! «فالى الشريعة وإلى الشهادة» !!

هذا هو السيف المرهف الفاحص . فقد رأى أحدهم بعض الجنود فى الحرب الكبرى يغرزون سيوفهم فى أكياس من الدريس، لأن أخباراً جاءتهم،

١٨ مصلين بكل صلوة وطلبة

بأن جواسيس اختبأوا بين الدريس! هذا هو السلاح عينه الذي يستطيع أن يميز أفكار القلب ونياته. هذا هو السلاح الذي يرهف عقولنا ويحدد عزائمنا ويشدد إرادتنا. فكم من جندي جريح توكأ على سيفه بعد أن بترت إحدى ساقيه بشظايا القنابل !! هذه هي تعزيتي في مذلتي أن قولك أحياني » .

وقد نُسب هذا السيف إلى « الروح » لأن الروح القدس هو الموحي بالكلمة المقدسة ، وهو الناطق بالأنبياء في كلا العهدين ـ القديم والجديد (عب ٣:٧، ٩:٨و ١٠:١٥، ١٦ بط ١:١١، ٢ بط ١:١٢) .

عدد ١٨ — ٢٠ خامساً : سهر الجندي المسيحي — الصلاة

هاقد رسم أمامنا الرسول ، صورة للجندي المسيحي المتسلح بكامل عدته ، «فمنطقة الحق» تشدد حقويه ، «ودرع البر» يقي صدره، وأحشاءه، وظهره، «وحذاء استعداد انجيل السلام» يوطد قدميه. «وترس الإيمان» بيده اليسرى ليحمي قلبه من « سهام الشرير الملتهبة » ، « وخوذة الخلاص» فوق رأسه لتصون رأسه وعينيه ، «وسيف الروح» في يده اليمنى يضرب به ذات اليمين وذات اليسار ، فماذا بقي عليه بعد حمل هذا السلاح الكامل ؟ بقي شيء واحد — إن أضاعه خسر معه كل شيء — هو السهر، المعبَّر عنه بالصلاة هذا هو السلاح الذي سقط من يد بطرس فأسقط في يده ، فنبا سيفه عن قصده ولم يصب سوى أذن عبد اوفي النهاية انغلب هو أمام جارية. هذا هو السلاح الذي أوصى به بولس أهل أفسس قائلاً :

« مصلين بكل صلاة وطلبة » .

أولا :الصلاة كسلاح : «مصلين بكل صلاة وطلبة» — تُعتبر الصلاة سلاحاً لأنها هي إحدى وسائل الاستنجاد برئيس جيشنا الأعظم ليرسل الينا المدد

عدد ١٨ | — ا — نوع الصلاة — « بكل صلاة وطلبة »

الكلمة الأولى : «صلاة» تعنى الشركة مع الله ، وهى تشمل الحمد والشكر والانتظار فى حضرته بسكون.والثانية : «طلبة» تعنى الأدعية التى نتقدم بها إلى الله . والأولى أعم من الثانية وأشرف وأرفع.الأولى تعيّن صلتنا بالله حتى بعد ارتفاعنا إلى المجد.لكن الثانية قاصرة على أدعيتنا إليه ونحن على أرض الحاجة والعوز . وقوله «كل صلاة» يعنى الصلاة بكل أنواعها : من سرية وجهرية ، شفوية وباطنية ، مكتوبة ومرتجلة ، شخصية وتشفعية .

— ب — أوان الصلاة : «كل وقت » . لا أوان للصلاة ، لأنها فى كل أوان ، فهى لاتحمل ساعة يد ، ولا ساعة جيب ، ولا تتطلع إلى ساعة حائط ، لأن عينها على الدوام متوجهة إلى «ساعة» الله التى يتمم فيها مقاصده بحكمة. وليس معنى هذا أن يكون الإنسان متخذاً «هيئة المصلى على الدوام» — إن ساجداً ، أو واقفاً أو جالساً — بل أن يكون على الدوام فى «روح» الصلاة ، إذ يكون قد عود نفسه على التوجّه إلى الله اتجاهاً علوياً كل يوم وكل اليوم !

— جـ — جو الصلاة : « فى الروح» — أى فى الروح القدس الذى

بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين .

هو المحرك على الصلاة ، والمرشد فى الصلاة ، والمعين فى الصلاة ، والناطق فينا « بأنات لا ينطق بها » فى الصلاة .

—د— المواظبة على الصلاة : « ساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة » هذه هى المرة الثالثة التى تكررت فيها كلمة « كل » فى هذا العدد — والحبل المثلوث لا ينقطع سريعاً وقد أريد بهذه « الكلية » الثالثة شدة المواظبة ، ودوام المثابرة والسهر فى الصلاة بكل أنواعها . ويُكنى « بالسهر بكل مواظبة » عن توقع انتظار إجابة الصلاة فى حينها .

—هـ— المصلى لأجلهم: (١): لأجل سائر الجنود : « لأجل جميع القديسين » . على الجندى أن يوجه قلبه باستمرار إلى الله فى الصلاة ، ذاكراً إخوته المجاهدين معه فى نفس الحرب الواحدة — وإن كانوا فى ميادين مختلفة . لأننا وإن كنا نختلف عن بعضنا البعض فى حالاتنا وحاجاتنا ، ومعداتنا ومحارباتنا ، لا أننا واحد فى المسيح ، وأنه لمن أكبر المشجعات لنا فى جهادنا الروحى ، أن نذكر أننا نحارب وحدنا ، لكننا نكون جيشنا واحداً مع سائر أخوتنا فى العالم : ولو أننا لا نراهم . بهذا كان يتشجع المتحاربون فى الحرب الكبرى مع كونهم لا يرون أخوتهم المختفين عنهم فى الخنادق ! وهو خير امتياز يتمتع به صغيرنا : أن يكون سبب اتيان بركة الظفر والانتصار على كبيرنا ومن يدرى ! ربما فى اليوم الأخير ، ترفع تيجان كبيرة وضعها البشر على رؤوس « عظيمة » ، لتلبسها رؤوس كانت مختفية عنا ، اعتقاداً منا أنها صغيرة .

١٩ ولاجلي لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي لاعلم جهاراً بسر الانجيل . ٢٠ الذي لاجله أنا سفير في سلاسل .

عدد ١٩ (٢) لأجل الرسول نفسه ولأجلي » . أي امتياز في الدنيا يعدل هذا الذي يشعر بها العبد في المنزل المسيحي عندما يسمع بولس قائلاً له : «صل لأجلي» . ماأعظم ديمقراطيتك يابولس وماأجل وداعتك! نعلم أن الأكثرين في حاجة إلى صلاتك لأجلهم، ولكن ما كنا ندري أنك في حاجة إلى صلاة الجميع — حتى أصغر الأصغرين !! أليس هذا دليلاً على وحدانية المؤمنين في المسيح الواحد، وأن مايصيب أحدهم من ألم، يشترك فيه الآخر ، وأن لاغنى لأكبرهم عن أصغرهم. فما عليك أيها الأخ العزيز إلا أن تثابر في الصلاة فلعلك بصلاتك تسعف عظيماً كبولس وأنت لا تدري!

كان بولس في حاجة إلى الصلاة لأجله، لكي يبلغ رسالة الإنجيل بكل حكمة وفطنة وشجاعة إلى أهل تلك المدينة العظيمة — عاصمة الدنيا في وقته — روما. «لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي» — للوعظ والإرشاد — «لأعلم جهاراً» — بدون تحفظ ولا وجل فلا أخفي شيئاً من الحق، فأقول الحق ، وكل الحق ، ولا شيء إلا الحق ، (فيلبي ١: ٢٠ ورومية ١: ١٥و١٦) «بسر الإنجيل» — هذه هي المرة السادسة التي وردت فيها هذه الكلمة: « سر» في هذه الرسالة (١: ٩ ، ٣: ٣، ٤ و٩ ، ٥: ٣٢) فاطلب تفسيرها في هذه المواضع.

عدد ٢٠ تناقض ظاهري : «سفير في سلاسل» — كلمتان متناقضتان

لـكى أجاهر فيه كما يجب أن أتـكلم ٢١ ولـكن لـكى تعلموا أنتم أيضاً أحوالى ماذا أفعل يعرفـكم بكل شىء تيخيكس الأخ الحبيب

يفصل بينهما حرف صغير : «فى». إحداهما ترينا الرسول فى جلال ومجد: «سفير»، والثانية ترينا إياه فى موقف المجرمين : «سلاسل». الأولى ترينا إياه نائب ملك : «سفير»، والثانية ترينا إياه فى مكان العبد : «سلاسل»

هنيئاً لك يابولس هذا المجد الممتاز، فلو كنت سفيراً فقط لاحترمناك مرة، أما وأنت سفير فى سلاسل، فاننا نحترمك الف مرة ومرة — لا على السفارة التى تمجد السلاسل، بل على السلاسل التى تزين السفارة ! فلا التيجان على رؤوس الملوك بأجمل من هذه السلاسل فى رجليك !! غيرك تقيده الدنيا العريضة ولو كان فى قصورها، لأنه متعلق بأهداب مادتها ولـكنك أنت حر ولو كنت مغلولا بسلاسل سجونها . فأهنأ بما نلت وبشر جهاراً « بسر » الإنجيل ولو كنت فى السلاسل !!

كلمة شخصية

(٦: ٢١و٢٢)

بكلمات شخصية اختتم بولس هذه الرسالة الخالدة، لأن صلات المحبة والمودة كانت تربطه بالمكتوب اليهم. ولما كان لزاماً عليه أن يحيطهم علماً «بأحواله»، لم ير بداً من أن يكلف الأخ تيخيكوس بهذه المهمة، فيعرّفهم بكل شىء شفاهاً، كأنه حسب هذه الرسالة السماوية أرفع من أن يسيطر فيها شيئاً عن ظروفه الخاصة، وأحوال معيشته فى السجن، وماله من مجال للتبشير

والخادم الأمين فى الرب ٢٢ الذى أرسلته إليكم لهذا بعينه لكى تعلموا أحوالنا ولكى يعزى قلوبكم ٢٣ سلام على الأخوة

ولقد خلع على تيخيكوس وصفين جميلين — كل منهما مزدوج: أولهما: «الأخ الحبيب» والثانى: «الخادم الأمين». أولهما يصفه فى شخصه، والثانى يصفه فى عمله. وقد ورد اسم الأخ الحبيب فى أعمال ٢٠ : ٤، كو ٤ : ٧، ٢تى ٤: ١٢، تيطس ٣: ١٢ — والمستفاد من هذه الشواهد مجتمعة معاً، أن هذا الأخ من آسيا الصغرى مولداً، ولعله من أفسس نفسها، وهو محب صادق وصدوق لبولس، مما أكسبه حب الرسول وثقته. وهو بين الذين وقفوا جانب الرسول حتى نهاية جهاده. ويقول تقليد قديم: إن هذا الأخ الحبيب أصبح أسقفاً على بيثينيا. ويقول مصدر آخر: إنه صار أسقفاً على نيابوليس فى قبرص. ويقول الأسقف ليتفوت أن اسم «تيخيكوس» وُجد منقوشاً على عملة رومانية قديمة !! وسواء أكان هذا اسمه هو، أم لا — والأرجح لا — فيكفيه فخراً أن اسمه نُقش فى رسالة أفسس — وهو الشخص الوحيد الذى حاز هذا الشرف بعد الرسول — هذا أجل له، وأشرف، وأبقى.

البركة الختامية

(٦: ٢٣ و ٢٤)

تمتاز البركة الرسولية التى اختتم بها الرسول هذه الرسالة عن تحيته التى استهلها بها، بأمرين :

أولهما: أن البركة موجهة إلى «الأخوة» فى صيغة الغائب: «على الأخوة»

ومحبة بإيمان من الله الآب والرب يسوع المسيح. ٢٤النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح

والتحية موجهة إليهم فى صيغة المخاطب : « نعمة لكم ».

ثانيهما : أن البركة الرسولية أعم فى مداها من التحية . فالتحية كانت مقصورة على «النعمة والسلام» : « نعمة لكم وسلام» لكن البركة أضافت محبة مقترنة بالإيمان إلى النعمة والسلام : «سلام.. محبة .. إيمان.. النعمة» وكلها منبعثة من قلب الله. «سلام، محبة ، إيمان، نعمة» — هذه هى الأضلاع الرباعية التى يتألف منها «هرم» هذه البركة. وهو أثبت من أقدم الأهرامات وأعظمها ، لأن الله موجد احجاره

« النعمة مع جميع الذين» ... هذه مكافأة جامعة

«يحبون ربنا فى عدم فساد» ... هذه مكافأة مانعة

إن حب المسيح لنا يولد فينا نحوه حباً من جنسه: «محبة فى عدم فساد». هذا أجمل ختام لأجمل رسالة خطها قلم بولس. فقد لاق حقاً بتاج رسائله أن تتوج بخير النعم والفضائل — المحبة المنزهة عن الفساد فهى إذاً محبة حية خالدة لأنها مجردة عن الفساد الذى هو علة الفناء ، وهى محبة عالية لأنها موجهة إلى ربنا يسوع المسيح. هذه هى الماسة الصافية النيرة التى لا تشوبها شائبة فساد، أو غرض، أو هوى . هذه هى الدرة الخالدة التى لن تفنى، ولن يفنى حاملها، ولو كان عائشاً فى قلب أفسس عاصمة الفساد .

في عدم فساد . آمين

كتبت إلى أهل أفسس من رومية على يد تيخيكس

لأنه يحب المسيح « من كل قلبه ،ومن كل نفسه ، ومن كل فكره» .
هذه دلالة مصالحته مع الله ، وثمرة هذه المصالحة ، بل تاج هذه المصالحة
هذه هي المحبة التي تحيا وتتحرك وتوجد في جو مقدس لا يعتريه
الفساد. لأنها تحيا في الله. فلن تموت محبة يكون الإخلاص
رائدها ، وحب المسيح موجدها ، وشخص المسيح
مجددها ، ومجد المسيح متوجها وممجدها .
آمين فآمين

دار العالم العربي للطباعة
٢٣ شارع الظاهر — القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦

